

الكامل

فى اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المِكنى
المؤسسة السودانية بيمصر
٦٨ شارع النحاسية - القاهرة - ت: ٤٨٩٧٨٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

باب (١)

قال أبو العباس: وهذا باب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهل ومن جد إلى هزل. ليستريح إليه القارئ. ويدفع عن مُستمعه الملal. ونحن ذاكرون ذلك إن شاء الله.

[لبكر بن النطاح يمدح مالك بن علي الخزاعي]

قال بكر بن النطاح في كلمة يمدح فيها (٢) مالك بن علي الخزاعي:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى	لَتَرْضَى . فَقَالَتْ قُمْ فَجِئْنَا بِكَوْكَبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنَتُ كُلُّهُ	كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءَ مُغْرَبِ (٣)
فَلَوْ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ مَالِكِ	وَعِزَّتِهِ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي (٤)
فَتَنَى شَقِيتُ أَمْوَالَهُ بِسَمَاحِهِ	كَمَا شَقِيتُ قَيْسُ بِأَسْيَافٍ تَغْلِبِ

[للخليع يمدح عاصما الغساني]

وقال الخليع (٥) في كلمة له (٦) يمدح بها عاصما الغساني:

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ وَقَدْ شَخَصْتُ عَيْنِي وَدَمَعِي عَلَى خَدِّي (٧)
أُرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتُ فُؤَادَهُ بِلِحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأْسُفِ وَالْجَهْدِ

(١) هذا العنوان ثابت في الأصل. س، وهو ساقط من ر.

(٢) ر: «مدح». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٣) قال في اللسان: «العنقاء: طائر ضخيم ليس بالعقاب. وقيل: العنقاء المغرب. كلمة لا أصل لها، يقال إنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور. ثم كثر ذلك حتى سماوا الداهية عنقاء مغربا ومغربة». مادة - عنق.

(٤) في س. هذا البيت قبل سابقه.

(٥) الخليع لقب الحسين بن الضحاك. أحد شعراء الدولة العباسية.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. (٧) شخصت عيني: ارتفع جفناها من كثرة السهاد.

وموتُ إذا أفرحتَ قلبك من بعدى (٢)
لصنع الأيادي العُرى في طلبِ الحمْدِ
إلى عاصمِ ذى المكرمات وذى المجدِ
فتأمنَ نفسى منكم لوعة الصّدِّ

فقلت: عذابٌ بالهوى (١) قبل ميتةٍ
لقد فطنتُ للجورِ فطنةً عاصمِ
سأشكوكُ فى الأشعارِ غيرَ مُقصرٍ
لعلَّ فتى غسانَ يجمعُ بيننا

[لأبى العتاهية فى العتاب]

وقال إسماعيل بن القاسم (٣):

فى مثلٍ ما أنتَ فيه ليس يكفينى
زهوُ الملوكِ وأخلاقِ الساكنينِ
عنّى وزادك خيراً يابنَ يقطينِ
ولا أريدك يومَ الدينِ للدينِ

إن السَّلامَ وإنَّ البشَرَ من رَجُلٍ
هذا زمانُ ألحَّ الناسُ فيه على
أما علمتَ جزاك اللهَ صالحةً
أنّى أريدك للدينِ وعاجلها

[ليزيد بن محمد بمدح إسحاق بن إبراهيم]

وقال يزيد بن محمد [بن المهلب] (٤) المهلبى فى كلمة يمدحُ بها إسحاق بن
إبراهيم:

لأبنِ بيت تُهدى له الأشعارُ
ما على الحرِّ - أن يسودوه - عارُ

إن أكنْ مُهدياً لك الشعر (٥) إتنى
غيرَ أنى أراك من أهل بيتٍ

وقال فى كلمة أخرى له (٦):

وإذا حُددتَ فكلُّ شىءٍ ضائرُ (٧)
والسيفُ فى يده فنعمَ النَّاصِرُ

وإذا جُددتَ فكلُّ شىءٍ نافعُ
وإذا أتاك مُهَلَّبى فى الوغى

(١) ر: «فى الهوى». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) يقال: قرح قلب الرجل من الحزن وأقرحه غيره.

(٣) هو المكنى أبا العتاهية.

(٤) من س.

(٥) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «المدح».

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. س.

(٧) حددت: منعت، يقال: حده عن الأمر يحده حداً. منعه عنه خيراً كان أم شراً. وجددت. أى رزقت الجدل. وهو الحظ.

[فى مقتل مصعب بن الزبير]

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير: أَشْهَدُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ؟ قالوا: لا. كان الْمُهَلَّبُ فى وَجْهِهِ الْخَوَارِجُ. قال: أَفْشَهِدُ عَبَّادُ بْنُ الْحَصِينِ الْحَبْطِيُّ؟ قالوا: لا. قال: أَفْشَهِدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السُّلَمِيِّ؟ قالوا: لا. فَتَمَثَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

فَقُلْتُ لَهَا عِشَى جَعَارٍ وَجَرَّرِى بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ^(١) جَعَارٌ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الضَّبْعِ. وَهِيَ صِفَةٌ غَالِبَةٌ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لَهَا: جَاعِرَةٌ. فَهَذَا فى بَابِهِ كَفَسَاقٍ. وَلِكَأَنَّ. وَحَلَّاقٍ. لِلْمَنِيَةِ. وَقَدْ فَسَّرْنَا هَذَا الْبَابَ مُسْتَقْصًى عَلَى وَجْهِهِ الْأَرْبَعَةِ.

[ابنة جارية لهمام بن مرة]

وَيُرْوَى أَنَّ ابْنَةَ جَارِيَةٍ لِهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ ذُهَلٍ بَنَ شَيْبَانَ قَالَتْ لَهُ يَوْمًا: أَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى اللَّائِي يَكُنُّ مَعَ الرَّجَالِ فَقَالَ: يَا فَسَّاقُ! أَرَدْتَ صَفِيحَةً^(٢) مَاضِيَةً. فَقَالَتْ: أَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى صَلْعَاءِ مُشْرِقَةِ الْقَذَالِ^(٣) فَقَالَ: يَا فَجَارًا! أَرَدْتَ بَيْضَةَ حَصِينَةٍ^(٤). فَقَالَتْ: أَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى أَيْرٍ أَسُدُّ بِهِ مَبَالِي قَالَ: فَقَتَلَهَا.

[من أخبار سحيد بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر]

قال أبو العباس: قال أبو الشَّمَقْمَقِ - وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَزَعَمَ التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: أَبُو الشَّمَقْمَقِ وَمَنْصُورُ بْنُ زِيَادٍ وَيَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ الْكَاتِبُ. مِنْ

(١) من أبيات الكتاب ٢: ٣٨؛ وينسب إلى النابغة الجعدي.

(٢) الصفيحة: واحدة الصفائح، وهى السيوف العريضة.

(٣) القذال فى الأصل: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس.

(٤) البيضة من الحديد. تلبس على الرأس تقيه السلاح.

أهل خراسان. من بخارية عبيد الله بن زياد. وكان أبو الشمقمق ربما لحن،
ويَهْزُلُ كثيراً ويجد. فيكثر صوابه - قال يمدح مالك بن علي الخزاعي ويدم سعيد
ابن سلم الباهلي:

قد مررنا بمالك فوجدنا ه جواداً إلى المكارم ينمي^(١)
ما يبالي أتاه ضيف مخف أم أتاه يأجوج من خلف ردم^(٢)
فارتحلنا إلى سعيد بن سلم فإذا ضيفه من الجوع يرمي^(٣)
وإذا خبزه عليه « سيكفيهم الله » ما بدا ضوء نجم
وإذا خاتم النبي سليماً ن بن داود قد علاه بختم
فارتحلنا من عند هذا حمد وارتحلنا من عند هذا بزم

وقال عبد الصمد بن المعدل يرثي سعيد بن سلم:

كم يتيم جبرته بعد يتم وفقير نعشته بعد عدم^(٤)
كلما عصت الحوادث نادى رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم: عرض لى أعرابي فمدحني فبلغ^(٥). فقال:

ألا قل لسارى الليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جواد حشا في وجه كل جواد^(٦)
قال: فتأخرت عن بره قليلا. فهجاني فبلغ^(٧). فقال:
لكل أخى مدح ثواب يعده وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب^(٨)

(١) ر: «كريماً». وما أثبتته عن الأصل. س. (٢) ر: «أم اتقه». أثبتته عن الأصل. س.

(٣) ر: «فانتهينا». (٤) ر: «كم صغير». (٥) س: «أبلغ».

(٦) أى حشا التراب فى وجوه الأجواد؛ وذلك كناية عن تقصيرهم.

(٧) س: «أبلغ». (٨) الصفوان: الحجر الأملس.

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ:

قال لِي النَّاسُ زُرْ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ
وَأَمِيرِي فَتَى خَزَاعَةَ بِالْبَصْرِ
وَلَنَعْمَ الْفَتَى سَعِيدٌ وَلَكِنْ
فَقَالَ سَعِيدٌ: لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَكَرَنِي مَعَ مَالِكٍ، وَ [أَنَّهُ]^(١) أَخَذَ مِنِّي
أَمْنِيَّتَهُ.

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ أَيْضًا:

هِيَهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ
وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَ الْبَحَارَ بِأَسْرَهَا^(٢)
يَبْغِيهِ مِنْهَا شَرْبَةً لَطُهوره
إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدٍ
وَأَتَاهُ سَلَمٌ فِي زَمَانٍ مُدُودٍ
لَأَبَى وَقَالَ: تَيَمَّمَنْ بَصْعِيدٍ

ومثله قول الآخر:

لَوْ أَنَّ قَصْرَكَ يَا بَنَ يَوْسُفَ كُلَّهُ
وَأَتَاكَ يَوْسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً
إِبْرٌ يَضِيقُ بِهَا فَضَاءُ الْمَنْزِلِ
لِيَخِيطَ قَدْ قَمِيصَهُ لَمْ تَفْعَلِ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَكِيدِ:

دُيُونُكَ لَا يَقْضِي الزَّمَانَ خَرِيمُهَا
سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ أَلَامُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
يَزِيدُ لَهُ فَضْلٌ وَلَكِنْ مَزِيدًا
خَزِيمَةً لَا بَأْسَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
وَبُخْلُكَ بُخْلُ الْبَاهِلِيِّ سَعِيدٍ
وَمَا قَوْمُهُ مِنْ لَوْمَةٍ بِيَعِيدٍ^(٣)
تَذَارَكَ مِنَّا مَجْدُهُ يُبْزِيدُ
لَطَبْخِهِ قُفْلٌ وَبَابٌ حَدِيدٍ

(٢) س: «لو ملك البحور».

(١) تكملة من س.

(٣) ر: «من نجله». وما أثبتته عن الأصل. س.

وقال عبد الصمد بن المعدّل، يرثي عمرو بن سعيد، وكان عمرو هلك
بعيد^(١) سعيد يسير:

رُزينا أبا عمرو فقلنا: لنا عمرو سيكفيك ضوء البدر غيوبة البدر
وكان أبو عمرو معاراً حياته^(٢) بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوماً لسعيد بن سلم: يا سعيد من بيت قيس في
الجاهلية؟ قال: يا أمير المؤمنين، بنو فزارة، قال: فمن بيتهم في الإسلام؟ قال:
يا أمير المؤمنين، الشريف^(٣) من شرفتموه، قال: صدقت أنت وقومك.

وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي، قال: حدثني رجل
من أهل مكة، قال: رأيت في منامي سعيد بن سلم في^(٤) في حياته و [في]^(٥).
نعمته، وكثرة عدد ولده، وحسن مذهبه، وكمال مروءته، فقلت في نفسي:
ما أجل ما أعطيه سعيد بن سلم! فقال لي قائل: وما ذخره الله له في الآخرة
أكثر.

وكان سعيد إذا استقبل السنة التي يستقبل^(٦) فيها عدد سنه اعتق نسمة
وتصدق بعشرة آلاف درهم، فقيل لمديني: إن سعيد بن سلم اشترى نفسه من
ربه^(٧) بعشرة آلاف درهم، فقال: إذا لا يبيعه.

[هما قالتا العرب في ذم باهلة]

وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد:
أبني سعيد إنكم من معشر لا يعرفون كرامة الأضياف

(١) ر: «وهلك عمرو بعد». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) ر: «حياته». بفتح التاء.

(٤) ر: «أريت سعيد بن سلم في النوم».

(٦) ر: «يستأنف». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٧) كذا في الأصل، س وفي ر: «إن سعيدا يشتري نفسه...».

قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بَنِي يَعْصُرٍ إِنَّهُمْ
 قَرَنُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَّبُوا
 وَكَأَنِّي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ
 بَيْنَا كَذَاكَ أَتَاهُمْ كُبْرَاؤُهُمْ
 وَأَنْشَدَنِي الْمَازِنِيُّ:

سَلِّ اللَّهُ ذَا الْمَنِّ مِنَ فَضْلِهِ
 فَمَا سَأَلَ اللَّهُ عَبْدٌ لَهُ
 وَلَا تَسْأَلَنَّ أَبَا وَائِلِهِ
 فَخَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَاهِلِهِ

[قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: وَزَادَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا:
 تَرَى الْبَاهِلِيَّ عَلَى خُبْرِهِ
 وَأَنْشَدَنِي رَجُلٌ (٢) مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ:
 أَبَاهِلُ يَنْبَغِي كَلْبُكُمْ
 وَلَوْ قِيلَ لِلْكَلْبِ يَا بَاهِلِي
 وَأَسَدُكُمْ كَكَلَابِ الْعَرَبِ
 عَوَى الْكَلْبُ مِنْ لَوْمِ هَذَا النَّسَبِ

وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو قَلَابَةَ الْجُرُمِيُّ قَالَ: حَجَجْنَا مَرَّةً
 مَعَ أَبِي جَزْءِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: وَكُنَّا فِي ذُرَاهُ (٣). وَهُوَ إِذْ ذَاكَ بَهِيُّ وَضِيٍّ،
 فَجَلَسْنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى أَقْوَامٍ (٤) مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، لَمْ نَرَ أَفْصَحَ
 مِنْهُمْ، فَرَأَوْا هَيْئَةَ أَبِي جَزْءٍ وَإِعْظَامًا إِيَّاهُ مَعَ جَمَالِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَهُ: أَمِنْ أَهْلِ
 بَيْتِ الْخَلِيفَةِ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ:
 رَجُلٌ (٥) مِنْ مُضَرَ، قَالَ: أَعَرَضَ ثَوْبُ الْمُلْبَسِ! مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ

(١) العزاف. بتشديد الزاي: جبل من جبال الدهناء.

(٢) ر: «وأنشد أبو العباس لرجل». وما أثبتته عن الأصل، س.

(٣) ذراه: كنفه.

(٤) ر: «قوم».

(٥) ساقطة من ر.

من قيس، قال: أَيْنَ يُرَادُ بِكَ، صرَّ إلى فصيلتك التي تُؤويك! قال: رجلٌ من بني سعد بن قيس، قال: اللهم غَفَرًا! من أَيَّهَا عَافَاكَ اللهُ؟ قال رجل من بني يَعْصَرُ، قال: من أَيَّهَا؟ قال: رجلٌ من باهلة، قال: قُمْ عَنَّا! قال أبو قلابة: فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَارِثِيِّ فَقُلْتُ: أتعرفُ هذا؟ قال: هذا ذكرُ أنه باهليُّ، قال^(١) فَقُلْتُ: هذا أميرُ ابنُ أميرِ ابنِ أميرٍ... قال: حتى عَدَدْتُ خَمْسَةً.

هذا أبو جَزءٍ أَمِيرٌ، بنُ عمرو - وكان أميراً - بنُ سعيدٍ - وكان أميراً - بن سلم - وكان أميراً - بن قتيبة - وكان أميراً.

فقال الحارثيُّ: الأَمِيرُ أَعْظَمُ أَمْ الخَلِيفَةُ؟ فَقُلْتُ: بَلْ^(٢) الخَلِيفَةُ. قال: أفا الخليفةُ أعظمُ أَمْ النَّبِيُّ؟ قلتُ: بَلِ النَّبِيُّ. قال: والله لو عَدَدْتُ له فى النبوة أضعافَ ما عَدَدْتُ له فى الإِمرَةِ^(٣)، ثم كان باهليًّا ما عَبَّأَ اللهُ به شيئاً. قال: فَكَادَتْ نَفْسُ أَبِي جَزءٍ تَفِيضُ^(٤). فَقُلْتُ له^(٥): أَنهَضُ بِنَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَسْوَاُ النَّاسِ أَدْبَا^(٦).

[قال أبو الحسن: يقالُ للرجل إذا سئل عن شىء فأجابَ عن غيرِه «أَعْرَضَ ثَوْبُ الْمُلبَسِ» أى أَبْدَى غيرَ ما يُرَادُ منه].

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْحَاجِّ. فَقَالَ لَهُ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: باهليُّ، قال: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. قال: إِي وَاللَّهِ. وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ مُوَلَّى لَهُمْ. فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَلِمَ تَفْعَلُ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَتَقُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتْلِكَ بِهَذَا فِى الدُّنْيَا إِلَّا وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

[فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلي]

ويزعمُ الرواة^(٧) أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ لَمَّا فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى^(٨). إِلَى اثْنَيْ لَمْ

(١) ساقطة من ر.

(٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: «الإِمرَةِ».

(٤) ر: «أَدْبَا».

(٥) ر: «الرافشى».

(٦) ر: «الرافشى».

(٧) ر: «الرافشى».

(٨) يريد اتسع وسار عريضا.

يُرَ مِثْلُهُ، وَإِلَى آلَاتٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا^(١). فَأَرَادَ أَنْ يَرَى النَّاسَ عَظِيمَ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفَهُمْ أَقْدَارَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ. فَأَمَرَ بَدَارَ فَفَرَشَتْ، وَفِي صَحْنِهَا قُدُورٌ تَرْتَقَى بِالسَّلَالِمِ. فَإِذَا بِالْحَضِيِّنِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ الرُّقَاشِيِّ قَدْ أَقْبَلَ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، وَالْحَضِيِّنُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ لِقُتَيْبَةَ: ائْذَنْ لِي فِي مَعَابَتِهِ. قَالَ: لَا تُرِدُهُ فَإِنَّهُ خَبِيثُ الْجَوَابِ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُضَعِّفُ، وَكَانَ قَدْ تَسَوَّرَ حَائِطًا إِلَى امْرَأَةِ قَبْلِ ذَاكَ - فَأَقْبَلَ عَلَى الْحَضِيِّنِ [بِْنِ الْمُنْذِرِ]^(٢). فَقَالَ: أَمِنَ الْبَابَ دَخَلْتَ يَا أَبَا سَاسَانَ؟ قَالَ: أَجَلٌ أَسَنَّ عَمُكَ عَنْ تَسَوُّرِ الْحَيْطَانِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْقُدُورَ؟ قَالَ: هِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَلَا تُرَى، قَالَ: مَا أَحْسَبُ بَكَرٍ بِنِ وَائِلٍ رَأَى مِثْلَهَا! قَالَ: أَجَلٌ، وَلَا عَيْلَانَ، لَوْ كَانَ رَأَاهَا سُمِّيَ شُبْعَانَ، وَلَمْ يُسَمَّ عَيْلَانَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: يَا أَبَا سَاسَانَ، أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرَّ خَصَاها تَبْتَغِي مِنْ تُحَالِفٍ

قَالَ: أَعْرِفَهُ، وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

وَخَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنَى وَبَاهِلَةَ بِنِ يَعْصُرَ وَالرَّكَابِ

يُرِيدُ يَا خَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ. قَالَ: أَفَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا عَرِقَتْ أَفَوَاهُ بَكَرُ بْنُ وَائِلٍ^(٣)

قَالَ: نَعَمْ^(٤). وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

قَوْمٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ

قَالَ: أَمَا الشَّعْرُ فَأَرَاكَ تَرْوِيهِ، فَهَلْ^(٥) تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ قَالَ: أَقْرَأُ مِنْهُ الْكَثْرَ الْأَطْيَبَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٦). قَالَ^(٧): فَأَغْضَبَهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّ امْرَأَةَ الْحَضِيِّنِ حُمِلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ حُبْلَى

(١) ر: «لم يسمع بمثلها».

(٢) من س.

(٣) ر: «وقد عرقت».

(٤) كذا في الأصل. س. وفي ر: «أعرف هذا».

(٥) ر: «ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا».

(٦) سورة الإنسان آية: ١.

(٧) كلمة «قال» ساقطة من الأصل.

من غيره. قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى، ثم قال على رسله: وما يكون! تلد غلاماً على فراشي فيقال: فلان بن الحُضَيْن. كما يقال: عبد الله ابن مسلم. فأقبل قتيبة على عبد الله فقال: لا يُبعد الله غيرك.

[قال أبو العباس^(١)]: الحُضَيْن^(٢) بن المنذر بن الحارث بن وعلّة. وكان الحُضَيْنُ بيده لواء على بن أبي طالب رحمه الله على ربيعة، وله يقول القائل: لَمَنْ رَايَهُ سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمَهَا حُضَيْنٌ تَقْدَمَا

[الأعشى يمدح هُوذة بن علي]

وللحارث بن وعلّة يقول الأعشى - وكان قصده فلم يحمده. فخرج^(٣) عنه إلى هُوذة بن عليّ ذي التاج. وهُوذة من بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن عليّ ابن بكر بن وائل، والحارث بن وعلّة من بني رقاش، وهي امرأة، وأبوهم مالك ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. فقال الأعشى يذكر الحارث بن وعلّة وهُوذة بن عليّ:

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ	فكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدًا
إِذَا مَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ فَكَأَنَّمَا	يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدًا
لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةَ فِي النَّدَى	شَمَائِلُهُ وَلَا أَبَاهُ مُجَالِدًا
وإِنَّ أَمْرًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ	بَجَوٍّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدًا
تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي	وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدًا
وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعِشَا بَوَلِيدَةً	فَأَبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هُوذَ حَامِدًا
فَتَى لَوْ يَبَارَى الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا	أَوِ الْقَمَرَ السَّارَى لِأَلْقَى الْمُقَالِدَا
يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً	وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا

وهي كلمة.

(١) من س. (٢) ر: «هذا الحُضَيْن».

(٣) ر: «وعرج».

قوله: «أَتَيْتُ حُرَيْثًا» يريدُ الحارث. تصغيرُهُ عَلَى لَفْظِهِ^(١): حَوَيْرِثٌ.

وهذا التصغيرُ الآخرُ يقالُ له تصغيرُ التَّرخيمِ، وهو أَنْ تَحْذِفَ الزَّوائدَ من الاسمِ ثم تصغرَ حروفَهُ الأصليةَ. فتقولُ في تصغيرِ أحمدَ: حَمِيدٌ لَأنَّهُ من الحمدِ. وفي الحارث: حُرَيْثٌ، لَأنَّهُ من الحَرِثِ. وفي غَضَبَان: غُضَيْبٌ، لَأنَّهُ من الغَضَبِ، لأنَّ الألفَ والنونَ زائدتانِ، وكذلك ذواتُ الأربعةِ، تقولُ في تصغيرِ «قُنْدِيلٍ» عَلَى لَفْظِهِ «قُنْدِيلٍ». فَإِنْ صَغَّرْتَهُ مَرَحَّمًا حَذَفْتَ اليَاءَ فَقُلْتَ: «قُنْدِيلٌ»، فعَلَى هَذَا مَجْرَى البابِ.

وقوله: «عن جَنَابَةٍ»، يقولُ: عن غُرْبَةٍ وبعْدُ. يقالُ: هُمْ نِعْمَ الحَيُّ لَجَارِهِمْ جارِ الجَنَابَةِ. أَى الغُرْبَةِ. يقالُ: رَجُلٌ جُنُبٌ، وَرَجُلٌ جَانِبٌ، أَى غَرِيبٌ، قالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾^(٢). وقالَ الحَظِيئَةُ:

والله ما مَعَشَرٌ لَأُمُّو امرَأُ جُنُبًا فى آلِ لَآئِ بنِ شَمَّاسٍ بَأَكْيَاسٍ
وقال عُلَقَمَةُ بنُ عَبْدَةَ:

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عن جَنَابَةٍ فَإِنِّى امرؤُ وَسَطُ القَبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحد: جُنُبٌ قال للجميع: أَجْنَابٌ، كَقَوْلِكَ: عُنُقٌ وَأَعْنَاقٌ، وَطُنُبٌ وَأَطْنَابٌ. ومن قال للواحد: جَانِبٌ، قال للجميع: جُنَابٌ. كَقَوْلِكَ: رَاكِبٌ وَرُكَّابٌ، وَضَارِبٌ وَضُرَّابٌ. قالتُ الخُصَّاءُ:

أَبْكَى أَخَاكَ لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ وَأَبْكَى أَخَاكَ إِذَا جَاوَرْتَ أَجْنَابَا

وإن كان من الجَنَابَةِ التى تُصِيبُ الرَجُلَ قُلْتَ: رَجُلٌ جُنُبٌ، وَرَجُلَانِ جُنُبٌ، وكذلك المرأةُ والجميعُ، وَقَدْ تَجَوَّزُ وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ. رَجُلَانِ جَنْبَانِ، وامرأةٌ جَنْبَةٌ، وَقَوْمٌ أَجْنَابٌ.

وقوله:

* يَرَى أَسَدًا فى بَيْتِهِ وَأَسَاوِدَا *

(٢) سورة النساء : . آية ٣٦ .

(١) س: «على اللفظ».

يريد جَمْعُ أَسْوَدَ سالخ، وأَسْوَدُ هاهنا نعتٌ، ولكنه غالبٌ، فلذلك جَرَى هاهنا مَجْرَى الأسماء، لأنه يَدُلُّ على الحَيَّة، و «أفعل»، إذا كان نعتًا بنفسه فجمعه: «فُعِلُّ»، نحو: أَحْمَرُ وَحُمْرٌ، وَأَسْوَدُ وَسُودٌ، وإذا كان نعتًا فَجَرَى مَجْرَى الأسماء فجمعه: «أفَاعِلُ» نحو أَسَاوِدُ، وَأَجَادِلُ، وَأَدَاهِمُ، إذا أردت القَيْدَ، لأنه نعتٌ غالبٌ يَجْرَى مَجْرَى الأسماء، وإن أردت أَدَاهِمَ - الذى هو نعتٌ محضٌ - قلت: دُهُمٌ، قال الأشهبُ بن رُمَيْلَةَ:

أُسُودُ شَرَى لَأَقْتُ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ
فأجراه مجرى الأسماء. نحو: الأصاغر، والأكابر، والأحامد.
وقوله:

لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةَ فِي النَّدى شمائله
فإنه جعل: «شمائله»، بدلا من: «وعِلَّة»، والتقدير: ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وعِلَّة.

والبدلُ على أربعة أضرب:

فواحد منها أن يُبدَلَ أَحَدُ الاسْمَيْنِ مِنَ الْآخَرِ إِذَا رَجَعَا إِلَى وَاحِدٍ. وَلَا يُبَالَى أَمَعْرِفَتَيْنِ كَانَا أَمْ مَعْرِفَةً وَنَكْرَةً، وتقول: مررت بأخيك زيد، لأنَّ «زيداً» هو الأخُ، وكذلك: مررتُ بِرَجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ، فهذا واحدٌ.

وآخرُ أن يُبدَلَ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ. نحو: ضربتُ زيدا رَأْسَهُ، لَمَّا قلت: ضربتُ زيدا، أردتُ أَن تُبَيَّنَ مَوْضِعَ الضَّرْبِ مِنْهُ.

فمثلُ الأوَّلِ قولُ اللَّهِ تَبَاكَ وَتَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١). وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ﴾^(٢). و ﴿لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾^(٣).

ومثلُ البدلِ الثَّانِي قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٤).

(١) سورة الفاتحة ٦، ٧. (٢) سورى الشورى ٥٢، ٥٣.

(٣) سورة العلق ١٥، ١٦. (٤) سورة آل عمران ٩٧.

مَنْ، فى موضع خفض، لأنها بدلٌ من «الناس»، ومثله، إلا أنه أُعيدَ حرفُ
الْخَفْضِ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ (١).

والبَدَلُ الثالثُ مثلُ ما ذكرنا فى البيت، أبْدَلْ: «شمائله» منه. وهى غيره،
لاشتمال المعنى عليها، ونظيرُ ذلك: أَسْأَلُكَ عَنْ زَيْدٍ أَمْرَهُ. لِأَنَّ السُّؤَالَ عَنْ الْأَمْرِ.
وتَقُولُ عَلَى هَذَا: سَلْبُ زَيْدٍ ثَوْبُهُ، فَالثَّوْبُ غَيْرُهُ، وَلَكِنْ بِهِ وَقَعَ السَّلْبُ. كَمَا
وَقَعَتِ الْمَسْأَلَةُ عَنْ خَيْرِ زَيْدٍ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
قِتَالٍ فِيهِ﴾ (٢). لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ إِنَّمَا كَانَتْ عَنِ الْقِتَالِ: هَلْ يَكُونُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؟ وَقَالَ
الشَّاعِرُ [وَهُوَ الْأَخْطَلُ] (٣):

إِنَّ السُّيُوفَ غَدَوْهَا وَرَوَّاحَهَا تَرَكْتَ هَوَازِنَ مِثْلِ قَرْنِ الْأَعْضَبِ (٤)

وبَدَلٌ رَابِعٌ. لَا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي الشَّعْرِ، وَهُوَ أَنْ يَغْلِطَ الْمُتَكَلِّمُ
فِي سِتْدَرَكِ (٥) غَلَطُهُ، أَوْ يَنْسَى فَيَذْكُرَ فَيَرْجِعَ إِلَى حَقِيقَةِ مَا يَقْصِدُ لَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:
مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ دَارِ زَيْدٍ، أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: مَرَرْتُ بِدَارِ زَيْدٍ، فِيمَا نَسِيَ، وَإِمَّا غَلِطَ،
فَاسْتَدْرَكَ فَوْضَعَ الَّذِى قُصِدَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الَّذِى غَلِطَ فِيهِ.

وقوله: «بِجَوٍّ» فهى قصبةُ اليمامة.

وقوله: «تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا»: إما هو «تَفَعَّلْتُهُ»، من الضَّيَافَةِ. يُقَالُ: ضَيَّفْتُ
الرَّجُلَ، أَيْ نَزَلْتُ بِهِ، وَأَضَافَنِي، أَيْ أَنْزَلَنِي.

وقوله: «وَأَصْفَدَنِي»: يَقُولُ: أَعْطَانِي، وَهُوَ الْإِصْفَادُ، وَالصَّفْدُ الْأِسْمُ،
وَالْإِصْفَادُ الْمَصْدَرُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

* فَلَمْ أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفْدِ *

ويقال: صَفَدْتُ الرَّجُلَ فَهُوَ مَصْفُودٌ، مِنَ الْقَيْدِ، وَلَا يُقَالُ فِي الْقَيْدِ
أَصْفَدْتُ، وَلَكِنْ صَفَدْتُهُ صَفْدًا، وَاسْمُ الْقَيْدِ الصَّفْدُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿مُقَرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٦). كَقَوْلِكَ: جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ، وَصَنَمٌ وَأَصْنَامٌ.

(٢) سورة البقرة ٢١٧.

(١) سورة الأعراف ٧٥.

(٤) الأعضب: الكبش المكسور القرن.

(٣) من س.

(٦) سورة ص ٣٨.

(٥) ر: «فيدرك».

وقوله: «فتى لو يبارى الشمس»، يقول: يعارض، يقال: انبرى لى فلان، أى اعترض [لـ^(١)] فى هذا المعنى، وفلانٌ يبارى الريحَ، من هذا، أى يعارضُ الريحَ بجوده، فهذا غير مهموز. فأما: بَرَأْتُ الْكَرَى فهو مهموز، لأنه من أبرأني وأبرأته. ويقال: برأ فلانٌ من مرضه، وبرئ يافتي؛ والمصدرُ منهما البرءُ فاعلم، وبريتُ القلمَ غيرُ مهموز. واللهُ البارئُ المصورُ. ويقال: ما برأ اللهُ مثلَ فلان، مهموز، وقولك: «البرية»، أصله من الهمز، ويختارُ فيه تخفيفُ الهمز، ولَفْظُ التخفيفِ والبدل واحد، وكذلك يُختارُ فى «النبي» التخفيفُ، ومن جعلَ التخفيفَ لازماً قال فى جمعه: أنبياء، كما يُفعلُ بذوات الياء والواو، وتقول: وصيٌّ وأوصياءُ، وتقيٌّ وأتقياءُ، وشقى وأشقياءُ. ومن همز الواحد قال فى الجمع: نباءٌ، لأنه غيرُ مُعْتَلٍّ، كما تقول: حكيمٌ وحكماءُ، وعليمٌ وعلماءُ وأنبياءٌ لغة القرآن والرسول ﷺ. وقال العباس بن مرداس السلمى:

يا خاتم النبأ إنك مُرسلٌ بالحق كلُّ هدى السَّيلِ هُداكا^(٢)
وقوله:

* أو للمقمر السارى لألقى المقلدا *

إنما سكن^(٣) الياء ضرورةً، وإنما جاز ذلك لأن هذه الياء تسكنُ فى الرفع والخفض، فإذا احتاج الشاعرُ إلى إسكانها فى النصب قاسَ هذه الحركة على الحركتين: الضمة والكسرة الساقطتين؛ فشبهها بهما، فجعلها كالألف التى فى: «مثنى» التى هى على هيئة واحدة فى جميع الإعراب، قال النابغة:

رَدَّتْ عليه أقاصيه ولَبَّدَهُ ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ يا مِسْحَاةُ فى الثَّادِ^(٤)
فأسكن الياء فى: «أقاصيه». وقال رؤبة:

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ^(٥) أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطِينَ الْوَرِقِ^(٦)

(١) تكملة من س.

(٢) س: «كل هدى السماء».

(٣) ر: «فأسكن».

(٤) الثاد: الثرى.

(٥) القاع والقاعة ما انبسط من الأرض. والقرق: القاع لا حجارة فيه.

(٦) من زيادات ر: «والورق هو ورق الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر فتلقطه الجوارى بسرعة لعطف الإبل وغيرها».

وقال:

* سَوَى مَسَاحِيَهِنَّ تَقْطِيطُ الْحُقُقُ^(١) *

[وَيُرَوَّى: «تَقْطِيطٌ»، بالنصب، وهو أجود، لأن بعده:

* تَفْلِيلُ مَا قَارَعَنَ مِنْ سُمْرِ الطَّرْقِ *

والطَّرْقُ: جمع طَرْقَةٍ^(٢).

وقال آخر:

كَفَى بِالنَّأَى مِنْ أَسْمَاءِ كَافٍ وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافٍ

وأما قوله:

وَأُمْتَعِنِي عَلَى الْعَشَا بُولِيدَةٍ فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هُوَذَا حَامِدَا

فإنه كان يتحدث عنه. ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة.

والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى

مخاطبة الغائب. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٣). كانت المخاطبة للأمة، ثم صُرِفَتْ^(٤) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إخباراً عنهم. وقال عَنَتْرَةٌ:

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسْرًا عَلَى طِلَابُكِ ابْنَةَ مَحْرَمٍ

فكان يحدث^(٥) عنها ثم خاطبها. ومثل ذلك قول جرير:

وَتَرَى الْعَوَازِلَ يَسْتَدِرُّنَ مَلَامَتِي فَلِذَا أَرَدَنْ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

وقال الآخر:

فَدَى لَكَ وَالِدَى وَسِرَاةَ قَوْمِي وَمَا لِي إِنْهُ مِنْهُ أَتَانِي

وهذا كثيرٌ جداً.

(١) المساحي هنا: الخوافر، على التشبيه.

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر. وتفليل: تكسير. ما قارعن بها. والطرق: حجارة طارقة بعضها فوق بعض.

(٣) سورة يونس ٢٢.

(٤) كذا في الأصل. س. وفي ر: «انصرفت».

(٥) ر: «يتحدث».

وقوله :

* يَرَى جَمَعَ ما دون الثلاثين قَصْرَةً *
أى قليلا. من الاقتصار. وبروى: «ويغدو». و «يعدو» جميعا.

[من أخبار هوزة بن علي]

وكان هوزة بن علي ذا قدر عال، وكان^(١) له خَرَزَاتُ تُنْظَمُ فتُجْعَلُ على رأسه. تُشَبِّهُا بالملوك.

وحدثني التَّوْرِيُّ عن أبي عبيدة. قال: ما تَوَّجَ مَعْدَى قَطُّ، إنما كانت التيجانُ لليمن، قال: فسألته عن قول الأعشى لهوزة^(٢).

مَنْ يَرِ هَوْذَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّبِإٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
قال: إنما كانت خَرَزَاتُ تُنْظَمُ له^(٣).

وكتبَ رسولُ الله ﷺ إلى هوزة. كما كَتَبَ إلى الملوك.

وكانت بنو حنيفة بن لُجَيْم أصحابَ اليمامة، ويقولُ بعضُ النسَّابين:

إِنَّ عُبَيْدَ بْنَ حَنِيفَةَ كَانَ أَتَى الْيَمَامَةَ وَهِيَ صَحْرَاءُ، فَاخْتَطَّهَا، فَجَعَلَ يَرْكُضُ حَوَالَيْهَا بِرَمَحِهِ فِي الْأَرْضِ عَلَى مَا أَصَابَ مِنَ النَّخْلِ، وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا مَا أَصَابُوا تَحْتَهُ مِنَ التَّمْرِ، فَلَمَّا طَلَعَ لَهُمُ التَّمَرُ بَعْدَ لَمْ يَهْتَدُوا لَصُعودِ النَّخْلِ، فَأَقْبَلُوا يَجِدُونَهُ، حَتَّى فَكَّرُوا فَأَعَدُّوا لَهُ السَّلَاحَ، فَلَمَّا عَمَرَتِ الْيَمَامَةُ جَعَلَتِ الْعَرَبُ تَنْجِعُهُمْ لِمَوْضِعِ التَّمْرِ فَيُجَاوِرُونَ الْعَزِيزَ مِنْهُمْ، وَكَانَ يُقَالُ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ هَؤُلَاءِ: السَّوَاقِطُ؛ مِمَّنْ كَانُوا.

ويقالُ إِنَّ الْيَمَامَةَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْقَرَيْتَيْنِ وَمَوَاضِعَ هُنَاكَ كَانَتْ لَطْسُمٍ وَجَدِيسٍ، وَالْخَبْرُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ بِزُرْقَاءِ الْيَمَامَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ:

(١) ر: «وكانت».

(٢) ساقطة من ر.

(٣) ذكر ابن الأثير أن كسرى أنوشروان لما دخل عليه هوزة بن علي أعجب به. فدعا بعقد من در فعقد على رأسه، ومن ثم سمي هوزة ذا التاج. نقله الموصفي.

[مَا نَظَرْتُ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتَفٌ
وَكَذَبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
حَقًّا كَمَا نَطَقَ الذَّبْيُ إِذْ سَجَعَا] (١)
أَخْصَفُ النُّعْلُ لَهْفِي آيَةً صَنَعَا
ذُو آلِ غَسَّانٍ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا] (٢)

وحدثني التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ الْقُرَيْتَيْنِ: أَصَبْتُ هَاهُنَا دَرَاهِمَ، وَزَنُ الدَّرَاهِمِ سِتَّةَ دَرَاهِمٍ وَأَرْبَعَةَ دَوَانِيقَ،
مِنْ بَقَايَا طَسْمٍ وَجَدِيسٍ، فَخَفْتُ السُّلْطَانَ فَأَخْفَيْتُهَا.
وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ زُهَيْرٌ فِي قَوْلِهِ:

عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقُرَيْتَيْنِ وَقَدْ
فَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَّةً
زَالَ الْهَمَالِيحُ بِالْفَرُسَانِ وَاللُّجُمِ (٣)
تَرَعَى الْخَرِيفَ فَأَذْنَى دَارَهَا ظَلَمَ (٤)

[لَجْرِيرِ يَهْجُو بَنِي حَنِيفَةَ]

وَقَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو بَنِي حَنِيفَةَ:

هَجَانِي النَّاسُ مِ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
أَصْحَابُ بَخْلِ وَحِيطَانٍ وَمَمْرُزَعَةٍ
دَلَّتْ وَأَعْطَتْ يَدًا لِلسَّلَمِ صَاغِرَةً
صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَثُلُثُهُمْ
حَتَّى حَنِيفَةً تَقْسُو فِي مَنَاحِيهَا (٥)
سُيُوفُهُمْ خُشْبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا
أَضْحَوْا عَبِيدًا وَثُلُثٌ مِنْ مَوَالِيهَا

قَوْلُهُ: «مَنَاحِيهَا»، الْمُنْحَاةُ: مَقَامُ السَّانِيَةِ عَلَى الْخَوْضِ، وَالْحَائِطُ: الْبَسْتَانُ
وَقَوْلُهُ:

(١) مَا بَيْنَ الْعِلَامَتَيْنِ مِنْ زِيَادَاتٍ ر. وَالذَّبْيُ هُوَ سَطِيحُ الْكَاهِنِ؛ وَهُوَ رِبْعٌ بِنِ رِبْعَةٍ بِنِ مَسْعُودِ بْنِ عَدَى؛
وَكَانَ ضَعِيفًا مُنْبَسِطًا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقْعُدَ (مَنْ شَرَحَ دِيْوَانَ الْأَعْشَى ٧٤).

(٢) الشَّرْعُ: الْأَوْتَارُ. وَاحِدُهُ شَرْعَةٌ.

(٣) ر: «عَهْدُهَا»، وَمَا أُثْبِتَهُ رَوَايَةُ الدِّيْوَانِ ١٥٠، وَالْأَصْلُ، س. وَبَابُ الْقُرَيْتَيْنِ، الَّتِي فِي طَرِيقِ مَكَّةَ؛ وَهِيَ
قَرْيَةٌ كَانَتْ لَطَسْمَ وَجَدِيسَ، وَالْهَمَالِيحُ: جَمْعُ الْهَمَالِاحِ؛ وَهِيَ الدَّالَّةُ فِي سَيْرِهَا سُرْعَةً وَيَخْتَرَةً؛ يَرِيدُ بِهَا
هَذَا الْإِبِلَ.

(٤) يَمَانِيَّةٌ: نَاحِيَةُ الْيَمَنِ، وَظَلَمَ: اسْمُ جَبَلٍ.

(٥) زِيَادَاتُ ر: «تَعْبِيرُ بَنِي حَنِيفَةَ بِالْفَسْوَ؛ لِأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ نَخْلٍ، فَيَأْكُلُونَ وَيَحْدُثُ فِي أَجْوَانِهِمُ الرِّيَّاحُ
وَالْقَرَاقِيرُ».

* مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا *

يعنى خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى وقعته
بمسئلة الكذاب. وللنساين بعد هذا قول منكر.

وقال جرير:

أَبْنَى حَنِيفَةً نَهْنَهَوْا سَفَهَاءَكُمْ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا (١)
أَبْنَى حَنِيفَةً إِنِّى إِنْ أَهْجُكُمْ أَدْعِ الْيَمَامَةَ لَا تُؤَارِى أَرْبَا

[لحمارة بن عقيل يهجو بنى حنيفة]

وقال عمارة بن عقيل:

بَلْ أَثْهَى الرَّاكِبُ الْمَاضِىَ لَطِيبَتِهِ بَلَّغَ حَنِيفَةً وَانْشَرَفَ فِيهِمُ الْخَبْرَا
أَكَانَ مَسْلَمَةُ الْكَذَّابُ قَالَ لَكُمْ لَنْ تُدْرِكُوا الْمَجْدَ حَتَّى تُغْضِبُوا مُضْرَا
مَهْلًا حَنِيفَةً إِنَّ الْحَرْبَ إِنْ طَرَحَتْ عَلَيْكُمْ بَرَكَهَا أَسْرَعْتُمْ الضَّجْرَا

البرك: الصدر، إذا فتحت الباء ذكَّرت، وإن أردت التأنيث كسرت الباء،
قلت: بركة، قال الجعدى:

وَلَوْحًا ذِرَاعَيْنِ فِي بَرَكَةٍ إِلَى جُوجُؤٍ رَهْلٍ الْمُنْكَبِ (٢)

وزعم الأصمعى أن زيادًا كان يُقال له: أشعر بركا لأنه كان أشعر الصدر.

وغير الأصمعى زعم (٣) أن هذا كان يقال للوليد بن عُقبة بن أبى معيط بن
أبى عمرو بن أمية.

(١) نهنوها سفهاءكم: كفوهم وازجروهم.

(٢) الجوجؤ: الصدر. أو مجتمع رؤوس عظام الصدر، والمنكب: مجتمع العضد والكتف. ورهله: استرخاؤه من السمن.

(٣) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «يزعم».

[من أخبار الوليد بن عقبة وشعره]

وذكروا أن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوماً: ألا تعجبون لهذا، أشعر بركاً! يوكمي مثل هذا المصرا! والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر: أنشد الله رجلاً سماني أشعر بركاً إلا قام! فقام عدى بن حاتم فقال: أيها الأمير، إن الذي يقوم فيقول: أنا سميتك أشعر بركاً لجرىء، فقال: اجلس يا أبا طريف؟ فقد برأك الله منها. فجلس وهو يقول: والله ما برأني الله منها.

* * *

وكانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله، وهي أروى بنت كريض بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمها البياض بنت عبد المطلب بن هاشم، ومن ثم قال الوليد لعل بن أبي طالب رحمه الله: أنا ألقى رسول الله ﷺ بأُمِّي من حيث تلقاه بأبيك.

وكان يقال للبياض بنت عبد المطلب: قبة الدياج. واسمها أم حكيم، ولذلك قيل لعثمان وللوليد^(١) يابن أروى، ويا بن أم حكيم.

* * *

وقال الوليد لبني هاشم لهذا النسب^(٢) حين قتل عثمان رحمه الله:

بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم	ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بنى هاشم كيف الهوادة بيننا	وعند علي درعه ونجائبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه	كما غدرت يوماً بكسرى مرأزه

وهذا القول باطل. وكان عروة بن الزبير إذا ذكر مقتل عثمان يقول: كان على أتقى لله من أن يقتل عثمان^(٣). وكان عثمان أتقى لله من أن يقتله علي^(٤).

(١) كذا في الأصل: س. وفي ر: «أو للوليد».

(٢) كذا في الأصل س. وفي ر: «السبب».

(٣) ر: «من أن يعين في قتل عثمان».

(٤) ر: «من أن يعين في قتل».

وقال الوليدُ بن عُقبة:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلُ التَّجِيبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ (١)
وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَتَبْكِي أَقَارِبِي وَقَدْ حُجِبَتْ عَنَّا فُصُولُ أَبِي عَمْرٍو!

[اللَّيْلِ الْإِخِيلِيَّةُ تَرثِي عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ]

وقالت لَيْلَى الْإِخِيلِيَّةُ، أَنشدنيهِ الرِّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ:

أَبَعَدَ عُثْمَانَ تَرْجُو الْخَيْرَ أُمَّتَهُ وَكَانَ آمَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى سَاقٍ
خَلِيفَةَ اللَّهِ أَعْطَاهُمْ وَخَوَّلَهُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَهَبٍ جَمٍّ وَأُورَاقٍ
فَلَا تُكَذِّبُ بِوَعْدِ اللَّهِ وَارْضَ بِهِ وَلَا تُوكِّلْ عَلَى شَيْءٍ بِإِشْفَاقٍ
وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ: سَوْفَ أَفْعَلُهُ قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ مَا كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ

[لِأَخْرِيرِثِيهِ أَيُّهَا]

وقال الآخرُ:

أَلَا قُلْ لِقَوْمٍ شَارِبِي كَأْسٍ عَلَقَمِ بِقَتْلِ إِمَامٍ بِالْمَدِينَةِ مُحَرِّمِ
قَتَلْتُمْ أَمِينَ اللَّهِ فِي غَيْرِ رَدَةٍ وَلَا حَدَّ إِحْصَانٍ وَلَا قَتْلَ مُسْلِمٍ
تَعَالَوْا فَفَاتُونَا فَإِنْ كَانَ قَتْلُهُ لَوَاحِدَةٍ مِنْهَا يَحِلُّ لَكُمْ دَمِي (٢)
وَالْأَفْأَعُظَمُ بِالَّذِي قَدْ أَتَيْتُمْ وَمَنْ يَأْتِ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ يَظْلَمِ
فَلَا يَهْنِ الشَّامَتِينَ مُصَابِهِ فَحَظُّهُمْ مَنْ قَتَلَهُ حَرْبُ جَرِّهِمْ (٣)

وَأَنشدني الرِّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ:

[قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: هَذَا الشَّعْرُ لِابْنِ الْغُرَيْرَةِ الضَّبِّي:]

لَعَمْرُ أَيْيِكَ فَلَا تَذْهَلَنَّ لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا
وَقَدْ فَتَنَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى ابْنَ عَفَّانَ سَرًّا طَوِيلًا

(١) ر: «التجويي» صوابه في الأصل. س. منسوب إلى تحبيب. قبيلة.

(٢) ففاتونا، فحاكمونا، وفي ر: «فحل»، على الفعل الماضي، وما أثبتته عن الأصل.

(٣) نقل المرفصفي عن الطبري أن الشعر لحنات بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق.

ومثله قول الراعى :

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحَرَّمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولًا
فَتَفَرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَصَاهُمْ شِقَقًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُمْ مَسْلُولا^(١)

قوله : «مُحَرَّمًا» يريد فى الشهر الحرام ، وكان قُتِلَ فى أَيَّام التشريق . رحمه الله .

[لَأَيُّمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ يَرِثِيهِ أَيُّهَا]

وقال أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ بْنُ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ . وكانت له صحبة :

تَفَاقَدَ الذَّابِحُو عِثْمَانَ ضَاحِيَةً^(٢) أَيْ قَتِيلَ حَرَامٍ ذُبِّحُوا ذَبَّحُوا
ضَحَّوْا بِعِثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِى طَمَحُوا
فَأَيَّ سُنَّةٍ جَوْرٌ سَنَّا أَوَّلَهُمْ وَبَابَ جَوْرِ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُّوا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ مِنْ سَفْحِ ذَلِكَ الدِّمِّ الزَّكَى الَّذِى سَفَحُوا
فَاسْتَوْرَدَتْهُمْ سِيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَمَامِ ظَمٍّ كَمَا يَسْتَوْرَدُ النَّضَجُ^(٣)
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهًا لُقُّوا^(٤) أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رَبِحُوا

الظَّمُّ : : ما بين الشَّرْبَتَيْنِ ، وقوله : «ضَحَّوْا بِعِثْمَانَ» : إنما أصله فُعِلَ فى الضُّحَى ، قال زهير :

ضَحَّوْا قَلِيلًا عَلَى كُثْبَانَ أَسْنَمَةٍ وَمَنْهُمْ بِالْقَسُومِيَّاتِ مَعْتَرِك^(٥)

أى نزلوه ضُحَى . ويقال : بَيَّتُوا ذَاكَ . أى فعلوه ليلا . قال الله جل وعز :
﴿إِذْ يَبْيِطُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٦) . وأنشد أبو عبيدة :

(١) شققا : جمع شقة ، بالكسر ، وهى الشطبة .

(٢) ضاحية : علانية .

(٣) استوردتهم : من استورد الماء ؛ أى ورده ، يريد درات سيوفهم دم عثمان على عطشها .

(٤) رواية الديوان ١٦٥ :

* وَعَرَّسُوا سَاعَةً فِي كُتُبِ أَسْنَمَةٍ *

وما أورده المبرد ، هى رواية الأصمعى أسنمة : موضع بعينه . كذلك القسميات ، مواضع ، والمعترك المزدحم .

(٦) سورة النساء ١٠٨ .

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتَوْنِي بِأَمْرِ نُكْرٍ
لَأُنْكِحَ أَبْنَاهُمْ مُنْذَرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرٌّ لِحُرٍّ!

وقوله:

* من سَفَحَ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكِيَ الَّذِي سَفَحُوا *

أَي فِي صَبِّ ذَاكَ الدَّمِ، يُقَالُ: سَفَحْتُ دَمَهُ وَسَفَكَتُ دَمَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيِّتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾^(١).

وقوله: «على تمام ظمء» فهذا مثلٌ، وأصلُ الظَّمء: أَنْ تَشْرَبَ الْإِبِلَ يَوْمًا ثُمَّ تَغَبَّ يَوْمًا لَا تَرُدُّ الْمَاءَ، فَمَا بَيْنَ الشَّرْبَتَيْنِ ظَمءٌ، فَيَكُونُ الظَّمءُ يَوْمَيْنِ، فَيُقَالُ لَهُ: الرَّبْعُ، كَمَا يُقَالُ فِي الْحُمَّى، لِأَنَّهُمْ يَعْتَدُونَ يَوْمَيَّ شَرْبِهَا. وَالْخُمْسُ: أَنْ تَظْمَأَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَالنَّضْحُ: الْحَوْضُ.

والْأَثَامُ: الْهَلَاكُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ثُمَّ فَسَّرَ فَقَالَ: ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾^(٢). فَجَزَمَ «يُضَاعَفُ» لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: «يَلْقَى أَثَامًا» إِذْ كَانَ إِيَّاهُ فِي الْمَعْنَى، وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ:
جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ إِذْ لَحِقْنَا عُقُوقًا وَالْعُقُوقُ مِنَ الْأَثَامِ

وقوله: «على مطمَح الكَفِّ» يَقُولُ: عَلَى رَفْعِهَا وَإِبْعَادِهَا، يُقَالُ: طَمَحَ بَصَرُهُ، إِذَا ارْتَفَعَ فَأَبْعَدَ النَّظَرَ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا

(١) سورة الأنعام ١٤٥ .

(٢) سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .

باب

فى التشبيه

قال أبو العباس: وهذا بابٌ طريفٌ نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب، وللمحدثين^(١) بعدهم.

فأحسن ما جاء بإجماع الرواة -: ما مرّ لامرئ القيس فى كلام مختصر، أى بيت واحد، من تشبيه شئ فى حالتين مختلفتين^(٢) بشيئين مختلفين، وهو قوله: كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى^(٣) فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال: فهلاً فصل فقال: كأنه رطباً العناب وكأنه يابس الحشف! قيل له: العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوماً، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيأ، قال الله جل وعزّ، وله المثل الأعلى: ﴿وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكُمْ لَيْلٍ وَلنَّهَارَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤)، علماً بأن المخاطبين يعلمون^(٥) وقت السكون ووقت الاكتساب.

ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله: كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يشقّب^(٦) ومن ذلك قوله: إذا ما الثرى فى السماء تعرضت تعرض أئناء الوشاح المفصل^(٧)

(١) ر: «والمحدثين»: وما أثبتته عن الأصل، س.

(٣) الحشف البالى: ردى النمر؛ قال شارح الديوان ٣٨: «وإنما خص قلوب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها».

(٤) سورة القصص ٢٣. (٥) ر: «يعرفون».

(٦) الجزع: خزر فيه بياض وسواد. شبه عيون الوحش لما فيهن من السواد والبياض بالخزر. وجعله غير مثقّب؛ لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه.

(٧) تعرضت: أى أدتكَ عرضها. أى ناحيتها، والوشاح المفصل: الذى جعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة. والأئناء: جمع نى.

وقد أَكْثَرُوا فِي الثُّرَيَّا^(١). فلم يَأْتُوا بِنِ يِقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا بِمَا يِقَارِبُ
سُهولةَ هَذِهِ الْأَفَافِ.

وَمِنْ أَعْجَبِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ:
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمُسْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَقَوْلُهُ:
خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمْدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَى نَوَازِعٍ^(٢)
وَقَوْلُهُ:
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

وَمِنْ عَجِيبِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:
وَرَدْتُ اعْتِسَافًا وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٍ^(٣)
وَقَوْلُهُ:
فَجَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبَرُقٍ^(٤)
وَتَأْوِيلُهُ^(٥) أَنَّهُ يَصِفُ مَاءً قَدِيمًا لَا عَهْدَ لَهُ بِالْوَرَادِ^(٦). فَقَدْ أَصْفَرَ وَاسْوَدَّ،
فَقَالَ:
وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدُ بِالنَّاسِ^(٧) آجِنٌ كَأَنَّ الدَّبَّاءَ مَاءَ الْغَضَا فِيهِ تَبْصُقُ^(٨)

(١) ر: «وقد أكثر الناس في الثريا».

(٢) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو حديدية معقوفة الرأس. ونوازع: جواذب، يقول: ولك خطاطيف أجز بها إليك. فليس عنك مهرب.

(٣) الاعتساف: السير على غير هدى، وابن الماء: طير من الطيور محلّق على مرتفع (من شرح ديوانه ٤٠١).

(٤) العصوان: عرقوب الدلو، والعرقوبان: خشبتان.

(٥) ر: «وتأويل هذا».

(٦) ر: «بالورادة».

(٧) ر: «قديم العهد بالإنس»، وما أثبت هو رواية الديوان والأصل: س.

(٨) آجن، متغير الطعم واللون. والدبا: الجراد. والغضا: شجر له هذب إذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل في وصف الماء الآجن، حيث يقول:
إذا وردت ماءً كأنَّ جِمامَهُ من الأجنِ جنَّاءَ معاً وصَبِيبُ

فقال ذو الرُّمة في وصف هذا الماء، فقرنَ بتغيُّره بعدَ مطلبه. فقال:
فأدلى غلامِي دَلْوَهُ يَتَغَيَّ بها شفاءَ الصَّدَى واللَّيْلِ أَدْهَمَ أَلْبَقُ

يريدُ أنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيه، فجاءتْ - يعنى الدَّلْوُ - بنَسجِ العنكبوت. كأنه
على عَصَوَيْهَا سَابِرِي مُشْبَرَقٌ. والسَّابِرِي: الرقيقُ من الثياب والدروع^(١).
والمشبرق: الممزق. وأنشد أبو زيد:

لَهُونَا بِسِرْبَالِ الشَّبَابِ مُلاوَةٌ^(٢) فأصبحَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ شِبَارِقًا

ومن التشبيه العجيب قولُ ذى الرُّمة في صفة الظليم:

شَخْتُ الجِرازةِ مِثْلُ البيتِ سائِرُهُ من المسوحِ خَدَبٌ شَوْقَبٌ خَشِبُ
الشَخْتُ: الضَّئِيلُ اليابسُ الضَّعِيفُ. الجُرازةُ القوَّاثِم. وقوله: «مِثْلُ البيتِ
سائِرُهُ من المسوحِ». يعنى إذا مدَّ جَنَاحِيه. وإنما أخذَه من قولِ علقمة بن عبدة:
صَعْلُ كَأَنَّ جَنَاحِيهَ وَجُوجُوهُ بيتُ أَطَافَتْ به خَرَقَاءُ مَهْجُومُ
الصَّعْلُ: الصغيرُ الرأسِ. الخَرَقَاءُ التى لا تحسن شيئاً. فهى تُفسِدُ ما
عرَضَتْ له. قال الحَطيئة:

هُم صَنَعُوا لِجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الْخَرَقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ
والمهجومُ: المهذوم، وفي الخبر أنه لما قُتِلَ بِسَطَامُ بن قَيْسٍ لم يَبْقَ بيتٌ في
بكر بن وائلٍ إلا هُجِمَ، أى هُدمَ، والخَدَبُ: الضَّخَمُ. والشَّوْقَبُ الطويلُ.
والخَشِبُ: الذى ليس بَلِينٌ على مَنْ نَزَلَ به.

ومن التشبيه المصيبِ قوله في صفةِ رَوْضَةٍ:

(١) قال صاحب اللسان: «الدروع السابرية منسوبة إلى سابور». واستشهد بيت ذى الرمة.

(٢) الملاوة: الحين من الدهر.

قَرَحَاءُ حَوَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ لَهَا الذَّهَابُ وَحَقَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ

قَرَحَاءُ: يريدُ الأنوَاءَ. وقوله: «حَوَاءُ» يقول: تضرب إلى السَّوَادِ لشدة ربهَا وخُضْرَتِهَا، وكذلك قال المفسرون^(١) في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾^(٢).
تَضْرِبَانِ إِلَى الدَّهْمَةِ، لَشِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا وَرَبِّهِمَا.

وقوله: «أَشْرَاطِيَّةٌ» ليس مما قَصَدْنَا لَهُ، ولكنه مَّا يَجْرِي فَنَفْسَرُهُ. ومعناه:
أَنَّهُمَا مُطَرَّتٌ بِنُوءِ الشَّرْطَيْنِ^(٣).

وحدثني الزِّيَادِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ - وَسُئِلَ بِحَضْرَتِي، أَوْ سَأَلْتُهُ عَنْ
قَوْلِهِ: «أَشْرَاطِيَّةٌ» - فَقَالَ: بَاسْتِهِ وَاسْتِ عَرْسُهُ! وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ لَا يُشْدُّ
وَلَا يُفَسِّرُ مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ الْأَنْوَاءِ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ
فَأَمْسِكُوا». لِأَنَّ الْخَبَرَ فِي هَذَا بَعِينٌ. «مُطَرَّنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا»، وَكَانَ لَا يُفَسِّرُ وَلَا
يُشْدُّ شِعْرًا فِيهِ هِجَاءٌ. وَكَانَ لَا يَفْسِّرُ شِعْرًا يُوَافِقُ تَفْسِيرَهُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، هَكَذَا
يَقُولُ أَصْحَابُهُ، وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ الشَّمَاخِ:

طَوَى ظِمَامُهَا فِي بَيْضَةِ الْقَيْظِ^(٤) بَعْدَمَا جَرَى فِي عِنَانِ الشَّعْرَيْنِ الْأَمَاعِزِ^(٥)
فَأَبَى أَنْ يَفْسَرَ «فِي عِنَانِ الشَّعْرَيْنِ».

قَوْلُهُ^(٦): «الذَّهَابُ»^(٧) فَهِيَ الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ الدَّائِمَةُ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا أَنْجَعُ الْمَطَرِ
فِي النَّبْتِ، وَكَذَلِكَ الْعَهَادُ، وَأُنْشِدَ الْأَصْمَعِيُّ:

أَمِيرٌ عَمَّ بِالنَّعْمَاءِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ جَلَّلَهَا الْعِهَادُ^(٨)

وَالْبَرَاعِيمُ؛ وَاحِدُهَا^(٩) بُرْعُومَةٌ، وَهِيَ أَكْمَةُ الرُّوْضِ قَبْلَ أَنْ تَتَفَتَّقَ، يُقَالُ

(١) ر: «وكذا المفسرون يقولون».

(٢) سورة الرحمن ٦٤.

(٣) الشرطان: مثني شرطٍ بالتحريك وهي من الحمل قرناه.

(٤) ر: «بيضة الصيف».

(٥) طوى ظمأها: فقطع بها مقدار ظمئها في السير. والظم: ما بين الشربتين؛ يريد أنه سار بها فلم يوردها
الماء، وبيضة القَيْظِ: شدته. وقوله: «جرى في عنان الشعرين الأماعز» جعل للشعرين الصور والغميصاء
- وهما كوكبان يطلعان في القَيْظِ - عنانه طرفاه محيطان برأس الأماعز، وهي الأمكنة الغليظة (من رغبة
الآمل).

(٧) الذهاب: جمع ذهبة.

(٦) ر: «وأما قوله».

(٩) ر: «واحدتها».

(٨) جمع عهدة.

لواحدِها: كَمْ^(١). وكَمَامٌ، فمن قال: كَمَامٌ، فجمعه أَكْمَةٌ، مثلُ صِمَامٍ وَأَصْمَةٍ، وزِمَامٍ وَأَزْمَةٍ، ومن قال: كِمٌّ، فالجمعُ أَكْمَامٌ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^(٢).

ومن ذلك قول الآخر، أَحْسِبُهُ تَوْبَةً بِنِ الْحُمَيْرِ :

[قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ، وهو الصواب] :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ^(٣)
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
[لَهَا فَرَحَانٌ قَدْ غَلَقَا بَوَكَّرَ فَعُشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيحُ^(٤)
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرْجَى وَلَا بِالصَّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَا حُ^(٥)]

وقد قال الشعراءُ قبله فلم يبلغوا هذا المقدارَ.

وقال الشَّيْبَانِيُّ^(٦) لِلْحَجَّاجِ :

هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرٍ
فهذا يجوز أن يكونَ في الخَفَقَانِ وفي الذَّهَابِ أَلْبَتَةً.

ومن التشبيه المحمودِ قول الشاعر:

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرٍ
وَلَا الْحَجَّاجُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ^(٧) تَقَلَّبُ طَرْفُهَا حَذَرَ الصُّقُورِ

وهذا غاية في صفة الجبانِ.

(١) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور.

(٢) ر: «تعالجه»، وفي نهاية الأبيات. «ويروى: «تجاذبه»، فهذا غاية الاضطراب».

(٣) غلقا: من الغلق. وهو الحبس.

(٤) البيتان الواقعان بين العلامتين من زيادات ر.

(٥) هو عمران بن حطان.

(٦) بنت الماء: ما يصاد من طير الماء إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذرا منه.

وَنَصَبَ «عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ» عَلَى الذِّمِّ، وتَأْوِيلُهُ: إنه إذا قال: «جاءني عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ» فليس يَقُولُهُ (١) إلا وقد عَرَفَهُ بِالْفُسُقِ وَالْخَبِيثِ (٢). فَنَصَبَهُ «أَعْنِي» وما أَشَبَّهُهُ مِنَ الْأَفْعَالِ، نحو «أَذْكُرُ»، وهذا أَبْلَغُ فِي الذِّمِّ، أَنْ يُقِيمَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْأِسْمِ، وكذلك المدحُ. وَقَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ بعد قوله: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ (٣). إِنَّمَا هُوَ عَلَى هَذَا. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَرَادَ: «وَمِنَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ» فَمَخْطِئٌ فِي قَوْلِ الْبَصْرِيِّينَ، لَأَنَّهُمْ لَا يُعْطِفُونَ الظَّاهِرَ عَلَى الْمُضْمَرِ الْمَخْفُوضِ، وَمَنْ أَجَاذَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ فَعَلِيَ قَبِيحٌ، كَالضَّرُورَةِ. وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَى أَشْرَفِ الْمَذَاهِبِ. وَقَرَأَ حَمْزَةً: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٤). وهذا مما لَا يَجُوزُ عِنْدَنَا إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِ شَاعِرٌ، كَمَا قَالَ:

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ

وَقَرَأَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٥). أَرَادَ: وَامْرَأَتُهُ فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ، فَنَصَبَ «حَمَّالَةَ» عَلَى الذِّمِّ. وَمَنْ قَالَ إِنَّ «أَمْرَأَتَهُ» مَرْتَفَعَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: فَهُوَ يَجُوزُ. وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ أَنْ يُعْطَفَ الْمَظْهَرُ الْمَرْفُوعُ عَلَى الْمُضْمَرِ حَتَّى تَوَكَّدَ، نَحْوُ: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ (٦). وَ: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (٧). فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ (٨). فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ وَزِيدَتْ (٩) فِيهِ «لَا» احْتَمَلَ الْحَذْفَ وَهَذَا عَلَى قَبِيحِهِ جَائِزٌ فِي الْكَلَامِ (١٠). أَعْنِي: ذَهَبْتُ وَزَيْدٌ، وَأَذْهَبُ وَعَمْرُو، قَالَ جَرِيرٌ:

وَرَجَا الْأَخِيظِلُّ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْنَالَا
وَقَالَ ابْنُ أَبِي رِيْعَةَ:

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزَهْرٌ تَهَادَى كِنَعَاكِ الْمَلَا تَعَسَّفَنَ رَمَلَا (١١)

(١) ر: «يقول» .

(٢) ر: «بالخبث والفسق» .

(٣) سورة النساء ١٦٢ .

(٤) سورة النساء ١ .

(٥) سورة المسد ٤ .

(٦) سورة المائدة ٢١ .

(٧) سورة البقرة ٣٥ .

(٨) سورة الأنعام ١٤٨ .

(٩) ر: «وزادت»، وما أثبتته عن الأصل، س .

(١٠) لفظ «في الكلام» ساقط من ر .

(١١) الملا: الفلاة .

ومما يُنصبُ على الذمِّ قولُ النابغة الذبياني (١):

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَىٰ بِهِيْنِ لَقَدْ نَطَقْتَ بُطْلًا عَلَىٰ الْأَقَارِعِ (١)
أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مِنْ تَجَادِعِ (٢)

وقال عروة بن الورد العبسي:

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

والعربُ تُشَدُّ قولَ حاتم الطائي رفعا ونصبا:

إِنْ كُنْتُ كَارِهَةً مَعَيشَتَنَا هَاتَا فَحُلِّي فِي بَنِي بَدْرِ
الضَّارِبِينَ، لَدَىٰ أَعْتَتِهِمْ وَالطَّاعِنِينَ وَخَيْلَهُمْ تَجْرِي

وإنما خَفَضُوهُمَا عَلَى النعت، وربما رَفَعُوهُمَا عَلَى القطع والابتداء.

وكذلك قولُ الخرنقِ بنتِ هِفَانَ الْقَيْسِيَّةِ، من بنى قَيْسٍ بنِ ثَعْلَب:

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدِ الْأَزْرِ

وكل ما كان من هذا فعلى هذا الوجه (٤).

وإن لم يُردْ مَدْحًا وَلَا ذَمًّا قَدْ اسْتَقَرَّ لَهُ فَوَجْهُهُ النعت. وقرأ بعضُ القراء:

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٥).

وأكثرُ ما تُشَدُّ العربُ بَيْتَ ذِي الرُّمَّةِ نَصْبًا، لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ مَا يَحِنُّ إِلَيْهِ

وَيَصْبُو إِلَى قُرْبِهِ أَشَادَ بِذِكْرِ مَا قَدْ كَانَ يَبْغِي، فقال:

دِيَارَ مَيَّةَ إِذْ مَيٌّ تُسَاعِفُنَا وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ

وفى هذه القصيدة من التشبيهِ الْمُصِيبِ قولُه:

(١) ساقط من ر.

(٢) البطل: ضد الحق. والأقارع: هم بنو قريع بن عوف بن كعب.

(٣) تجادع: تشاتم، وفى ر: «تخادع».

(٤) كذا فى الأصل. س، وفى ر: «فعلى هذا أكثر إنشاده».

(٥) سورة المؤمنون ١٤.

بَيْضَاءُ فِي دَعَجٍ، صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(١)
وفيها من التشبيه المصيب قوله^(٢) :
تَشْكُو الْخَشَاشَ وَمَجْرَى النَّسْعَيْنِ كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ إِلَى عَوَادِهِ الْوَصْبُ^(٣)
وَالْخَشَاشُ^(٤) : مَا كَانَ فِي عَظْمِ الْأَنْفِ، وَمَا كَانَ فِي الْمَارَنِ فَهُوَ بُرَّةٌ، يَقَالُ:
أَبْرَيْتِ النَّاقَةَ ، فَهِيَ مُبْرَأَةٌ، قَالَ الشَّمَاخُ - وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْعَجِيبِ :
فَقَرَّبْتُ سُبْرَةَ تَخَالُ ضُلُوعَهَا مِنْ الْمَاسِخِيَّاتِ الْقِسَى الْمُؤْطَرَا^(٥)
وَمَاسِخَةٌ، مِنْ نَصْرِ^(٦) بْنِ الْأَزْدِ، وَإِلَيْهِمْ تَنْسَبُ^(٧) الْقِسَى الْمَاسِخِيَّةُ .
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الضُّلُوعِ وَاشْتِبَاكِهَا قَوْلُ الرَّاعِي :
وَكَأَنَّمَا انْتَطَحَتْ عَلَى أَثْبَاجِهَا فُودَرٌ بِشَابَةِ قَدْ يَمْنَمَ وَعُولَا^(٨)
الْفَادِرُ : الْمَسْنُ مِنَ الْوُعُولِ .
وَذُو الرِّمَّةِ أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ، قَالَ الْمُثَقَّبُ^(٩) :
إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلِيلٍ تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

وَمِنَ التَّشْبِيهِ الْمُسْتَحْسَنِ قَوْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ :
كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنَبِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(١٠)
فَهَذَا حَسَنٌ جَدًّا .

- (١) الدَّعَجُ : سَوَادُ الْعَيْنِ . وَالنَّعَجُ : الْبَيَاضُ الْخَالِصُ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ ٥ : «كَحَلَاءٍ فِي بَرَجٍ» ؛ وَالْبَرَجُ : سَعَةٌ فِي بَيَاضِ الْعَيْنِ .
(٢) النَّسْعَةُ وَالنَّسْعُ : سِيرٌ مُضْفُورٌ يَجْعَلُ زَمَامًا لِلْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ، وَأَنَّ مِنَ الْأَثِينِ .
(٣) ر : «الْخَشَاشُ» يَحْذِفُ الْوَاوَ .
(٤) أَوَّلُ الْإِطْرِ : عَطَفَ الشَّيْءَ تَقْبِضَ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ فَتَعَوَّجَهُ . وَفِي ر : «الْمُوتَرَا»، وَالْمُوتَرُ : الْمَشْدُودُ .
(٥) ر : «نَصْرٌ مِنَ الْأَزْدِ» .
(٦) ر : «نَسَبَتْ» .
(٧) الْأَثْبَاجُ : جَمْعُ ثَبِجٍ، وَهُوَ مَعْظَمُ الظَّهْرِ . وَفِيهِ مَحَانِي الضُّلُوعِ . وَشَابَةُ : جَبِلٌ بَعِينُهُ . يَمْنَمُ : قَصْدُنْ، وَخَفَفَ فِي الْبَيْتِ لِلشَّعْرِ .
(٨) ر : «أَخَذَ ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ» .
(٩) الشَّرَفُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَأَشْرَفَ عَلَى مَا حَوْلَهُ . مُقَدَّمٌ : مَغْطًى بِالْقَدَامِ، وَهُوَ مِنْ وَصْفِ الْإِبْرِيْقِ .
(١٠) وَسَبَا الْكَتَّانَ، يَرِيدُ سَبَابَ الْكَتَّانِ؛ وَالسَّبَابُ : جَمْعُ سَبِيَّةٍ ؛ وَهِيَ شَقَّةٌ بَيَضَاءُ . مَلْثُومٌ : مِنَ اللَّثَامِ؛ وَهُوَ مَا يُوَضَعُ عَلَى الْفَمِ؛ وَاسْتَعَارَهُ لِلْإِبْرِيْقِ .

وقال أبو الهندي، وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شَبَث بن رُبَيْع
الرياحي، من بني رياح بن يربوع. وكان شَبَثُ سَيِّدَ بنى يربوع بالكوفة:

مُفَدِّمَةٌ قَزَا كَانَ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْرَعَهَا الرَّعْدُ

[من أخبار أبي الهندي]

وكان أبو الهندي قد غَلَبَ عليه الشراب، على كرم منصبه، وشرف أسرته،
حتى كاد يُبْطِلُهُ.

وكان عَجِيبَ الجواب، فجلس إليه رجلٌ مَرَّةً يُعْرِفُ بِيْرَزينِ المناكير، وكان
أبوه صُلْبَ في خرابة، والخرابة عندهم: سَرَقُ الإبل خاصة. فأقبلَ يُعْرِضُ لأبي
الهندي بالشراب، فلما أَكْثَرَ عليه قال أبو الهندي: أحدهم يَرَى القَذَاةَ في عين أخيه
ولا يَرَى الجَذْعَ في إِستِ أبيه.

وفي الخرابة يقول الراجز:

والخاربُ اللَّصُّ يُحِثُّ الْخَارِبَا وتلك قَرْبَى مِثْلَ أَنْ تُنَاسِبَا
أَنْ تُشَبِّهَ الضَّرَائِبُ الضَّرَائِبَا (١)

وقال الآخر:

إِيتِ الطَّرِيقَ وَاجْتَنِبْ أَرْمَامَا إِنَّ بَهَا أَكْثَلَ أَوْ رَزَامَا (٢)

خَوَيْرِينَ يَنْقُفَانِ الْهَامَا (٣)

[زاد أبو الحسن: * لم يتركَا لِمْسَلِمٍ طَعَامَا *]

نَصَبَ «خَوَيْرِينَ» على «أعني» لا يكون غير ذلك، لأنه إنما أثبت أحدهما
بقوله: «أو».

(١) الضرائب: جمع ضريبة، وهي السجية والطبيعة.

(٢) أرمام جبل بعينه، وأكلت ورزام: لصان من لصوص البادية.

(٣) نقف الهامة: شجها حتى يخرج الدماغ.

وَمَرَّ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ اللَّيْثِيُّ بِأَبِي الْهِنْدِيِّ وَهُوَ يَمِيلُ سُكْرًا، فَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْتَ شَرْفَكَ! فَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ: لَوْ لَمْ أَفْسِدِ شَرْفِي لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَالْيَ خِرَاسَانَ.

وَحَجَّ بِهِ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مَرَّةً، فَلَمَّا وَرَدَ الْحَرَمَ قَالَ لَهُ نَصْرٌ: إِنَّكَ بَفَنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَحَلِّ حَرَمِهِ^(١) فَدَعَّ لِي الشَّرَابَ حَتَّى يَنْفَرِ النَّاسُ، وَاحْتَكَمَ عَلَيَّ، فَفَعَلَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّفَرِ أَخَذَ الشَّرَابَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَقْبَلَ يَشْرَبُ وَيَبْكِي، وَيَقُولُ:

رَضِيعَ مَدَامَ فَارَقَ الرَّاحَ رُوحُهُ فَظَلَّ عَلَيْهَا مُسْتَهْلًا الْمَدَامِ
أَدِيرًا عَلَى الْكَأْسِ إِنِّي فَقَدْتُهَا كَمَا فَقَدَ الْمَفْطُومُ دَرَّ الْمَرَاضِعِ

وَكَانَ يَشْرَبُ مَعَ قَيْسِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ الْكِنَانِيِّ، وَكَانَ أَبُو الْوَلِيدِ نَاسِكًا فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ وَعَلَى ابْنِهِ، فَهَرَبَا مِنْهُ. وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ:

قُلْ لِلسَّرِيِّ أَبَى قَيْسٍ: أُنَوِّعِدُنَا وَدَارِنَا أَصْبَحَتْ مِنْ دَارِكَمِ صَدَدًا^(١)
أَبَا الْوَلِيدِ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَمَلْتُ فَيَكُ الشَّمُولُ لَمَّا حَرَمْتُهَا أَبَدًا
وَلَا نَسِيتُ حُمَيَّاهَا وَلَذَّتْهَا وَلَا عَدَلْتُ بِهَا مَالًا وَلَا وَكْدًا

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى التَّشْبِيهِ، وَرَبَّمَا عَرَضَ الشَّيْءُ وَالْمَقْصُودُ غَيْرُهُ، فَيَذْكَرُ لِلْفَائِدَةِ تَقَعُ فِيهِ، ثُمَّ يُعَادُ إِلَى أَصْلِ الْبَابِ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ حَزَامٍ الْعُذْرِيُّ:

كَأَنَّ قِطَاعًا عَلِقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ

وَيُقَالُ: إِنْ الْمَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ مُبْغِضَةً لَزَوْجِهَا، فَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ عِنْدَ قَرْبِهِ مِنْهَا مُرْتَدَّةَ النَّظَرِ عَنْهُ كَأَنَّمَا تَنْظُرُ إِلَى إِنْسَانٍ وَرَاءَ^(٢)، وَإِذَا كَانَتْ مُحِبَّةً لَهُ لَا تُقْلَعُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَإِذَا نَهَضَ نَظَرْتُ مِنْ وَرَائِهِ إِلَى شَخْصِهِ حَتَّى يَزُولَ عَنْهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ حَالِي عِنْدَ امْرَأَتِي، فَالْتَفَتْتُ وَقَدْ نَهَضْتُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا فَإِذَا هِيَ تَكَلِّحُ^(٣) فِي قَفَايَ.

(١) ر: «ومحمل «وفوده».

(٢) داركم صددا؛ منصوب على الظرفية؛ أي قرية.

(٣) ر: «من ورائه»؛ وما أثبتته عن الأصل.

(٤) التكلح: التكشير في عبوس.

وقال الفرزدقُ في هذا المعنى، والنَّوَارُ تخاصمهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْر بن العوام:

فَدُونَكُهَا يابنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الحِجَارَةَ قِيلُهَا
إِذَا جَلَسْتَ عِنْدَ الإِمَامِ كَأَنَّمَا ^(١) تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِهَا تَسْتَحِيلُهَا

قوله: «مُوَلَّعَةٌ». يقول: كأنها ^(٢) مُوَلَّعَةٌ بالنظر مرة هاهنا ومرة هاهنا. وقوله: «تَرَى رُفْقَةً يُقَالُ: رُفْقَةٌ وَرُفْقَةٌ. ومعنى «تَسْتَحِيلُهَا» تَبَيَّنُ حَالَتِهَا، قال حميدُ بن ثور:

إِذَا خَرَجْتَ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ ^(٣) مِنْ الخُوفِ تَسْمَعُ مَا لَا تَرَى ^(٤)

ومن عجيب التشبيه قولُ جريرٍ يما يُكْنَى عن ذكره:
تَرَى الصَّبَّيَّانَ عَاكِفَةً عَلَيْهَا كَعَنْقَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا ^(٥)
ويقال: إن الفرزدقَ حين أنشَدَ النصفَ الأولَ ضربَ بيده إلى عَنْقَقَتِهِ تَوَقُّعًا لِعَجْزِ الْبَيْتِ.

ومن التشبيه الحسن قولُ جريرٍ في صفة ^(٦) الخيل:
يَشْتَفَنَ لِلنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ
قوله: «يَشْتَفَنَ» و «يَتَشَوَّفَنَ» في معنى واحد. وقوله: «كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ»، أراد شدة صهيلها. يقول: كَأَنَّمَا يَصْهَلُنَ فِي آبَارٍ وَاسِعَةٍ تَبَيَّنُ أَشْطَانُهَا عَنْ نَوَاحِيهَا.

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجعدي:
وَيَصْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ صَهِيلًا يُبَيِّنُ لِلْمَعْرَبِ

(١) ر: «كأنها»؛ وما أثبتته عن الأصل؛ س.

(٢) ساقطة من ر.

(٣) كذا في الأصل س؛ وفي ر: «مروعة تستحيل الشخص» وهي رواية الديوان ٤٧.

(٤) وفي زيادات طبعة المرفعي: قوله: «مروعة» يقول: كل شيء يدينني من الظفر بها يروعها وينفرها.

(٥) العنققة: ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر.

(٦) قال المرفعي: «هذا خطأ؛ صوابه قول الفرزدق يهجو جريرا ويمدح بني تغلب، وهو في ديوانه ٨٨٢.

المُعَرَّب: العالمُ بالخيلِ العِرَاب.

ومن حَسَنِ التَّشْبِيهِ قولُ عَنَّترة:

غَادَرْنَ نَضْلَةً فِي مَعْرَكٍ يَجْرُ الْأَسِنَّةُ كَالْمُحْتَطَبِ^(١)
يقول: طُعِنَ وَغُودِرَتِ الرَّمَا حُ فِيهِ، فَظَلَّ يَجْرُهَا، كَأَنَّهُ حَامِلُ حَطْبٍ.

ومن التَّشْبِيهِ الْمُتَجَاوِزِ الْمُفْرَطِ قولُ الْخَنَسَاءِ:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
فَجَعَلَتْ الْمُهْتَدَى يَأْتُمُ بِهِ، وَجَعَلَتْهُ كَنَارَ فِي رَأْسِ عَلَمٍ، وَالْعَلَمُ: الْجَبَلُ، قَالَ
جَرِيرٌ:

* إِذَا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمٌ *

وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٢).

ومن هذا الضرب من التَّشْبِيهِ قولُ الْعَجَّاجِ:

* تَقْضَى الْبَارِى إِذَا الْبَارِى كَسَرَ *

والتَّقْضَى: الْإِنْقِضَاضُ. وَإِنَّمَا أَرَادَ سُرْعَتَهَا، وَالْعَرَبُ تُبَدِّلُ كَثِيرًا الْيَاءَ مِنْ أَحَدِ
التَّضْعِيفَيْنِ، فَيَقُولُونَ: تَظْنَيْتُ وَالْأَصْلُ: «تَظَنَنْتُ»، لِأَنَّهُ «تَفَعَّلْتُ» مِنَ الظَّنِّ،
وكَذَلِكَ: تَقْضَيْتُ؛ مِنَ الْإِنْقِضَاضِ، أَيْ تَقَضَّضْتُ، وَكَذَلِكَ تَسَرَّيْتُ، وَمِثْلُ هَذَا
كَثِيرٌ.

[من تشبيهات المحدثين]

ومن تشبيه المحدثين المُسْتَطَرَفِ قولُ بَشَّارٍ:

كَأَنَّ فُرَّادَهُ كُرَّةٌ تَنْزَى. حَذَارَ الْبَيْنِ إِنْ نَفَعَ الْحِذَارُ

(١) الضمير في «غادرن» يعود إلى الخيل ولم يجر لها ذكر. ونضلة بن الأشتر قتله ورد بن حابس العبسي؛ قال المرصفي.

(٢) سورة الرحمن ٢٤.

[يُرَوُّعُهُ السَّرَّارُ بِكُلِّ أَمْرٍ مُحَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَّارُ]^(١)

وفى هذه القصيدة:

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا ! أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

وقال الحسن بن هانئ في صفة الخمر:

فَإِذَا مَا لَسْتَهَا فَهَبَاءٌ تَمْنَعُ اللَّمَسَ مَا يُبِيحُ الْعِيُونَ
دَرْسَ الدَّهْرِ مَا تَحْسَمُ مِنْهَا وَتَبْقَى لِبَابِهَا الْمَكُونَا
فَهِيَ بِكْرُ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مُخَيَّرُ أَنْ يَكُونََا
فِي كُؤُوسِنَ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ جَارِيَاتُ بُرُوجِهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتُ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا
فهذه قطعة من التشبيه غايةً، على سُخْفِ كَلَامِ الْمُحَدِّثِينَ.

وقال الحنفى: وهو إسحاق بن خَلَفٍ - في صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمَتَاحِ^(٢)
وَكَأَنَّمَا دَرَّ الْهَبَاءُ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فِي مَدْحِهِ يَزِيدَ بْنَ مَزِيدَ:

يَمْضِي الْمَنَآيَا كَمَا تَمْضِي أَسْتُهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضَرْغَامًا^(٣)

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر: والسرار: آخر ليلة من الشهر. وهى التى يستر فيها القمر ويختفى.

(٢) ر: «فكأنما» وما أثبتته عن الأصل.

(٣) ر: «تمضى»، وما أثبتته عن الأصل.

وقال دُعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ فِي صِفَةِ الْمَصْلُوبِ^(١):

لَمْ أَرْ صَفًّا مِثْلَ صَفِّ الزُّطِّ تَسْعِينَ مِنْهُمْ صُلِبُوا فِي خَطِّ^(٢)
مِنْ كُلِّ عَالٍ جَذْعُهُ بِالْشُطِّ كَأَنَّهُ فِي جَذْعِهِ الْمَشْتِطِّ^(٣)
أَخُو نُعَاسٍ جَدٌّ فِي التَّمْطِيِّ قَدْ خَامَرَ النَّوْمَ وَلَمْ يَغْطِ^(٤)

وقال يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي مِثْلِهِ^(٥):

قَامَ وَلَمَّا يَسْتَعِنُ بِسَاقِهِ أَلْفَ مَثْوَاهُ عَلَى فِرَاقِهِ

* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ فِي أَشْدَاقِهِ *

أَرَادَ بِيَاضَ الشَّرِيطِ فِيهِ .

وقال أَعْرَابِيٌّ فِي صِفَةِ مَصْلُوبٍ، وَهُوَ الْأَخْطَلُ:

[قال أبو الحسن: الْأَخْطَلُ الَّذِي يَعْنِي رَجُلٌ مُحَدَّثٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ،
وَيَعْرِفُ بِالْأَخِيطَلِ، وَيُلَقَّبُ بِبِرْقَوْقَا، وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ كَانَ يُدَلِّسُ
بِهِ.]

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ
أَوْ قَائِمٌ مِنْ نُعَاسٍ فِيهِ لُوثُهُ مُوَاصِلٌ لَتَمْطِيهِ مِنَ الْكَسَلِ^(٦)

[وقال مسلم بن الوليد:

وَضَعْتَهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيحُ بِهِ وَتَحْسَدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَلَدِ^(٧)

وقال حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ [قال أبو الحسن: يَعْنِي بِهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الطَّاهِرِيُّ]:

(١) ر: «مصلوب». (٢) الزط: جيل أسود من السند أو الهند.

(٣) كذا في الأصل، ويريد بالمشتط الطويل، وفي ر: «المشتط».

(٤) الغطيط: صوت نفس النائم.

(٥) في زيادات ر: «وقال آخر في صفة مصلوب، وهو يزيد المهلبى»، وما أثبتته من الأصل.

(٦) اللوثة: الاسترخاء والبطء. (٧) ما بين العلامتين من زيادات.

قد قَلَصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيزَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّقْلِيسِ مُبْتَسِمًا^(١)
 وقال أيضًا في رجل يَنْسُبُهُ إِلَى الدَّعْوَةِ^(٢):
 وَتَنْقُلُ مِنْ مَعْشَرٍ فِي مَعْشَرٍ فَكَأَنَّ أَمْلَكَ أَوْ أَبَاكَ الزُّبْقُ
 يقال: زُبْقٌ، وزُبْرٌ، مهموزان، ودرهمٌ مُزَابِقٌ، وثوبٌ مُزَابِرٌ^(٣).

ومن إفراط التشبيه قولُ أبي خراشٍ الهُدَلِيُّ يصفُ سرعةَ إبله في العدو:
 كَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي إِثْرِ طَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاشِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضٍ
 يُبَادِرُ جَنَحَ اللَّيْلِ فَهُوَ مَهَابِدٌ يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبْسِطِ وَالْقَبْضِ
 وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ [قال أبو الحسن: أهل الكوفة يرونها لعبيد بن الأبرص]:

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَدَكْنَ فِي الْخَانَوَاتِ نَضَّاحٍ
 أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنْيَابِ رُمَّانٍ وَتَفَّاحٍ^(٤)

وقال ابنُ عَبْدِ اللَّهِ يَهْجُو رَجُلًا بِالْبُخْرِ:
 نَكَّهْتَ عَلَى نَكْهَةِ أَخْدَرَى شَتِيمِ شَابِكِ الْأَنْيَابِ وَرَدٍ^(٥)
 وفي هذا الشُّعْرُ:

فَمَا يَدْنُو إِلَيْهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طُلِيتُ مُشَافِرَةً بِقَنْدٍ^(٦)
 يَرَيْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا وَشَيْكَاً إِنْ هَمَمْنَا لَهُ بِوَرْدٍ

(١) التَّقْلِيسُ: التَّقْبِضُ. وفي ر: «من شدة التبعس».

(٢) في زيادات ر: «وهو إسحاق بن إبراهيم الطاهري» ودفعها المرصفي، وقال: هو عتبة بن أبي عاصم؛ وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه حتى انصرف أبو تمام؛ فأخذ يتشدد بهجائه، فبلغ أبا تمام؛ فقال كلمة منها هذا البيت.

(٣) الزئير: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز.

(٤) الاغتباق: شرب العشى. والأدكن: ما تعلوه الدكنة؛ وهي لون بين الحمرة والسواد أراد به الزق. والورهاء: الريح التي في هبوبها خرق وعجرفة. والنشوة: الرائحة الطيبة.

(٥) النكهة: ريح الفم. والأخدرى من وصف الحمار الوحشي.

(٦) القند: غسل قصب السكر.

الدُّبَابُ: الواحد من الدُّبَّان، وأدنى العدَدَ فيه أذْبَةٌ، والكثير في الدُّبَّان، ولكنه ذكر واحداً ثم خَبَرَ عن سائر الجنس، والأسدُ أَتَنُ السَّبَاعِ فَمَا، كما أن الصَّقْرَ أَتَنُ الطيرِ فَمَا.

قال بعضُ المحدثين في رجل يهجوهُ، والمَهْجُوّ داود بن بكر، وكان وَلِيَّ الأَهْوَازِ وفارسَ، والشعرُ لأبي الشَّمَقْمَقِ:

وله لِحَمِيَّةٌ تَيْسٌ وله مِنْقَارٌ نَسْرٌ
وله نَكْهَةٌ لَيْثٌ خالَطَتْ نَكْهَةً صَقْرٌ

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة:

من يكنِ إِبْطَهُ كَأَبَاطِ ذَا الْخَلْقِ فَلِإِبْطَايَ فِي عِدَادِ الْفِقَاحِ^(١)
لِيْ إِبْطَانِ يَرْمِيَانِ جَلِيْسِي بشبيه السُّلَاحِ^(٢) أو بالسُّلَاحِ
فَكَأْنِي مِنْ نَتْنِ هَذَا وَهَذَا جالسٌ بين مُصْعَبٍ وَصُبَاحٍ

يعني مُصْعَبَ بن عبد الله الزُّبَيْرِيَّ، وَصُبَاحَ بن خَاقَانَ المَنْقَرِيَّ. وكانا جلسين لا يكادان يفترقان، وصديقين متواصلين، لا يكادان يتصارمان. فَحَدَّثْتُ أَنَّ أَحْمَدَ بن هِشَامٍ لقيهما يوماً، فقال: أَمَا سمعتما ما قال فيكما هذا؟ يعني إسحاق بن الموصلي، فقالا: ما قال فينا إلا خيراً، قال: قال:

لَا مَ فِيهَا مُصْعَبٌ وَصُبَاحٌ فعصينا مُصْعَبًا وَصُبَاحَا
وَأَيْنَا غَيْرَ سَعَى إِلَيْهَا فاسترحنا منهما واستراحا

قالا: ما قال إلا خيراً، ولكن^(٣) المكروه ما قال فيك، إذ يقول:

وصافيةٌ تُعْشَى العُيُونُ رَقِيْقَةً رهينة عامٍ في الدَّئَانِ وعامٍ
أَدْرُنَا بِهَا الكَأْسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنًا من الليل حتى انجَابَ كُلُّ ظَلَامٍ^(٤)
فما ذرَّ قرن الشمس حتى كَأَنَّا من العِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بن هِشَامٍ

(١) الفقاح: جمع فقحة. وهى حلقة الدبر.

(٢) السُّلَاح: العُدرة.

(٣) ساقطة من ر .

(٤) الموهن: نحو نصف الليل.

واعلم أن التشبيه حداثاً؛ لأن الأشياء^(١) تشابه من وجوه، وتباين من وجوه؛
 فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع^(٢)، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر^(٣) فإنما يراد
 به^(٣) الضياء والرونق، ولا يراد به^(٣) العظم والإحراق. قال الله جل وعز:
 ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾^(٤)، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاء ورقة
 لونه^(٥)، قال الراعي:

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَ إِذَا اجْتَبَلَاهُنَّ قَيْطٌ لَيْلُهُ وَمِدُّ^(٦)

وقيل للأوسية - وهي امرأة حكيمة^(٧) في العرب - بحضرة عمر بن الخطاب
 رحمه الله: أَيْ مَنْظَرُ أَحْسَن؟ فقالت: قُصُورُ بَيْضٍ، فِي حَدَائِقِ خَضِرٍ، فَأَنشَدَ عُمَرُ
 ابْنُ الْخَطَّابِ لِعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالْبَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَتِيرٌ
 وَقَالَ آخَرُ:

كَالْبَيْضِ فِي الْأَدْحَى يَلْمَعُ بِالضُّحَى^(٨) فَالْحُسْنُ حُسْنٌ وَالنَّعِيمُ نَعِيمٌ
 وَقَالَ جَرِيرٌ:

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرَوْقُهُمْ^(٩) إِلَّا رَأَوْا أَمْ نُوحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا
 كَأَنَّهَا مَزْنَةٌ غَرَاءُ رَائِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ مَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفُ^(١٠)

المزنة: السحابة البيضاء خاصة، وجمعها مزن، قال الله جل وعز: ﴿أَأَنْتُمْ
 أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾^(١١)، فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها، قال
 الأعشى:

(١) ر: «فالأشياء»، وما أثبتته عن الأصل.

(٢) ر: «من حيث وقع».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) سورة الصافات ٤٩.

(٥) ر: «ونعمة لونه».

(٦) الملاحف: الأغطية، والومد: ندى يجرى في صميم الحر؛ من قبل البحر مع سكون الريح.

(٧) كذا في الأصل، وفي ر، س: «من العرب».

(٨) الأدحى: مبيض النعام تلحوه برجلها، ثم تبيض فيه.

(٩) ر: «عن شيء بروقهم»، وما أثبتته عن الأصل، س.

(١٠) ر: «لا يوارى لونها».

(١١) سورة الواقعة ٦٩.

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
الرَّيْثُ: الإبطاءُ، فهذا ما تَلَحَّقه العَيْنُ منها، فأما الخِفَةُ فهي كَأَسْرَعِ مَرٍّ،
وإن خَفِيَ ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ
تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (١).

والعرب تُشَبِّهُ المرأةَ بالشمس، والقمر، والغصن، والكثيب (٢). والغزال،
والبقرة الوحشية، والسحابة البيضاء، والدُّرَّة، والبيضة، وإنما تقصد من كل شيء
إلى شيء.
قال ذو الرِّمَّة:

وَمَيَّةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً (٣)	وسالفة وأحسنهم قذالاً (٤)
فلم أرَ مثْلَها نظراً وعِيناً	ولا أمَّ الغزال ولا الغزالاً
تريك بياضَ غُرَّتِها ووجْهاً	كقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثم زالا
أصابَ خِصاصةً فَبَدَأَ كَلِيلاً	كلاً وانغَلَّ سائرُهُ انغلالاً (٦)

الجيد: العنق، والسالفة: ناحية العنق، والقذالان: ناحيتا القفا من الرأس.
وقوله: «أفتقَ ثم زالا»، يقال: أفتقَ السحابُ، إذا انكشفَ انكشافاً فكانت
منه (٧) فُرْجَةٌ يسيرةٌ بين السحابتين. تقول العرب: دامَ علينا الغيمُ ثم أفتقنا، وإذا
نُظرَ إلى الشمس والقمر من فتقِ السحاب فهو أحسنُ ما يكونُ وأشدُّ استنارةً.
وقوله: «كلاً» يريدُ في سرعةٍ ما بدا ثم غاب.

(١) سورة النمل ٨٨.

(٢) كلمة «الكثيب»، ساقطة من ر، وهي في الأصل، س.

(٣) الديوان: «خدا».

(٤) الديوان: «وأحسنه».

(٥) الديوان: «تريك بياض لبثها».

(٦) أصاب قرن الشمس خصاصة، أى تقف السحاب فبدا منها كليلاً، أى ضعيفاً، ليس مبين الضوء، وانغل: دخل، والانغلال: الدخول، يقول: دخل في الحساب. (من شرح الديوان).

(٧) ر. «صفه» وما أثبتته عن الأصل، س.

وقال الله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١). وقال تبارك وتعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾^(٢).

والمكنون: المصون، يقال: كُنْتُ الشيءَ، إذا صُنِّتَهُ. وأَكْنَنْتُهُ، إذا أَخْفَيْتُهُ، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٣). وقد يقال: كُنْتُهُ، أَخْفَيْتُهُ.

وقد قال جريرٌ في يزيد بن عبد الملك، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

الحِزْمُ والجودُ والإيمانُ قد نزلوا على يزيدٍ أمينِ الله فاختَلَفُوا^(٤)
ضَحْمُ الدَّسِيعَةِ والإيمانُ، غُرَّتْهُ كالْبَدْرِ لَيْلَةً كَادَ الشَّهْرُ يَتَنَصَّفُ^(٥)
وقال ذو الرُّمَّة:

فياظْبِيَّةَ الوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ^(٦)
وقال ابنُ أبي ربيعة:

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
يَرْقُلْنَ فِي الرِّيطِ وَالْمَرْوُوطِ كَمَا تَمْشِي الْهُوَيَّتِي سَوَاكِنُ الْبَقَرِ^(٧)
فهذه تشبيهاتٌ غَرِيبَاتٌ مفهومةٌ.

وقال أبو عبد الرحمن العطوي^(٨):

قَدْ رَأَيْنَا الْغُزَالَ وَالْغُصْنَ وَالنَّجْمَيْنِ شَمْسَ الضُّحَى وَبَدْرَ الظَّلَامِ
فَوَحَقَّ الْبَيَانَ يَعْضُدُهُ الْبُرُ هَانَ فِي مَاقِطٍ أَلَدَّ الْخِصَامِ

(١) سورة الرحمن ٥٨ . (٢) سورة الواقعة ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٤) احتلفوا، بالحاء المهملة، من الحلف، أى تحالفوا، وفى س: «اختلفوا» تصحيف.

(٥) الدسبعة: العطية. سميت دسبعة لدفع المعطى إياها مرة واحدة كما يدفع البعير جربه دفعة واحدة.

(٦) الوعساء: الأرض اللينة، وجلجل: جبل بعينه.

(٧) الريط: جمع ربطة؛ وهى الملاة غير ذات لعفين كلها نسيج واحد. والمروط: جمع مرط، وهو كساء من صوف أو كتان.

(٨) س: وقال أحد الشعراء المكلمين المحدثين.

ما رأينا سوى الحبيبة شيئاً^(١) جمع الحُسْن كله في نظام
فهي تجرى مجرى الأصالة في الرأى ومجرى الأرواح فى الأجسام

البرهان: الحجة، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢). أى حججكم. والمآقط: موضع الحرب، فضربه مثلاً لموضع المناظرة والمحاجة. والألد: الشديد الخصومة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتُنذِرْ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٣). وقال: ﴿وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ﴾^(٤).

وقالت ليلى الأخيلىة^(٥):
كان فتى الفتيان توبة لم ينخ بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يقدح الخصم الألد ويملا الـ جفان سديقا يوم نكباء صرصر^(٦)
السديف: شقق السنام.

(الرياح ومواقعها)

والنكباء: الريح بين الريحين، لأن الرياح أربع، وما بين كل ريحين نكباء،
فهي ثمان فى المعنى.

فما بين مَطْلَعٍ سَهْلٍ إلى مَطْلَعِ الفجرِ جنوبٌ، وإنما تأتى الجنوب من قِبَلِ
اليمَن، قال جرير:

وَحَبَّذا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ تأتيك من جبل الرِّيانِ أحياناً^(٧)

وإذا هبت من تلقاء الفجرِ فهي الصِّبَا تقابلُ القِبْلَةَ، فالعرب تسميها القُبُولَ،
قال الشاعر^(٨):

إذ قلتُ هذا حينَ أَسْلُو يَهيجُنِي نسيمُ الصِّبَا من حيثُ يَطْلُعُ الفجرُ

(١) ر: «سوى الملية».

(٢) سورة البقرة ١١٠.

(٣) سورة مريم ٩٧.

(٤) سورة البقرة ٢٠٤.

(٥) من كلمة ترفى بها توبة بن الحمير.

(٦) لم يقدح: لم يكف.

(٧) الريان: جبل من بلاد طيئ؛ وفى ر: «من قبل الريان».

(٨) هو أبو صخر الهذلى.

وَإِذْ أَتَتْ مِنْ قَبْلِ الشَّامِ فَهِيَ شَمَالٌ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ نَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقَطْنِ مَشْورِ

وهي تقابل الجنوب، وكذلك قال امرؤ القيس:

فَتَوْضِحَ فَاَلْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

وَإِذَا جَاءَتْ مِنْ دُبُرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَهِيَ الدَّبُورُ، وَهِيَ تَهْبُ بِشِدَّةٍ، وَالْعَرَبُ تَسْمِيهَا مَحْوَةً. عَنْ أَبِي زَيْدٍ، لَأَنَّهَا تَمَحُو السَّحَابَ. وَمَحْوَةٌ مَعْرِفَةٌ لَا تَنْصَرِفُ، فَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَرَعَمَ أَنَّ «مَحْوَةً» مِنْ أَسْمَاءِ الشَّامِ. وَأَنْشَدَا جَمِيعًا:

قَدْ بَكَرَتْ مَحْوَةٌ بِالْعَجَاجِ قَدَمَرَتْ بِقِيَّةِ الرَّجَاجِ

الرَّجَاجُ: حَاشِيَةُ الْإِبِلِ وَضِعَافُهَا. وَقَالَ الْأَعَشِيُّ:

لَهَا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا د صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دَبُورًا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة، وأحكام في العربية، لأن بعضهم يجعلها نعوًا، وبعضهم يجعلها أسماء، وكذلك مصادرها تحتاج إلى الشرح والتفسير، ونحن ذاكرون ذلك في عَقَبِ هذا الباب، إن شاء الله.

يقال: جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوبًا، وَشَمَلَتْ شَمُولًا، وَدَبَّرَتْ دُبُورًا، وَصَبَّتْ صُبُورًا، وَسَمَّتْ سُمُومًا، وَحَرَّتْ حَرُورًا، مضمومات الأوائِل.

فإذا أردت الأسماء فتحت أوائِلها، فقلت: جُنُوبٌ، وَشَمُولٌ، وَسَمُومٌ، وَدُبُورٌ، وَحَرُورٌ.

ولم يأت من المصادر شيء مفتوح الأول، إلا أشياء يسيرة، قالوا: تَوَضَّأتُ وَضُوءًا حَسَنًا، وَتَطَهَّرْتُ طَهُورًا، وَأَوَّلَعْتُ بَشْيًى وَلَوْعًا، وَإِنَّ عَلَيْهِ لِقَبُولًا، وَوَقَدَتِ النَّارُ وَقُودًا، وَأَكْثَرُهُمْ يَجْعَلُ الْوَقُودَ الْحَطْبَ، وَالْوَقُودَ الْمَصْدَرَ.

ويقال: الشَّمَالُ، عَلَى لُغَاتِ سِتٍّ، يَقَالُ: شَمَالٌ، وَشَامَلٌ، وَشَمَالٌ، وَشَمَلٌ، وَشَمَلٌ، وَشَمَلٌ، غَيْرُ مَهْمُوزٍ.

ويقال للشَّمَال: الجُريَاءُ، قال ابن أَحْمَرَ:

بَجَوٍّ مِنْ قَسَمٍ ذَفِرِ الْخُزَامِيٍّ تَدَاعَى الْجُرِيَاءُ بِمَجَالِحِنَا (١)

ويقال للجَنُوبِ: الْأَزْبُ.

ويقال للصَّبَا: الْقُبُولُ، وبعضهم يجعله للجَنُوبِ، وهو في الصَّبَا أشهر، بل هو القولُ الصحيحُ والإيرُ، والهَيْرُ، والأَيْرُ، والهَيْرُ، قال الشَّاعِرُ:

* مَطَاعِمُ أَيْسَارٍ إِذَا الْهَيْرُ هَبَتْ *

فهذا يدلُّ على أَنَّهُ الصَّبَا، وذاك أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَمَدَّحُونَ بِالْإِطْعَامِ فِي الْمَشْتَاةِ (٢) وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، كما قال طَرَفَةُ:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدَبَ فِينَا يَتَقَرُّ

الجَفَلَى: الْعَامَّةُ، وَالنَّقَرَى: الْخَاصَّةُ، وَالْآدَبُ: صَاحِبُ الْمَادُّةِ، يَقَالُ: مَادَّةٌ وَمَادَّةٌ لِلدَّعْوَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْقُرْآنَ مَادَّةُ اللَّهِ».

قال أهلُ الْعِلْمِ: مَعْنَاهُ مَدْعَاةُ اللَّهِ، وَلَيْسَ مِنَ الْآدَبِ. وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ، وَكِلَاهُمَا فِي الْعَرَبِيَّةِ جَائِزٌ وَيَدُلُّ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا الْجَفْنَةُ الْغَرَاءُ»، أَيْ الَّتِي يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَيْهَا وَيُدْعَوْنَ إِلَيْهَا، وَيَقَالُ فِي الدَّعْوَةِ: أَدَبُهُ يَأْدُبُهُ أَدْبًا، إِذَا دَعَاهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا أَصْبَحَ الضَّحَاكَ إِلَّا كَخَالَعٍ عَصَانَا فَأَرْسَلْنَا الْمَنِيَّةَ تَأْدُبُهُ

وقولنا في الرياح: إِنَّهَا تَكُونُ أَسْمَاءً وَنُعُوتًا نُقَسِّرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

يَقُولُ أَكْثَرُ الْعَرَبِ: هَذِهِ رِيحٌ جَنُوبٌ، وَرِيحٌ شَمَالٌ، وَرِيحٌ دُبُورٌ، فَتَجْعَلُ جَنُوبًا، وَشَمَالًا، وَدُبُورًا، وَسَائِرَ الرِّيحِ نُعُوتًا قَالَ الْأَعَشَى:

لَهَا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دُبُورًا

(١) قسا: موضع بالعالية، وذفر، من ذفر الطيب، وهو اشتداد رائحته، والخزامى: نوع من العشب، طويل العيدان، صغير الورق.

(٢) ر: «المشتى».

وقال زهير:

مَكْلَلٌ بِأُصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ رِيحٌ شَمَالٌ لِّضَاحِي مَائِهِ حُبْكٌ^(١)

وقال جرير:

* رِيحٌ خَرِيقٌ شَمَالٌ أَوْ يَمَانِيَّةٌ *

فهذا يكون على النعت أجود، لأنه أوضحه بـ «يمانية»، ولا تكون اليمانية إلا نعتاً، لأنها منسوبة، فأما الحريق فهي الشديدة من كل ريح. قال حميد بن ثور:

بَمَثْوَى حَرَامٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهُ قَنَا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ حَارِيقُ

والبليل: الباردة من كل ريح^(٢). وأصل ذلك الشمال.

أ لجرير في بنى مجاشع

قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام في كلمة يقول فيها:

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً	تَدْعُو بِأَعْلَى الْأَيْكَتَيْنِ هَدِيلاً
يَالْهَفَ نَفْسِي إِذْ يَغْرُكَ حَبْلُهُمْ	هَلَا اتَّخَذَتْ عَلَى الْقِيُونِ كَفِيلاً
قَالَتْ قَرِيشُ مَا أَدَلَّ مُجَاشِعًا	جَارًا وَأَكْرَمَ ذَا الْقَتِيلِ قَتِيلاً!
أَفْبَعَدَ مَتْرُكَكُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ	تَرْجُو الْقِيُونُ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلاً!
أَفَتَى النَّدَى وَفَتَى الطَّعَانُ غَرَرْتُمْ	وَأَخَا الشَّامَالِ إِذَا تَهَبُّ بَلِيلاً

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الأنصاري - وكان يبخل - كان^(٣) إذا هبت الصبا طلع من أطمه^(٤) فنظر إلى ناحية هبوبها، ثم يقول لها: هبي هبوبك، فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعاً من عجوة، أدفعُ إلى الوليد منها خمس تمرات، فيردُّ عليَّ منها ثلاثاً - أي لصلابتها - بعد جهد ما يلوك منها اثنتين.

(١) مكلل: محاط، وضاحي مائه: ظاهره، وحبك: جمع حبيكة؛ وهي الطريقة، يصف ماء أحاط به النبت، وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسراً.

(٢) ر: «الرياح».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الأطم: الحصن بنى بالحجارة.

[من اخبار لييد بن ربيعة]

وكان لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شقيقاً في الجاهلية والإسلام قد نذرَ ألاَّ تَهَبَّ الصُّبَا إِلَّا نَحَرَ وَأُطْعِمَ حَتَّى تُنْقَضِيَ . فهبت في الإسلام^(١) وهو بالكوفة مُقْتَرٌ مُمْلَقٌ ، فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان واليها لعثمان بن عفان ، وكان أخاه لأمه ، وأُمُّهُمَا أَرْوَى بنت^(٢) كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس^(٣) . وأمُّ أَرْوَى البيضاء بنت عبد المطلب - فخطب الناس وقال : إنكم قد عرفتم نذرَ أبي عقيل ، وما وكَّد على نفسه ، فأعينوا أحاكم ، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة^(٤) . وَبَعَثَ النَّاسُ ، ففَضِيَ نَذْرَهُ ، ففي ذلك تقول ابنة لبيد :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا^(٥)

(١) ر : «بالإسلام» .

(٢) ر : «ابنة» .

(٣) حاشية الأصل : «غلط أبو العباس بتقديم حبيب وتأخير ربيعة» .

(٤) زيادات ر : «وأبيات يقول فيها :

أَرَى الْجَزَارَ تُشْحِذُ مُذِيَتَاهُ	إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ
طَوِيلُ الْبَاعِ أَيْضُ جَعْفَرِيٌّ	كَرِيمُ الْمَجْدِ كَالسَيْفِ الصَّقِيلِ
وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بَمَا لَدَيْهِ	عَلَى الْعِلَالَتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ

فلما أتته قال : جزي الله الأمير خيراً . قد عرف الأمير أني لا أقول شعراً ، ولكن اخرجني يابنية . فخرجت خماسية ، فقال لها : أجيبي الأمير ، فأقبلت وأدبرت .

(٥) بعده في زيادات ر :

طَوِيلُ الْبَاعِ أَيْضُ عَبْشَمِيًّا	أَعَانَ عَلَى مُوَوَّعَتِهِ لَبِيدَا
بَأَمْثَالِ الْهَضَابِ كَأَنَّ رَكْبًا	عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قَعُودَا
أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا	نَحَرْنَاهَا وَأُطْعِمْنَا الثَّرِيدَا
فَعُدُّ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادُ	وَوَظَنِي بِابْنِ أَرْوَى أَنْ يَعُودَا

فقال لها لبيد : أحسنت يا بنية . لولا أنك سألت . فقالت : إن الملوك لا يستحي من مسألتهم . فقال لها : يابنية ، وأنت في هذا أشعر .

وَمَنْ جَعَلَ الشَّمَالَ وَالْجَنُوبَ أَسْمَاءَ لَمْ يَصْرِفْهَا إِذَا سَمِيَ بِشَيْءٍ مِنْهَا رَجُلٌ؛
لأنك إذا سميت رجلاً مذكراً باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعداً لا علامة
للتأنيث فيه لم تصرفه في المعرفة، وصرفته في النكرة، نحو عَنَاقٍ، وَأَتَانٍ،
وعقرب. وإن كان نعتاً انصرف، لأنك إذا سميت رجلاً مذكراً بنعت مؤنث لا
علامة فيه صرفته لأنه مذكرٌ نعت به المؤنث. نحو حَائِضٍ. وطالِقٍ. ومُتَّمٍّ.
ومُرْضِعٍ.

وإذا ذكرنا من الباب شيئاً فما لم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه، قال
الشاعر، فجعل ما وصفنا أسماءً:

حالت وحيل بها وغير آيها طول البلى تجرى به الريحان^(١)
ريح الشمال مع الجنوب وتارة رهم الربيع وصائب التهتان^(٢)

وقد أنشدوا بيت زهير:

* رِيحُ الْجَنُوبِ لِصَاحِي مَائِهِ حُبٌّ *

وقولنا: لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لأن ذلك
إنما يكون على ضربين:

فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف في معرفة ولا
نكرة. لمذكر كان أو مؤنث. فالمقصود نحو حُبلى وسكرى، وما أشبه ذلك.
والممدود نحو حمراء، وصفراء، وصحراء، وما أشبه ذلك.

فإن كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف إذا كان للمذكر في المعرفة والنكرة،
زائداً كان أو أصلياً، فالأصل نحو سقاء، وغذاء، وحذاء، ورداء - والزائدة نحو
علباء، وحرباء، وقوباء، يافتى، ومن قال: قُوباء يافتى - أنت ولم يصرف. لأن
الأوى ملحقة، وهذه للتأنيث، فأما الألف المقصورة التي لغير التأنيث، فإن كانت
أصلية انصرفت في المذكر، نحو ملهى، ومغزى، ومُشترى.

وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت في النكرة. ولم تنصرف في المعرفة،
نحو أرطى، وعلقى، فيمن جعل الواحدة علقاة.

(١) حالت: أتى عليها حول. حيل بها: أى أحيلت عما كانت عليه. والآى: جمع آية.

(٢) الرهم: جمع رهمة. وهو المطر الضعيف.

وأما ما كانت فيه هاء التانيث فهو منصرفٌ في النكرة، وغيرُ منصرفٍ في المعرفة، لمذكرٍ كان أو مؤنث، عربياً كان أو أعجمياً.

فهذه جملة هذا الباب، فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب (المقتضب).

ويقال^(١) في أكثر الكلام: هَبَّتْ جَنُوبًا، وهَبَّتْ شَمَالًا، فُيَسْتَعْنَى^(٢) عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ، لأن الحال إنما بابها أن تقع فيما يكون وصفًا^(٣). قال جرير:

هَبَّتْ شَمَالًا فَذَكَرِي مَا ذَكَرْتُكُمْ عند الصِّفَاةِ إِلَى شَرْقِيٍّ حَوْرَانَا

وقال الآخر:

فَأَيُّ حَيٍّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّة وَاسْتَدْفَأَ الْكَلْبُ بِالْمَأْسُورِ ذِي الذَّنْبِ

المأسور، يعني قَتَبًا^(٤). وإنما الأسرُ الشَّدُّ بالقَدِّ^(٥) حتى يُحَكِّمَ، وإنما قيل الأسيرُ من ذا. لأنه كان يُشَدُّ بالقَدِّ. ثم قالت العرب لكلِّ مُحَكَّمٍ شديدٍ أسير^(٦). قال الله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾^(٧).

وقوله: «ذِي الذَّنْبِ» يعني الفضول التي وسَّعَتْه وأسبَغَتْه. يُقال: غَيِيطُ مُذَابٍ أَيْ ذُو ذَنْبٍ. أَيْ مُوسَعٌ، وَالْغَيْيُطُ: مُرَكَّبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ.

[لأوس بن حجر]

وقال أوس بن حجر في شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كعدة الأسدي:

وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي قَحُوطٍ إِذَا لَمْ يُرْسَلُوا تَحْتَ عَائِدِ رِبْعَا
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَمِيعُ الْفَتَاةِ مَلْتَفَعَا^(٨)

(١) ر: «تقول».

(٢) ر: «فتستعنى».

(٣) ر: «تعتا».

(٤) القتب: رحل على قدر السنام.

(٥) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

(٦) ر: «شديد الأسر».

(٧) سورة الإنسان ٢٨.

(٨) الكميع: الضجيع.

وكانت الكاعبُ المَنَعَةُ الحَسَنُ — بناءً في زادِ أهلها سُبُعًا

تحوط، وقحوط، وكحل، وحجرة: أسماءٌ للسَّنةِ المُجَدِّبةِ. والعائذ: الحديثة التَّناج، فتَحَرَ أولادها في السَّنةِ المُجَدِّبةِ إبقاءً على ألبانها وشحومها. والرُّبْعُ الذي يُنتَج في الربيع. والهَبِيع: الذي يُنتَج في الصيف. يقال: ما لَهُ هَبِيعٌ ولا رُبْعٌ. وإنما سُمِّي: هَبَّعًا. لأنَّ الرُّبْعَ أَسَنُّ منه فيمشى مع أمهاته^(١). ولا يلحقهنَّ الهَبِيعُ إلا باجتهدٍ فيستعينُ بعنقه في المشى، يقالُ إذا فعل ذلك: هَبَّعَ يَهْبِعُ.

ويقال للريح الشمال: مؤوبة ومُسَع، قال الهذليُّ:

قد حال دونَ دريسيه مؤوبَةٌ نَسَعُ لها بعضاهِ الأرضَ تَهْزِيرُ^(٢)

الدَّريسان: ثوبان خَلَقَان. ومؤوبَةٌ، مُفَعَّلَةٌ، من التأويب، وهو سَيْرُ النهار لا تعريجَ فيه. قال أبو عبيدة: هو سير النهار، والإسَاد: سَيْرُ الليل لا تعريس فيه، وأنشد لسَلَامَةَ بن جندَل:

يو مان يومَ مَقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيرِ إلى الأعداءِ تأويبٍ

وإنما يعنى ريحًا، وقوله: نَسَعُ: أى شَمَالٌ. والعَصَاهُ: شجر ضَخام^(٣)، فبعض العرب يقول للواحدة: عَصَاهَةٌ، وللجميع: عَصَاهٌ. على وزن دجاجة ودجاج، وبعضهم يقول للواحدة: عَصَةٌ، فيقول فى الجمع عَصِيَّاتٌ. وعَصِيَّاتٌ فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر:

هذا طريق يَأْزُمُ المَآزِمَ — وَعَصَوَاتٌ تَقَطُّعُ اللَّهَازِمَ^(٤)

ونظيرُ عَصَةٍ سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب، والواو فى قول بعضهم، تقول فى جمعها سنوات، وسانيتُ الرَّجُل. وبعضهم يقول: سنهات. وأكرينه مسانهة.

(١) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أمهاتها».

(٢) للمتخل. ديوان الهذليين: ١٦.

(٣) ر: «شجرة ضخمة».

(٤) المآزم: جمع مأزم؛ وهو الطريق بين جبلين، واللهازم: جمع لهزمة وهى ما تحت الأذن من أعلى اللحيين.

وهذا الحرفُ في القرآن يُقرأ على ضروب فمن قرأ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ﴾^(١). فوصلَ بالهاء - فهو مأخوذٌ من: سَانَهُتُ. التي هي سُنْيَةٌ وَمَنْ جعله من الواو قال في الوصل: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ وَانْظُرْ﴾^(٢). فإذا وقفَ قال: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ فكانت الهاءُ زائدةً لبيان الحركة. بمنزلة الهاء في قوله: ﴿فَبَهْدَاهُمَ افْتَدَاهُ﴾^(٣) و ﴿كِتَابِيهِ﴾^(٤). و ﴿حَسَابِيهِ﴾^(٥). والمعنى واحدٌ. وتأويله: لَمْ تُغَيِّرْهُ السُّنُونُ، ومن لَمْ يَقْصِدْ إِلَى السَّنَةِ، قال: لَمْ يَتَأَسَّنْ. والآسنُ: المتغيرُ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(٦). ويقال: آسِنٌ في هذا المعنى، كما يقال: رجل حَاذِرٌ وَحَذِرٌ.

ويقال للريِّحِ الجَنُوبِ: النَّعَامَى، قال أبو ذؤيب:
مَرَّتْهُ النَّعَامَى فَلَمْ يَعْتَرَفْ خِلَافُ النَّعَامَى مِنَ الشَّامِ رِيحًا
ومعنى «مَرَّتْهُ» اسْتَدْرَجَتْهُ، وفي الحديث: «مَا هَبَّتْ الرِّيحُ الْجَنُوبُ إِلَّا أَسَالُ اللَّهُ بِهَا وَادِيًا».

وقال رجلٌ يمدحُ رجلاً:
فَتَى خُلِقَتْ أَخْلَاقُهُ مُطْمَئِنَّةً لَهُ نَفَاحَاتُ رِيحُهُنَّ جَنُوبُ
يريدُ أن الجنوبَ تأتي بالمطر والندى.
والعربُ تَكْرَهُ الدَّبَّورَ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأَهْلَكْتُ عَادٌ بِالدَّبَّورِ».
وقَلَّمَا يكون بالدَّبَّورِ المطرُ، لأنها تُجَفِّلُ السحابَ، ويكونُ فيها الرَّهَجُ والغَبَرَةُ. ولا تَهْبُ إِلَّا أَقْلَ ذَاكَ إِلَّا بِشِدَّةٍ. فتَكَادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتَأْتِي على الزُّرُوعِ.

[لرجل في الهجاء]

وقال رجلٌ يهجو رجلاً:

(١) ر: «في قول بعضهم».

(٢) سورة البقرة ٢٥٩.

(٣) سورة الحاقة ١٩.

(٤) سورة محمد ١٥.

(٥) سورة الأنعام ٩٠.

(٦) سورة الحاقة ٢٠.

لو كنت ريحًا كانت الدُّبُورَا أو كنت غَيْمًا لم تكن مطِيرَا
أو كنت ماءً لم تكون طهورَا أو كنت مُخًا كنت مُخَا رِيرَا

* أو كنت بَرْدًا كنت زَمَهَرِيرَا *

الرَّيْرُ: المخُّ الرقيق، يقال: مُخٌّ رَيْرٌ ورَارٌ، فى معنى واحدٍ، وقال السُّلَيْكُ:

* يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رَارٌ *

وقال آخرُ:

لو كنت ماء لم تكن بعذب أو كنت سيفًا كنت غير غضب
أو كنت لحمًا كنت لحم كلب أو كنت عيرا كنت غير ندب^(١)

[السُّلَيْكُ يرثى فرسه]

فأما قولُ السُّلَيْكِ فإنه يرثى فرسه . وكان يقال له النَّحَامُ، فقال :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ
على قَرْمَاءَ عَالِيَةً شَوَاهُ كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهِ خَمَارُ
وما يُدْرِيكَ مَا فَقَرَى إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا
ويُخْضِرُ فوق جُهْدِ الْحُضْرِ نَصًّا يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رَارُ

قوله :

* كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا *

المحارة: الصَّدَفَةُ. يريدُ المَلَّاسَةَ، وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت. والأصلُ: جمع أصيل، والأصيلُ العَشِيُّ، يقال: أصيلٌ وأصلٌ، مثل: قضيب وقَضْب، وجمع أصلُ أصل. وهو جمعُ الجمع، وتقديره: عُنُقٌ وَأَعْنَاق. وطَنُبٌ وأطْنَابٌ. ويقال فى جمع أصيلةٍ أصائل، مثلُ خَلِيفَةٍ وَخَلَائِف. قال الأعشى:

* ولا بأحسنَ منها إِذْ دَنَا الْأَصْلُ^(٢) *

(١) الندب : الخفيف السريع .

* يوما بأطيب منها نشر رائحة *

(٢) وصدده .

وقال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِي لَأَنْتَ أَلْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلَهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ

وَقَرْمَاءُ. ممدودة: اسم موضع. وشوَاهُ: قوائمه. وقد فسرناه قبلَ هذا. وقوله: «وَلَوْ أَوْ أَغَارُوا» إذا طَلَبُوا أو هَرَبُوا. وقوله: «يَصِيدُكَ» أى يَصِيدُ لك يقال: صَدَّتْكَ ظِيًّا. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١). أى كَالُوا لَهُمْ، أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ. يقال: كَلْتِكَ وَوزَنْتُكَ. لأنه قد قال تعالى أُولَا: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٢).

فأما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهبوب: «اللهم اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا»، فإن العرب تقول: لَا تَلْقَحُ السَّحَابُ إِلَّا مِنْ رِيَّاحٍ. وتصديق ذلك قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾^(٣). وقول النبي ﷺ: «إِذَا هَبَّتْ بَحْرِيَّةٌ ثُمَّ تَذَاءَبَتْ» قال الشاعر:

* تَسْحُ إِذَا تَذَاءَبَتْ الرِّيَّاحُ *

يقول: إذا تقابلت: يقال: تَذَاءَبَتْ الرِّيَّاحُ، وَتَنَاوَحَتْ، أى تقابلت، وَتَنَاوَحَ الشَّجَرُ، إذا قابلَ بعضه بعضًا، وإنما سميت النائحة نائحةً لأنها تُقابلُ صاحبَها.

فإذا خَلَصَتْ الرِّيْحُ عندهم دُبُورًا فهي من جنس البوار، وإذا خَلَصَتْ شَمَالًا شَتَوِيَّةٌ فهي من آيات الجذب. ومن ثم تقول العرب: فلا يُطْعَمُ فى الشَّمالِ، كما تقول: يُطْعَمُ فى المَحَلِّ: قال أَوْسُ بن حَجَرٍ: «وَعَزَّتْ الشَّمالُ الرِّيَّاحُ» أى غَلَبَتْها، فكانت أقوى منها، فلم تَدْعُ لها موضعًا وقوله: ﴿وَعَزَّنِي فى الخُطَابِ﴾^(٤) أى غَلَبْنِي فى المَخاطبة والخصومة، ومن أمثال العرب: «من عَزَّ بَزٌّ» وتأويله: من غَلَبَ استلب^(٥). قالت الخنساء:

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمًى يَتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزًّا

[بين غنوى وفزارى]

قال أبو العباس : وحدثنى عمرو بن بحر الجاحظُ قال : رأيتُ رجلاً من غنًى يُفَاخِرُ رجلاً من بنى فزارة . ثمَّ أحدَ بَنَى بَدْرٍ بن عمرو ، وكان الغنوى متمكناً

(٢) سورة المطففين ٢

(١) سورة المطففين ٣

(٤) سورة ص ٢٣

(٣) سورة الروم ٤٨

(٥) ر: «سلب»

من لسانه؛ وكان الفزاريُّ بكياً^(١). فقال^(٢) الغنويُّ: ماؤنا من بين البرقم إلى كذا. وهم جيراننا فيه، فنحن أقصرُ منهم رشاءً، وأعذبُ منهم ماءً، لنا ريفُ السُّهولِ ومعاقِلُ الجبالِ، وأرضهم سبخةٌ، ومياههم أملاحٌ، وأرشيَّتْهم طوآلُ، والعربُ^(٣) من عزبٍ. فبعزنا ما تخيرنا عليهم، وبذلَّهم ما رضوا منا^(٤) بالضيمِ.

وقوله: «كان الفزاريُّ بكياً» يقول: غيرَ قادرٍ على الكلام، وأصلُ ذلك في الحلبِ، يقالُ: ناقةٌ غزيرةٌ وناقةٌ بكىءٌ، وهى ضدُّ الغزيرةِ، أى قليلةُ اللبنِ، ودهينٌ وصمردٌ. فى معنى، يقالُ: بكأتِ الشاةُ والناقةُ، وبكؤت. قال الشاعرُ:

فإذا ما حارَدْتُ أو بكؤتُ فُضَّ عن خاتمِ أُخْرَى طِينِها^(٥)

وقال سلامة بن جندل:

يقولُ: مَحْبِسُها أدنى لمرْتِعِها ولو تَداعى بِكءٍ كلُّ مَحْلُوبِ^(٦)

يقولُ: إنَّ نَحْبِسَ الإبلِ على ضَرْ ونقاتلُ عنها فهو أدنى بأن تَعَزَّ فترتَعَ فيما تَسْتَقْبِلُ، وإن ذهبت ألبانُها، لأننا إن أطردناها^(٧). وهربنا طمعَ فينا واستدللنا، ويقالُ فى الكلام: رجلٌ عىَّ بكىءً.

وقال أبو العباس: وهذا الغنويُّ: إذا قابل^(٨) بقبيلته آلَ بدرٍ فقد أعظمَ الفريةَ، وبلغ فى البُهتِ، وأشمتَ العدوَّ بجمهورِ قيسٍ، وصارَ بهم إلى قول^(٩) الأخطلِ:

وقد سَرَّنَى من قَيْسٍ عَيْلانَ أننى رأيتُ بنى العَجَلانِ سادوا بنى بدرٍ

(١) ر: «بكياً». وما أثبتته عن الأصل.

(٢) ر: «قال» وما أثبتته عن الأصل.

(٣) ر: «والعرب عن عزبٍ»، س: «والعرب إذ ذاك من عزبٍ»، وما أثبتته عن الأصل.

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «عنا».

(٥) هو عدى بن زيد؛ وقيله:

ولنا باطِيفة مملوءة جونة يتبعها برزيناها

البرزين: إناء يتخذ من قشر الطلع، والحرداء فى القوائم؛ إذا مشى البعير نفث قوائمه، فضرب بهن الأرض كثيراً، وانظر اللسان ٤ : ١٢٣ . ١٨ : ١٩٦ .

(٦) ر: «وإن تداعى».

(٧) أطردناها: أمرنا بطردها. وفى ر: «طردناها».

(٨) ر: «حاول». (٩) ر: «إلى ما قال»..

وكان زيادٌ يقولُ - وهو الغايةُ في السياسة - أوصيكم بثلاثة: «العالم»^(١)،
والشريف، والشيخ. فوالله لا أوتى بوضعٍ سَبَّ شريقاً، أو شابَّ وثبَّ بشيخ، أو
جاهلٍ امتهن^(٢) عالماً إلا عاقبتُ وبالغتُ.

[لعُمارة بن عقيل يهجو بني أسد]

وقال عُمارة لبني أسدٍ بن حُزَيْمة:

يَأْيُهَا السَّائِلِي عَمْدًا لِأَخْبِرُهُ بِذَاتِ نَفْسِي وَأَيْدِي اللَّهِ فَوْقَ يَدِي
إِنْ تَسْتَقِمَّ أَسَدٌ تَرُشِدْ وَإِنْ شَغَبَتْ فَلَا يَلُمُّ لائِمٌ إِلَّا بَنَى أَسَدٌ
إِنِّي رَأَيْتَكُمْ يَعْصِي كَبِيرُكُمْ وَتَكْنَعُونَ إِلَى ذِي الْفَجْرَةِ النَّكَدِ^(٣)
فَبَاعَدَ اللَّهُ كُلَّ الْبُعْدِ دَارَكُمْ وَلَا شَفَاكُمُ مِنَ الْأَضْغَانِ وَالْحَسَدِ

فراى عصيانهم الكبير من أقبح العيب، وأدله على ضغن بعضهم لبعض.
وحسد^(٤) بعضهم بعضاً. والوضع يُنْقَلِبُ إِلَى الشَّرِيفِ؛ لَأَنَّهُ يَرَى مُقَاوَلَتَهُ فَخَرًا،
وَالْاجْتِرَاءَ عَلَيْهِ رِبْحًا. كما أن مُقَاوَلَةَ الشَّرِيفِ لِلثِّيمِ ذُلٌّ وَضَعَةٌ. قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ قَاوَلْتَ اللَّئِيمَ فَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَيْكَ الْفَضْلُ حِينَ تُقَاوَلُهُ^(٥)
وَلَسْتَ كَمَنْ يَرْضَى بِمَا غَيْرُهُ الرِّضَا وَيَسِحُّ رَأْسَ الذُّثْبِ وَالذُّثْبُ أَكَلُهُ

وَسَنُشَبِّعُ هَذَا الْمَعْنَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقَدِّمُ فِي بَابِ الْفَتْكِ. وهو:

فَلَا تَقْرَبْنِ أَمْرَ الضَّرِيمَةِ بِأَمْرِي إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَاذِلُهُ
[وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ تُرَى بِكَ نَزْوَةٌ مِنَ الرُّوعِ أَفْرَخَ أَكْثَرُ الرُّوعِ بَاطِلُهُ]^(٦)

الضَّرِيمَةُ: الْعَزِيمَةُ.

(١) ر: «بالعالم». (٢) ر: «امتنح».

(٣) تَكْنَعُونَ: تَخْضَعُونَ، وَالْفَجْرَةُ: الْفَجُورُ، وَالنَّكَدُ: اللَّثِيمُ.

(٤) ر: «وحسد» بِسُكُونِ السَّيْنِ؛ وَالصَّحْحُ مَا أُثْبِتَ عَنِ الْأَصْلِ.

(٥) ر: «يكون عليك العتب».

(٦) مَا بَيْنَ الْعِلَامَتَيْنِ مِنْ زِيَادَاتٍ ر. وَأَفْرَخَ: أَيْ أَخْرَجَ رُوعَكَ وَفَزَعَكَ.

وقد امتنع قوم من الجواب تنبلاً، ومواضعهم تُنبئُ عن ذلك، وامتنع قومٌ عيًّا بلا اعتلال. وامتنع قومٌ عَجْزاً^(١). واعتلوا بكرهه السَّفَه، وبعضهم مُعْتَلٌّ برفعة نفسه^(٢) عن خصمه، وبعضهم كان يَسُبُّ الرجلُ الرِّكِيَّ من العَشيرة فيُعْرِضُ عنه^(٣) ويسبُّ سيدَ قومه، وكانت الجاهليةُ ربما فعلته بَقَى الذُّحُول^(٤). قال الراجزُ:

إِنَّ بَجِيلاً كَلَّمَا هَجَانِي مَلْتُ عَلَى الْأَغْطَشِ أَوْ أَبَانَ
أَوْ طَلَّحَةَ الْخَيْرِ فَتَى الْفَتَيَانَ أَوَّلَاكَ قَوْمٌ شَأْنُهُمْ كَشَانِي
مَا نَلْتُ مَنْ أَعْرَاضِهِمْ كَفَانِي وَإِنْ سَكَتُ عَرَفُوا إِحْسَانِي

وقال أحدُ المحدثين:

إِنِّي إِذَا هَرَّ كَلْبُ الْحَيِّ قَلْتُ لَهُ: اسْلَمْ. وَرَبِّكَ مَخْنُوقٌ عَلَى الْجَرْرِ

قوله: «اسْلَمْ» فاستأنف بألف الوصل؛ لأن النصف الأول موقوفٌ عليه.

قال الشاعرُ:

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلِيدُنَا^(٥) الْقِدْرُ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالٍ

الْجِعَالُ: الذي تنزل^(٦) به البرمة، وربما توقيَّتْ به حرارتها.

قال الراجزُ:

لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خَلَّةٌ اتَّسَعَ الْخُفْرُ عَلَى الرَّاقِعِ

وهذا كثيرٌ غيرُ مُعَيَّبٍ.

وفى مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض^(٧) قول الأخطل:

(١) ر: «عجزوا». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) ر. س: «برفعة نفسه»، وهذه رواية الأصل.

(٣) كلمة «عنه» ساقطة من ر.

(٤) الذحول: «جمع ذحل» وهو النار.

(٥) ر: «وليدها».

(٦) ر: «الذي بوضع فيه البرمة». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٧) ر: «للتكافؤ». وما أثبتته عن الأصل. س.

شَفَى النَّفْسَ قَتَلَى مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
وَلَا جُشَمٍ شَرَّ الْقَبَائِلِ إِنَّهَا
لَوْ بَنَى ذُبْيَانُ بَلَّتْ رَمَاحُنَا
وَلَمْ يَشْفَهَا قَتَلَى غَنَى وَلَا جَسَرَ
كَيْبُضَ الْقَطَا لَيْسُوا بِسُودٍ وَلَا حُمْرٍ
لَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي وَبَاءَ بِهِمْ وَتَرَى

وقال رجلٌ من المحدثين. وهو حمدانُ بنُ أبانٍ اللاحقيُّ:

أَلَيْسَ مِنَ الْكِبَائِرِ أَنْ وَغَدًا
هَجَا عَرَضًا لَهُمْ غَضًّا جَدِيدًا
لَا مَعَذَلٍ يَهْجُو سَدُوسًا
وَأَهْدَفَ عَرَضَ وَالِدِهِ اللَّبِيسَا

وقال آخر:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ
قَوْمٌ إِذَا جَرَّ جَانِي قَوْمَهُمْ أَمْنُوا
اللُّؤْمُ دَاءٌ لَوْبَرٍ يَقْتُلُونَ بِهِ
وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَكْدًا
مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا قَوْدًا
لَا يَقْتُلُونَ بَدَاءً غَيْرَهُ أَبَدًا^(١)

وقال رجل من المحدثين^(٢):

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عَرَضُكَ دُونَهُ
فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقٌ^(٣) عَرَضِكَ إِنَّهُ
وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
عَرَضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَكِيلُ

وقال آخر:

نُبِّئْتُ كَلْبًا هَابَ رَمِيٍّ لَهُ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ هَجَوْنَاكَ أَوْ
فَعَدَّ عَنْ شَتْمِي فِلَانِي أَمْرُؤُ
يَنْبِحُنِي مِنْ مَوْضِعِ نَائِي
لَوْ بَنْتَ لِلْسَّامِعِ وَالرَّائِي
حَلَمْنِي قَلَّةُ أَكْفَائِي

(١) ر: «اللؤم».

(٢) ر: «وقال أحد المحدثين»؛ وفي الزيادات: «هو دعبل».

(٣) ز: «عقيق عرضك».

وقال آخر^(١):

فَلَوْ أَنِّي بُلِيتُ بِهَاشِمِيٍّ خَوُّوْلَتُهُ بَنُو عَبِيدِ الْمَدَانِ
صَبَرْتُ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَلَكِنْ تَعَالَى فَاَنْظُرِي بَيْنَ ابْتِلَانِي

[من أخبار ذوى الحلم]

ووقف رجل عليه مُقَطَّعَاتٌ عَلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ يَسْبُهُ - وكان عمرو بن الأَهِمِّ جعل له أَلْفَ درهم على أن يُسَقِّهَ الْأَحْنَفَ - فجعل لا يألو أن يسبّه سباً يُغْضِبُ، والأَحْنَفُ مُطْرَقٌ لا يكلمه^(٢). فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعرضُ إبهامه^(٣) ويقول: يا سَوَاتَاهُ! والله ما يمنعني من جوابي إلا هوأنى عليه!

وفعل ذلك آخرُ. فأمسك عنه الأَحْنَفُ، فأكثرَ الرجل، إلى أن أراد الأَحْنَفُ القيامَ للغداء؛ فأقبل على الرجل، فقال له: يا هذا! إن غَدَاءَنَا قد حضرَ فأنهضُ بنا إليه إن شئتَ، فإنك مُدُّ اليومَ تحذرُ بحمل ثَقَالٍ. والثَّقَالُ من الإبل: البطيءُ الثَقِيلُ الَّذِي لا يكادُ ينبعثُ.

وعُدَّتْ عَلَى الْأَحْنَفِ سَقَطَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وهو أن عمرو بن الأَهِمِّ دَسَّ إليه رجلاً ليسفّهه، فقال له: يا أبا بَحْرٍ^(٤)، ما كان أبوك في قومه؟ قال: كان من أوسطهم، لم يسدّهم، ولم يتخلّف عنهم، فرجع إليه ثانية، ففطنَ الأَحْنَفُ أنه من قبل عمرو. فقال: ما كان مالُ أبيك؟ فقال: كانت له صِرْمَةٌ^(٥) يمنح منها ويقرى، ولم يك أهِمُّ سَلاحاً^(٦).

(١) زيادات ر: «هو دَعِيل».

(٢) لفظ «لا يكلمه» ساقط من ر.

(٣) ر: «إبهامه».

(٤) ر: «أبا بحر».

(٥) الصرمة: القطعة من الإبل لم تبلغ السنين.

(٦) السلاح: كثير السبلح. يعرض بأبى عمرو.

وجُعِلَ لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه - ولم تكن في موضع مَرَضَى [إنما كانت من عترة، ثم من بنى جَلَان]^(١) - فأثاه الرجل، وهو بمصر أميراً عليها. فقال: أردت أن أعرف أم الأمير، فقال: نعم، كانت [امرأة]^(١)، من عترة. ثم من بنى جَلَان. تُسَمَّى ليلي وتلقب النابغة، اذهب فخذ^(٢) ما جُعِلَ لك.

وقال له مرة المنذر بن الجارود: أي رجل أنت لولا أمك! قال: فإني أحمدُ اللهَ إليك، إني فكرتُ فيها^(٣) البارحة. فأقبلتُ أنقلُها في قبائل العرب. فما خطرتُ لى عبد القيس ببال^(٤).

ودخل عمرو مكة فرأى قوماً من قريش قد جلسوا حلقةً، فلما رأوه رموه بأبصارهم، فعَدَلَ إليهم فقال: أَحْسِبُكُمْ كنتم في شيء من ذكري! قالوا: أجل. كنا نمثل^(٥) بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل؟ فقال عمرو: إنَّ لهشام على أربعة: أمه ابنة هشام بن المغيرة، وأمِّي مَنْ قد عَرَفْتُمْ، وكان أحبَّ إلى أبيه مني، وقد عَرَفْتُمْ معرفة الوالد بالولد، وأسلمَ قبلي، واستشهدَ وبقيتُ.

قال أبو العباس: وقد أكثر الناس في الباب الذي ذكرناه، وإنما نذكر من الشيء وجوهه ونوادره.

قال رجلٌ لرجلٍ من آل الزبير كلاماً أقذعَ له فيه. فأعرضَ الزبيرُ عنه. ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيرُ عليَّ بن الحسين. فأعرضَ عنه. فقال له الرجلُ الزبيرُ: ما يمنعك من جوابي؟ فقال علي: ما منعك من جواب الرجل!

(٢) ر: «وخذ».

(١) تكملة من الاصل. س.

(٤) ر: «على بال».

(٣) ر: «في هذا».

(٥) ر: «نمئل».

وقد روى قولُ القائل: لو قلتَ واحدةَ لسمعتَ عشرًا. فقال له: ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدة.

وقال الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسُبِّني فأجوزُ ثم أقولُ لا يعنيني

وقال رجلٌ لرجلٍ - وسبَّه فلم يلتفتْ إليه -: إياك أعنى. فقال له الرجلُ: وعنكَ أعرض.

فأما قولُ الشعبيِّ للرجلِ ما قال فمنْ غيرِ هذا الباب، وإنما مخرجه الديانةُ. وذلك أن رجلاً سبَّ الشعبيَّ بأمورٍ قبيحةٍ نسبها إليها. فقال له ^(١) الشعبيُّ: إن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك. وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي.

وقال أبو العباس: قال رجلٌ لأبي بكر الصديق رحمه الله: لأسبِّكَ سبًّا يدخلُ معك قبرك. فقال: معك والله يدخلُ لا معي.

[ويحدثُ ابنُ عائشة عن أبيه: أن رجلاً من أهل الشام دخل المدينة. فقال: رأيت رجلاً على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهًا ولا أحسنَ لباسًا ولا أفقرَ مركبًا منه. فسألت عنه. فقيل لي: الحسن بن علي بن أبي طالب. فامتألتُ له بغضًا. فصرتُ إليه. فقلتُ: أأنت ابنُ أبي طالب؟ فقال: أنا ابنُ ابنه. فقلتُ له: فيك وبك وبأبيك. أسبَّهما. فقال: أحسبك غريبًا! قلتُ: أجل. فقال: إن لنا منزلاً واسعاً، ومعوثةً على الحاجة ومالاً نؤاسي منه. فانطلقتُ وما أجدُ على وجه الأرض أحبَّ إليَّ منه] ^(٢).

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(١) ساقطة من ر .

قال أبو العباس: ويتصل بهذا الباب ذكرُ من رَغِبَ برجلٍ عن إرثِ رجلٍ لا يُشَاكِلُهُ. وولاية رجلٍ لا يشابهُهُ. قال الشاعر^(١):

بكتُ دارِ بشرٍ شَجَّوْهَا أَنْ تَبَدَّلَتْ هلالَ بنِ قَعْقَاعٍ بِبِشْرِ بنِ غَالِبٍ
وما هي إلا كالعروس تنقَلَّتْ على رَغْمِهَا من هاشمٍ في محاربٍ^(٢)

[الفَرَزْدَقُ حينَ ولى ابنَ هُبَيْرَةَ العِراقَ]

وقال الفرزدقُ حينَ ولى العِراقَ عمرُ بنَ هُبَيْرَةَ الفِزارى بَعِقبَ مَسْلَمَةَ بنِ عبدِ الملكِ^(٣):

راحتُ بِمَسْلَمَةَ البِغالِ عَشِيَّةً^(٤) فارَعَى فِزارَةً لا هَناكَ المَرْتَعُ!
ولقد علِمتُ إذا فِزارَةً أَمَرْتُ^(٥) أَنْ سَوفَ يَطْمَعُ في الإِمارةِ أَشْجَعُ^(٦)
فأَرى الأُمورَ تَنكَرْتُ أَعْلَامُهَا^(٧) حَتى أُمَيَّةٌ عَن فِزارَةٍ تُنْزَعُ
عزلَ ابنِ بِشْرِ وابنِ عَمرو قَبْلَهُ وَأخو هِراةٍ لِمَثَلِها يَتَوَقَّعُ

فلما ولى خالدُ بنَ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ على عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ. قال رجلٌ^(٨) من بنى أَسَدٍ يَجِيبُ الفَرَزْدَقَ:

عَجِبَ الفَرَزْدَقُ من فِزارَةٍ أَنْ رَأى عَنها أُمَيَّةٌ بِالمِشارِقِ تُنْزَعُ

(١) هو إسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدي؛ نسبهُ أبو تمام إليه في الحماسة ص ١٥١٣ - بشرح المرزوقي.

(٢) قال المرزوقي: شجوها. انتصب على أنه مفعول به. والشاعر يفضل بشرا على هلال؛ يقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشر لما رحل عنها وصار فيها بدلا منه هلال - بكت وتحسرت. وحق لها ذلك؛ فما هي في استبدالها إلا كعروس زوجت من بنى هاشم ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب: قبيلة فيها ضعة وخمول.

(٣) ديوانه ٥٠٨: «حين عزل عبد الملك بن بشر بن مروان عن البصرة وسعيد بن عمرو بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص عن الكوفة. وسار مسلمة من العراق إلى الشام، وولى العراق عمر بن هبيرة الفزاري». مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

(٤) الديوان:

* وَمَضَتْ لِمَسْلَمَةَ الرِّكَّابُ مَوْدَعًا *

(٥) الديوان: «لئن فزارة أمرت».

(٦) ر: «يطمع».

(٧) الديوان:

* إِنَّ الْقِيامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا *

(٨) نسبها المرصفي إلى إسماعيل بن عمار الأسدي.

أمرٌ تَضَجُّ له القلوبُ وتَفْزَعُ
فاليومَ من قسرٍ تَذُوبٌ وتَجْزَعُ
للهِ دَرٌّ ملوكنا ما تَصْنَعُ!
سَفْهًا وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وترْضَعُ

فلقد رأى عجبًا وأحدثَ بعده
بَكَتِ المنابرُ من فِزارةٍ شَجْوَهَا
وملوكُ خُذَفٍ أَسْلَمُونَا للعدى^(١)
كانوا كَتَاركةٍ بَنِيهَا جَانِبًا

[للفَرَزْدَقِ أيضًا في هَجاءِ عمرو بن هبيرة]

قال أبو العباس: وكان الفرزدقُ هَجَاءً لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق،
وفى ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك:

أَمِينٌ لستَ بالطَّبعِ الحَرِيصِ
فزارياً أَحَذَيْدَ القَمِيصِ^(٢)
وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الخَبِيصِ
ليأمنه على وَرَكِي قُلُوصِ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ بَرٌّ
أَاطَعَمْتَ العِراقَ وَرَافِدِيَه
تَفَهَّقَ بالعِراقِ أَبُو المَثْنَى
ولم يك قبلها راعِي مَخَاضِ

قوله: «لست بالطَّبعِ الحَرِيصِ». فالطبع: الشديد الطمع الذى لا يفهم لشدة طمعه. وإنما أخذ هذا من طبع السيف، يقال: طبعَ السيفُ، يا فتى! وهو سيفٌ طبع، إذا ركبه الصِّدَّا حَتَّى يُغَطِّيَ عليه. والمثلُ من هذا فى الذى طبع على قلبه إنما هو تَغْطِيَةٌ وحجابٌ. يقال: طبعَ الله على قلب فلان. كما قال جل وعز: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾. هذا الوقف. ثم قال: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(٣) وكذلك: رَيْنَ عَلَى قلبه، وغَيْنَ على قلبه؛ فالرَيْنُ يكونُ من أشياء تَأْلَفُ عليه فتغطيه. قال الله جل وعز: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤). وأما «غَيْنَ على قلبه». فهي غِشَاوَةٌ تعتريه. والغَيْنَةُ: القطعة من الشجر الملتف تُغَطِّي ما تحتها، قال الشاعر:

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتَيِ عُقَابٍ أَصَابَ حَمَامَةٌ فى يَوْمِ غَيْنٍ^(٥)

(١) ر: «ذللتنا للعدى».

(٢) ر: «أطعمت». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٣) سورة البقرة ٧. وفى ر: «طبع الله على قلوبهم». وهو مخالف للتلاوة.

(٤) سورة المطففين ١٤.

(٥) نسبة المرصفي إلى رجل من تغلب يصف فرسا. وذكر قبله:

وقال بعضهم: أرادَ في التفاف من الظُّلْمَة. وقال آخرون: أرادَ في يوم غيم. فأبدل من الميم نونًا. لاجتماع الميم والنون في الغنة. كما يقال للحية: أيم. وأين. واستجازت الشعرَاءُ أن تجمعَ الميم والنونَ في القوافي. لما ذكرتُ لك من اجتماعهما في الغنة. قال الراجز:

بُنِيَ إِنْ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ الْمَنْطِقُ اللَّيْنُ وَالطَّعْمُ
وقال آخر^(١):

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ مِنِّْي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثُ سِنِّي^(٢)

* لِمِثْلِ هَذَا وَلَكِدْتَنِي أُمِّي *

والعِرَاقَانِ: البصرة والكوفة. والِرَافِدَانِ: دجلة والفرات.

وقوله: «أَحَذَّ يَدَ الْقَمِيصِ»، الْأَحَذُ: الخفيف. قال طرفة:

* وَأَتْلَعُ نَهَاضٌ أَحَذً: مُكَلَّمٌ *^(٣).

وإنما نَسَبَهُ بِالْخَفَةِ فِي يَدِهِ إِلَى السَّرَقَةِ^(٤).

وقوله: «تَفَهَّقَ»، أَيْ امْتَلَأَ مَالًا^(٥). يقال: بَثَرَ تَفَهَّقٌ. وَغَدِيرٌ يَفْهَقُ، إِذَا امْتَلَأَ مَاءً. قال الراجز:

لَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ لِلْقَوْمِ اسْتَقُوا وَالْقَوْمُ فِي عُرْضِ غَدِيرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشى في مدحه المحلق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب:

نَفَى الدَّمَ عَنْ رَهْطِ الْمَحْلَقِ جَفْنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

= فِدَاءُ خَالَتِي وَفِدَا صَدِيقِي وَأَهْلِي كُلُّهُمْ لَبَنِي قُوعَيْنِ
فَأَنْتَ حَبَوْتَنِي بِعَنَانٍ طَرَفٍ شَدِيدِ الشَّدْ ذِي بَذَلٍ وَصَوْنٍ

(١) نقل المِرْصَفِيُّ عَنْ ابْنِ سِيدِهِ. أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ.

(٢) الْبَازِلُ مِنَ الْإِبِلِ: مَا اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّامِنَةَ. وَطَعَنَ فِي التَّاسِعَةِ. فَإِذَا جَاوَزَ الْبَزُولَ قَبِيلَ بَازِلٍ عَامٍ أَوْ عَامِينَ؛ وَكَذَلِكَ مَا زَادَ؛ فَإِذَا قِيلَ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ فَإِنَّهُ يَرَادُ اسْتِكْمَالُ شَبَابِهِ. قَالَهُ الْمِرْصَفِيُّ.

(٣) رَوَايَةُ الْبَيْتِ بِتَمَامِهِ. كَمَا فِي دِيْوَانِهِ (٥٦ - مَجْمُوعَةُ الْعُقَدِ الثَّمِينِ).

وَأَرَوَعُ نَبَاضٌ أَحَدٌ مُكَلَّمٌ كِمِرْدَاةٍ صَخْرٍ مِنْ صَفِيحٍ مُصَمَّدٍ

(٤) ر: «السرق».

(٥) ر: «ماء».

هكذا فى رواية أبى عبدة.

وقوله:

ولم يك قبلها راعى مخاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِي قُلُوصِ

كانت بنو فزارة تُرمى بغشيان الإبل. ولذلك قال ابن دارة:

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

[الفَرَزْدَقُ أَيضًا فِي حَبْسِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ]

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق:

لَعُمْرَى لئن نابت فَزَارَةٌ نَوْبَةً لَمَنْ حَدَّثَ الْأَيَّامَ تَحْبِسُهَا قَسْرُ
لَقَدْ حَبَسَ الْقَسْرَى فِي سَجْنٍ وَاسِطٍ فَتَى شَيْظَمِيًّا مَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ
فَتَى لَمْ تَرْبِهِ النَّصَارَى وَلَمْ يَكُنْ غِذَاءً لَهُ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْخُمُرُ

قوله: (١) فتى شَيْظَمِيًّا. الشَّيْظَمِيُّ: الطويل. قال ذو الرُّمَّة:

إِذَا مَا رَمَيْنَا رَمِيَّةً فِي مَفَازَةٍ عَرَّاقِيْبِهَا بِالشَّيْظَمِيِّ الْمَوَاشِكِ (٢)

يريدُ حاديًّا يَسوقُها، وقوله: «مَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ». يقول: ما يُحرِّكه.

وقوله: «فَتَى لَمْ تَرْبِهِ النَّصَارَى» يُنبِّه به على أمِّ خالد، وكانت نصرانيةً روميةً، وكان أبوه استلبها فى يوم عيد للروم، فأولدها خالدًا وأَسَدًا، ولذلك يقول الفرزدق:

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهَرَ مَطِيَّةٍ أَتْنَا تَهَادَى مِنْ دَمَشَقَ بِخَالِدٍ
وَكَيْفَ يَوْمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ!
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ وَيَهْدُمُ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ

وقال:

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ وَأَصْحَابِهِ لَا طَهَّرَ اللَّهُ خَالِدًا
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ بَغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَ

(٢) ديوانه ٤٢٦ . والمواشك: السريع.

(١ - ١) ساقط من ر .

وكان سببُ هدمِ خالدِ مَنَارِ المساجدِ حتى حَطَّها عن دُورِ الناسِ أَنَّهُ بلغه شعرُ
لرجلٍ من الموالى . موالى الأنصار . وهو :

لِيتَنى فى المُوَدَّنِينَ حَيَاتِي ، إِنَّهُمْ يُصِرُّونَ مَنْ فى السُّطُوحِ
فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْهَوَى كُلِّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

فحطَّها عن دُورِ الناسِ . ويُرَوَّى عنه فيما رُوى من عَثْوِهِ أَنَّهُ اسْتَعْفَى من بيعَةِ
بناها لأمِّه . فقال لِمَلَأِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : قَبِحَ اللَّهُ دِينَهُمْ ، إِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ ! .

[للفَرَزْدَقِ عَنَدَ هِرُوبِهِ مِنْ سَجْنِ ابْنِ هُبَيْرَةَ]

وقال الفرزدقُ لابنَ هُبَيْرَةَ حينَ^(١) نُقِبَ لَهُ السَّجْنُ وهَرَبَ ، فسارَ^(٢) تحتِ
الأرضِ هو وابنه حتى نَفَذَا^(٣) :

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا
دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَ مَا ثَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلَمَاتٍ فَفَرَجًا
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سَرْتَ سِيرَةً وَمَا سَارَ سَارَ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا^(٤)
خَرَجْتَ وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ طَلَاكَةً سَوَى رَبِّدِ التَّقْرِيبِ مِنْ نَسْلِ أَعُوجَا^(٥)

فقال ابنُ هُبَيْرَةَ : مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنَ الْفَرَزْدَقِ ! هَجَانِي أَمِيرًا . ومدحَنِي
أَسِيرًا .

قَوْلُهُ : « حَيْثُ أَدْلَجَا » . تقولُ : أَدْلَجْتُ ، إِذَا سَرْتَ فِي^(٦) أَوَّلِ اللَّيْلِ .
وَأَدْلَجْتُ ، إِذَا سَرْتَ مِنْ آخِرِهِ فِي السَّحَرِ . قال زُهَيْرٌ :

(١) ر : « حَيْث » .

(٢) ر : « وسار » .

(٣) وانظر أيضا خبر هذه الأبيات بتفصيل أوسع فى الديوان ١٤١ .

(٤) ر : « حَيْثُ أَدْلَجَا » . وهذه رواية الأصل والديوان .

(٥) ر : الديوان : « مِنْ آلِ أَعُوجَا » .

(٦) ر : « مِنْ » .

بَكَرْنَ بُكُورًا وَادَّلَجْنَ بِسُحْرَةٍ فَهِنَّ لَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
وَأَعْوَجُ فَرَسٌ كَانَ لَغْنِيٌّ، وَقَالُوا: كَانَ لِبْنِي كِلَاب. وَلَا يُنْكِرُ هَذَا. لِأَنَّ
خَبِيَّةَ^(١) بِنْتَ رِيَّاحِ الْغَنَوِيَّةِ وَلَدَتْ بَغْيَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَاب. فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ صَارَ إِلَى
بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ مِنْ غَنَىٍّ.

وَالْعَرَبُ تُنْسَبُ الْخَيْلَ الْجَيَادَ إِلَى أَعْوَجَ، وَإِلَى الْوَجِيهِ، وَلَا حِق. وَالْغَرَابِ.
وَالْيَحْمُومِ. وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْخَيْلَ مِنَ الْمُتَقَدِّمَاتِ. قَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَأٍ وَسَلَمَى تَخَبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذَّنَابِ^(١)
جَلَبْنَا كُلَّ طَرَفٍ أَعْوَجَى وَسَلَهَبَةٍ كَخَافِيَةِ الْعُقَابِ^(٢)

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى التَّشْبِيهِ الْمَصِيبِ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ:
كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلٍ
فَهَذَا فِي ثَبَاتِ اللَّيْلِ وَإِقَامَتِهِ. وَالْمَصَامُ: الْمَقَامُ. وَقِيلَ لِلْمَمْسِكِ عَنْ
الطَّعَامِ: صَائِمٌ، لِثَبَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَيُقَالُ: صَامَ النَّهَارُ إِذَا قَامَتِ الشَّمْسُ. قَالَ
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

فَدَعَهَا وَسَلَّاهُمْ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

وَقَالَ النَّابِغَةُ:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا
وَالْأَمْرَاسُ: جَمْعُ مَرَسٍ. وَهُوَ الْحَبْلُ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ يَرِثِي غَلَامَهُ وَيَذْكُرُ
تَعَرُّضَهُ لِلْحَرْبِ^(٤):

إِمَّا تُقَارَنُ بِكَ الرَّمَّاحُ فَلَا أَبْكِيكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ^(٥)

(١) ر: « خبيبة ». وما أثبتته عن الأصل.

(٢) النزاع: جمع نزيعة، وهي التي تنزع إلى وطنها وتحن إليه.

(٣) السلهية، والسلهب أيضا الفرس الطويل.

(٤) ر: « وتعرض للحرب فقتل ».

(٥) ر: « إما تعلق ». وما أثبتته رواية الأصل. س.

وقال فى ثبات الليل :

فِيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بكل مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَبْذُلُ
الْمُغَارُ: الشَّدِيدُ الْفَتْلِ. يُقَالُ: أَغْرَتُ الْحَبْلَ. إِذَا شَدَدْتَ فَتْلَهُ. وَيَبْذُلُ: جَبَلٌ
بَعِينُهُ.

وقال أيضًا :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينَ وَدَقَّهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
أَبَانٌ جَبَلٌ. وَهُمَا أَبَانَانِ: أَبَانُ الْأَسْوَدِ. وَأَبَانُ الْأَبْيَضِ، قَالَ الْمُهْلَهُلُ^(١) - وَكَانَ
نَزَلَ فِي آخِرِ حَرْبِهِمْ - حَرْبِ الْبَسُوسِ - فِي جَنْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُلَّةَ بْنِ جَلْدِ بْنِ
مَالِكٍ، وَهُوَ مَذْحِجٌ. وَجَنْبٌ حَيٌّ مِنْ أَحْيَائِهِمْ وَضِيعٌ - فَخُطِبَتْ ابْنَتُهُ وَمُهِرَتْ أَدَمًا.
فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْامْتِنَاعِ، فَزَوَّجَهَا، وَقَالَ:

أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمُ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ^(٢)
لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرَجَ مَا أَنْفَ خَاطِبٍ بَدَمَ

وقوله: «فى أفانين ودقه» يريد ضروباً من ودقه. والودق: المطر. قال الله
تبارك وتعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾^(٣).

وقال عامر بن جوين الطائى :

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا
وقوله:

* كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ *

يريدُ مُزْمَلًا بِشِيَابِهِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ لَيْلًا إِلَّا
قَلِيلًا﴾^(٤). وَهُوَ الْمُتَزَمِّلُ. بِشِيَابِهِ^(٥) وَالتَّاءُ مَدْغَمَةٌ فِي الزَّأَى. وَإِنَّمَا وَصَفَ

(١) ر: «مهلهل».

(٢) الْأَرَاقِمُ: قِبَاطِلُ مِنْ تَغْلَبَ؛ وَيُرِيدُ بِالْحَبَاءِ هُنَا الْمَهْرَ. وَالْأَدَمُ: الْجِلْدُ.

(٣) سُورَةُ النُّورِ ٤٣.

(٤) سُورَةُ الزَّمَلِ ١، ٢.

(٥) سَاقِطَةٌ مِنْ ر.

امروُ القيس الغيثَ . فقال قومٌ: أراد أنَ المطر قد حنقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل .

وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطرُ من خضرة النبت . وكلاهما حسنٌ، وذكر الودقُ لأن تلك الخضرة من عمله .

وقال الراجزُ يصفُ غيمًا:

أقبلَ في المِسْتَنِّ من رَبَابِهِ أَسْنِمَةُ الآمالِ في سَحَابِهِ
أراد أن ذلك السحابَ يَنْبُتُ ما تأكله الإبل ، فتصيرُ شحومها في أسنمتها .
والرَبَابُ سحابٌ دُوَيْنَ الْمُعْظَمِ من السحاب ، قال المازني^(١):
كَأَنَّ الرَبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ يُعَلِّقُ بِالْأَرْجُلِ
وقوله جل وعزَّ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعَصِرُ خَمْرًا﴾^(٢) أى أعصرُ عنبًا فيصيرُ إلى هذه الحال .

وقال زهيرٌ:

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَاطَمِ
الفنأ: شجرٌ بعينه ، يثمرُ ثمرًا أحمرَ ثم يتفرقُ في هيئة النبق الصغار . فهذا من أحسن التشبيه . وإنما وصف ما يسقطُ من أنماطهنَّ إذا نزلنَ .
والْعِهْنُ: الصوفُ الملونُ في قول أكثر أهل اللغة . وأما الأصمعيُّ فقال: كلُّ صوفٍ عهنٌ . وكذلك قال أهل اللغة: الحنتمُ الحزفُ الأخضرُ . وقال الأصمعيُّ: كلُّ خزفٍ حنتمٌ . قال القرشيُّ^(٣):
مَنْ مُبْلَغُ الْحَسَنَاءِ أَنَّ حَلِيلَهَا بِمِيسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنَمِ

(١) نقل المصنف من الأغاني أنه زهير بن عروة بن جلهمة .

(٢) سورة يوسف ٣٦ .

(٣) نسبة المصنف إلى النعمان بن عدى بن نضلة .

وقال جرير :

ما فى مقام ديار تغلب مسجداً وبها كنائس حثمت ودنان

والتشبيه جار كثير فى كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد.

قال الله عز وجل وله المثل الأعلى: ﴿الزُّجَّاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾^(١). وقال: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢). وقد اعترض معترض من الجهلة المُلحدِين، فى هذه الآية. فقال: إنما يمثُلُ الغائبُ بالحاضر، ورءوس الشياطين لم نَرها، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها!

وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٣). وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين^(٤). أحدهما أن شجرة يقال له الأستن^(٥). منكر الصورة يقال لثمره: رءوس الشياطين، وهو الذى ذكره النابغة فى قوله:

* تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنْ سُدَّ أَسَافِلُهُ *^(٦).

وزعم الأصمعى أن هذا الشجر يسمى الصَّومَ.

والقول الآخر - وهو الذى يَسْبِقُ إلى القلب - أن الله جلَّ ذكره شَنَّ صورةَ الشياطين فى قلوب العباد. فكان^(٧) ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثَّلَ هذه الشجرة بما تنفَّر منه كل نفس.

(١) سورة النور ٣٥.

(٢) سورة الصافات ٦٥.

(٣) سورة يونس ٣٩.

(٤) ر: «فى ضربين». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٥) نقل المرفعى عن أبى حنيفة الدينورى أن الأستن شجر يفسو فى منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخص الناس.

(٦) بقيته :

* مثل الإمام الغوادى تحمل الحزما *

(٧) ر: «وكان».

[حديث أبي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك]

قال أبو العباس: وحدثت في إسناده متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشاماً^(١):

* والشمس قد صارت كعين الأحول *

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام، فأغضبه، فأمر بطرده. فطرد^(٢). فأقل أبو النجم رجعت. فكان^(٣) يأوى المسجد^(٤)، فأرق هشام^(٥) ذات ليلة فقال لحاجبه: أبغني رجلاً عربياً فصيحاً يحادثني وينشدني. فطلب له ما طلب، فوقف على أبي النجم، فأتى. فلما دخل به إليه قال: أين تكون منذ أقصيناك؟ قال: بحيث ألفتني رسلك، قال: فمن كان أبا مثواك؟ قال: رجلين: كلبياً وتغليياً. أتعدى عند أحدهما. وأتعشى عند الآخر. فقال له: مالك من الولد؟ قال: ابتان. قال: أزوجتهما؟ قال: زوجت إحداهما. قال: فيم أوصيتها؟ قال: قلت لها ليلة أهديتها:

سُبَى الحماة وابهتني عليها وإن آبت فإزدلني إليها
ثم أفرعى بالود مرفقيها^(٦) وجددي الحلف به عليها

* لا تخبرى الدهر بذاك ابنيها *

قال: أفأوصيتها بغير هذا؟ قال: نعم، قلت:

أوصيت من برة قلباً حراً بالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسأمني نهكا لها وضراً والحي عميهم بشر طراً
وإن كسوك ذهباً ودراً حتى يروا حلو الحياة مراً

(١) ر: «هشام بن عبد الملك». من أرجوزته التي مطلعها.

* الحمد لله العلي الأجلل *

(٢) ر: «وكان».

(٣) ر: «أرق هشام ليلة».

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «المسجد».

(٦) الود: الولد.

قال هشامٌ : ما هكذا أوصى بعقوبُ ولده، قال أبو النجم : ولا أنا
 كيعقوبَ، ولا بنتى كولده. قال : فما حالُ الأخرى؟ قال : قد درَجَتْ بين بيوت
 الحى، وتنفعنا^(١) فى الرسالة والحاجة. قال : فما قلتَ فيها؟ قال : قلتُ :

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أَخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
 الرَّأْسُ قَمْلٌ كُلُّهُ وَصُئْبَانُ وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ

* فَهِيَ الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

قال : فقال هشامٌ : يا غلام^(٢)، ما فعلتِ الدنانير المختومة التى أمرتك
 بقبضها؟ قال : ها هى عندى، ووزنها خمسمائة. قال : فادفعها إلى أبى النجم
 ليجعلها فى رِجْلِ^(٣) ظَلَامَةَ مَكَانِ الْخَيْطَيْنِ، أَفَلَا تَرَاهُ قال :

* فَهِيَ الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

وإن لم يره. لما قَرَّرَ فى القلوب من نكارتِه وشناعته! وقال آخرٌ :
 وَفِي الْبَقْلِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ شَرَّهُ شَيَاطِينُ يَعَدُّو بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ
 وَزَعَمَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ كُلَّ مُتَمَرِّدٍ مِنْ جِنٍّ أَوْ إِنْسٍ أَوْ سَيْعٍ^(٤) أَوْ حِيَةٍ^(٥) يُقَالُ لَهُ
 شَيْطَانٌ. وَأَنَّ قَوْلَهُ : «تَشَيْطَنَ» إِنَّمَا مَعْنَاهُ تَخَبَّثَ وَتَنَكَّرَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ :
 ﴿شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٥). قال الراجز :

أَبْصَرْتُهَا تَلْتَهُمُ الثُّغْبَانَا شَيْطَانَةٌ تَزَوَّجَتْ شَيْطَانًا

وقال امرؤ القيس :

أَتَوَعِدُنِي وَالْمُشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةَ زُرْقٍ كَأَبْيَابِ أَعْوَالِ!

والغولُ : لَمْ يَخْبِرْ صَادِقٌ قَطُّ أَنَّهُ رَأَاهَا.

ثم نرجعُ إلى تفسير شعر أبى النجم^(٦) :

(١) ر : «ونفعتنا» . (٢) ر : «الحاجيه» .

(٣) ر : «رجل» . (٤) ساقطة من ر .

(٥) سورة الأنعام ١١٢ . (٦) ر : «وأقول أبى النجم» .

قوله: * سَبَى الحِمَاةَ وَابْهَتَى عَلَيْهَا *

إنما يريد: ابهتتها، فوضع «ابهتتى» فى موضع «اكذبى» فمن ثم وصلها بـ «على».

والذى يستعمل فى صلة الفعل اللام، لأنها لام الإضافة، تقول: «لزيد ضربتُ» و «لعمرو أكرمتُ» والمعنى: عمراً أكرمتُ، وإنما^(١) تقديره: إكرامى لعمرو. وضربى لزيد. فأجرى الفعل مجرى المصدر، وأحسن ما يكون ذلك إذا تقدم المفعول. لأن الفعل إنما يجىء وقد عملت اللام. كما قال الله جل وعز: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّوْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٢). وإن أخر المفعول فهو عربى^(٣) حسن. والقرآن محيط بجميع^(٤) اللغات الفصيحة، قال الله جل وعز: ﴿وَأَمَرْتُ لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥) والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ﴾^(٦): إنما هو: رَدَفَكُمْ. وقال كثير:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثلى لى لىلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع، قال الله جل ذكره: ﴿وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾^(٧)، أى «على» ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت «فى». لأنها للوعاء. يقال: «فلان فى النخل». أى قد أحاط به. قال الشاعر^(٨):

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِىَّ فِى جُذُعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

وقال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾^(٩) أى عليه. وقال تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١٠)، أى: بأمر الله. وقال ابن الطثرية:

(١) ر: «فإنما» . (٢) سورة يوسف ٤٣ .

(٣) ر: «فعربرى» . (٤) ر: «بكل» .

(٥) سورة الزمر ١٢ . (٦) سورة النحل ٧٢ .

(٧) سورة طه ٧١ .

(٨) هو سويد بن أبى كاهل. اللسان ٤: ٢٦٧ . وبأجدع. أى بأنف أجدع.

(٩) سورة الطور ٣٨ . (١٠) سورة الرعد ١١ .

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا
رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَتَرَفَعَا
وقال الآخر :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَمَّ خَمْسُهَا
تَصِلُ عَنْ قِيَضِ بَزِيَاءٍ مَجْهَلٍ (١)
أى من عنده .
وقال العامري (٢) :

إِذَا رَضِيَتْ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ
لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا
وهذا كثيرٌ جداً .

وقوله : * وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلِّفِي إِلَيْهَا *

يقول : تقربى ، ومن ذا سُمِّيَتْ المزدلفةُ ، قال العجاج :

نَاجَ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا
طَى اللَّيَالِي زُلْفًا فَزُلْفَا

* سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى أَحْقَوْقَفَا *

يقال (٣) : زُلْفَةٌ وَزُلْفٌ . كقولك : غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ .

وقوله : * بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحِمَاةَ شَرًّا *

كلامٌ مَعِيبٌ عِنْدَ النَحْوِيِّينَ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُجِيزُهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ (٤) عَطَفَ عَلَى
عَامِلَيْنِ . عَلَى الْبَاءِ (٥) وَعَلَى الْفِعْلِ . وَمِنْ قَالَ هَذَا قَالَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا فِي الدَّارِ ،
وَالْحَجَرَةَ عَمْرًا .

قال أبو العباس : وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ : «وَإِخْتِلَافَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصَرِّيفِ

(١) لمزاحم العقيلي فى وصف القطا، اللسان ١٣ : ٤٠٦ . وقال فى شرحه : «قال ابن السكيت فى قوله :

«من عليه» : من فوقه . يعنى من فوق الفرخ . ومعنى : «تصل» ، أى هى يابسة من العطش»

(٢) حاشية الأصل : «هو القحيف العقيلي» .

(٣) ر : «تقول» .

(٤) ر : «وذاك أنه» .

(٥) ر : «بالباء» .

الرِّيَّاحِ آيَاتٌ^(١). فعطف على «إنَّ» وعلى «فى» وقال عدى بن زيد:
 أَكَلَّ امْرِئٌ تَحْسِبِينَ امْرَأً وَنَارٌ تَوْقَدُ بِاللَّيْلِ نَاراً
 فعطف على «كلَّ» وعلى الفعل.
 وأما قوله:

* غَدَتُ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ خَمْسُهَا *
 فالخمسُ: ظمءٌ من أَظْمَأْتُهَا، وهو أن تَرَدَّ ثم تُغَبَّ ثلاثاً. ثم تَرَدُّ. فَيُتَدُّ
 بِيَوْمَى وَرَدِّهَا مَعَ ظَمِّهَا. فيقال: خمسٌ، والرَّبعُ كَحَمَى الرَّبْعِ.
 وقوله: «تَصِلُ» أَيْ تَسْمَعُ لِأَجْوَاهِهَا صَلِيلًا مِنْ يُبْسِ الْعَطَشِ، يقال: المسمار
 يَصِلُ فِي الْبَابِ إِذَا أَكْرَهَ فِيهِ. قال جريرٌ يَخَاطِبُ الزُّبَيْرَ بَمَرْثِيَّتِهِ فِي هَجَائِهِ الْفَرَزْدَقِ:
 لَوْ كُنْتَ حِينَ غُرِرْتَ بَيْنَ يُّوتَنَا لَسَمِعْتَ مِنْ وَقَعِ الْحَدِيدِ صَلِيلًا
 ويقال للحمار: الْمَصْلَصِل. إِذَا أَخْرَجَ صَوْتَهُ مِنْ جَوْفِهِ حَادًّا خَفِيًّا.
 قال الأعشى:

عَتَرِيسٌ تَعْدُو إِذَا حُرِّكَ السَّوْ طُ كَعَدُو الْمَصْلَصِلِ الْجَوَّالِ^(٢)

وقال المفسرون فى قوله عز و جل : ﴿مَنْ صَلَّاهُ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٣).
 قالوا^(٤): هو الطين الذى قد جَفَّ، فإذا قَرَعَهُ شَيْءٌ كَانَ لَهُ صَلِيلٌ. وتفسير ذلك
 عند العربِ التَّقْنُ^(٥) الذى يذهب عنه الماءُ فى الغدرانِ فيَتَشَقَّقُ ثم يَبْسُ.
 والقَيْضُ: قَشْرُ الْبَيْضَةِ^(٦) الأعلى، والذى يَلْبَسُ الْبَيْضَةُ فَيَكُونُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ
 قَشْرِهَا الْأَعْلَى. يقال له: الغَرْقِيُّ. يقال: ثوبٌ كَأَنَّهُ غَرْقِيٌّ الْبَيْضُ^(٧).
 والزِّيَءُ: ما ارتفعَ من الأرض: وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة والنكرة، إذا
 كان لمذكر. كالْعِلْبَاءِ وَالْحَرْبَاءِ، وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مُفَسَّرًا، على أَنَّ
 قد استقصيناه فى الكتابِ (المَقْتَضَبِ).

(١) سورة الجاثية ٥. بنصب «آيات». وهى قراءة حمزة والكسائى والباقون بالرفع وانظر الكشف ٤ : ٢٢٥.

(٢) ديوانه ٨ قال فى شرحه: «عتريس: صلبة قوية، أخذته بالعندسة. إذا أخذته بالجفاء والغلط، والمصلصل:

الصابى الصوت: قال: وليس هذا بالوصف الجيد».

(٣) سورة الحجر ٢٦. (٣) ر: «قال».

(٤) التقن: اسم للطين الذى يذهب عنه الماء.

(٦) ر: «البيض».

(٧) ر: «بيض».

والمَجْهَلُ: الصحراء التي يُجْهَلُ فيها، فلا يُهْتَدَى لسبيلها.

ويقال للشيء إذا غَبَّ وتغيرت رائحته. صَلَّ وَأَصْلَّ. فهو صالٌّ ومُصَلٌّ
ويقال: نَنَ وَأَنْتَن. ويقال: خَمَّ وأَخَمَّ. وذاك إذا كان مستورا حتى يَفْسُدَ. ويقال إذا
عَتَقَ اللحم فتغير: خَنَزَ وخَزَنَ. وبيتُ طَرْفَةٍ أحسنُ ما يُنْشَدُ:

ثم لا يَخْنَزُ فينا لَحْمُهَا إنما يَخْنَزُ لَحْمُ المَدَّخِرِ

ويقال لرب البيت وربة البيت اللذين ينزل بهما الضيف: هي أُمُّ مَثَوَاهُ. وهو
أبو مَثَوَاهُ. وأنشد أبو عبيدة:

مِنْ أُمِّ مَثَوَى كَرِيمٍ قَدْ نَزَلَتْ بِهَا إِنَّ الكَرِيمَ عَلَى عِلاتِهِ يَسْعُ
وفى كتاب الله جل وعز: ﴿أَكْرَمَى مَثَوَاهُ﴾ معناه عند العرب إضافته.

ومن التشبيه المطرد على أَلْسِنَةِ العرب ما ذكروا فى سَيْرِ الناقَةِ وحركة
قوائمها، قال الراجز:

كَأَنُهَا لَيْلَةُ غَبِّ الْأَزْرَقِ وقد مددنا باعها للسُّوقِ

* خَرَقَاءُ بَيْنَ السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي *

قوله: «ليلة غَبِّ الْأَزْرَقِ»، إنما يعنى موضعاً، وأَحْسِبُهُ ماءً، لأنهم يقولون:
نَطْفَةُ زَرْقَاءُ. وهى الصافية، قال زهير:

فَلَمَّا وَرَدْنَا المَاءَ زُرُقًا جَمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ (١)
وقال آخر:

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخِيَمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ المَاءِ زُرُقٍ مُحَافِرُ
وقوله:

وقد مددنا باعها للسُّوقِ

(١) ديوانه ١٣ : الحمام : ما اجتمع من الماء الواحدة جم وجمة، وضعن. أى أقمن، والحاضر. الذين
حضرُوا الماء. والمتخيم. المقيم (من شرح الديوان).

يقول: استفرغنا ما عندها في^(١) السَّير. يقال: تَبَّوعَتْ وَابْتَاعَتْ، إِذَا مَدَّتْ بِاعِهَا.

وقوله: خرقاءُ بين السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي

يقول: لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذفها بالصعود.

وقال الآخر:

كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ نَقَّجَعُ تَبْكِي بِشَجْوٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ^(٢)

وقال الشَّماخُ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةً بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعَذَّرَا^(٣)
 مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ فَرَّاشَ بْنَ غَنَمٍ أَوْ لَقِيطَ بْنَ يَعْمَرَ^(٤)
 بِهَا شَرْقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرِّدَاءَ الْمُحِبَّرَا^(٥)
 تَقُولُ وَقَدْ بَلَ الدُّمُوعُ خِمَارَهَا أَبِي عَفَّتِي وَمَنْصَبِي أَنْ أُعَيَّرَا
 كَأَنَّ بِذِفْرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ أَكْفَ رَجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبَرَا
 كَأَنَّ ابْنَ أَوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرْضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمَ بَنَائِيهِ ظَفَّرَا

شَبَّهَ يَدَيْهَا بِيَدَيِ مُدَلَّةٍ بِجَمَالٍ وَمَنْصَبٍ قَدْ سَابَتْ وَأَقْبَلَتْ تَعْتَذِرُ وَتَشِيرُ
 بِيَدَيْهَا. فَوَصَفَ جَمَالَهَا الَّذِي بِهِ تُدَلُّ؛ وَمَنْصَبُهَا الْمُتَصِلَ بِمَنْ ذَكَرَتْهُ.
 وقوله :

* أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرِّدَاءَ الْمُحِبَّرَا *

(١) ر : «من السير». (٢) ر : «لشجو».

(٣) ديوانه ٢٩ . قال في شرح الديوان: شبه ذراعها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقوله: «بعيد السباب». أي في عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس.

(٤) قال في شرح الديوان: «البیض: جمع بیضاء . وهي نقية العرض من الدنس . والأعطاف: الجوانب واتصلت: انتسبت؛ وفراس: رجل عزيز. بالفتح. وهو ابن تغلب . ولقيط بن يعمر رجل أيضا عزيز. و «أو» بمعنى الواو. أي أنها شريفة النسب. فهي لا تقصر عن نفى ما رميت به».

(٥) الديوان: «لها شرق». والشرق: الضمخ. وأطارت: رمت. والمحبر: المزين. أي أنها مدلة بجمالها فلا تختمر فستور شيئا عن الناظر؛ لأنها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها. (من شرح الديوان).

يقول: هي مُدَلَّةٌ بجمالها. فلا تَحْتَمِرُ فَتَسْتَرَّ شَيْئًا عن الناظر. لأنها تَبْهَجُ بكل ما في وجهها ورأسها.

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبى ربيعة المخزومى حيث يقول:

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ وَجُوهَ زَهَاها الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
تَبَالَهْنَ بِالْعُرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي وَقَلْنَ أَمْرُؤُ بَاغٍ أَكَلَّ فَأَوْضَعَا
وَقَرَّبَنِ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَقْتَلِ يَقْسِ ذُرَاعًا كُلَّمَا قَسْنِ إصْبَعَا
[فَقُلْتُ لِمُطَرِّبِهِنَّ وَيَحْكُ إِنَّمَا ضَرَرَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا] (١)

قوله:

كَأَنَّ بَذْفَرَاهَا مَنَادِيلُ فَارَقَتْ أَكْفُ رَحَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبَرَا (٢)

يقول: لسَوَادِ الذَّفْرَى. وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعْقَدًا أَوْ عَيْنِيَّةً عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا مِنَ اللَّيْتِ وَاكِفُ (٣)

وهذا معنى يُسألُ عنه لأن اللَّيْتَيْنِ صَفَحَتَا الْعُنُقِ. وَالذَّفْرَى فِي أَعْلَى الْقَفَا، فَكَيْفَ يَكْفُ عَلَى الذَّفْرَى مِنَ اللَّيْتِ! وَالْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعْقَدًا أَوْ عَيْنِيَّةً وَاكِفٌ عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا.

وقوله: «من الليت» كقولك: كموضع دجلة من بغداد، إنما هو للحدِّ بينهما، لا أنه وكَفَ من شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ.

وأما قوله:

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرَضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمِ بَنَائِيهِ ظَفَرَا (٤)

يقول: لَيْسَتْ تَسْتَقِرُّ. فَكَأَنَّ ابْنَ آوَى يَكْلِمُهَا بَنَائِيهِ أَوْ يَخْلِبُهَا بِظَفَرِهِ. فَهِيَ لَا تَسْتَقِرُّ. وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) الذفري: من نصف المقذ إلى أصول الأذنين. وقارفت: قاربت. وبعصرون الصنوبر: يستخرجون ما فيه. (من شرح الديوان).

(٣) زيادات ر «الكحيل: القطران. والعنية: ضرب منه».

(٤) موثق: مكتوف. ويكلم: يجرح. وظفر: أصابها بأظفيره..

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا تَحْتَ غَرَضَتِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنْزِيرٌ^(١)
وَالْغَرَضُ وَالْغَرَضَةُ وَاحِدٌ. وَهُوَ حَزَامُ الرَّحْلِ.

وقال آخر:

كَأَنَّ ذُرَاعِيْهَا ذُرَاعَا بَذِيَّةٍ مُفَجَّعَةٌ لَاقَتْ خَلَائِلَ عَنْ عَفْرِ^(٢)
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَفْرَغَتْ فِي حَدِيثِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى

[قال أبو العباس: أنشدنيهما عبد الصمد بن المعذل. وأنشدني سعيّد بن سلّم]^(٣). ولو قيل إن هذا من أبلغ ما قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بعيداً. وصَفَّها بأنها بَذِيَّةٌ وقد فُجِعَتْ بما أَسْمَعْتُ ونيل منها؛ ولقيَتْ خَلَائِلَهَا بعدَ زمان. وتلك الشكوى كَامَنَةٌ فيها. وَأَصْغَيْنَ لَهَا فَتَسْمَعْنَ^(٤).

وَالْفَرَى: الشَّقُّ. يقال: فَرَى أَوْدَاجَهُ، أى قَطَعَ، وَفَرَيْتُ الأَديم. وإذا قلت: أَفَرَيْتُ. فمعناه أَصْلَحْتُ. وقولُ الحَجَّاج: إني وَاللهُ ما أَهَمُّ إلا مَضَيْتُ ولا أَخْلَقُ إلا فَرَيْتُ. يقول: إذا قَدَرْتُ قَطَعْتُ. يقال: فَرَيْتُ القِرْبَةَ والمَزَادَةَ، فهما مَفْرِيَتَانِ، قال ذو الرمة^(٥):

* كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيةٍ سَرَبٌ *

وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَّتْهُ رِجْلُهَا حَذَفُ أَعْسَرَ^(٦)

(١) ر: «ديك بحقوبها».

(٢) الخلائل: جمع خليلة؛ وهن اللاتي أصفين الود.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٤) ر: «إليها يتسمعن». (٥) ديوانه؛ صدره:

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

والكلى: جمع كلية؛ وهى رقعة تكون فى أصل عروة المَزَادَةِ. ومفريّة: مقطوعة، وسرب: سائل. (من شرح الديوان).

(٦) ديوانه ٦٤؛ قال فى شرحه: «يقول: إذا سارت فَرَقْتُ الحَصَى إلى كل جهة لشدة سيرها، وشبه فعلها ذلك برمى الأعسر؛ وهو الذى يرمى برجله اليسرى. وخصه لأن رميه لا يذهب مستمكاً. وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به. ومعنى «نجلته» فرقته ورمته به. والحذف: بالحصى ونحوها؛ فإن كان بالعصا وشبهها فهو الحذف. بالخاء غير معجمة.

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرُوحِ تَشْدُهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يَتَّقَدْنَ بَعْبَقَرًا^(١)

قوله: «خَذَفُ أَعْسَرًا» يريد أنه يذهب على غير قصد. وقوله: «صَلِيلُ زَيْوْفٍ» يقال: إن الزائف^(٢) شديد الصوت صَافِيه.

وقال آخر:

كَأَنَّ يَدَيْهَا يَدَا مَاتِحٍ^(٣) أَتَى يَوْمَ وَرْدٍ لَغَبٍّ زَرُودَا
يَخَافُ الْعِقَابَ وَفِي نَفْسِهِ إِذَا هُوَ أَنْهَلَ أَلَا يَعْبُودَا

يقول: هذا الساقى يخاف العقاب إن قَصَرَ، ولا عُدَّةَ له إليه ثانية، فهو يستسقى^(٤) سقية في مرة واحدة.

وقد أكثروا في هذا. فمن الإفراط في السرعة قولُ ذِي الرُّمَّةِ :
كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيةٍ مُسُومٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ

يقال: عَفْرِيتٌ وَعَفْرِيةٌ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ. والتاء في «عَفْرِيتٌ» زائدة. وهو ملحقٌ بـ «قنديل». يقال: فلانٌ [عَفْرِيةٌ زَبْنِيَّةٌ، والزَبْنِيَّةُ: المُنْكَرُ، وجمعه زَبَانِيَّةٌ. وأصله من الحركة. يقال: زَبَنَهُ، إِذَا دَفَعَهُ، ويقال]^(٥): عَفْرِيةٌ نَفْرِيةٌ، على التوكيد. [وَعَفْرِيتٌ نَفْرِيتٌ. ويقال: عَفَارِيَّةٌ، وَلَمْ يُتَبَعَ بِنَفَارِيَّةٍ]^(٦).

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئَةِ :

(١) قال في شرح الديوان: «شبه صوت الحجارة إذا رمت بها ووقع بعضها على بعض بصوت الدراهم الزيوف؛ إذا انتقدتها الصيرف وقلبها. والزيوف: الرديئة. واحدها زائف وزيف. وإنما خصها لأن صوتها أشد من صوت غيرها لكثرة نحاسها. والصليل: الصوت. والمرو: الحجارة. ومعنى «تشده» تفرقه. وعبقر: موضع باليمن. وكانت دراهمه زيوفا».

(٢) ر: «الزيف».

(٣) الماتح: المستقى بالدلو من أعلى البئر. وزرود: اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٤) ر: «فهى تستقى».

(٥) ما بين العلامتين من زيادات نسخة ر.

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

وإن نَظَرْتَ يَوْمًا بِمَوْخِرِ عَيْنِهَا
إلى عَلمٍ بِالْغَوْرِ قَالَتْ لَهُ أَبْعَدِ
ومن الإفراط قوله :

بأَرْضٍ تَرَى فَرْخَ الْحَبَارَى كَأَنَّهُ
بِهَا رَاكِبٌ مُوفٍ عَلَى ظَهْرِ قَرْدَدٍ^(١)
ومن ذلك قوله :

وَكَادَتْ عَلَى الْأَطْوَاءِ أَطْوَاءَ ضَارِحٍ
تَسَاقِطُنِي وَالرَّحْلَ مِنْ صَوْتِ هُدْهَدٍ
وقال آخر :

مَرْوَحٌ بِرَجْلَيْهَا إِذَا هِيَ هَجَّرَتْ
وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زَمَامُهَا
وقال الشَّمَائُ :

مَرْوَحٌ تَغْتَلَى فِي الْبَيْدِ حَرْفٌ
تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ رَأْيِ الْقَطِيعِ
وكذلك الأعرابيُّ الذي يقول :

* لَوْ تُرْسِلُ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا *

وقد مضى خبره .

وَأَمْلَحُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَأَجُودُهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرَ فِي وَكُنَاتِهَا
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ
فَجَعَلَهُ لِلْوَحْشِ كَالْقَيْدِ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا نَظَرَ إِلَى ظَبْيَةٍ تَرُودُ فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ : أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ؟
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَعْطَنِي أَرْبَعَ دِرَاهِمَ حَتَّى أُرَدَّهَا إِلَيْكَ . ففَعَلَ . فخرجَ يَمْحَصُ^(٢)
فِي إِثْرِهَا . فَجَدَّتْ وَجَدًّا ، حَتَّى أَخَذَ بِقَرْنَيْهَا . فَجَاءَ بِهَا وَهُوَ يَقُولُ :

وَهِيَ عَلَى الْبُعْدِ تُلَوَّى خَدَّهَا
تُرِيغُ شَدَى وَأُرِيغُ شَدَّهَا

* كَيْفَ تَرَى عَدُوَّ غَلَامٍ رَدَّهَا *

(١) القردد : ما غلظ من الأرض .

(٢) يقال : محص الظى فى عدوه يحص محصا : أسرع وعدا عدوا شديدا ، وفى ر : «يفحص» .

قال أبو العباس: ومن حُلِّو التشبيه وقريبه، وصريح الكلام وبليغه^(١) قولُ
ذِي الرُّمَّةِ :

ورَمَلٍ كأوراكِ العَذَارَى قطعته وقد جَلَلَتْهُ المَظْلَمَاتُ الحَنَادِسُ^(٢)
الحَنَدَسُ: اشتداد الظُّلْمَةِ، وهو توكيدٌ لها، يقال: لَيْلٌ حَنَدَسٌ. وَلَيْلٌ أَلِيلٌ.
كما يقال: لَيْلٌ^(٣) مُظْلِمٌ.

وقال الشَّماخُ في صفةِ الفَرَسِ :
مُفَجُّ الحَوَامِي عن نُسُورِ كَأَنَّهَا نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلْجَلَجٍ
قوله: «مُفَجُّ الحَوَامِي» يريد مُفَرَّقُ الحَوَامِي. فالحوامِي: نواحي الحافر.
والنُّسُورُ. واحدها نَسْرٌ. وهى نُكْتَةٌ فى داخل الحافر. وَيُحَمَّدُ الفرسَ إِذَا صَلَبَ
ذلك منه، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْبِ^(٤). وتَرَّتْ: سَقَطَتْ. والجَرِيمُ: المَصْرُومُ.
والمُلْجَلَجُ: الذى قد لُجِلَجَ مَضْغًا فى الفم ثم قُدِفَ لصلابته.

وقوله: «مُفَجُّ» ليس يريدُ الذى هو شديدُ التَّفَرُّقَةِ. ولكن الانفصال عن
النَّسْرِ. فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفله فذلك الرَّحْحُ^(٥). وهو مَذْمُومٌ فى الخيل.
وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قِيلَ له: مُضْطَرٌّ. وكان عِيًّا قَبِيحًا. قال حُمَيْدُ الأَرْقَطُ:

لا رَحِحَ فِيهَا وَلَا اضْطَرَّار ولم يَقلب أرضها البَيطَار^(٦)

[* وَلَا لِحَبْلِيَّهَ بِهَا حَبَّارُ *]

الحَبَّارُ: الأَثَرُ [٧]. ويروى: «ولم يقلم»^(٨). وتأويل ذلك: أن حوافرها

(١) ساقطة من ر .

(٢) يقول: هذا الرمل حقف كأوراك العذارى. جللته: لبسته. الحنادس. اللبالي المظلمة. والحندس: الظلام.
(من شرح الديوان).

(٣) ر : «وليل أليل مظلم». س : «وليل أليل. وهويم. كما يقال: ليل مظلم». وما أثبتته عن الأصل.

(٤) القسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم. ونواه أصلب النوى.

(٥) الرحح: انبساط الحافر فى رقة.

(٦) ر : «ولم يقلم».

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٨) ر : «ولم يقلب».

لا تَشَعَّثُ فيَقْلَمُهَا البَيْطَارُ. لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شيءٌ بعدَ شيءٍ فَمَحَقَهَا. وقال عَلَقَمَةُ بن عبدة:

لا في شظاها ولا أرساغها عنتٌ ولا السَّنابُكُ أفناهن تَقْلِيمٌ^(١)

وإنما يُحَمَّدُ الحافرُ المَقْعَبُ. وهو الذي هيئته كهيئة القَعْبِ. وإن كان كذلك قيل: حافرٌ وأب^(٢). قال ابن الخَرَجِ^(٣):

لها حافرٌ مثل قَعْبِ الوَكِيدِ يَتَّخِذُ الفأْرُ فيه مَغَارًا

يريد: لو دخل الفأْرُ فيه لَصَلَحَ. كقول القائل: فَأَتَى بَجْفَنَةٍ يَقْعُدُ عليها عَشْرَةٌ. أى لو قعدَ عليها عشرة لَصَلَحَ. وقال الراجزُ:

* وَأَبٌ حَمَتْ نُسُورُهُ الأَوْقَارَا *

[يقال: حافرٌ مَوْقُورٌ. وهو أن يُصَيِّبَهُ داءٌ يشبهُ الرَّهْصَةَ]^(٤) وفي كلِّ حافرٍ حاميَّتان. وهما حرفاهُ من^(٥) عَنْ يَمِينٍ وشمال. ومَقْدَمُهُ السَّنَبُكُ. ومؤخَرُهُ الدَّابِرَةُ.

ومثل قوله: «عن جَرِيمٍ ملجج» قولُ عَلَقَمَةَ بن عبدة:

سُلَّاءٌ كَعَصَا النُّهْدَى غُلَّ بها ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٌ^(٦)

شَبَّهَهَا بالسُّوَكَةِ من شوكِ النخل؛ لأنَّ الفرسَ الأَنْثَى يُحَمَّدُ منها أن يدقَّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاءٍ إلى مؤخَرِها. والحَمَامُ يُحَمَّدُ منهنَّ أن يَعْرِضَ الصَّدْرُ ثم ينخرط إلى ذنبِهِ ضُمُورًا. فيقال في صفته: كأنه جَلَمٌ.

وقوله: «كَعَصَا النُّهْدَى». يريدُ في الصَّلابة. كما قال:

* وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَالْهَرَاوَةِ صِلْدِمِ *

وقوله: «ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ» يقول: ذُو رَجْعَةٍ. يقول: مَضَعْتُهُ الإِبْلُ فلم

(١) رواية المفضليات ٤٠٣: «ولا أرساغها عتب»؛ والعتب: العيب. والشظي: عظم لاصق بالركبة.

والسَّنابك: مقادير الخوافر؛ يقول: هي وافية السنبك لم تأكله الأرض.

(٢) حافر وأب: صلب قوى.

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرج. من بنى تيم من عبد مناة.

(٤) ما بين العلامتين تكملة من س وزيادات ر.

(٥) ساقطة من ر.

(٦) السلاءة: شوكة النخل.

تَكْسِرُهُ ثُمَّ بَعَرَتْهُ صَحَاحًا. ومعجومٌ: ممضوغٌ. يقال: عَجَمْتُهُ أَعْجَمْتُهُ عَجْمًا^(١) إذا مضغته. فالعجمُ، ويقال للنوى من كل شيء: العجمُ، متحركُ الجيم^(٢). قال الأعشى:

* وَجُدْعَانِهَا كَلَقِيطِ الْعَجَمِ *

وقال النابغة:

وِظْلٌ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ
ومثل البيت الأول قول عُقْبَةَ بْنِ سَبْقٍ الْعَنْزِيَّةِ:
لَهُ بَيْنَ حَوَاشِيهِ نُسُورٌ كَنَوَى الْقَسْبِ
فهذا تشبيهه بمقارب جدًا.

ومن التشبيه الحسن قول الشاعر^(٣):

كَأَنَّ الْمَتْنَ وَالشَّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحٌ

يريدُ سهمًا رُمِيَ بِهِ فَأَنْفَذَ الرَّمِيَّةَ وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ دُمُهَا. والمتن: متن السهم. وشرخ كل شيء: حده. فَأَرَادَ شَرَحَى الْفَوْقَ. وهما حرفاه. والمشيح: اختلاط الدَّمِ بِالنُّطْفَةِ. هَذَا أَصْلُهُ. قَالَ الشَّمَاخُ:

طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتَجَةٍ لَوْقَتْ عَلَى مَشِيحٍ سُلَّاتِهِ مَهِينٌ

وقال الله جل وعز: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾^(٤). وفي الحديث: «اقتلوا مَسَانَ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَبْقُوا شَرْحَهُمْ»^(٥). أَي الشَّبَابَ، لِأَنَّ الشَّرْخَ الْحَدُّ. قَالَ حَسَّانُ ابْنِ ثَابِتٍ:

(١) ساقطة من ر. وهى فى الأصل . س . (٢) ر : «العين» وهما بمعنى .
(٣) فى زيادات ر : «هو الشماخ». والبيت ليس فى ديوانه ؛ وهو لغمر بن الداخل الهذلى ؛ ديوان الهذليين ٣ : ١٠٤ ، وروايته :

كَأَنَّ الرِّيشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحٌ

وهو أيضا بهذه الرواية فى ١٢ : ١٩٥ من غير نسبة .

(٤) سورة الإنسان .

(٥) أورده ابن الأثير فى النهاية ٢ : ٢١٠ . وقال فى شرحه: «أراد بالشيوخ الرجال، المسان هو هل الجلد والقوة على القتال . ولم يرد الهرمى . والشرخ: الصغار الذين لم يدرکوا» .

إِنَّ شَرْخَ الشَّابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
قال أبو العباس: وأنشدنا عمرو بن مرزوق. قال: أنشدنا شعبة. قال:
أنشدنا سمراً بن حرب فى هذا الحديث:

إِنَّ شَرْخَ الشَّابِ تَأْلَفُهُ الْبَيْضُ وَشَيْبُ الْقَذَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ
فَأَمَّا قَوْلُ الشَّنْفَرَى :

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ
فإنما أرادَ شدةَ استحياؤها. يقول: لا ترفعُ رأسها، كأنها تطلبُ شيئاً فى
الأرض.

وَالنَّسِيُّ عَلَى ضَرَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَا تَقَادِمُ عَهْدُهُ حَتَّى يُنْسَى. وَالْآخَرُ مَا أَضَلَّهُ
أَهْلُهُ فَيُطْلَبُ وَيُطْمَعُ فِيهِ. وَتَقْصُهُ: تَتَّبِعُهُ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
قُصِّيه﴾^(١) أَى اتَّبِعِي أثرَهُ؛ وَالْأَمُّ: الْقَصْدُ.

وقوله: «وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ»: تَقْطَعُ الْحَدِيثَ لاسْتِحْيَائِهَا.

وَأَنشَدَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ الْأَعْمَى قَوْلَ كَثِيرٍ:

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأُكُفِّ تَلِينُ^(٢)

قال: فقال: لله أبو صخر! جلعهَا عصا. ثم يَعْتَذِرُ لَهَا! وَاللَّهِ لَوْ جَعَلَهَا عَصًا
مِنْ مَخْ^(٣) أَوْ زُبْدٍ لَكَانَ قَدْ هَجَّنَهَا بِالْعَصَا. أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ:

وَبَيْضَاءُ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قَطَعَ الْجَنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانٍ^(٤)

وَالْخَيْزُرَانَةُ: كُلُّ غُصْنٍ لَيْنٍ يَتَنَّى. وَيُقَالُ لِلْمُرْدِيِّ: خَيْزُرَانَةٌ؛ إِذَا كَانَ يَتَنَّى
إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ. قَالَ النَّابِغَةُ:

(١) سورة القصص ١١ .

(٢) قبله .

وقد جعل الأعداء يتقصوننا وتطمع فينا ألسن وعيون

(٣) ر: «من مخ» .

(٤) السبعة : صلاة النافلة .

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَحَ مَعْتَصِمًا^(١) بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ^(٢)
الْإَيْنُ: الإعياء. وَالنَّجْدُ: الْعَرَقُ^(٣).

وقد عاب بعض الناس قول كثير:

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمِجُ النَّدى جَشَجَاتُهَا وَعَرَارُهَا^(٤)
بِمُنْخَرَقٍ مِنْ بَطْنٍ وَادٍ كَأَنَّمَا تَلَاَقَتْ بِهِ عَطَّارَةٌ وَتَجَارُهَا
بَاطِيبٍ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٍ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

وحكى الزبيريون أن امرأةً مدينية عَرَضَتْ لكَثِيرٍ فَقَالَتْ: أَأَنْتَ الْقَائِلُ هَذِينَ
الْبَيْتَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَضَّ اللَّهُ فَاكْ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ زَنْجِيَّةً بَخَرَتْ أَرْدَانَهَا بِمَنْدَلٍ
رَطْبٍ أَمَا كَانَتْ تَطِيبُ! أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ^(٥) امْرُؤُ الْقَيْسِ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ^(٦)

قوله: «جشجاتها وعراها» الجشجات: ريحانة طيبة الريح برية؛ من أحرار
البلق؛ قال جرير يهجو خالد عيين العبدى:

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا خُلَيْدُ وَخَالَةٌ خُضِرُ نَوَاجِذِهَا مِنَ الْكُرَّاثِ
نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فَطَابَ لِرِيحِهَا وَنَأَتْ عَنِ الْقَيْصُومِ وَالْجَشَجَاتِ

وإنما هجاء بالكرّاث لأن عبد القيس يسكنون البَحْرَيْنِ. والكرّاث من
أَطْعِمَتِهِمْ. والعامة يُسَمُّونَهُ الرِّكْلَ والرَّكَّالَ. قَالَ أَحَدُ الْعَبْدِيِّينَ:

أَلَا حَبْدًا الْإِحْسَا وَطِيبُ تَرَابِهَا وَرَكَالَهَا غَادٍ عَلَيْنَا وَرَائِحُ^(٧)

(١) ر: «معتصما»؛ وما أثبتته رواية الأصل والديوان.

(٢) الملاح: صاحب السفينة. والخيزرانة: السكان؛ وهو ذنب السفينة.

(٣) النجد: العرق والكرب.

(٤) الحزن: موضع لبنى يربوع. فيه رياض كثيرة.

(٥) ساقطة من ر. (٦) قبله:

خَلِيلِي مُرَّاً بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لَنَقْضِي لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ

وانظر تفصيل الخبر فى الأغاني ١٤ : ٥٧ طبعة الساسى. والموشع للمرزبانى ١٥١ - ١٥٣.

(٧) الإحساء: مدينة بالبحرين.

وقولُ كثيرٍ: «وعَرَّارُهَا» فالعَرَّارُ البَهارُ البَرِّيُّ. وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طَيِّبُ
الرَّيحِ. قال الأعشى:

بَيَاضٌ ضَخُوتَهَا وَصَفٌّ — رَاءَ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَاةِ (١)

وقوله: «مَوْهَنًا» يريد بعد هدى من الليل^(٢). يقال: أَتَانَا بعد هدى من الليل. وبعد وَهْنٍ مِنَ اللَّيْلِ^(٣). أى بعد دخولنا فى الليل. وأنشد أبو زيد:

هَبَّتْ تَلَوْمُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسْلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَ عِتَابِي

وَالْمُنْدَلُ: الْعُودُ. يُقَالُ لَهُ: الْمُنْدَلُ وَالْمُنْدَكِيُّ. قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

أَمِنْ زَيْنَبَ ذِي النَّارِ قَبِيلَ الصَّبْحِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا خَمَدَتْ يُلْقَىٰ عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

قال أبو العباس: «ذى» معناه «ذه» يقال: ذَا عَبْدُ اللَّهِ، وذَى أُمَّةُ اللَّهِ. وَذِهْ أُمَّةُ اللَّهِ. وَتِهْ أُمَّةُ اللَّهِ. وَتَا أُمَّةُ اللَّهِ؛ فإذا قلتَ: هذا عبدُ اللَّهِ: فالاسمُ «ذا» و«ها» للتنبية. وعلى هذا القول^(٥): هذَى أُمَّةُ اللَّهِ [وهذه أُمَّةُ اللَّهِ]^(٦). وإن شئتَ أسكنتَ فى الوصل فقلتَ: هذه أُمَّةُ اللَّهِ. وإذا قلتَ: هذهى أُمَّةُ اللَّهِ. فالياءُ زائدةٌ. لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لَفْظِ المضمَرِ شَبَّهَها به فى زيادةِ الياءِ، نحو: مررتُ بهي يافتي! ولا^(٧) يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءُ فى «هذه» على قول مَنْ قال: مررتُ بهو. لأن هاءَ الإِضمارِ أصلُها الضم. تقولُ: رأيتَهُ يافتي. ورأيتُهُم يافتي! وهذه الهاءُ ليستُ مِنْ هذه. إنما هى مُشَبَّهةٌ، وتقولُ: هاتِهَ هَندُ. وهاتى هَندُ. وهاتَا هَندُ. على زيادةِ «ها» للتنبية. قال جريرٌ:

(۱) العرار: شجر له نور أصفر قدر شبر؛ وقوله :

بانت لتحزننا عفارہ
حسن مخالطہ غرارہ

یا جارتی ما کنت جاره
ترضیک من دل و من

وانظر دیوانه ۱۱۱ .

(٢) من الليل . ساقط من ر .

(٣) «من الليل». ساقط من ر .

(٤) ينسب الستان لعمر بن أبي ربيعة. وهما في ملحق: ديوانه ٤٧٨ .

(۵) ر : «تقول» .

(٦) تكملة من نسخة الأصل .

(٧) ر : « لا يجوز » بدون الواو .

هذى التى جدعت تيمًا معاطسها ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى^(١)
وقال عمرانُ بنُ حِطَّانَ :

وليس لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاءٌ وَلِيسَتْ دَارُنَا هَاتَا بِدَارٍ
قال أبو العباس: النحويون يُثَبِّتُونَ الهَاءَ فِي الْوَصْلِ فَيَقُولُونَ: مَهَاءٌ.
وَتَقْدِيرُهُ: «فَعَالٌ». ومعناه اللَّعْمُ وَالصَّفَاءُ^(٢). يقال: وَجْهُ لَهُ مَهَاءٌ يَافَتَى!
وَالْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: مَهَاءٌ. تَقْدِيرُهَا «حَصَاةٌ». يَجْعَلُ الْهَاءَ زَائِدَةً. وَتَقْدِيرُهَا فِي
قَوْلِهِ^(٣): «فَعَلَةٌ» وَالْمَهَاءُ: الْبِلَوْرَةُ. وَالْمَهَاءُ: الْبَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ. وَجَمْعُهَا «الْمَهَاءُ»^(٤).

فَإِذَا صَغُرَتْ: «ذَهٌ». قُلْتُ: تَيًّا. كَأَنَّكَ صَغُرْتَ «تَا». وَلَا تُصَغِّرُ «ذَهٌ» عَلَى
لَفْظِهَا. لِأَنَّكَ إِذَا صَغُرْتَ «ذَا» قُلْتُ: «ذِيًّا». فَلَوْ صَغُرْتَ «ذَى». فَقُلْتُ: «ذِيًّا». .
لَا تُتَّبَسَّ الْمُوْنُثُ بِالْمَذْكَرِ. فَصَغُرُوا مَا يَخَالِفُ فِيهِ الْمُوْنُثُ الْمَذْكَرُ.

وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك فى باب
نُفْرَدُهُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

عاد القول إلى التشبيه .

أَنشَدْتَنِي^(٥) أُمُّ الْهَيْثَمِ فِي صِفَةِ جَمَلٍ :

كَأَنَّ صَوْتَ نَابِهِ بِنَابِهِ صَرِيرُ خُطَافٍ عَلَى كُلابِهِ
أَرَادَتْ الصَّرِيفَ . وَهُوَ أَنْ يَحْكَّ أَحَدَ نَابِيهِ بِالْآخَرِ .

(١) يهجو التيم . وقبله :

إِلَّا الْقَرَابَةَ بَيْنَ الزَّيْجِ وَالرُّومِ
دَانِي الْقَرَابَةِ مِنْ حَامٍ وَيَحْمُومِ

مَا بَيْنَ تَيْمٍ وَإِسْمَاعِيلَ مِنْ نَسَبٍ
إِنْ ابْنُ تَيْمٍ لِمَنْسُوبٍ لَوَالِدِهِ

وَانْظُرْ دِيَوَانَهُ ٤٨٩ - ٤٥٠ .

(٢) ر : «وَالْبَهَاءُ» .

(٣) «فِي قَوْلِهِ» سَاقِطٌ مِنْ ر .

(٤) زِيَادَاتٌ ر : «حَكَّى يَعْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ: «مَهَاءٌ» . مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ . وَأَنْشَدَ :

ثُمَّ تَجَلَّوْا الظَّلَامَ رَبِّ رَحِيمٍ
بِمَهَاءٍ ضِيَاؤُهَا مَنْشُورٌ

(٥) ر : «وَأَنشَدْتَنِي» .

وقوله: «صَرِيرُ خُطَافٍ عَلَى كُلابِهِ» فَالْخُطَافُ مَا تَدَوَّرُ عَلَيْهِ الْبَكْرَةُ. وَالْكُلابُ ماوئيه.

وقد قال النابغة:

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بِازِلِهَا لَهْ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسِدِ

الْقَعْوُ: مَا تَدَوَّرُ عَلَيْهِ الْبَكْرَةُ إِذَا كَانَ مِنْ خَشَبٍ. فَإِنْ كَانَ مِنْ حَدِيدٍ فَهُوَ خُطَافٌ. وَإِنْ دَارَتْ عَلَى حَبْلٍ فَذَلِكَ الْحَبْلُ يُسَمَّى الدَّرَكُ.

وقوله: «مَقْدُوفَةٌ» يَقُولُ: مَرَمِيَّةٌ بِاللَّحْمِ. وَالْدَخِيسُ: الَّذِي قَدْ رَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَالنَّحْضُ: اللَّحْمُ. وَبِازِلُهَا: نَابُهَا. وَمَعْنَى بَزَلٍ، وَفَطَرَ. وَاحِدٌ. وَهُوَ أَنْ يَنْشَقَّ النَّابُ؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلَّ سُدْفَةٍ صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللَّوَائِكِ^(١)
وَيَقُولُ: مِمَّا تَلُوكُهُ. وَيُقَالُ فِي الْغَضَبِ: تَرَكْتُ فَلَانًا يَصْرِفُ نَابُهُ عَلَيْكَ. وَيَحْرِقُ وَيَحْرِقُ. وَرَأَيْتُهُ يَعْضُ عَلَيْكَ الْأَرَمَ. قَالَ زَهِيرٌ فِي مَدْحِهِ حَصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ^(٢):

أَبَى الضَّيِّمَ وَالنُّعْمَانَ يَحْرِقُ نَابُهُ عَلَيْهِ فَأَقْضَى وَالسُّيُوفَ مَعَاقِلُهُ^(٣)

وَقَالَ آخَرُ:

نُبْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى أَنَّمَا ظَلُّوا غِيْضَابًا يَعْلكُونِ الْأَرَمَا

وَقَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: يَعْنِي الشَّقَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْأَصَابِعَ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ» وَهُوَ آخِرُ الْأَسْنَانِ، فَيَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ قَدْ احْتَنَّكَ وَبَلَغَ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ لِلْإِطْرَاقِ وَالتَّشَدُّدِ.

وَيُرَوَّى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا لَقِيتُمُ الْقَوْمَ فَاجْمَعُوا الْقُلُوبَ وَعَضُوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُنْبِئُ^(٤) السُّيُوفَ عَنِ الْهَامِ.

(١) السدفة: بقية من سواد الليل؛ فشبه أنيابه بأصوات البراة؛ يقال: لأك يلوك؛ إذا مضغ (من شرح ديوانه).

(٢) زيادات ر: «ابن بدر الفزارى».

(٣) أفضى: سار إلى الفضاء. وقبله:

من مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضيم أو لأمر بحاوله

(٤) ر: «يئني».

ثم نعود إلى التشبيه.

قال الراجز^(١):

كَأَنَّهُا حِينَ بَنَاهَا الْبَاسُ^(٢) جَنِيَّةٌ فِي رَأْسِهَا أَمْرَاسُ
بِهَا سُكُونٌ وَبِهَا شِمَاسُ^(٣) يَخْرُجُ مِنْهَا الْحَجَرُ الْكَبَّاسُ
يَمُرُّ لَا يَخْبِسُهُ حَبَّاسُ لَا نَافِذُ الطَّعْنِ وَلَا تَرَّاسُ

يصفُ الْمُنْجَنِّقَ. وَالْأَمْرَاسُ: الْجِبَالُ، وَالْوَاحِدُ مَرَسٌ^(٤)، وَالْكَبَّاسُ: الضَّخْمُ.
قَالَ: هَامَةٌ كِبَسَاءٌ يَا فَتَى؛ وَرَأْسٌ أَكْبَسُ. وَالْحَبَّاسُ: الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْبِسَ.
يُقَالُ: رَجُلٌ ضَارِبٌ لِلَّذِي يُضْرَبُ كَثِيرًا كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ أَوْ قَلِيلًا، فَإِذَا قُلْتَ: ضَرَّابٌ
وَقَتَّلٌ. فَإِنَّمَا يَكْثُرُ الْفِعْلُ، وَلَا يَكُونُ لِلْقَلِيلِ.

قال الراجز:

أَخْضَرُ مِنْ مَعْدِنِ ذِي قُسَّاسٍ كَأَنَّهُ فِي الْحَيْدِ ذِي الْأَضْرَاسِ
* يَرْمَى بِهِ فِي الْبَلَدِ الدَّهَّاسِ *

يَصِفُ مَعُولًا. وَذُو قُسَّاسٍ: مَعْدِنٌ لِلْحَدِيدِ الْجَيِّدِ. وَهُوَ يَقْرُبُ مِنْ بِلَادِ بَنِي
أَسَدٍ. وَالْحَيْدُ: مَا أَشْرَفَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، يُقَالُ لِلطَّنْفِ حَيْدٌ. وَهُوَ الَّذِي
يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحَضَرِ الْإِفْرِيزَ؛ يُقَالُ: طَنَفٌ حَائِطُكَ، وَيُقَالُ لِلنَّاتِي فِي وَسْطِ الْكَتِفِ:
حَيْدٌ وَعَيْرٌ. وَكَذَا النَّاتِي فِي الْقَدَمِ. وَقَوْلُهُ: «ذِي الْأَضْرَاسِ» يَرِيدُ الْمَوْضِعَ الضَّرْسَ
الْخَشْنَ ذَا الْحِجَارَةِ. فَيَقُولُ: هَذَا الْمَعُولُ لِحَدِّهِ يَقَعُ فِي الْخَشُونَةِ فَيَهْدِمُهَا كَمَا يَهْدِمُ
الدَّهَّاسُ. وَالدَّهَّاسُ: مَا لَانَ مِنَ الرَّمْلِ. قَالَ ذُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ: أَيْنَ
مُجْتَلِدُ الْقَوْمِ؟ فَقَالُوا: بِأَوْطَاسٍ^(٥). فَقَالَ: نَعَمْ مَجَالُ الْخَيْلِ. لَا حَزَنٌ ضَرَسَ^(٦).
وَلَا لَيْنٌ دَهَسَ!

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٢) ر: «تناهى».

(٣) الشماس والشموس. شرود الدابة ونقارها.

(٤) ر: «مرسة».

(٥) أوطاس: موضع في ديار هوازن.

(٦) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الشديد خشونة.

وقال العَجَّاجُ يَصِفُ حِمَارًا :

كَأَنَّ فِي فِيهِ إِذَا مَا شَحَجْنَا عُودًا دُوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُوَلِّجًا (١)

هذا يصف العَيْرَ (٢) الوحشَ الذي قد أَسَنَّ (٣) تَرَاهُ لَا يَشْتَدُّ نَهيقُهُ . وكأنه يعالجه علاجًا . قال الشَّمَاخ :

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرَ عَجًّا كَأَنَّهُ بَنَاجِدِهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ شَجِي (٤)
فَأَمَّا قَوْلُ عَتْرَةَ :

بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرَّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتْ عَلَى قَضْبِ أَجَشٍّ مُهَضَّمٍ

فإنما يصف الناقةَ ويذكر حنينها . يقال : إنه يخرجُ منها كأَشَجَى صوت .
فإنما شبهه بالزَّمِير . وأراد القَصَبَ الذي يُزَمَّرُ به . قال الأصمعيُّ : هو الذي يقال له بالفارسية «نَائِي» قال الراعي يصف الحادى :

زَجَلُ الحُدَاءِ كَأَنَّ فِي حِزْوَمِهِ قَصَبًا وَمَقْنَعَةَ الحَنِينِ عَجُولًا

المَقْنَعُ : الرفعُ رأسه فى هذا الموضع . ويقال فى غيره : الذى يحطُّ رأسه استخذاءً وندماً ؛ قال الله عز وجل : ﴿مَقْنَعَى رُءُوسِهِمْ﴾ (٥) . ومن قال : هو الرفعُ رأسه . فتأويله عندنا أنه يتناولُ فينظرُ ثم يطأطئُ رأسه . فهو بعدُ يرجعُ إلى الإغضاء والانكسار .

والبعيرُ يحنُّ كأشد الحنين إلى أَلَفِهِ إِذَا أَخَذَ مِنَ القَطِيعِ . قال : وأكثرُ ما يحنُّ عند العطش . قال الشاعر (٦) :

وَتَفَرَّقُوا بَعْدَ الجَمِيعِ لَنِيَّةٍ لَا تَصْبِرُ الإِبِلُ الجِلَادُ تَفَرَّقَتْ
لأَبَدٍ أَنْ يَتَفَرَّقَ الجِيرَانُ بَعْدَ الجَمِيعِ وَيَصْبِرُ الإنسانُ

(١) الشحيح : صوت البغل والحمار إذا أسَنَّ .

(٢) ر : «هذا يوصف به العير» . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٣) «إذا أسَنَّ» .

(٤) التعشير : نهيق الحمار .

(٥) سورة إبراهيم ٤٣ .

(٦) هو مالك بن الصمصامة الجعدى .

وقال آخرُ :

وهل رِيَّةٌ فِى أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ إِلَى الْفُهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ !
وَإِذَا رَجَعْتَ الْحَيْنَ كَانَ ذَلِكَ أَحْسَنَ صَوْتٍ يَهْتَاجُ لَهُ الْمُفَارِقُونَ ، كَمَا يَهْتَاجُونَ
لنُوحِ الْحَمَامِ ، وَلَا تِيَّاحِ الْبُرُوقِ .

وقال عَوْفٌ^(١) بن مُحَلَّمٍ وسمع نوح حمامة :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكَ الْفُكَّ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادُ فَنِيمَ تَنُوحِ^(٢)
أَفَقٌ لَا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنِّى بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلَوْعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دَارُ زَيْنَبِ فَهَآ أَنَا أَبْكِى وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ !
وَكُلُّ مُطَوَّقَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ حَمَامَةٌ . كَالدُّبْسَى وَالْقُمْرَى وَالْوَرَشَانِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ ؛ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثُورٍ :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا حَمَامَةٌ دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرَحَّةً وَتَرَنَمًا^(٣)
إِذَا شِئْتُ غَتَّتْنِى بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ النَّحْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَكْمَلَمَا
مُطَوَّقَةٌ خُطْبَاءُ تَسْجَعُ كَلَمًا^(٤) دَنَا الصَّيْفُ وَانْجَالِ الرَّيِّعُ فَأَنْجَمَا
مُحَلَّلَةٌ طَوْقٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَيْمَةٍ وَلَا ضَرْبِ صَوَاغٍ بِكَفِّهِ دَرْهَمَا
تَغَنَّتْ عَلَى غُصْنِ عِشَاءٍ فَلَمْ تَدَعْ لِنَائِحَةٍ فِى شَجْوِهَا مُتَلَوَّمَا
إِذَا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أَوْ مَالُ مَيْلَةٍ تَغَنَّتْ عَلَيْهِ مَائِلًا وَمُقَوَّمَا
عَجِبْتُ لَهَا أَنِّى يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَغْفَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا !

(١) قال المصنفى : الشعر لأبى كبير الهذلى . لا لعوف ؛ وإنما ذكر لعبد الله بن طاهر العنديل . فالتفت إلى ابن محلم وقال : هل سمعت بأشجى من هذا ؟ فقال : لا والله ؛ قاتل الله أبا كبير حيث يقول . وذكر الأبيات .

(٢) ر : «ميال» . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٣) من قصيدة طويلة فى ديوانه ١ - ٣ مطلعها :

وَهَلْ عَادَةُ الرَّيِّعِ أَنْ يَتَكَلَّمَا !

سل الرِّيعَ أَنِّى يَمْتَمُ أَمْ سَالِمِ

وترحة : حزنا . وترنما : صوتا لا يفهم .

(٤) الديوان «تصدق» .

فلم أر مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عربياً شاقه صوتٌ أعجماً
وقال ابن الرِّقَّاع ، وذكر حمامة :

[قال أبو الحسن الأَخفش : الصحيح أنه لنصيب] :

[ومأ شَجَانِي أَننِي كُنْتُ نَائِماً :
إِلَى أَنْ بَكَتْ وَرَقَاءُ فِي غُصْنِ أَيْكَةٍ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَتٍ صَبَابَةٍ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ
أُعْلِلُ مِنْ بَرْدِ الْكَرَى بِالتَّنَسُّمِ
تُرَدُّ مَبْكَاهَا بِحَسَنِ التَّرْنَمِ (١)
بِلِيلِي (٢) شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

أما قول حميد «دَعَتْ سَاقُ حُرٍّ» فإنما حكى صَوْتَهَا، ويقال للواحد ذكراً كان أو أنثى : حمامةٌ والجَمْعُ الحمامُ، والحماماتُ، فإذا كان ذكراً قلتَ هذا حمامةٌ، وإذا كانت أنثى قلتَ هذه حمامةٌ. وكذلك هذا بَطَّةٌ وهذه بَطَّةٌ. ويقال بقرةٌ للذكر والأنثى، ودجاجةٌ لهما، فإذا قلتَ: ثورٌ، أو ديكٌ بَيَّنْتَ الذَّكَرَ، واستغنيتَ عن تقديم التذكير.

ويقال للحمامة: تَغَنَّتْ وناحتْ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيرٌ مفهومٌ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا، قال قيسُ بن مُعَاذٍ :

ولو لم يَشُقَّنِي الظَّاعِنُونَ لَشَاقَنِي حمامٌ وُرُقٌ فِي الدِّيارِ وَقُوعٌ
تَجَاوَبْنَ فَاسْتَبْكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى نَوَائِحَ مَا تَجَرَّى لَهْنَ دَمُوعٌ

قوله: «والنَّجَالُ الرِّبْعُ» يقال: «النَّجَالُ عَنَّا»، أى أَقْلَعَ، ومثل ذلك «النَّجَمَ عَنَّا»، وإن قلتَ: «أَنجَمَ»، فمعناه لَزِمَ ووقع، فهو خِلافُ «أَنجَمَ». وإن قلتَ: «النَّجَابَ» فمعناه انشَقَّ. يقال: «الْمَجُوبُ» للحديدة التى يُثَقَّبُ بِهَا الْمَسِينُ. ويقال: «جَبْتُ الْبِلَادَ» أى دَخَلْتُهَا وَطَوَّقْتُهَا. وفي القرآن: «وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» (٣) أى شَقُّوه.

وقوله: «لَمْ يَكُنْ مِنْ تَمِيمَةٍ» «التَّمِيمَةُ» المعَاذَةُ. وقد مضى هذا.

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ر : «سعدى»، وما أثبتته عن الأصل .

(٣) سورة الفجر ٩ .

وقوله: «وما تَغَرَّ بمنطقها فَمَا». يقول: لم تَفْتَح. يقال: «فَغَرَّ فَاه» إذا فَتَحَهُ (١).

وقوله :

* ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا *

يقول: لم أفهم ما قالت. ولكنى استحسنْتُ صوتَهَا واستَحَزَنْتُهُ. فَحَنَنْتُ لَهُ. وَيُرَوَّى أَنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ كَانَ يَسْمَعُ الْفَارِسِيَّةَ تَنُوحٌ وَلَا يَدْرِى مَا تَقُولُ، فَيُبْكِيهِ ذَلِكَ وَيُرْفِقُهُ. وَيَذْكُرُ بِهِ غَيْرَ مَا قَصِدْتَ لَهُ.

قال أبو العباس: وَحُدِّثْتُ أَنَّ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ (٢) سَمِعَ غَنَاءَ بَخْرَاسَانَ بِالْفَارِسِيَّةِ فَلَمْ يَدْرِ مَا هُوَ غَيْرَ أَنَّهُ شَوَّقَهُ لَشَجَاهُ وَحُسْنِهِ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

حَمِدْتُكَ لَيْلَةً شَرُفْتُ وَطَابَتْ أَقَامَ سَهَادُهَا وَمَضَى كَرَاهَا
سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَوْبَى بَأَنَّ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا

الغناء الأول الممدود من الصوت. والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور:

وَمُسْمَعَةٌ يَحَارُ السَّمْعُ فِيهَا وَلَا تَصْمُمُهُ لَا يَصْمُمُ صَدَاهَا (٣)
مَرَّتْ أَوْتَارُهَا فَشَفَتْ وَشَاقَتْ فَلَوْ يَسْطِيعُ حَاسِدُهَا فَدَاهَا
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ وَرَتْ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
فَكُنْتُ كَأَنِّي أَعْمَى مُعْنَى بِحُبِّ الْغَنَائِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا

[وقال عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ:

وَرَأَهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي وَأَحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَوَايَا (٤)

(١) زيادات ر: «حكى ثعلب: «فغر فاه» و «فغر نفسه». وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه».

(٢) هو أبو تمام.

(٣) قال المرصفي: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صده. تريد أهلكه. وإذا مات قالت:

صم صده. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: والشيء يُذكر بالشيء وإن كان دونَه . فَتَجَرَى لاحتواءِ البابِ والمعنى عليهما .

وفى شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ . وأحرى أن يُمثل به الأشرافُ . وتُسودُّ به الصحفُ . وهو قوله :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَا يَلْبَثُ الْعَصْرَانِ يَوْمَ وَلِيْلَةٍ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمَا
ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال : « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً » .

ثم نرجعُ إلى التشبيه .

قال أبو العباس: والعربُ تُشَبِّهُ على أربعة أضربٍ : فتشبيهٌ مُفْرَطٌ، وتشبيهٌ مُصِيبٌ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه . وهو أخشن الكلام .

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للمخى : هو كالبَحْرِ . وللشجاع : هو كالأسد . وللشريف : سما حتى بَلَغَ النَجْمَ . ثم زادوا فوق ذلك . فمن ذاك قول بعضهم - وهو بكرُ بنِ النُّطَّاح ، يقوله لأبي دُلْفٍ القاسم بن عيسى :

لَهُ هَمَمٌ لَا مُتَّهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصَّغَرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ صَارَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
وَلَوْ أَنَّ خَلَقَ اللَّهُ فِي مَسْكِ فَارِسٍ (١) وَبَارِزَهُ كَانَ الْخَلَى مِنَ الْعُمَرِ

وقد قيل : إن امرأةَ عُمَرَ بنِ حِطَّانَ قالت له : أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط ! قال : أَوْ فَعَلْتُ ؟ قالت : أَنْتَ الْقَائِلُ :

فَهُنَاكَ مَجْزَأَةُ بَنِ ثَوْرٍ رَكَانَ أَشْجَعٍ مِنْ أُسَامَةَ

أفيكونُ رجلٌ أَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ ! قال : فقال : أَنَا رَأَيْتُ مَجْزَأَةَ بَنِ ثَوْرٍ فَتَحَ مَدِينَةَ ، وَالْأَسَدُ لَا يَفْتَحُ مَدِينَةَ .

(١) المسك : الجلد .

ومن عجيب التشبيه فى إفراط، غير أنه خرَجَ فى كلامٍ جيّدٍ وعنى به رجلٌ جليلٌ، فخرَجَ من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان، ثم جعل لجودة ألفاظه، وحسن رصفه، واستواء نظمه، فى غاية ما يُستحسن - قولُ النابغة يعنى حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاريّ:

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحٌ^(١)
ولم تَلَفْظَ الموتى القبورُ ولم تزل نجومُ السماء والأديمُ صحيحٌ
فعمّا قليلٍ ثم جاء نعيه فظلّ ندى الحى وهو ينوحُ

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما قد^(٢) ذكرناه، وهو قولُ أبي الطمّحان القينيّ :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه^(٣)

ويروى عن الأصمعى أنه رأى رجلاً يختالُ فى أزيّر^(٤) فى يومٍ قرّ فى مشيته، فقال له: ممن أنت يا مَقْرورٌ؟ فقال: أنا ابنُ الوحيد، أمشى الخيزلى^(٥)، ويدفّنى حسبى.

وقيل لآخر فى هذه الحال: أمّا يوجعك البرد؟ فقال: بلى والله، ولكنى أذكرُ حسبى فأدفاً.

وأصوبُ منهما قولُ العريان الذى سئل فى يومٍ قرّ عما يجد. فقال: ما على من كبير مؤونة، فقل^(٦): وكيف ذلك^(٧)؟ فقال: دام بى العرى، فاعتاد بدنى ما تعتاده وجوهكم!

(١) جنوح: مصدر جنح إليه، إذا مال وسكن.

(٢) الجزع: ضرب من الخرز؛ وقيل: هو الخرز اليماني؛ الذى فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين.

(٣) الأزيّر: تصغير إزار؛ قال المصنفى: يريد أنه يختال فى إزار قصير.

(٤) الخيزلى: مشية فيها تبخر وتناقل وتراجع وتفكك.

(٥) ر: «وقيل».

(٦) ساقطة من ر.

ومن التشبيه القاصد^(١) الصحيح قولُ النابغة :

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهه	أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَّاجِعُ ^(٢)
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَّئِيلَةً	مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ ^(٣)
يَسْهَدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمَهَا	لَحَلَّى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا	تُطْلِقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ ^(٤)

فهذه صفةُ الخائفِ المهموم . ومثلُ ذلك قول الآخر^(٥) :

تَبَيْتُ الْهُمُومَ الطَّارِقَاتُ يَعِدُنَنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَوْصَافُ رَأْسَ الْمُطَلَّقِ
وَالْمُطَلَّقُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّابِغَةُ فِي قَوْلِهِ :

* تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ *

وذاك أن المنهوشَ إذا ألحَّ الوجعُ به تارة ، وأمسكَ عنه تارة ، فقد قارب أن يُؤأسَ من بُرْثِهِ .

وإنما ذَكَرَ خَوْفَهُ مِنَ النِّعْمَانِ وَمَا يَعْتَرِيهِ مِنْ لَوْعَةٍ فِي إِثْرِ لَوْعَةٍ ، وَالْفَتْرَةِ بَيْنَهُمَا ، وَالْخَائِفُ لَا يَنَامُ إِلَّا غِرَارًا ، فَلِذَلِكَ شَبَّهَهُ بِالْمُلْدُوغِ الْمَسْهَدِ .

وقوله :

* لِحَلَّى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ *

لأنهم كانوا يُعْلِقُونَ حَلَىَّ النِّسَاءِ عَلَى الْمُلْدُوغِ ، يَزْعَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُرْءِ ، لِأَنَّهُ يَسْمَعُ تَقَعُّعَهَا فَيَمْنَعُهُ النَّوْمَ فَلَا يَنَامُ ، فَيَدِبُ السُّمُّ فِيهِ ، وَيُسْهَدُ لِذَلِكَ .

وقال الآخرُ :

(١) القاصد : المستقيم الواضح القريب .

(٢) راكس والضواجع : موضعان في بلاد غطفان .

(٣) من المسورة ؛ وهى المواثبة . والضئيلة : الحية الدقيقة . والرقش : جمع رقشاء ؛ وهى الحية التى فيها نقط سود وبيض .

(٤) تناذرهما الراقون ، أى أُنذر بعضهم بعضا ألا يتعرض لها .

(٥) هو شأس بن نهار العبدى .

كَأَنَّ فَجَاعَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَفَّةُ حَابِلٍ
يُؤْتَى إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمُهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ (١)

يقال: لكل مستطيل كَفَّةٌ. يقال كَفَّةُ الثوبِ لحاشيته، وكَفَّةُ الحابلِ، إذا كانت مستطيلةً. ويقال: لكل شيء مستدير كَفَّةٌ. ويقال: ضَعَهُ فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ، فهذه جملة هذا. وكَفَّةُ الحابلِ، يعنى صاحبَ الْحَبَالَةِ الَّتِي يَنْصِبُهَا لِلصَّيْدِ.

وَأَمَّا التَّشْبِيهِ الْبَعِيدُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، فَكَقَوْلِهِ:

بَلْ لَوْ رَأَيْتَنِي أُخْتُ جِيرَانِنَا إِذَا أَنَا فِي الدَّارِ كَأَنِّي حِمَارٌ

فإنما أراد الصحة، فهذا بعيدٌ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره. وقال الله جل وعز، وهذا البين الواضح: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (٢) وَالسَّفَرُ الْكِتَابُ، وَقَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ (٣) فِي أَنَّهُمْ قَدْ تَعَامَوْا عَنْهَا، وَأَضْرَبُوا عَنْ حُدُودِهَا وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا، حَتَّى صَارُوا كَالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ الْكُتُبَ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا.

وَهَجَا مِرْوَانَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ قَوْمًا مِنْ رِوَاةِ الشَّعْرِ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ، عَلَى كَثَرَةِ اسْتِكْثَارِهِمْ رِوَايَتَهُ، فَقَالَ:

زَوَامِلُ لِلْأَشْعَارِ لَا عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس. وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم، وعن أصل أخذوه - أن يشبهوا (٤) عين المرأة في الكحل بعين الطيبة (٥) أو البقرة الوحشية. والأنف بحد السيف، والفم بالخاتم، والشعر بالعناقيد، والعنق بإبريق فضة. والساق بالجُمَار (٦). فهذا كلام جارٍ على الألسن.

(١) يؤتى إليه . أى يجرى إليه فى وهمه . (٢) سورة الجمعة ٥ .

(٣) الزوامل : جمع زاملة . وهى البعير بحمل المتاع والطعام . والغرائر : جمع الغرارة ؛ وهى الأوعية ، التى تسمى بالحوالق .

(٤) ر : «أن شبهوا . وما أثبتته عن الأصل . س» .

(٥) ر : «الطيبى» . (٦) الجُمَارَة : شحمة بيضاء فى رأس النخلة وفى س «الجُمَار» .

وقد قال سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ وساقاهُ ناديتانِ
 في غَرَزِهِ كأنهما جَمَّارتانِ، فأردَّتهُ فوقَعْتُ في مِقْنَبٍ^(١)، مِنْ خَيْلِ الْأَنْصارِ،
 ففَرَعُونِي بِالرَّماحِ. وقالوا: أين تريدُ؟

وقال كعبُ بن مالك الأنصاري: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وَجْهَهُ
 فصارَ كأنه البَدْرُ.

وعينُ الإنسانِ مَشَبَّهُهُ بعينِ الطَّبِيِّ والبَقَرَةِ في كلامِهِم المَنثور. وشعرِهِم
 المنظوم، مِنْ جاري ما تكلمتُ به العربُ، وكَثُرَ في أشعارِها، قال الشاعرُ^(٢):

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ رَقِيقُ^(٣)
 [وقال ذو الرُّمَّةَ :

أَرَى فِيكَ مِنْ خِرْقَاءِ يَا ظَبِيَّةَ اللَّوَى مَشَابِهَ جَنَبَتِ اعْتِلَاقِ الْحَبَائِلِ
 فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَوْ نُكِ . إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ^(٣)
 وقال آخر^(٥) :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبِ رَأْيَتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زَقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ
 طَلَعْنَ بِأَعْنَاقِ الظَّبَاءِ وَأَعْيُنِ الْـ جَاذِرٍ وَامْتَدَّتْ بِهِنَّ الرُّوَادِفُ^(٦)

ويقالُ لِلخَطِيبِ: كَأَنَّ لِسَانَهُ مَبْرَدٌ. فهذا الجارِى في الكلامِ، كما يقالُ
 لِلطَّوِيلِ: كَأَنَّهُ رُمَحٌ. ويقالُ لِلْمَهْتَرِ لِلْكَرَمِ: كَأَنَّهُ غَصْنٌ تَحْتَ بَارِحٍ.

ومن عَجِيبِ^(٧) التَّشْبِيهِ قولُ القائلِ :
 لَعَيْنُكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَاكْفَا مِنَ الْفَنَنِ الْمَطْطُورِ وَهُوَ مَرُوحُ^(٨)

(١) المِقْنَب: جماعة الخيل والفرسان.

(٢) هو مجنون بن عامر. وقبله:

وَيَأْسِبُهُ لَيْلَى لَوْ تَلَبَّثْتُ سَاعَةً لَعَلَّ فَوَادَى مِنْ جَوَاهِ يَفْسِيقُ

(٣) ر: «دقيق». وما أثبتته عن الأصل. س. (٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٥) ر: «الآخر». ونسبه المِرْصَفِيُّ إلى هُدْبَةَ بنِ خَشْرَمِ العَدْرِيِّ.

(٦) في البيت إقواء. (٧) ر: «من مليح».

(٨) نسبه القَالِي في أماليه (١ : ٧٠). إلى أَبِي حِيَةَ النَّمِيرِيِّ. ورواه: «لعيناك». والفنن: الغصن. وجمعه أفنان.

وذاك أن الغُصْنَ يَقَعُ الْمَطْرُ فِي وَرَقَةٍ فَيَصِيرُ مِنْهَا فِي مِثْلِ الْمَدَاهِنِ، فَإِذَا هَبَّتْ بِهِ الرِّيحُ لَمْ تَلْبِثْهُ أَنْ تَقْطُرَهُ.

[طَرَائِفُ مِنْ تَشْبِيهَاتِ الْمُحَدِّثِينَ]

ثم نذكرُ بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحدِّثين ومَلَحَاتِهِمْ، فقد شرطناه في أول الباب، إن شاء الله .

قال أبو العباس: وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ تَشْبِيهًا، لَا تُسَاعِدُهُ فِي الْقَوْلِ، وَكَثْرَةُ ثَقْبِهِ (١)، وَأَتَّسَاعَ مَذْهَبِهِ (٢) الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ، قَالَ فِي مَدِيحَةِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ :

وَكُنَّا إِذَا مَا الْحَائِنُ الْجَدُّ غَرَّهُ	سَنَّا بَرَقَ غَاوٍ أَوْ ضَجِيجُ رَعَادٍ
تَرَدَّى لَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ	بِمَا ضَى الطُّبَا أَزْهَاهُ طُولُ نَجَادٍ
أَمَامَ خَمِيسٍ أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ	قَمِيصٌ مَحُوكٌ مِنْ قَنَّا وَجِيَادٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ	عَلَى كُلِّ مَنْ يَشْفَى بِهِ وَيُعَادِي

قوله: «الحائِنُ الجدُّ» يقال: حَانَ الرَّجُلُ إِذَا دَنَا مَوْتُهُ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ حَائِنٌ. وَالْمَصْدَرُ الْحَيْنُ. وَالْجَدُّ: الْحِطُّ، وَالْجَدُّ وَالْجَدَّةُ، مَفْتُوحَانِ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْمَصْدَرَ مِنْ جَدَدْتُ فِي الْأَمْرِ، قُلْتَ: «أَجَدُّ جَدًّا» مَكْسُورَ الْجِيمِ، وَيُقَالُ: جَدَدْتُ النُّخْلَ أَجَدُّهُ جَدًّا [وَجَدَادًا] (٣) إِذَا صَرَّمْتَهُ. وَيُقَالُ: جَدَدْتُه جَدًّا. وَتَرَكْتُ الشَّيْءَ جُدَادًا، إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا. وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتُ لَجَرِيرٍ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَلُ الْمَهْلَبِ جَدَّدَ اللَّهُ دَابِرَهُمْ أَضْحَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرْفَ

وَيُرْوَى «جَدَّ». وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (٤) فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جَدَادًا﴾ (٥) فَلَمْ يُقْرَأْ بِغَيْرِهِ. وَيُقَالُ: كَمْ جَدَادُ نَخْلِكَ. أَيْ كَمْ تَصَرَّمَ مِنْهَا. وَيُرْوَى فِي قَوْلِهِ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ (٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ

(١) كَذَا فِي سِ وَالْأَصْلُ، وَفِي ر: «تَفَنَّتْ».

(٢) ر: «مَذَاهِبُهُ».

(٣) تَكْمَلَةٌ مِنْ س.

(٥) سُورَةُ الْإِنْبِيَاءِ ٥٨.

(٤) سُورَةُ هُودٍ ١٠٨.

(٦) سُورَةُ الْجِنِّ ٣.

مالك: «غنى ربنا». وقرأ سعيد بن جبير: «جدا ربنا». [ولو قرأ قارئ: «جدا ربنا» على معنى: جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط. وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط^(١)].

وهذا الشعر يُنشد بالكسر:

أجدك لم تغتمض ليلة
فترقدها مع رقادها

ومثله^(٢):

أجدك لم تسمع وصاة محمد
رسول الإله حين أوصى وأشهدا

لأن معناه أجداً منك، على التوقيف، وتقديره في النصب: «أجد جداً»، ويقال: امرأة جداء، إذا كانت لا تدى لها، فكأنه قطع منها، لأن أصل الجد القطع، ويقال: بلدة جداء، إذا لم تكن بها مياه. قال الشاعر:

وجداء ما يرجى بها ذو هوادة
لعرف ولا يخشى السماء ربيها^(٣)

[القرابة والهوادة في المعنى واحد. قال أبو الحسن: «السماء» هم الصادة نصف النهار، وروى عن بعض أصحابنا، عن المازني قال: إنما سُمي «سامياً» بالسماء، وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه، وهو عندى من «سما للصيد»].

يُنشد هذا البيت:

أبى حبي سليمى أن يبيدا
وأصبح حبلى خلقاً جديداً

يقول: أصبح خلقاً مقطوعاً، لأن «جديداً» فى معنى «مجدود» أى مقطوع، كما تقول: «قتيل ومقتول» و «جريح ومجروح».

(١) ما بين العلامتين زيادة من ر .

(٢) زيادات ر: «قول الأعشى». والبيت فى ديوانه ١٠٣ . وروايته: «نبى الإله».

(٣) البيت فى الكتاب ١ : ٢٩٤ : ١٤٤٢ . ونسبه إلى العنبرى ، وروايته.

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة
لعطف وما يخشى السماء ربيها

إلى العنبرى .

ويقال في غير هذا المعنى: رجلٌ مَجْدُودٌ. إذا كان ذا خَطَرٍ وَحَظٍّ^(١)، وفي الدعاء «وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»، أى مَنْ كَانَ لَهُ حَظٌّ فِي دُنْيَاهُ لَمْ يَدْفَعْ ذَلِكَ عَنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ بِهِ. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ - يَرِيدُ الْاجْتِهَادَ - لَكَانَ وَجْهًا.

وقوله: «سَنَّا بَرَقَ غَاوٌ» وَالسَّنَا: مِنَ الضَّيَاءِ مَقْصُورٌ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٢). وَالسَّنَاءُ: مِنَ الْمَجْدِ مَمْدُودٌ، وَقَالَ الشَّاعِرُ: وَهُمْ قَوْمٌ كَرَامَ الْحَيِّ طُرًّا لَهُمْ خَوَلٌ إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ وَضَرَبَهُ الْحَسَنُ^(٣) هَاهُنَا مَثَلًا وَجَمَعَ الرَّعْدَ فَقَالَ: رِعَادٌ، كَقَوْلِكَ: كَلْبٌ وَكِلَابٌ، وَكَعْبٌ وَكَعَابٌ.

وقوله: «بِمَاضِيِ الطُّبَى». طُبَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ حَدٌّ، يُقَالُ: وَخَزَهُ بِطُبَّةِ السِّيفِ، يَرَادُ بِذَلِكَ حَدُّ طَرَفِهِ.

وقوله: «أَزْهَاهُ طُولُ نَجَادٍ»، النِّجَادُ: حَمَائِلُ السِّيفِ، وَأَزْهَاهُ: رَفَعَهُ وَأَعْلَاهُ، وَالرَّجُلُ يُمْدَحُ بِالطُّوْلِ، فَلِذَلِكَ يُذَكَّرُ طُولُ حَمَائِلِهِ، قَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ يَمْدَحُ الْمَهْدِيَّ:

قَصُرَتْ حَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ وَلَقَدْ تَأْتَقَ قَيْنُهَا فَاطَالَهَا

وقال الحسنُ بْنُ هَانِيٍّ يَمْدَحُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ:

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ غَمَرَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامٌ^(٤)

وقال جريرٌ للفرزدق:

تعالوا ففاتونا ففى الحكم مقنع إلى الغر من أهل البطاح الأكارم
فإنى لأرضى عبد شمس وما قضت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

(١) ر: «أى حظ» . (٢) سورة النور ٤٣ .

(٣) يريد الحسن بن هانى .

(٤) غمر الجماجم . أى فرع القوم وعلاهم بطول قامته .

وقال الآخر :

لما التقى الصفان واختلف القنا نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القمماء ذلة وأن أشداء الرجال طوالها

وقوله : «أَمَامَ خَمِيسٍ» ، الخميسُ هاهنا : الجيشُ ، وكذلك قال رِبِيئَةُ أَهْلِ
خَيْبَرَ ، لَمَّا أَطَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، أَيْ وَالْجَيْشُ . وقال
الشاعرُ ، وهو طَرْفَةُ :

وأى خميس لا أفأنا تهابه وأسيفنا يقطرن من كبشه دما
أَفَأْنَا : رَدَدْنَا ، يقال : أَفَاءَهُ يُفِيءُ إِذَا رَدَّ . وَالْأَرْجُوَانُ : الْأَحْمَرُ^(١) قال الشاعرُ :
عَشِيَّةً غَادَرَتْ خَيْلِي حُمَيْدًا كأنَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أَرْجُوَانٍ
والجِيَادُ : الْخَيْلُ . وفى القرآن : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ﴾^(٢) .

ومن تشبيهه^(٣) الْجَيْدِ فى هذا الشعرالذى ذكرنا قوله :

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمْ رَجُلًا دَبًّا وَجَرَادًا^(٤)
فَيَوْمٌ لِلْحَاقِ الْفَقِيرِ بَذَى الْغِنَى وَيَوْمٌ رِقَابَ بُوكَرَتٍ لِحَصَادٍ

ومن التبشيه الجيد قوله^(٥) :

فَكَأَنِّى بِمَا أَزَيَّنُ مِنْهَا قَعَدِي يَزِينُ التَّحْكِيمَا
وكان سبب هذا الشعر أن الخليفة تشدّد عليه فى شرب الخمر ، وحبسه من
أجل ذلك حبسًا طويلًا ، فقال :

(١) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .

(٢) سورة ص ٢١ . (٣) أى الحسن بن هانئ .

(٤) الدبا : مقصور الجراد قبل أن يطير .

(٥) زيادات ر : «أى الحسن بن هانئ» .

أَيُّهَا الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ لَوْمَا
 نَلْنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ
 فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي
 كُبْرَ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ
 فَكَأَنِّي بِمَا أُزَيِّنُ مِنْهَا
 لَمْ يُطَقْ حَمْلُهُ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ
 لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمَا
 لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمَا
 لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
 أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشَمَّ النَّسِيمَا
 قَعْدَى يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا (١)
 بَ فَأَوْصَى الْمَطِيقَ أَلَّا يُقِيمَا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد.

قال: وحدثت أن العماني (٢) الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس:
 كَأَنَّ أذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةٌ أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا (٣)

فَعَلِمَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ أَنَّهُ قَدْ لَحَنَ، وَلَمْ يَهْتَدِ مِنْهُمْ أَحَدٌ لِإِصْلَاحِ الْبَيْتِ إِلَّا
 الرَّشِيدُ. فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: قُلْ: «تَخَالُ أذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا». والراجز وإن كان لَحَنَ فَقَدْ
 أَحْسَنَ التَّشْبِيهَ.

ويروى أن جريراً دخل إلى الوليدِ وابنِ الرقاع (٤) العامليُّ عنده يُنْشِدُهُ
 الْقَصِيدَةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمَعْضَلَاتِ وَسَادَهَا

قال جرير: فحسدته على أبيات منها، حتى أنشد في صفة الطيبة:

* تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

قال: فقلتُ في نفسي: وَقَعَ وَاللَّهِ، مَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ أَوْ يُشَبِّهَ بِهِ، قَالَ:

فَقَالَ:

(١) القعدى: من يرى رأى القعد؛ وهم الخوارج الذين يرون القعود والتحكيم ولا يخرجون إلى القتال.

(٢) العماني: هو محمد بن ذؤيب بن محجن البصري.

(٣) قادمة: واحدة القوادى؛ وهن أربع ريشات في مقدم الجناح. واللواتى بعدهن المناكب إلى أسفل الجناح.

(٤) هو الوليد بن عبد الملك، وابن الرقاع هو عدى.

* قَلَمَا أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا لَهُ أَنْ أُقِيمَ حَتَّى انصَرَفْتُ.

ومن التشبيه^(١) الحسن الذي نَسْتَطِرِفُهُ قوله:

تَعَاطِيكَهَا كَفُّ كَانَ بَنَانَهَا إِذَا اعْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفُّ مَدَارِي

ومن التشبيه المליح قوله:

وَكأنَّ سَلْمَى إِذْ تُودَّعُنَا^(٢) وَقَدْ اشْرَأَبَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَأَ^(٣)
رَشَاءُ تَوَاصَيْنِ الْقِيَانُ بِهِ حَتَّى عَقَدْنَ بِأُذُنِهِ شُنْفَأَ^(٤)

وفى هذا الشعر من التشبيه^(٥) الجيد قوله^(٥):

خَيْرُ فَوَادِكْ أَوْ سَتُخْبِرُهُ قَسَمًا لِيَتَّهَيْنَ أَوْ حَلَفَا
الْحُبُّ ظَهَرْتُ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عَنَانَهُ انصَرَفَا

ومن التشبيه الجيد قوله^(٦):

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ خَوْصٌ كَأَنَّمَا جَمَاجِمُهَا فَوْقَ الْحِجَاجِ قُبُورُ

(١) ر: «تشبيهه».

(٢) ر: «كأن سعدى» وما أثبتته عن الأصل، س.

(٣) زيادات ز: «يقال: اشْرَأَبَ لأن يَكْلَمُنِي» إذا تهيأ لكلامك. واشْرَأَبَ الدمع، إذا تهيأ للوكف.

(٤) الرشاء: الظبي إذا قوى واشتد، وتواصين، أوصى بعضهم بعضا.

(٥-٥) ساقط من ر.

(٦) من كلمة يمدح بها الخصيب، أمير مصر، وقيله:

ومازلت توليه النصيحة يافعًا إلي أن بدا في العارضين قتييرُ
إذا غاله أمرٌ فإمَّا كَفَيْتُهُ وإمَّا عليه بالكُفَاة تشيرُ

وله أيضاً :

سَأْرَحُلُ مِنْ قُودِ الْمَهَارَى شِمْلَةً مَسْخَرَةً مَا تَسْتَحِثُّ بِحَادَى (١)
مَعَ الرِّيحِ مَا رَاحَتْ فَإِنْ هِيَ أَعْصَفَتْ نُهُوزُ بِرَأْسٍ كَالْعَلَاةِ وَهَادَى (٢)

الْعَلَاةُ : السِّدَّانُ ، قَالَ جَرِيرٌ :

أَيْفَخَرُ بِالْمَحْمَمِ قَيْنُ لَيْلَى وَبَالَكِيرِ الْمَرْقَعِ وَالْعَلَاةِ

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة :

بُنِيَتْ عَلَى قَدَرٍ وَلَاءَمَ بَيْنَهَا طَبَقَانِ مِنْ قَيْرٍ وَمِنْ أُلُوحٍ
فَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ يَنْطَحُ صَدْرُهَا وَالْخَيْزِرَانَةُ فِي يَدِ الْمَلَّاحِ
جَوْثُ مِنَ الْعِقْبَانِ يَتَدَرُّ الدُّجَى يَهْوِي بِصَوْتٍ وَاصْطَفَاقِ جَنَاحِ

وقال في شعرٍ آخر ، يصفُ الخمرَ ، ويذكرُ صفاءَها ورقَّتَها ، وضياءَها وإشراقَها :

إِذَا هَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا (٣)

فأما قوله :

بَنِينَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءٍ مُدَامَةٍ جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بِنُجُومٍ
فَلَوْ رُدَّ فِي كِسْرَى بْنِ سَاسَانَ رُوحُهُ إِذَا لَا صُطْفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

(١) قود المهارى . القود: جمع قوداء، وهى الطويلة الظهر والعنق، والمهرى: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان .
أى حى من العرب .

(٢) النهوز، مبالغة من النهز، وهو الدفع .

(٣) قبله .

وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا أَجْزَاهَا فَلَمْ يَكُنْ لِيَأْبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرِبَا
فَجَوَزَهَا عَنِّي سُلَاقًا تَرَى لَهَا إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى شِعَاءً مُطَنَّبَا

فإنما كانت صورة كسرى فى الإناء وقوله :

جوانبها محفوفة بنجوم

فإنما يريد ما تطوق به من الزبد .

وقد قال فى أخرى :

[أول الشعر من غير الأم^(١) :

بها أثر منهم جديد ودارس
وأضغات ریحان جنى ويابس
وإنى على أمثال تلك لحابس^(٢)
ويوماً له يوم الترحل خامس
حبّتها بأنواع التصاوير فارس
مها تدرّيها بالقسي الفوارس
وللماء ما دارت عليه القلائس

ودار ندأى خلفوها وأدجوا
مساحب من جرّ الزقاق على الثرى
حبست بها صحنى فألفت شملهم
أقمنا بها يوماً ويوماً وليلة
تدار علينا الراح فى عسجدية
قرارتها^(٣) كسرى وفى جنباتها
فللخمر مازرت عليه جيوبها

العسجدية : منسوبة إلى العسجد ، وهو الذهب .

وقال الملقّب العبدى :

إلا بما شئنا ولم يوجد
كل صباح آخر المسند
سبعون قنطاراً من العسجد

قالت ألا تشترى ذاك
إلا ببدري ذهب خالص
من مال من يجنى ويجنى له

وقوله : «تدرّيها» أى تختليها . يقال : دريت الصيد . إذا ختلته . قال

الأخطل :

(١) الأم هنا أصل الكتاب .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) قرارتها : منصوب على الظرفية .

وإن كنت قد أقصدتني إذ رميتني بسهمك والرامي يصيد وما يدرى

وقال الحسن بن هانئ :

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مَغْتَابُ^(١)
كَأَنَّمَا أَتُّنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا^(٢) عَلَيْكَ عِنْدِي بِالذِي عَابُوا

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لحجل بن نضلة، وقد ذكر معاوية بن شغل، فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! إِنَّهُ لَقَعُوا الْأَلَيْتَيْنِ، مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ، فَحِجُّ الْفَخْذَيْنِ، مَشَاءُ بِأَقْرَاءٍ، تَبَاعُ إِمَاءٍ، قَتَلُ ظَبَاءٍ. فقال النعمان: أردت أن تذييه فَمَدَدْتَهُ.

قوله: «مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ»، يقول: لنعله قِبَالَ. يَنْسُبُهُ إِلَى التَّرَفَةِ. وَتَبَاعُ إِمَاءٍ. وَقَتَلُ ظَبَاءٍ. من ذلك.

وَالْقَعْوُ: مَا تَدُورُ فِيهِ الْبَكْرَةُ إِذَا كَانَ مِنْ خَشَبٍ.

وقوله: «تَذِيه» معناه تَذَمُّهُ. يُقَالُ: ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وَذَامَهُ يَذِيهِ ذِيماً، وَذَامَهُ يَذَامُهُ ذَامًا. والمعنى واحد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَذْجُورًا﴾^(٣). وقال الحارث بن خالد المخزومي لعبد الملك:

صَحْبَتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا تَرُودُهَا فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيهَا

وقوله: «فَمَدَدْتَهُ» يريد «مَدَحْتَهُ». فَأَبْدَلَ مِنَ الْحَاءِ هَاءً، لِقُرْبِ الْمَخْرَجِ، وَبَنُو سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءُ بْنُ تَمِيمٍ كَذَلِكَ تَقُولُ. وَلَحْمٌ وَمَنْ قَارَبَهَا.
قال رُؤْبَةُ :

لِلَّهِ فِي الْغَنَائِيَاتِ الْمَدَّةُ^(٤) سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مَنْ تَأَلَّهِي^(٥)

يريد «المُدَّح»، وفي هذه الأَرْجُوزَةُ :

(١) ر : «ما اغتابوا». وهذه رواية الأصل .

(٢) ر : «كأنهم» .

(٣) سورة الأعراف ١٨ .

(٤) المدَّة : اللاتى يتمدحن بالجمال .

(٥) استرجعن : قلن : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

* بَرَأَقُ أَصْلَادَ الْجَيْنِ الْأَجَلَهُ (١) *

يريدُ الأجلَحَ، والعربُ تقولُ: جَلَحَ الرجلُ جَلَحًا. وجَلِهَ يَجْلَهُ جَلَهًا.
وجَلَى يَجْلَى جَلَى، والمعنى واحدٌ، قال العجاجُ:

* مَعَ الْجَلَا وَلَائِحَ الْقَتِيرِ *

ومثلُ بيتِ الحسنِ وكلامِ النعمانِ قولُ عمرو بنِ مَعْدِيكَرِبٍ:
كَأَنَّ مُحَرَّشًا فِي بَيْتِ سَعْدَى يُعَلُّ بِعَيْبِهَا عِنْدَى شَفِيعُ (٢)

وفى قصيدةِ الحَسَنِ هذه :

إِنْ جِئْتَ لَمْ تَأْتِ وَإِنْ لَمْ أَجِئْ جِئْتُ، فَهَذَا مِنْكَ لِي دَابْ!
كَأَنَّمَا أَنْتَ - وَإِنْ كُنْتَ لَا تَكْذِبُ فِي الْمِيعَادِ - كَذَابُ

وهذا كلام طَرِيفٌ.

ومن حَسَنِ تَشْبِيهِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ الْعَقِيلِيِّ (٣):

وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سَحَرًا (٤)
وَتَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ بَنَانُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا (٤)

وهذا التشبيهُ الجامعُ.

ونظيرهُ فِي جَمْعِ شَيْئَيْنِ لِمَعْنَيْنِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضَرْغَامًا

ومن حَسَنِ التَّشْبِيهِ مِنْ قَوْلِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلِ عَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

(١) أى لا شعر فوق جبينه. تشبيهاً بالبحر الصلد.

(٢) يعل، من العل، وهو السقية الثانية.

(٣) ساقطة من ر. (٤) قبلهما :

حَـوَرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتَكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كُـسَيْنَ زَهْرًا

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصِيبَتْ
نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشَقُوا
تُضَىٰ لِلنَّاسِ وَهَىٰ تَحْتَرَقُ (١)
فهذا حسنٌ في هذا جداً .

ومن حسنٍ ما قالوا في التشبيهِ قولُ إسماعيلَ بنِ القاسمِ أبي العتاهية
للرَّشيد :

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ
تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ فَضْلٍ
عَلَيْكَ مِنَ الثَّقَىٰ فِيهِ لِبَاسٌ
وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تَسَاسُ
لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسٌ
كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكْبَ فِيهِ رُوحٌ

وقد أخذَ هذا المعنى على بن جبلة . فقال في مدحه حميد بن عبد الحميد .
وزادَ في الشرح والترتيب . فقال :

يَرْتَقُ مَا يَفْتَقُ أَعْدَاؤُهُ
فَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهَدَى
وَكَيْسَ يَأْسُو فَتَقَهُ آسَى (٢)
رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

والعربُ تَحْتَصِرُ في التشبيهِ، وربما أومأتُ به إيماءً، قال أحدُ الرُّجَّازِ :
بِتَنَا بِحَسَّانَ وَمَعَزَاهُ تَتَطَّ
حَتَّى إِذَا كَادَ الظَّلَامُ يَخْتَلِطُ (٥)
مَازَلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَلْتَبِطُ (٤)
جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُّ !

يقول في لَوْنِ الذُّبِّ . واللُّبْنُ إِذَا جُهِدَ (٦) وَخِلِطَ بِالْمَاءِ ضَرَبَ إِلَى الْغُبْرَةِ .
وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

وَتَشْرِبُهُ مَخْضًا وَتَسْقَى عِيَالَهَا
سَجَاجًا كَأَقْرَابِ الثَّعَالِبِ أَوْ رَقَا

(١) الذُّبَالَةُ : الفتيلة .

(٢) الرَّتْقُ : ضد الفتق ؛ وهو لَأَمُ الفتق وإصلاحه .

(٣) تَتَطَّ : من الأطيط ؛ وهو صوت الأمعاء من الجوع .

(٤) الالْتِبَاطُ : العدو والثوب .

(٥) ر : « كان الظلام » . وما أثبتته من الأصل . س .

(٦) جهد اللين : أخرج ربه كله .

السَّجَّاجُ: الرقيق الممدوق. والقربان: الجنان. والواحد قُربٌ.

(١) والجميعُ أقرابٌ^(١)، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ - وقد شاورَ في رجلٍ جنَى جَنَايةً، وجاء قومُه يَشْفَعُونَ له، فشَفَعَ له قومٌ آخرون، فقال له عمر: يا رسولَ الله. أرى أن توجعَ قُرْبِيه، فقال القومُ: يا رسولَ الله، إنَّكَ لَن تَشْتَدَّ عَلَيَّ أَمَّتُكَ بِقولِ عمر. فنزلَ إليه جبريلُ ﷺ فقال له ثلاثاً: يا محمدُ، القولُ قولُ عُمَرَ، شُدَّ الإسلامَ بعمر. فخرجَ رسولُ الله ﷺ فضرَبَ الرَّجُلَ.

والأورقُ: لونٌ بينَ الخضرةِ والسَّوادِ، يقال: جَمَلَ أَوْرَقُ بَيْنَ الْوَرْقَةِ، وهو الأُمُّ ألوان الإبل عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا.

ومن مَليح التشبيه للمُحَدِّثِينَ^(٢) قولُ عبد الصَّمَدِ بنِ المَعْدِلِ في صفةِ العَقْرَبِ:

تُبْرَزُ كَالْقَرْنَيْنِ حِينَ تُطْلَعُهُ	تُرْجُلُهُ مَرًّا وَمَرًّا تَرْجَعُهُ ^(٣)
فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ خَلَقَ تَفْطَعُهُ	أَعْصَلَ خَطَّارٌ تَلُوحُ شُنْعُهُ ^(٤)
أَسْوَدَ كَالسَّبْجَةِ فِيهِ مِبْضَعُهُ	لَا تَصْنَعُ الرِّقْشَاءُ مَا لَا يَصْنَعُهُ ^(٥)

وفى هذه الأرجوزة أيضًا :

بَاتَ بِهَا حَيْنٌ حُبِيشٌ يَتَّبَعُهُ	وَبَاتَ جَذْلَانٌ وَثِيرًا مَضْجَعُهُ ^(٦)
ذَا سَنَةٍ آمِنَ مَا يَرُوعُهُ	حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ لِحْتَفٌ تَرْمَعُهُ
فَاطَتْ تَجَمُّ سَمَّهَا وَتَجْمَعُهُ	يَا بُؤْسَ لِلْمُودَعِ مَا يُودَعُهُ ^(٧)
فَشَرَعَتْ أُمُّ الْحَمَامِ إصْبَعُهُ	أُنَحْتَ عَلَيْهِ كَالشَّهَابِ تَلْدَعُهُ ^(٨)

(١-١) ساقط من ر .

(٢) ساقطة من ر .

(٤) السبت : الجلد المدبوغ. وخلق. مخلوق. يريد ذنبها. تفتعه: تراه فظيعا. أعصل. من العصل، وهو الالتواء في الشيء. وخطار : كثير الحركة يمينا وشمالا . (من رغبة الأمل).

(٥) السبجة: بردة من صوف فيها سواد وبياض، والرقشاء: الحية فيها نقط سود وبيض.

(٦) حبش هنا : اسم اللدغ، والحين : الهلاك .، ووثيرا، من الوثارة . وهى لين الفراش.

(٧) فاطت : أخرجت سمها . (٨) شرعت : دنت .

عَطَّكَ سَرَبَالَ حَرِيرٍ تَخْلَعُهُ فكلَّ خِلٍّ ظَاهِرٍ تَفْجُّعُهُ^(١)
يَزْدَادُ مِنْ بَغْتِ الْحَمَامِ جَزَعُهُ واليأسُ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَوْقُّعُهُ
وكذلك قال يزيدُ بنُ ضَبَّةَ [أو يزيد بن الصمة^(٢)] .

[قال أبو الحسن : شك العباس في أنه لأحدهما . أعنى هذا البيت] .
ولكنهم بانوا ولم أدرِ بَغْتَةً وأفطعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَوُكَ الْبَغْتُ^(٣)

ومن أحسن التشبيه ومليحه قولُ رجلٍ يَهْجُو رَجُلًا بِرَثَاةِ الْحَالِ :
يَأْتِيكَ فِي جُبَّةٍ مَحْرَقَةٍ أَطُولُ أَعْمَارَ مِثْلَهَا يَوْمُ
وُطَيْلَسَانَ كَالْأَلِ يَلْبَسُهُ على قَمِيصٍ كَأَنَّهُ غَيْمُ

والتشبيه كثيرٌ ، وهو بابٌ كأنه لا آخرَ له ، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا
الكتابُ من شيءٍ من المعاني .

ونختمُ ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد . ثم نأخذُ
في غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقْرِيبُهُ الْمَرَطَى وَالْجَوْنَ مُعْتَدِلٌ كَأَنَّهُ سُبْدٌ بِالماءِ مَغْسُولٌ

السُّبْدُ : طائرٌ بعينه . وقد قالوا : الخُطْفَةُ التي توضعُ عند البئر ، وهو بالطائرِ
أشبه ، وإنما أراد العَرَقَ في هذا الوقتِ ، وخيرُ الخيل ما لم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِئْ ،
فإذا جاء في وقته شَمَلَهُ .

قال الرَّاجِزُ :

كَأَنَّهُ وَالطَّرْفُ مِنْهُ سَامِي مُشْتَمِلٌ جَاءَ مِنَ الْحَمَامِ

وقال الأعشى :

(١) العَط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين .

(٢) تكملة من س ، وفي ر : «أو للعرجم» ، ولعله : «أو للعرجي» .

(٣) حاشية الأصل : «في غير هذا الموضع إنه لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي» .

يُعَادِي النُّحُوصَ وَمُسْحَلَهَا وَعِفْوَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمَ
النُّحُوصَ، جَمَاعُهَا نَحْصٌ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْمِلْ فِي عَامِهَا، وَالْمُسْحَلُ:
الْعَيْرُ، وَالْعِفْوُ: الْوَلَدُ وَجَمْعُهُ عَفَاءٌ. فَاعْلَمْ؛ وَهُوَ أَسْعَى لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِعَامِهِ.
وَيَسْتَحِمُ: يَغْرُقُ. وَفِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ: «مَضَجَعُهُ كَمَسَلِ الشُّطْبَةِ»^(١) وَتَكْنِيهِ ذِرَاعُ
التَّجْفَرَةِ»^(٢). وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خَمِصَ الْبَطْنِ، وَهَذَا تَمَدُّحٌ بِهِ الْعَرَبُ وَتَسْتَحْسِنُهُ، فَأَمَّا
قَوْلُ مَتَمِّ بْنِ نُوَيْرَةَ:

* فَتَى غَيْرَ مِبْطَانَ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا^(٣) *

فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْجِلُ بِالْعِشَاءِ لِأَنَّهُ يَنْتَظِرُهُ الضَّيْفَ، كَمَا قَالَ:
وَضَيْفٌ إِذَا أَرَقَى طُرُوقًا بَعِيرُهُ وَعَانِ نَاهُ الْغُلِّ حَتَّى تَكْنَعَا^(٤)
وَقَالُوا فِي قَوْلِ الْخَنَسَاءِ:
يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
قَالُوا: أَرَادَتْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ وَقْتَ الْغَارَةِ. وَبِغُرُوبِ الشَّمْسِ وَقْتَ
الْأَضْيَافِ.

* * *

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ أَهْلِهِ^(٥): وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِعَظِيمِ الرَّأْسِ فَتَكُونُ سَيِّدًا، وَلَا
بَأَرْسَحَ^(٦) فَتَكُونُ فَارِسًا.
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ لِرَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ: وَاللَّهِ مَا فُتِقَتْ فَتَقُ السَّادَةِ. وَلَا
مُطِلَّتَ مَظِلَّ الْفُرْسَانِ.

(١) الشُّطْبَةُ: السَّعْفَةُ الَّتِي تَشْطَبُ مِنَ الْجَرِيدِ.

(٢) التَّجْفَرَةُ: مَا بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ وَلَدِ الشَّاةِ.

(٣) الْمِبْطَانُ: الْعَظِيمُ الْبَطْنِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَكْلِ. وَصَدْرُهُ:

* لَقَدْ كَفَّنَ الْمَنَهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ *

(٤) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا ضَلَّ الرَّجُلُ أَرْغَى بِعَيْرِهِ. أَيْ حَمَلَهُ عَلَى الْوَرَعَاءِ لِتَجْنِيهِ الْإِبِلَ بِرَغَائِهَا، أَوْ تَنْجِيهِ لِرَغَائِهِ
الْكَلَابَ فَيَقْصِدُ الْحَيَّ. وَالْعَانِي: الْأَسِيرُ، وَالطَّرُوقُ: الْإِتْيَانُ لَيْلًا. وَتَكْنَعُ الْأَسِيرُ: تَقْبِضُ وَاجْتَمَعَ.

(٥) ر: «لَابِنُ لَهُ».

(٦) الْأَرْسَحُ: قَلِيلُ لَحْمِ الْفَخْذَيْنِ وَالْأَلْيَتَيْنِ.

فهذه كلها نعوت قد عُرِفَتْ لقوم حتى كأنها سماتٌ لهم. وكانوا يقولون:
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْفَارَسُ (١) مُهْفَهْفَ الْخَصْرَيْنِ (٢)، مُتَوَقِّدَ الْعَيْنَيْنِ، حَمَشَ
الذَّرَاعَيْنِ (٣). وأنشد الأصمعي:

* كأنما ساعده ساعداً ذيب *

قالوا: ومن نعت السيد أن يكونَ حَيِّماً، ضَخَمَ الهامة، جَهِيرَ الصَّوْتِ، إذا
خطأ أبعد، وإذا تَوَمَّلَ مَلَأَ الْعَيْنَ؛ لِأَنَّ حَقَّه أَنْ يَكُونَ فِي صَدْرِ مَجْلِسٍ، أَوْ ذِرْوَةِ
مَنْبَرٍ، أَوْ مَنْفَرَدًا فِي مَوْكِبٍ.

وكانوا يقولون في نعت السيد: يَمْلَأُ الْعَيْنَ جَمَالًا، وَالسَّمْعَ مَقَالًا.

* * *

وقال أبو عليٍّ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ فِي رَجُلٍ نَسَبَهُ إِلَى السُّودَدِ، بِقَوْلِهِ لِمَعَاذِ بْنِ
جَبَلِ بْنِ سَعِيدِ الْحَمِيرِيِّ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَقِيهِ:

وَتَحَيَّتْ لَهُ فِي الْحَاشِيَةِ (٤)	فَإِذَا جَالَسْتَهُ صَدَّرْتُهُ
وَتَأَخَّرْتَ مَعَ الْمُسْتَأْنِيَةِ (٥)	وَإِذَا سَايَرْتَهُ قَدَّمْتَهُ
سَلَسَ الْخَلْقَ سَلِيمَ النَّاحِيَةِ (٦)	وَإِذَا يَاسَرْتَهُ صَادَفْتَهُ
شَرَسَ الرَّأْيَ أَبْيَا دَاهِيَةِ (٧)	وَإِذَا عَاسَرْتَهُ صَادَفْتَهُ
وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ مِنْهُ الْعَافِيَةَ	فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى صُحْبَتِهِ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ في قوله :

بِشْرِ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتُهُ عَسِرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورٌ (٨)

(١) ر : «ينبغي للفارس أن يكون» .

(٢) مهفف الخصرين : ضامرهما .

(٣) حمش الذراعين . أى دقيقهما .

(٤) حاشية كل شيء طرفه وجانبه .

(٥) المستأنية : المتمهلة البطيئة .

(٦) ياسرته : لايته وساهلته .

(٧) شرس الرأي : سيئ الخلق .

(٨) هو بشر بن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

باب

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام، وجيد الشعر، وسائر الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله .

[الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك]

كان الحجاج بن يوسف يَسْتَقْبِلُ زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ، فلما أَثْنَتِ الْوُفُودُ عَلَى الْحَجَّاجِ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالْحَجَّاجُ حَاضِرٌ، قَالَ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْحَجَّاجَ سَيْفُكَ الَّذِي لَا يَنْبُو، وَسَهْمُكَ الَّذِي لَا يَطِيشُ، وَخَادِمُكَ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيكَ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أَخَفَّ عَلَى قَلْبِ الْحَجَّاجِ مِنْهُ .

[لابن قيس الرقيات في معاتبته المهلب]

ولزياد يقول ابن قيس الرقيات في معاتبته المهلب بن أبي صفرة :

أَبْلَغَا جَارِيَّ الْمَهْلَبِ عَنِّي	كُلُّ جَارٍ مُفَارِقٌ لَا مَحَالَهُ
إِنَّ جَارَاتِكَ الْلَوَاتِي بَتَكَرِ	يَتَلْتَبِيزُ رَجُلُهُنَّ مَقَالَهُ (١)
لَوْ تَعَلَّقْنِ مِنْ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو	بِحَبَالٍ لَمَّا ذَمَّ مَنْ حَبَالَهُ
غَلَبَتْ أُمُّهُ أَبَاهُ عَلَيْهِ	فَهُوَ كَالْكَابِلِيِّ أَشْبَهَ خَالَهُ (٢)
وَلَقَدْ غَالَنِي يَزِيدٌ وَكَانَتْ	فِي يَزِيدٍ خِيَانَةٌ وَمَغَالَهُ (٣)
عَتَكِيٌّ كَأَنَّهُ ضَوْءٌ بَدْرٍ	يَحْمَدُ النَّاسُ قَوْلَهُ وَفَعَالَهُ

[نبذة من أقوال الحكماء]

وقال أسماءُ بنُ خارجَةَ الْفَزَارِيُّ : لَا أَشَاتِمُ رَجُلًا، وَلَا أَرُدُّ سَائِلًا، فَإِنَّمَا هُوَ كَرِيمٌ أَسَدٌ خُلَّتْهُ، أَوْ لَيْثٌ أَشْتَرَى عَرَضِي مِنْهُ .

وقال سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي مَقَالَةٍ أَنْ يَبْدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ قَبْلَ اسْتِفْتَاحِهَا، كَمَا بَدَأَ بِالنِّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا .

(١) تكررت: بلد بين بغداد والموصل .

(٢) قال المصنف: «يريد أن شهوة أمه سبقت شهوة أبيه فسرت أعرافها فيه» فلم يشبهه أباه في صلابة عوده ونجاسته. والكابلي: منسوب إلى كابل؛ وهو ثغور طخارستان، نسبة إلى العجم .

(٣) المغالة : الخيانة .

وكان يقولُ عند التَّعْزِيَةِ : التَّهْنِئَةُ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلِ
المُصِيبَةِ .

وأراد رجلٌ الحجَّ ، فَأَتَى شُعْبَةَ بنَ الحِجَاجِ يُودِّعُهُ ، فقال له شعبة : أَمَا إِنَّكَ إِنْ
لَمْ تَرَ الْحِلْمَ ذُلًّا ، وَالسَّفَهَ أَنْفًا ! سَلِّمْ لَكَ حَجَّكَ .
وقال أُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ : إِنْ حَقَّقَ اللَّهُ لَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ مُسْلِمٍ دِرْهَمًا .

[لِدَعْبِلِ يَذْمُ رَجُلًا]

وقال دَعْبِلُ بنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ يَذْمُ رَجُلًا :
رَأَيْتُ أَبَا عِمْرَانَ يَبْذُلُ عَرْضَهُ وَخُبْزُ أَبِي عِمْرَانَ فِي أَحْرَزِ الْحَرْزِ
يَحِنُّ إِلَى جَارَاتِهِ بَعْدَ شِبْعِهِ وَجَارَاتُهُ غَرَّتْنِي تَحْنٌ إِلَى الْخُبْزِ

[لِبَعْضِ آلِ الْمُهَلْبِ]

وقال آخر (١) :

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلَامَهُمْ وَأَسْتَوْنَقُوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالْدَارِ
لَا يَقْسِسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ (٢) وَلَا تَكْفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ (٣)

[لِرَجُلٍ مِنْ طَيْئٍ وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ]

وقال رجلٌ مِنْ طَيْئٍ ، وكان رجلٌ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ ، مِنْ وَلَدِ عُرْوَةَ بنِ
زَيْدِ الْخَيْلِ ، قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ ، ثُمَّ أُقِيدَ بِهِ بَعْدُ :
عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ الْحُمَى رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضٍ مَصْقُولِ الْغَرَارِ يَمَانِ
فَلِنْ تَقْتُلُوا زَيْدًا بَزِيدٍ فَإِنَّمَا أَقَادَكُمْ السُّلْطَانُ بَعْدَ زَمَانِ

(١) نسبهُ أَبُو تَمَامٍ فِي الْحِمَاسَةِ ٤ : ٩٠ إِلَى بَعْضِ آلِ الْمُهَلْبِ . وَقَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِهِ : «هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَلَقَبَهُ أَبُو الْأَنْوَارِ» .

(٢) الْقَبْسُ : الشَّعْلَةُ مِنَ النَّارِ ، وَالْقَابِسُ : طَالِبُ النَّارِ . (٣) زِيَادَاتُ ر : أَظُنُّ تَمَامَهُ :
حَتَّى إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كَلَبَهُمْ قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُولَى عَلَى النَّارِ
قَامَتْ بِأَحْمَرِهَا تَبْدَى مَشَافِرَهُ كَأَنَّهُ رِثَّةٌ فِي كَفِّ جَزَارِ

وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ لِلْأَخْطَلِ ، وَرَوَاتِهِ فِي دِيَوَانِهِ «قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ . . .»

[قال أبو الحسن . وأنشدنا غيره :

عَلَا زِيدُنَا يَوْمَ النَّقَى رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَيُّضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ يَمَانِ]

[لشمعل التغلبي حين ضربه عبد الملك بن مروان]

قال : كلم شمعل التغلبي عبد الملك كلما لم يرضه ، فرماه عبد الملك بالجرز^(١) فخدش وهشم ، فقال شمعل :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بِالرَّجْلِ مَنِي تَبَاشَرْتُ عُدَاتِي ، فَلَا عَيْبَ عَلَيَّ وَلَا سُخْرُ
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفَهُ لَكَالدَّهْرُ ، لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ !

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد .

وقال زياد : كفى بالبخل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجوّد مجدا أن اسمه لم يقع في ذم قط .

وقال آخر :

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَذْلًا مَاذَا مِنَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ !
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعُلُّهُ إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَاهُ بِهِ لِلْخَاطِبِينَ فَإِنِّي لَيِّنُ الْعُودِ

قوله : «إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ» يريد المال ، وضربه مثلا . ويقال : أتى فلان فلانا يَخْتَبِطُ ما عنده . والاختبَاطُ : ضربُ الشجرِ لِيَسْقُطَ الورقُ ، فجعل الخابط الطالب ، والورقَ المالَ ، كما قال زهير :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا

[بخل الحطيئة]

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة ، وهو يرعى غنما له ، وفي يده عصا ، فقال

(١) الجرّز : عمود من حديد .

الضَّيْفُ: يَرَاغِي الغَنَمَ [ما عندك؟] (١)، فأومأ إليه الحطيئة بعصاهُ، وقال: عَجْرَاءُ
من سَلِمَ (٢)، فقال الرجلُ: إني ضَيْفٌ، فقال الحطيئةُ: للضَّيْفَانِ أَعَدَدْتُهَا!

[متفرقات من شعر دَعْبَل]

وقال دَعْبَلٌ :

وَابْنُ عَمْرَانَ يَتَغَيَّ عَرِيًّا لَيْسَ يَرْضَى الْبَنَاتَ لِلْأَكْفَاءِ
إِنْ بَدَتْ حَاجَةٌ لَهُ ذَكَرَ الضَّيْفَ فَوَيْنَسَاهُ عِنْدَ وَقْتِ الْغَدَاءِ

وقال أيضا :

أَضْيَافُ سَالِمٍ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَا وَفِي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعٍ
وَضَيْفٌ عَمَرُو وَعَمَرُو يَسْهَرَانِ مَعًا عَمَرُو لِبَطْنَتِهِ وَالضَّيْفُ لِلْجُوعِ

وقال أيضا :

مَا يَرْحَلُ الضَّيْفُ عَنِّي بَعْدَ تَكْرِمَةٍ إِلَّا بِرَفْدٍ وَتَشْيِيعٍ وَمَعْدَرَةٍ

وقال أيضا :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا وَصَبَرْنَا عَلَى رَحَى الْأَسْنَانِ
صَوْتُ مَضْغِ الضُّيُوفِ أَحْسَنَ عِنْدِي مِنْ غِنَاءِ الْقِيَانِ بِالْعِيدَانِ
[وقال القرشيُّ من بني أُمَيَّةَ :

إِذَا مَا وَتَرْنَا لَمْ نَنْمُ عَنْ تَرَاتِنَا وَلَمْ نَكُ أَوْغَالًا نَقِيمُ الْبُؤَاكِيَا (٣)
وَلَكِنَّا نَمْضِي الْجِيَادَ شَوَازِبَا فَنَرْمِي بِهَا نَحْوَ التُّرَاتِ الْمَرَامِيَا (٤)

(١) تكملة من س . (٢) العجاء : التي فيها عقد . والسلم : شجر من العضاء .

(٣) وترنا : قتل منا قتيلا ، والترات : جمع ترة . وهي النسل ، والأوغال : جمع غل ، وهو النذل الضعيف من الرجال .

(٤) الشواذب من الخيل : الضوامر .

[لجربير يفتخرو ويهجو الأخطل وقومه]

وقال جربير :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْخِلَافَةَ تَغْلِبًا جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا (١)
مُضَرُّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ وَهَلْ لَكُمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِ كَأَيْنَا !
هَذَا ابْنِ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَى قَطِينَا (٢)
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ إِذْ تَحَفَّ كَسَارَهَا أَضْحَى لَتَغْلِبَ وَالصَّلِيبِ خَدِينَا (٣)
وَلَقَدْ جَزَعْتَ إِلَى النَّصَارَى بَعْدَمَا لَقِيَ الصَّلِيبُ مِنَ الْعَذَابِ مُهِينَا
هَلْ تَشْهَدُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرًا أَوْ تَسْمَعُونَ مِنَ الْأَذَانِ أَذِينَا! (٤)

قال أبو العباس : حدثني عُمارةُ بن عقيل بن بلال بن جربير ، قال : لما بلغ الوليد قوله :

هذا ابن عمي في دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَى قَطِينًا
قال الوليد : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ قَالَ : «لَوْ شَاءَ سَاقَكُمْ» ، لَفَعَلْتُ ذَاكَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : «لَوْ شِئْتُ» فَجَعَلَنِي شُرْطِيًّا لَهُ .

وَيُرَوَّى أَنَّ بِلَالًا (٥) قَعْدَ يَوْمًا يَنْظُرُ بَيْنَ الْخُصُومِ ، وَرَجُلٌ مِنْهُمْ نَاحِيًا يَتَمَثَّلُ
قَوْلَ الْأَخْطَلِ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ (٦) :

وَابْنُ الْمَرَاغَةِ حَبَابِسُ أَعْيَارُهُ مَرَمَى الْقَصِيَّةِ مَا يَذْقَنَ بِلَالًا (٧)

(١) الخرز : ضيقو الجفون ، يصفهم بأنهم ينظرون بمؤخر عيونهم حقداً وغيظاً وعداوة .

(٢) القطين : الخدم والمماليك .

(٣) تحف : تنسك وتأله .

(٤) الأذنين : المؤذن .

(٥) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري القاضي .

(٦) في هجاء جربير .

(٧) المراغة في الأصل : الموضع تتمرغ فيه الدواب ، وتقال أيضاً للأتان التي لا تمتنع من الفحول . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار ، والقصة : الموضع المتنحى البعيد . والبلال : ما بل الحلق من ماء وغيره .

فسمعه بلالٌ، فلما تقدّم مع خصمه قال له بلالٌ: أَعِدْ عَلَى^(١) إِنْشَادِكَ،
فَغَمَزَهُ بَعْضُ الْجُلَسَاءِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَنْ قَالَهُ، وَ لَا فِيمَنْ قِيلَ؟
فَقَالَ بِلَالٌ: أَجَلٌ، هُوَ أَسِيرٌ مِنْ ذَاكَ، هَلُمَّا فَاحْتَجًّا.

وقال جرير :

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ فَمَا رَأَيْتَا كَدَارَ بَيْنَ تَلْعَةٍ وَالنَّظِيمِ
عَرَفْتُ الْمَتَاىَ وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا الْقَدْرِ كَالْحِدَا الْجُثُومِ^(٢)

وقال آخر :

لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ إِذْ تَوَلَّيْتُ وَلَمْ تَخْشِ الْعُقُوبَةَ فِي التَّوَلَّيِ^(٣)
عَرَفْتُ الدَّارَ يَوْمَ وَقَفْتُ فِيهَا بِرِيحِ الْمِسْكِ تَنْفَحُ فِي الْمَحَلِّ

(١) ساقطة من ر .

(٢) جثوم: جمع جائمة ؛ من جثم الطائر إذا لصق بالأرض فلم يبرح .

(٣) تبلى فؤادك: أسقطته وأدنفته .

باب

من أخبار الخوارج

[في بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبي]

قال أبو العباس: ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الصُّفَرِيَّةِ أَنَّ الْخَوَارِجَ ^(١) لَمَّا عَزَمُوا عَلَى الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ مِنَ الْأَزْدِ، تَكَرَّهَ ذَلِكَ. فَأَبَوْا مَنْ سِوَاهُ، وَلَمْ يُرِيدُوا غَيْرَهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَ: يَا قَوْمُ، اسْتَبَيْتُوْا الرَّأْيَ، أَيْ دَعَوْهُ يَغِبُ ^(٢).

وكان يقول: نعوذ بالله من الرأي الدبري.

قوله: «استبيتوا الرأي» يقول: دَعَا رَأْيَكُمْ تَأْتِي عَلَيْهِ لَيْلَةٌ ثُمَّ تَعَقَّبُوهُ. يقال: بَيَّتَ فُلَانٌ كَذَا، إِذَا فَعَلَهُ لَيْلًا، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿إِذْ يَبْيُتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ ^(٣)، أَيْ أَدَارُوا ذَلِكَ بَيْنَهُمْ لَيْلًا ^(٤). وَأَنشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا يَبْيُتُونَ وَكَانُوا أَتُونِي بِأَمْرِ نَكَرَ
لَأُنْكِحَ أَيَّمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرٌّ لَحْرًا!

وَالرَّأْيُ الدَّبْرِيُّ: الَّذِي يَعْزُضُ ^(٤) بَعْدَ وَقُوعِ الشَّيْءِ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ ^(٥):

وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبَّرًا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم، ولسان وشجاعة، وإنما لجئوا إليه وخلقوا معدن الإيادي، لقول معدان:

(١) من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا. سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. والصفريّة: طائفة من الخوارج؛ تابعوا زياد بن الأصفر، ويقال لهم: الزيادة أيضا. الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٢٣.

(٢) يغيب: أي يبيت.

(٣) سورة النساء ١٠٨.

(٤) ر: «ليلا بينهم».

(٤) ر: «من بعد».

(٥) في هجاء الفرزدق وقومه من بني مجاشع.

سَلامٌ عَلَى مَنْ بَايَعَ اللَّهَ شَارِيًّا^(١) وليس على الحزب المقيم سَلامٌ
فبرئت منه الصُّفْرِيَّةُ، وقالوا: خالفت، لَأَنَّكَ بَرِئْتَ مِنَ الْقَعْدِ^(٢) والخوارج
فى جميع أصنافها تَبَرَأَ مِنَ الْكَاذِبِ . وَمِنْ ذِى الْمَعْصِيَةِ الظَّاهِرَةِ .

[شائهم مع و اصل بن عطاء]

وَحَدَّثَ أَنَّ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ أَبَا حُذَيْفَةَ أَقْبَلَ فِى رُفْقَةٍ ، فَأَحَسُّوا الْخَوَارِجَ ،
فَقَالَ وَاصِلٌ لِأَهْلِ الرَّفْقَةِ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ ، فَاعْتَزَلُوا وَدَعُونِى وَإِيَّاهُمْ
- وَكَانُوا قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْعَطَبِ - فَقَالُوا : شَأْنُكَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : مَا أَنْتَ
وَأَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : مُشْرِكُونَ مُسْتَجِيرُونَ ، لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ، وَيَفْهَمُوا^(٣) حُدُودَهُ .
فَقَالُوا : قَدْ أَجْرَنَّاكُمْ ، قَالَ : فَعَلَّمُونَا ، فَجَعَلُوا يَعْلَمُونَهُ أَحْكَامَهُمْ . وَجَعَلَ يَقُولُ : قَدْ
قَبِلْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِى ، قَالُوا : فَاْمُضُوا مُصَاحِبِينَ ، فَإِنَّكُمْ إِخْوَانُنَا ! قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ
لَكُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾^(٤) ، فَأَبْلَغُونَا مَأْمَنًا . فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالُوا :
ذَاكَ لَكُمْ ، فَسَارُوا بِجَمْعِهِمْ^(٥) حَتَّى بَلَغُوهُمْ الْمَأْمَنَ .

[مناظرة عبد الله بن عباس لهم]

وَذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ وَجْهَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا وَجَّهَ إِلَيْهِمْ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِيَنَظِّرَهُمْ ، قَالَ لَهُمْ : مَا الَّذِى نَقَمْتُمْ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالُوا : قَدْ كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا ، فَلَمَّا حَكَّمْ فِى دِينِ اللَّهِ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ ،
فَلْيَتَّبِعْ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِالْكَفْرِ نَعْدَ لَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا يَنْبَغِى^(٦) لِمُؤْمِنٍ لَمْ يَشِبْ
إِيمَانُهُ شَكٌّ أَنْ يُقَرَّرَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ ! قَالُوا : إِنَّهُ قَدْ حَكَّمْ ، قَالَ : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
قَدْ أَمَرَنَا بِالتَّحْكِيمِ فِى قَتْلِ صَيْدٍ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾^(٧) ،
فَكَيْفَ فِى إِمَامَةٍ قَدْ أَشْكَلَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ! فَقَالُوا : إِنَّهُ قَدْ حَكَّمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْضَ ،
فَقَالَ : إِنَّ الْحُكُومَةَ كَالْإِمَامَةِ ، وَمَتَى فَسَقَ الْإِمَامُ وَجَبَتْ مَعْصِيَتُهُ ، وَكَذَلِكَ الْحُكْمَانِ

(١) شاريًا ، أى بائعا نفسه فى طاعة الله .

(٢) القعد : طائفة من الخوارج يرون التحكيم حقا ؛ غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .

(٣) ر : « ويعرفوا » .

(٤) ر : « بأجمعهم » .

(٥) سورة التوبة ٦

(٦) ر : « لا ينبغى » .

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

لَمَّا خَالَفَا نُبَذَتْ أَقَاوِيلُهُمَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَجْعَلُوا احْتِجَاجَ قَرِيشٍ حُجَّةً عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَدًّا﴾^(٢).

[الْفَتْوَى فِيمَنْ أَصَابَ صَيِّدًا وَهُوَ مُحْرِمٌ]

وَالشَّيْءُ يَذْكُرُ بِالشَّيْءِ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا^(٣) أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ ظَبْيًا وَأَنَا مُحْرِمٌ، فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: قُلْ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَهْدِي شَاةً، فَقَالَ عُمَرُ: أَهْدِ شَاةً. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ مَا دَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهَا حَتَّى اسْتَفْتَى غَيْرَهُ! فَخَفَقَهُ عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْدَرَّةِ، وَقَالَ: أَتَقْتُلُ فِي الْحَرَمِ وَتَغْمِصُ الْفُتْيَا! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ﴾^(٤)، فَأَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ضُرُوبٌ مِنَ الْفَقْهِ؛ مِنْهَا مَا ذَكَرُوا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ قَالَ أَوَّلًا، لِيَكُونَ قَوْلُ الْإِمَامِ حُكْمًا قَاطِعًا، وَمِنْهَا أَنَّهُ رَأَى أَنَّ الشَّاةَ مِثْلُ الطَّيْبَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾^(٥). وَأَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ: أَخْطَأَ قَتَلْتَهُ^(٦) أَمْ عَمْدًا؟ وَجَعَلَ الْأَمْرَيْنِ وَاحِدًا. وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ: أَقَتَلْتَ صَيِّدًا قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ؟ لِأَنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إِذَا أَصَابَ ثَانِيَةً لَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّا نَقُولُ لَهُ^(٦): اذْهَبْ فَاتَّقِ اللَّهَ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٧).

[قَوْلُ قَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ لِأَبِي خَالِدٍ الْقَنَانِيِّ وَرَدَّ أَبِي خَالِدٍ عَلَيْهِ]

مِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ قَوْلُ قَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ لِأَبِي خَالِدٍ الْقَنَانِيِّ - وَكَانَ مِنْ قَعْدِ الْخَوَارِجِ:

(٢) سورة مريم ٩٧ .

(١) سورة الزخرف ٥٨ .

(٣) نقل المِرْصَفِيُّ عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ أَنَّهُ قَبِيصَةُ بْنُ هَانِيٍّ أَحَدُ التَّابِعِينَ .

(٤) سورة المائدة ٩٥ .

(٥) ر : «قَتَلَهُ» . وَمَا أَثْبَتَهُ عَنِ الْأَصْلِ .

(٧) سورة المائدة ٦٥ .

(٦) كَلِمَةُ «لَهُ» سَاقِطَةٌ مِنْ ر .

أبا خالد أنْفَرُ فَلَسْتُ بِخَالِدٍ^(١)
أَتَزَعُمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهَدَى

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو خَالِدٍ :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبِّ
أَحَاذِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْفَقْرَ بَعْدَى
وَأَنْ يَعْرِينَ إِنْ كُتِيَ الْجَوَارِي
وَلَوْلَا ذَاكَ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي
[أَبَانَا مَنْ لَنَا إِنْ غَبَّتْ عَنَّا

وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ عَذْرًا لِقَاعِدٍ
وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لِصٍّ وَجَاحِدٍ!

بَنَاتِي، إِنْهَنَّ مِنَ الضَّعَافِ
وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ^(٢)
فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كُومٍ عَجَافٍ^(٣)
وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضَّعْفَاءِ كَافٍ
وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافٍ^(٤)!

[من أخبار عمران بن حطان وأشعاره]

هذا خلافٌ ما قال عمران بن حطان، أحدُ بني عمرو بن شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وكان^(٥) رأسَ القعد من الصُفْريَّةِ وخطيبهم وشاعرهم، قال: لَمَّا قُتِلَ أَبُو بِلَالٍ، وَهُوَ مِرْدَاسُ بْنُ أُدْيَةَ - وَهِيَ جَدَّتُهُ. وَأَبُوهُ حَدِيرٌ. وَهُوَ أَحَدُ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمٍ، قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُطَّانٍ:

وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ
وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَا الْعَوَالِي
كَحَتَفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أَبَالٍ
لَهَا وَاللَّهِ رَبُّ الْبَيْتِ قَالِي

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى بُغْضَا
أَحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي
وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنْ حَتَفِي
فَمَنْ يَكْ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَلِإِنِّي

وفيه يقول:

يَا رَبَّ مِرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمِرْدَاسٍ

يَا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعِهِ

(١) ر : «يا أنفر»، وما أثبتته عن الأصل. س .

(٢) الرنق : الكدر .

(٣) العجاف : جمع عجفاء . وهي الهزيمة التي ذهب سمنها .

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «وقد كان» .

تركتني هائمًا أبكى لمرزئتي في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناس
أنكرتُ بعدك مَنْ قد كنتُ أعرفه ما الناسُ بعدك يا مرداسُ بالناسِ
إمّا شربتُ بكأسِ دارٍ أولَّها على القرون فذاقُوا جرعةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يذقها شاربٌ عَجَلَا منها بأنفاسٍ وردٍ بعد أنفاسِ

وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثني العباس بن الفرّج الرّياشيُّ
عن محمد بن سلام أنه لَمَّا أَطْرَدَهُ الْحِجَاجُ كان يَتَقَلُّ في القَبَائِلِ، فكان إذا نزل
في حَيٍّ انْتَسَبَ نَسَبًا يَقْرُبُ منه، ففي ذلك يقول:

نَزَلْنَا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ وفي عَكٍّ وعامرٍ عوْبُثَانِ^(١)
وفي لَحْمٍ وفي أددِ بْنِ عمرو وفي بَكْرِ وَحْيِ بَنِي الْعَدَّانِ

ثُمَّ أَخْرَجَ حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ رُوحِ بْنِ زُبَيْعِ الْجُدَامِيِّ. وكان رُوحٌ يَقْرِي
الْأَضْيَافَ، و كما مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً عنده^(٢)، فانتَمَى له من الأزدِ.

- وفي غير هذا الحديث أنَّ عبد الملك ذكر رُوحاً فقال: مَنْ أُعْطِيَ مِثْلَ مَا
أُعْطِيَ أَبُو زُرْعَةَ! أُعْطِيَ فَقَهُ أَهْلَ الْحِجَازِ وَدَهَاءَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وطاعة أهل الشام.

رجع الحديث. وكان رُوحُ بْنُ زُبَيْعٍ لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً
عند عبد الملك. فقال: إن لي جِاراً من الأزدِ ما أسمعُ من أمير المؤمنين خَبِراً ولا
شِعْراً إلا عَرَفَهُ وزاد فيه. فقال: خَبَّرْنِي ببعض أخباره. فخبَّره وأُنشده. فقال: إن
اللغة عدنانية. وأتني لأحسبهُ عمران بن حطان؛ حتى تذاكروا ليلة قولِ عمران بن
حطان يمدحُ ابن ملجَمَ لعنه الله :

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقَى ما أرادَ بها إلا لِيَبْلُغَ من ذى العرشِ رِضْواناً
إنِّي لأذكُره حيناً فأحسِبُه أو في البرِّيةِ عند الله مِيزاناً^(٣)

فلم يدِرْ عبدُ الملك لِمَنْ هو. فرجعَ رُوحٌ إلى عمران بن حطان، فسأله عنه.

(١) في الأصل: «عوْبُثَان»، وما أثبتته عن ر. وهو يوافق ما في القاموس.

(٢) أثيرا: مكرما.

(٣) زيادات ر: «قلبه الفقيه الطبري» فقال:

فقال عمران: هذا يقوله عمران بن حطان، يمدح به عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال له عبد الملك: ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئني به، فرجع إليه، فقال: إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك، قال عمران: قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت منك، فامض فإني بالأثر، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال له (١) عبد الملك: أما إنك سترجع فلا تجده! فرجع وقد ارتحل عمران، وخلف رُقعة فيها:

يَارُوحُ كَمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلَتْ بِهِ
حَتَّى إِذَا خَفَّتْهُ فَارَقْتُ مَنْزَلَهُ
قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَا تَرَوَّعُنِي
حَتَّى أَرَدْتُ بِي الْعُظْمَى فَأَدْرَكْنِي
فَاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زُبَاعٍ فَإِنَّ لَهُ
وَمَا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَنٍ
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةً
لَكِنْ أَبْتُ لِي آيَاتٍ مُطَهَّرَةً

قَدْ ظَنَّ ظَنَّاكَ مِنْ لَحْمٍ وَغَسَّانٍ
مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ
فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ
مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ
فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتَ أَلْوَانٍ
وَإِنْ لَقِيتُ مَعَدِيًّا فَعَدْنَانِي
كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عِنْدَ الْوَلَايَةِ فِي طَهٍ وَعِمْرَانٍ

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابي، أحد بني عمرو بن وهب. فانتسب له أوزاعياً - وكان عمران يطيل الصلاة، وكان غلماناً من بني عامر يضحكون منه، فاتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زباع فسلم عليه، فدعاه زفر فقال: من هذا؟ فقال: رجل من الأزد، رأيته ضيفاً لروح بن زباع، فقال له زفر: يا هذا، أأزدياً (٢) مرةً وأوزاعياً مرةً! إن كنت خائفاً أمناك (٣)، وإن كنت فقيراً جبرناك. فلما أمسى هرب وخلف في منزله رُقعة فيها:

يَا ضَرِيَّةً مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِنِّي لِأَذْكُرَهُ يَوْمًا فَلَعْنَهُ

إِلَّا لِيَهْدِمَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ بُنْيَانًا
إِيَّهَا وَالْعَنَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانًا

قال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان :

يَا ضَرِيَّةً مِنْ غَدُورٍ صَارَ ضَارِبُهَا
إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ ظَلْتُ أَلَعْنَهُ

أَشُقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ إِنْسَانًا
وَالْعَنَ الْكَلْبَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانًا

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) ر : «أزدياً؟» .

(٣) ر : «أمناك» .

إن التي أصبحت يعنيا بها زفر أعيت عياء على روح بن زباع
قال أبو العباس : أنشدني ^(١) الرياشي :

* أَعْيَا عَيَاهَا عَلَى رُوحِ بْنِ زَبَاعِ *

- وأنكره كما أنكرناه، لأنه قصر الممدود، وذلك في الشعر جائز، ولا يجوز مد المقصور -

ما زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبِرَهُ
حتى إذا انقطعت عني وسائلُهُ
فاكفُفْ كما كَفَّ عَنِّي إِنِّي رَجُلٌ
واكفُفْ لسانَكَ عن لومي ومسألتِي
أما الصلاة فإني لَسْتُ تاركَهَا ^(٢)
أَكْرَمَ بِرُوحِ بْنِ زَبَاعِ وَأَسْرَتَهُ
جاورتهم سنة فيما أُسِرَ بِهِ
فاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنَعِي بَواحدةً

والناسُ من بين مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ
كَفَّ السَّوْالَ وَلَمْ يُولِجْ بِإِهْلَاعِي
إِمَّا صَمِيمٌ وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ
ماذا تُريدُ إلى شَيْخٍ لَأَوْزَاعِ !
كلُّ أَمْرٍ لِلذِّي يُعْنَى بِهِ سَاعِي
قومٌ دَعَا أَوْلِيَهُمَ لِلْعِلَا دَاعِي
عَرْضِي صَحِيحٌ وَنُومِي غَيْرُ تَهْجَاعِ
حَسْبُ اللَّيْبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِي

ثم ارتحل حتى أتى عُمان. فوجدهم يُعَظِّمُونَ أَمْرَ أَبِي بِلَالٍ وَيُظْهِرُونَهُ،
فأَظْهَرَ أَمْرَهُ فِيهِمْ، فبلغ ذلك الْحِجَّاجَ، فكتبَ إلى عامل ^(٣) عُمان، فارتحلَ عمرانُ
هَارِبًا، حتى أَتَى قَوْمًا مِنَ الْأَزْدِ، فلم يَزَلْ فِيهِمْ حتى مات، وفي نزوله بهم يقولُ:

نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنَزَلٍ
نَزَلْنَا بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ
من الْأَزْدِ إِنْ الْأَزْدَ أَكْرَمَ أُسْرُهُ ^(٤)
فَأَصْحَبْتُ فِيهِمْ أَمْنًا لَا كَمْعَ شَرٍ
أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانُ؟ فَتَلَكُمُ سَفَاهَةٌ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنَسْبَةٍ
فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ

نَسَرُّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرِ
وليس لهم عُودٌ سِوَى الْمَجْدِ يُعْتَصِرُ
يَمَانِيَّةً طَابُوا إِذَا نَسَبَ الْبَشَرُ
أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مَضَرٍ
كما قال روح لى وصاحبه زُفَرٌ ^(٥)
تُقَرِّبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ
وَأَوَّلِي عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرُ

(٢) ر : «غير تاركها».

(١) ر : «أنشدنيه».

(٤) ر : «معشر» .

(٣) ر : «أهل» .

(٥) ر : «لى روح».

قوله :

* يا رُوحُ كمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ *

قد مرَّ تفسيره . يقالُ : هذا أبو مَثْوَايَ . وللأنثى : هذه أمُّ مَثْوَايَ ، ومنزلُ الإضافة^(١) وما أَشَبَّهَهَا المَثْوَى . وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل : ﴿أَكْرَمَى مَثْوَاهُ﴾^(٢) ، أى إضافته . ويقال من هذا : «تَوَى يَثْوَى ثَوِيًّا» كقولك : مَضَى يَمْضِى مُضِيًّا ، ويقال : ثَوَاءً ، وَمَضَاءً ، كما قال الشَّامُخُ :
طال الثَّوَاءُ على رَسْمٍ يَمْثُوْدٍ أودى وكلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِي

وقوله :

* فيه رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ *

الواحدة رائعة ، يقال : رَاعَنِي يَرُوْعُنِي رَوْعًا ، أى أَفْزَعَنِي ، قال الله تعالى ذكره : ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾^(٣) . ويكونُ الرائعُ الجميلُ ، يقال : جَمالٌ رائعٌ ، يكون ذلك فى الرجل والفرس وغيرهما ، وأحسبُ الأصلَ فيهما واحدًا ؛ أنه يَفْرِطُ حتى يَرُوْعَ ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿يَكَادُ سَنَآ بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٤) . للإفراط فى ضيائه . والرائع ؛ مهموزٌ ، وكذلك كلُّ فعلٍ من الثلاثة ممَّا عَيْنُهُ واو أو ياءٌ ، إذا كانت معتلة ساكنة ، تقولُ : قال يقول ، وباع يبيع ، وخَافَ يخافُ ، وهَابَ يهابُ ، يَعْتَلُ اسمُ الفاعلِ فِيْهِمْزُ موضعِ العينِ ، نحو قائل ، ، وبائع ، وخائفٌ ، وصائبٌ . فإن صَحَّتِ العينُ فى الفعلِ صَحَّتْ فى اسمِ الفاعلِ ، نحو : عَوْرُ الرجلُ فهو عاورٌ ، وصَيْدٌ فهو صايدٌ ، والصَّيْدُ : داءٌ يأخذُ فى الرأسِ والعَيْنينِ والشُّونِ . وإنما صَحَّتْ فى «عورٍ» و «حولٍ» و «صَيْدٍ» لأنه منقولٌ من «أحولٍ» و «أعورٍ» . وقد أحكمنا تفسيرا هذا فى الكتاب المقتضب .

وقوله :

بومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنِ وإن لقيتُ مَعَدِيًّا فعدناني

(٢) سورة يوسف ٢١ .

(٤) سورة النور ٤٣ .

(١) ر : «الضيافة» .

(٣) سورة هود ٧٤ .

يريد أنا يوماً يمان، ولولا أنَّ الشَّعر لا يصلحُ بالنصبُ لكان النصبُ جائزاً،
علي معني أَنَّنَقُلُ يَوْماً كذا ويوما كذا. والرفع حسنٌ جميلٌ. وهذا الشعرُ يَنْشَدُ
نصباً.

أَفِي السَّلمِ أَعْيَاراً جَفَاءً وَغَلْظَةً وفي الحربِ أَمْثالَ النِّسَاءِ العَوَارِكِ! (١)

العوارك. هُنَّ الحَوَائِضُ. وكذلك قوله:

أَفِي الْوَلَائِمِ أَوْلَاداً لِّوَحْدَةٍ وفي المَحَافِلِ أَوْلَاداً لِّعَلَاتٍ!

قال: العلاتُ، سُمِّيَتْ لِأَنَّ الْوَاحِدَةَ تُعَلُّ بَعْدَ صَاحِبَتِهَا. وهو من الْعَلَلِ، وهو
الشَّرْبُ الثَّانِي. أَيْ يَخْتَلِفُونَ وَيَتَحَوَّلُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ:
أَتَمِّمِيَا مَرَّةً وَقِسِيَا أُخْرَى! وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ تَسْتَفْهَمْ وَأَخْبَرْتَ قُلْتَ: تَمِّمِيَا مَرَّةً عَلَّمَ
اللَّهُ وَقِسِيَا أُخْرَى. أَيْ تَتَنَقَّلُ. وَمَنْ ثَمَّ قَالَ لَهُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ: أَزْدِيَا مَرَّةً وَأَوْزَاعِيَا
أُخْرَى؟ وَالرَّفْعُ عَلَى «أَنْتَ» جَيِّدٌ بِالْغُ.
وقوله:

* لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِراً يَوْماً لَطَاغِيَةً *

يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ: لِنَفْسٍ طَاغِيَةٍ. وَالْآخَرُ لِلْمَذْكُورِ. وَزَادَ الْهَاءُ لِلتَّوَكِيدِ
لِلْمَبَالِغَةِ. كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ رَاوِيَةٌ وَعَلَامَةٌ وَنَسَابَةٌ. وَكِلَاهُمَا وَجْهٌ. وَيُقَالُ: جَاءَتْ
طَاغِيَةُ الرُّومِ. تَرِيدُ الْجَمَاعَةَ الطَّاغِيَةَ. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ
الْبَاغِيَةُ».

وقوله: «عِنْدَ الْوَلَايَةِ» إِذَا فَتَحَتْ فَهُوَ مُصَدَّرُ «الْوَكْلِ» وَفِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:
﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢). وَالْوَلَايَةُ مَكْسُورَةٌ. نَحْوُ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاضَةِ
وَالْإِيَالَةِ، وَهِيَ الْوَلَايَةُ. وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِصْلَاحِ. يُقَالُ: آلَهُ يُوْوِلُهُ أَوَّلًا، إِذَا أَصْلَحَهُ.
قَالَ عَمْرٌ بْنُ الْخَطَّابِ: قَدْ أَلْنَا وَلِيْلَ عَلَيْنَا؛ تَأْوِيلُ ذَلِكَ: قَدْ وَلَيْنَا وَوَلِيَّ عَلَيْنَا.
وَهَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ. يَقُولُ: قَدْ وَلَيْنَا فَعَلِمْنَا مَا يُصْلِحُ الْوَالِيَّ، وَوَلِيَّ عَلَيْنَا فَعَلِمْنَا مَا
يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ.

(١) الأعيار: جمع عير، وهو الحمار. والبيت من شواهد الكتاب ١ - ١٧٢.

(٢) سورة الأنفال ٧٢.

وقوله :

* حتى إذا ما انْقَضَتْ مِنِّي وَسَائِلُهُ *

وهي الذَّرِيعَةُ والسَّبَبُ، يقال: قد تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رُوَيْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:
والناس إن فصلتهم فصائلا كل إلينا يَبْتَغِي الوسائلا

وقوله: «ولم يُولَّعْ بإهْلَاعِي»، أى بإفْزاعِي وترويعِي، والهَلْعُ من الجَبْنِ عند
ملاقاة الأقران. يقال: نعوذ بالله من الهَلْعِ، ويقال: رجلٌ هُلُوعٌ، إذا كان لا يَصْبِرُ
على خير ولا شرٍّ، حتى يفعلَ فى كل واحدٍ منهما غيرَ الحقِّ، قال الله عزَّ
وجلَّ^(١): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مُنُوعًا﴾^(٢). وقال الشاعر:

وَلِي قَلْبٌ سَقِيمٌ لَيْسَ يَصْحُو
وَنَفْسٌ مَا تُفِيْقُ مِنَ الْهُلَاعِ

وقوله :

* إما صَمِيمٌ وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ *

الصَّمِيمُ: الخالصُ من كل شيء، يقال: فلانٌ من صميمِ قومه، أى من
خالصهم. وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك:
وَتَنْزَلُ مِنْ أُمِّيَّةٍ حَيْثُ تَلْقَى شُثُونَ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ

وقوله: «وإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له: هو فَقْعَةُ بَقَاعٍ، وذلك لأنَّ
الفَقْعَةَ لا عُروْقَ لها ولا أَغْصَان. والفَقْعَةُ الكَمأةُ البِيضَاءُ، ويقال: حَمَامٌ فَقِيعٌ
لِبَيَاضِهِ، ومن ذا قولُ الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا نَسِبُوا يَكُونُ أَبُوهُمْ
عِنْدَ الْمُنَاسِبِ فُقْعَةٌ فِي قَرْقَرٍ^(٣)

وقال بعضُ القرشيين:

إِذَا مَا كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا
فَلَا تَجْعَلْ خَلِيلَكَ مِنْ تَمِيمٍ
بَلَوْتُ صَمِيمَهُمُ وَالْعَبْدَ مِنْهُمْ
فَمَا أَدْنَى الْعَبِيدِ مِنَ الصَّمِيمِ!

(٢) سورة المعارج ١٩ - ٢١ .

(١) ر: «وهو أصدق القائلين» .

(٣) القرقر: الأرض المطمئنة اللينة .

وقوله :

* نَسَرُّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرُ *

فأصل الخَفَرُ شِدَّةُ الحياءِ، يقال: امرأةٌ خَفِرَةٌ، إذا كانت مستترَّةً لاستيحائها، قال ابنُ نميرٍ الثَّقَفِيُّ :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ خَفَرَاتٍ

وقوله :

* مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ *

يقولُ: عصابة وقبيلة، ويقالُ للرجل: من أيِّ أُسْرَةٍ أنت؟ وأصلُ هذا من الاجتماع، يقال للقتب: مأسورٌ، وقد مضى تفسيره.

ويُنشدُ :

* يَمَانِيَّةٌ قَرَّبُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ *

يريدُ «قَرَّبُوا»، وهذا جائزٌ في كلِّ شيءٍ مضمومٍ أو مكسورٍ إذا لم يكن من حركات الإعراب، تقولُ في الأسماءِ في فَحَذْ، فَحَذْ، وفي عَضْدْ، عَضْدْ. وتقولُ في الأفعال: كَرَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، أي كَرَّمْ، وقد عَلَّمَ اللَّهُ، أي عَلَّمَ اللَّهُ، قال الأَخْطَلُ^(١):

فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ مِنْ الْإِبِلِ دَبَّرَتْ صَفْحَتَاهُ وَكَاهِلُهُ^(٢)

وقال آخرُ:

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ

ولا يجوزُ في «ضَرَبَ» ولا في «حَمَلَ» أَنْ يُسَكَّنَ، لخفة الفتحة.

وقوله :

* أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ *

يقول: أَمِنْ رَبِيعَةٍ أَمْ مِنْ مُضَرٍّ؟ ويجوزُ في الشعرِ حذفُ ألفِ الاستفهامِ، لأنَّ «أَمْ» التي جاءتْ بعدها تدلُّ عليها، قال ابنُ أبي ربيعة:

(١) يهجو كعب بن جعيل .

(٢) البازل من الإبل : ما دخل في التاسعة . ودبرت . من الدبر؛ وهو الجرح في ظهر الدابة . والصفحتان : الجانبان .

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي كُنْتُ دَارِيًّا سَبْعَ رَمَيْنَ الْجُمَرَ أَمْ بِثِمَانٍ

يريد: أَيْسَبِعُ؟ وقال التَّمِيمِيُّ:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا شَعِثْتُ بَنَ سَهْمٍ أَمْ شَعِثْتُ بَنَ مَنَقَرٍ!

الروايةُ على وجهين: أحدهما: أَمِنَ رِبِيعَةً أَمْ مُضَرًّا، أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانَ، يريدُ
أَذا أَمْ ذَا؟ والأَمْلَحُ^(١) في الرواية: مِنْ رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ، أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانَ، لأنَّ رِبِيعَةً
أَخُو مُضَرٍّ، فَأَرَادَ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانَ؟ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ
عَمْرُو؟ فَالجوابُ: نَعَمْ أَوْ لَا، لأنَّ المعنى أَحَدُ هَذَيْنِ^(٢) عِنْدَكَ، وَمَعْنَى الْأَوَّلِ: أَيْهُمَا عِنْدَكَ؟

وَيُرْوَى - وَحَدَّثَنِيهِ الْمَارَزِيُّ - أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَاهَا رَجُلٌ، فَقَالَ لَهَا:
أَيْنَ الزُّبَيْرِ؟ قَالَتْ: وَمَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبَاطِشَهُ! فَقَالَتْ: هَا هُوَ ذَاكَ.
فَصَارَ إِلَى الزُّبَيْرِ فَبَاطِشَهُ. فغلبه الزُّبَيْرُ، فَمَرَّ بِهَا مَفْلُولًا^(٣) فَقَالَتْ صَفِيَّةُ:

كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْرًا أَأَقْطَا أَوْ تَمَرًّا

أَمْ قُرْشِيًّا صَقْرًا

لَمْ تَشْكُكَ بَيْنَ الْأَقْطِ وَالتَّمَرِ فَتَقُولُ: أَيْهُمَا هُوَ؟ وَلَكِنِهَا أَرَادَتْ: أَرَأَيْتَهُ طَعَامًا
أَمْ قُرْشِيًّا صَقْرًا؟ أَى أَحَدِ هَذَيْنِ رَأَيْتَهُ أَمْ صَقْرًا؟ وَلَوْ قَالَتْ: أَأَقْطَا أَمْ تَمَرًا؟ لَكَانَ^(٤)
محالًا على هذا الوجه.

وقوله: * وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنِسْبَةٍ *

معناه وَمَا مِنْهُمَا وَاحِدٌ فَحَذَفَ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٥). أَى وَإِنْ أَحَدٌ، وَمَعْنَى: «إِنْ» مَعْنَى «مَا»
قَالَ الشَّاعِرُ^(٦):

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

يريدُ فَمِنْهُمَا تَارَةً.

(١) ر: «والأصلح».

(٢) ر: «لأنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ عِنْدَكَ».

(٣) مفلولا: مهزوما.

(٤) ر: «كان».

(٥) هو تميم بن أبي بن مقبل.

(٦) سورة النساء ١٥٩.

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَأَوَّلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرُ

يقول: انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام، لأن ولاية الإسلام قد قاربت بين الغرباء. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١). وقال عز وجل - فباعد به بين القرابة: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٢). وقال نهار بن توسعة اليشكري:

دَعَى الْقَوْمُ يَنْصُرُ مُدَّعِيَهُ لِيُلْحِقَهُ يَذَى الْحَسَبِ الصَّمِيمِ
أَبَى الْإِسْلَامَ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

[أول من حكم من الخوارج]

ويقال فيما يروى من الأخبار أن أول من حكم عروة بن أدية - وأدية جد له في الجاهلية^(٣) - وهو عروة بن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة. وقال قوم: بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر. ولم يختلفوا في إجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي، وأنه امتنع عليهم، وأوماً إلى غيره. فلم يقتنعوا إلا به، فكان إمام القوم، وكان يوصف بالرأى.

[أول سيفه سل من سيوفهم]

فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية. وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال: ما هذه الدنية^(٤) يا أشعث! وما هذا التحكيم؟ أشرط أو ثق من شرط الله عز وجل! ثم شهَرَ عليه السيف، والأشعث مول، فضرب به عجز البغلة، فشبت البغلة فنقرت اليمانية. وكانوا جل أصحاب على صلوات الله عليه - فلما رأى ذلك الأحنف قصده هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدي بن أعبد، وشبت بن ربيع الرياحي إلى الأشعث. فسأله الصفح، ففعل.

(١) سورة الحجرات ١٥ .

(٢) سورة هود ٤٦ .

(٣) ر : «جدة له جاهلية» .

(٤) ر : «الدنية» .

وكان عروة بن أُدَيَّةَ نَجَاً من حرب النَّهْرَوَانِ، فلم يَزَلْ باقياً مدة من خلافة معاوية، ثم أتى به زيادٌ ومعه مولًى له، فسأله عن أبي بكر وعمر، فقال خيراً، ثم سأله فقال: ما تقولُ في أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان وأبي ترَّاب عليَّ بن أبي طالب؟ فتولَّى عثمان ستَّ سنينَ من خلافته، ثم شهد عليه بالكفر! وفصل في أمر عليٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّم، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاوية. فسبَّه سباً قبيحاً! ثم سأله عن نفسه؟ فقال: أولُّك لزنيَّةٍ وآخركَ لدَعْوَةٍ. وأنت بعد عاصي لربك! ثم أمر به فضرِبَ عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صَفِّ لى أموره؟ فقال: أَأُطْنَبُ أم أختَصِرُ؟ فقال: بل اختَصِرَ، فقال: ما أثبتُّه بطعامٍ بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فراشاً بليل قطُّ.

[مناظرة علي بن أبي طالب لهم]

وكان سببُ تسميتهم الحرورية أن علياً رضوان الله عليه، لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما^(١) قال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم: إن هذه مكيدةٌ ووَهْنٌ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحفِ لم يأتوني، ثم سألتوني التحكيم، أفعلتمُ أنه كان منكم أحدٌ أكرهَ لذلك مني؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فهل علمتمُ أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه، فاشتربتُ أن حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكَمَا بحُكْمِ الله عزَّ وجلَّ. فمتي^(٢) خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرَّاء، وأنتم^(٣) تعلمون أن حُكْمَ الله لا يعدوني؟ قالوا: اللهم نعم - وفيهم في ذلك الوقت ابن الكوَّاء، وهذا من قَبْلِ أن يذبحوا عبدَ الله بن خَبَّاب؟ فإنما ذبحوه بكسِّركَ في الفرقة الثالثة - فقالوا: حَكَمْتَ في دين الله برأينا، ونحن مُقرُّون بأنَّا قد كفرنا، ونحن تائبون! فأقرَّ بمثل ما أقرنا وتبَّ نَنَهَضُ معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أن الله جلَّ ثناؤه قد أمرَ بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأته^(٤). فقال تبارك وتعالى: ﴿فابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾^(٥). وفي صيد أصيبَ في الحرم، كأرنب تساوى رُبْعَ درهم^(٦)، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٧)؟ فقالوا: إن عمرًا لما أبى عليك

(٢) ر : «فإن».

(٤) ر : «وامرأة».

(٦) ر : «يساوى ربع دينار».

(١) ر : «فكان مما».

(٣) ر : «أو أنتم».

(٥) سورة النساء ٣٥ .

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

أَنْ تَقُولَ فِي كِتَابِكَ: «هَذَا مَا كَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» مَحَوْتَ اسْمَكَ مِنَ الْخِلَافَةِ، وَكُتِبَتْ «عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ، حَيْثُ أَبِي عَلَيْهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يَكْتُبَ: «هَذَا كِتَابُ كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولُ اللَّهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو» فَقَالَ: لَوْ أَقْرَرْتُ^(١) بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا خَالَفْتُكَ^(٢)، وَلَكِنِّي أَقْدَمْتُكَ لِفَضْلِكَ. ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ: «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، فَقَالَ لِي: «يَا عَلِيُّ، أَمَحُ رَسُولَ اللَّهِ»، فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ، لَا تَسْخُو نَفْسِي بِمَحْوِ اسْمِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَقَفْنِي^(٣) عَلَيْهِ» فَمَحَاهُ بِيَدِهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». ثُمَّ تَبَسَّمَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، أَمَا إِنَّكَ سَتَسَامُ مِثْلَهَا فَتُعْطَى». فَرَجَعَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفَانِ مِنْ حُرُورَاءَ^(٤). وَقَدْ كَانُوا تَجَمَّعُوا بِهَا، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَا نَسَمِّكُمْ؟ ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ الْحُرُورِيُّ، لِاجْتِمَاعِكُمْ بِحُرُورَاءَ. وَالنَّسَبُ إِلَى مِثْلِ «حُرُورَاءَ» «حُرُورَاوِي»، فَاعْلَمَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ فِي آخِرِهِ أَلْفُ التَّائِيثِ الْمُدَوَّدَةِ لَكِنَّهُ نَسَبَ إِلَى الْبَلَدِ بِحَذْفِ الزَّوَائِدِ، فَقِيلَ: الْحُرُورِيُّ.

[لِلصَّلَاتِ الْعَبْدِي]

وَقَالَ الصَّلَاتَانُ الْعَبْدِيُّ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

وَقَدْ زِيدَ فِي سَوَاطِهَا الْأَصْبَحِي	أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا
وَأَزْرَقَ يَدْعُو إِلَى أَزْرَقِي	بَنَجْدِيَّةٍ وَحُرُورِيَّةٍ
عَلَى دِينِ صِدِّيقِنَا وَالنَّبِيِّ	فَمِلَّتُنَا أَنْنَا الْمُسْلِمُونَ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ مَا يُسْتَحْسَنُ قَوْلُهُ :

مَرَّ الْغَدَاةَ وَكَرَّ الْعَشِي ^(٥)	أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ
أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتَيَّ	إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا
وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي	نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا
وَتَبَقِيَ لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ	تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ

(٢) ر : «مَا خَلَفْنَاكَ» .

(١) ر : «أَقْرَرْنَا» .

(٤) حُرُورَاءَ : قَرْيَةٌ مِنَ الْكُوفَةِ .

(٣) ر : «قَفْنِي» .

(٥) ر :

* مُرُورُ اللَّيَالِي وَكَرُّ الْعَشَى *

قوله :

* وقد زيد في سوطها الأصبحي *

فإنه تُسمى هذه السياط التي يُعاقبُ بها السلطانُ الأصبحيَّةَ، وتُنسبُ إلى ذي أصبَحِ الحِميري، وكان ملكا من ملوكِ حِمير، وهو أولُ من اتخذها، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه.

والنجديةُ تُنسبُ إلى نجدة بن عويمر، وهو عامرُ الحنفى، وكان رأساً ذا مَقالة مفردة^(١) من مقالات الخوارج، وقد بقى من أهلها قومٌ كثيرٌ. وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير في جمعه في كل جمعة، وعبد الله يطلبُ الخلافة، فيُمسِكُانِ عن القتالِ من أجل الحرم.

[لِلرَّاعِي فِي عِبَادَةِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ]

قال الراعى يخاطب عبد الملك :

إِنِّى حَلَفْتُ عَلَى يَمِينِ بَرَّةٍ
مَا إِنِّ أَتَيْتُ أَبَا خُبَيْبٍ وَافِدًا
وَلَا أَتَيْتُ نَجْدَةَ بْنَ عُوَيْرٍ
مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ لَا مِنْ حِيلَتِي
لَا أَكْذِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلاً
يَوْمًا أُرِيدُ بَبِيعَتِي تَبْدِيلًا
أَبْغَى الْهُدَى فَيَزِيدُنِي تَضْلِيلًا
إِنِّى أَعِدُّ لَهُ عَلَى فُضُولَا

وفى هذه القصيدة :

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَعُوا حَيْزُومَهُ
بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولًا^(٢)

قوله :

* وَأَزْرَقَ يَدْعُو إِلَى أَزْرَقَى *

يريدُ من كان من أصحابِ نافع بن الأزرق الحنفى، وكان نافعٌ شجاعاً مقدماً في فقه الخوارج، وله ولعبد الله بن عباس مسائلٌ كثيرة، وسنذكر جملةً منها في هذا الكتاب، إن شاء الله .

(٢) العريف : القيم بأمور القبيلة .

(١) ر : «مفردة».

وقوله :

* على دين صديقنا والنبى *

فالعرب تفعلُ هذا، وهو فى الواو جائز، أن تبدأ بالشىء والمقدم غيره^(١)، قال الله عزَّ اسمه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٢)، وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤). وقال حسانُ بنُ ثابتٍ :

بِهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلَى وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

يعنى بنى هاشم .

ومن كلام العرب : رُبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَقَيْسٌ وَخَنْدَفٌ وَسُلَيْمٌ وَعَامِرٌ، وَأَصْحَابُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ هُمْ ذَوُو الْحَدِّ وَالْجَدِّ^(٥). وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى تَرَحَّلَ أكثر أهلها منها، وكان الباقون على الرحلة^(٦)، فَقَلَّدَ الْمُهَلَّبُ حَرْبَهُمْ، فَهَزَمَهُمْ إِلَى الْفَرَاتِ، ثُمَّ هَزَمَهُمْ إِلَى الْأَهْوَازِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ عَنْهَا إِلَى فَارَسَ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ إِلَى كَرْمَانَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرٌ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الَّتِي صَاحِبُهَا الزَّنْجُ^(٧) بِالْبَصْرَةِ، يَرْتِى الْبَلَدَ، وَيَذْكُرُ الْمَنْقَبَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ :

[قَالَ الْأَخْفَشُ : أَنْشَدْنِيهِ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ] .

سَقَى اللَّهُ مَصْرًا خَفَّ أَهْلُوهُ مِنْ مَصْرٍ وَمَاذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى عَقَبِ الدَّهْرِ!^(٨)
وَلَوْ كُنْتُ فِيهِ إِذْ أُبَيِّحَ حَرِيمُهُ لَمْتُ كَرِيمًا أَوْ صَدَرْتُ عَلَى عَذْرِ
أُبَيِّحَ فَلَمْ أَمْلِكْ لَهُ غَيْرَ عُبْرَةٍ تُهَيِّبُ بِهَا أَنْ حَارَدَتْ لَوْعَةُ الصَّدْرِ^(٩)

(١) ر : «وغيره المقدم» .

(٢) سورة التغابن ٢ .

(٣) سورة الرحمن ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران ٤٣ .

(٥) الحد، بفتح الحاء: البأس والنفاذ فى النجدة، والجد بالكسر: الاجتهاد والسرعة فى الأمر، قاله المصنفى .

(٦) ر : «الترحل» .

(٧) صاحب الزنج: رجل ظهر أيام المهتدى بالله؛ زعم أنه من ولد على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودعا الناس إلى طاعته، واستمال عددا كبيرا من الزنوج، يستعين بهم على العبث والفساد، سنة ٢٧ .

(٨) عقب الدهر : نوبه وأرزاؤه .

(٩) العبرة : الدمعة .

ونحن رَدَدْنَا أَهْلَهَا إِذْ تَرَحَّلُوا
ومن يَخْشَ أَطْرَافَ الْمَنَابَا فَإِنَّا
فإن كَرِهَ الْمَوْتَ عَذَبٌ مَذَاقُهُ
وما رَزَقَ الْإِنْسَانُ مِثْلَ مَنِيَّةٍ

وفى هذا الشعر :

لِيَشْكُرُ بَنُو الْعَبَّاسِ نِعْمَى تَجَدَّدَتْ
لَقَدْ جَبَّيْتُكُمْ أَسْرُ إِذْ حَسَدْتُكُمْ
وقد نَعَصْتَهُمْ جَوْلَةً بَعْدَ جَوْلَةٍ

وقال عبدُ الله بن قيسِ الرُّقَيَّاتِ :

أَلَا طَرَقْتُ مِنْ أَهْلِ بَشْنَةَ طَارِقُهُ^(١)
تَبَيْتُ وَأَرْضَ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
إِذَا نَحْنُ شِئْنَا صَادَقْتَنَا عَصَابُهُ

على أَنَّهَا مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقُهُ
وَسُؤْلَافُ رُسْتَاقٍ حَمَتُهُ الْأَزَارِقَةُ^(٢)
حَرُورِيَّةٌ أَضَحَّتْ مِنَ الدِّينِ مَارِقُهُ

[من أخبارهم يوم النهروان]

وكان مقدارُ مَنْ أَصَابَ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ وَثْمَانِي مائة، في أَصْحَ الْأَقَاوِيلِ، وكان عَدَدُهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ، وكان مِنْهُمْ بِالْكُوفَةِ زُهَاءُ الْفَيْنِ مِمَّا يَسِرُّ أَمْرَهُ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَرْبَ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ: ارْجِعُوا وَادْفَعُوا إِلَيْنَا قَاتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَّابٍ، فَقَالُوا: كُلُّنَا قَتَلَهُ وَشَرَكُ فِي دَمِهِ! ثُمَّ حَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفِّ عَلَىٍّ، وَقَدْ قَالَ عَلَىٌّ: لَا تَبْدَءْوَهُمْ بِقِتَالٍ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلَىٍّ ثَلَاثَةً وَهُوَ يَقُولُ:

أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَرَى عَلَيْهِ

ولو بَدَأَ أَوْجَرَتْهُ الْخَطِيئَا

فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا خَالَطَهُ السِّيفُ، قَالَ: حَبَّذَا الرُّوحَةُ إِلَى الْجَنَّةِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ: مَا أَدْرَى أَلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ! فَقَالَ

(١) ر : «بيبة» . (٢) سولاف : قرية من أرض خوزستان . والرسناق اسم للسواد والقرى .

رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغْتِرَارًا بِهِذَا، وأراه قد شَكَّ! فانْخَزَلَ بجماعة من أصحابه، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبي أيوب الأنصارى، وكان رحمه الله على مِيْمَنَةٍ على، وجعل الناسُ يَتَسَلَّلُونَ، وقد قال علىٌ وقيلَ له: إنهم يريدونَ الجسرَ؟ فقال: لن يبلغوا النُظْفَةَ، وجعل الناسُ يقولون له فى ذلك، حى كادوا يَشْكُونُ، ثم قالوا: قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ثم خرج إليهم فى أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشْرَةٌ ولا يفلت منكم عشرة، فُقْتِلَ من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية.

وقال أبو العباس: وقيل أولُ مَنْ حَكَّمَ وَلَفَظَ بالحكومة ولم يُشَدَّ بها رجل من بنى سَعْدِ بن زيد مئة بن تميم بن مرٍّ، ثم ^(١) من بنى صريم، يقال له الحجاجُ ابن عبد الله، ويُعرفُ بالبرك، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلْيَتِهِ، فإنه لما سَمِعَ بذكر الحكمين قال: أَيُحَكِّمُ فى دينِ الله! لا حُكْمَ إلا لله! فسمعه سامعٌ فقال: طَعَنَ والله فَأَنْفَذَ.

وأولُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَيْنِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائل، فإنه كان فى أصحاب على، فَحَمَلَ على رجل منهم فقتله غيلةً، ثم مَرَقَ بين الصَّفَيْنِ فَحَكَّمَ، وَحَمَلَ على أصحاب معاوية، فَكَثَرُوهُ، فرجع إلى ناحية على صلوات الله عليه، فَحَمَلَ على رجل منهم، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله، فقال شاعرٌ هَمْدَانُ:

ما كا أغنى اليشكرى عن التى تصلى بها جمرًا من النار حاميا
غداة يُنادى والرماحُ تنوشهُ خلعتُ عليا باديًا ومعاويا ^(٢)

وجاء فى الحديث، أن عليًا رضى الله عنه تلى بحضرته: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فى الحياة الدنيا وهم يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ^(٣)، فقال على: أهلُ حُرُوراءَ منهم.

(١) كلمة «ثم» ساقطة من ر .

(٢) تنوخه : ناله .

(٣) سورة الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ .

وروى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خرج في غداة يوقظُ الناسَ للصلاة في المسجد، فمرَّ بجماعة تتحدثُ ، فسَلَّمَ وسَلَّموا عليه، فقال وَقَبَضَ عليّ لحيته: ظننتُ أن فيكم أشقَّاءَ، الذي يَخْضِبُ هذه من هذه. وأومأَ بيده إلى هامته وحيته.

[من شعر عليّ بن أبي طالب]

ومن شعر عليّ بن أبي طالب رحمه الله الذي لا اختلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُردِّده؛ أنهم لما سَأَمُوهُ أن يُقرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسِيرُوا معه إلى الشام، فقال: أبعدُ صُحبة رسول الله ﷺ والرِّفقة في الدين أَرْجَعُ كافرًا!

يا شاهدَ الله عليَّ فاشْهَدِ أني على دينِ النبيِّ أَحْمَدِ

* مَنْ شَكَّ في الله فإني مُهْتَدِي *

ويروى : * أني تَوَلَّيْتُ وكَيَّ أَحْمَدِ *

[في تقسيم غنائم خيبر]

ويروى أن رجلاً أسودَ شديدَ بياضِ الثياب وقفَ على رسول الله ﷺ وهو يَقْسِمُ غَنَائِمَ خَيْبَرَ - ولم تكنْ إلا لِمَنْ شَهِدَ الْحَدِيثَ - فأقبلَ ذلك الأسود على رسول الله ﷺ ، فقال: ما عدلتُ منذُ اليوم! فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رُئِيَ الغضبُ في وجهه . فقال عمرُ بن الخطاب : ألا أقتله يا رسولَ الله ؟ فقال رسول الله : إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبَأٌ .

وفي حديث آخر أن رسولَ الله ﷺ قال له : «وَيْحَكَ! فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ؟» ثم قال لأبي بكرٍ: «اقتله»، فمضى ثم رَجَعَ، فقال: يا رسولَ الله رأيتُهُ سَاجِدًا، ثم قال لعليٍّ: «اقتله»، فمضى ثم رَجَعَ، فقال: يا رسولَ الله لم أَرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنان في دينِ الله» .

قال أبو العباس: وحدثني إبراهيمُ بن محمد التيميُّ قاضي البصرة في إسناد ذكره، أن عليًّا رضي الله عنه وَجَّهَ إلى رسول الله ﷺ بذهبة من اليمن، فَقَسَمَهَا أَرْبَاعًا فَأَعْطَى رُبْعًا لِلْأَقْرَعِ بن حَابِسِ المَجَاشِعِيِّ، وَرُبْعًا لَزَيْدِ الْخَيْلِ الطائِي، وَرُبْعًا لِعُيَيْنَةَ بن حِصْنِ الْفَزَارِيِّ، وَرُبْعًا لَعَلْقَمَةَ بن عَلَاثَةَ الْكِلَابِيِّ. فقام إليه رجلٌ

مُضْطَرَبُ الْخَلْقِ غَاثِرُ الْعَيْنِينَ، نَاتِيُ الْجَبْهَةِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ!، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَوَرَّدَ خَدَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّمَنْتَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي!»! فَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرُ فَقَالَ: أَلَا أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، تَنْظُرُ فِي النَّصْلِ (١) فَلَا تَرَى شَيْئًا، وَتَنْظُرُ فِي الرِّصَافِ (٢) فَلَا تَرَى شَيْئًا، وَتَتَمَارَى فِي الْفُوقِ (٣)» .

قوله ﷺ: «مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا» أَيْ مِنْ جَنْسِ هَذَا. يُقَالُ: فَلَانٌ مِنْ ضِئْضِي صِدْقٍ. فِي مُحْتَدٍ صِدْقٍ (٤). وَفِي مُرْكَبٍ صِدْقٍ. وَقَالَ جَرِيرٌ لِلْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ، وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ:

أَقْبَلَنَ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْ وَادَى خَيْمٍ	عَلَى قَلَاصٍ مِثْلَ خَيْطَانِ السَّلَمِ (٥)
إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ	حَتَّى أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ
خَلِيفَةُ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَّهَمِ	فِي ضِئْضِي الْمَجْدِ وَبُجُوحِ الْكَرَمِ

وَيُقَالُ: مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، إِذَا نَفَذَ مِنْهَا، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ أَلَّا يَعلِقَ بِهِ مِنْ دَمِهَا شَيْءٌ، وَأَقْطَعُ مَا يَكُونُ السَّيْفُ إِذَا سَبَقَ الدَّمَ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ عَبَّاسٍ الْكَنْدِيُّ:

وَقَدْ أَخْتَلَسَ الضَّرْبَ كَلَا لَا يَدْمَى لَهَا نَصْلِي

فَأَمَّا مَا وَضَعَهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ «الْاِخْتِيَارِ». فَعَلَى غَلْطٍ وَضَعَهُ.

[مِنْ أَخْبَارِ وَاِصْلِ بْنِ عَجَلَاءِ]

وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الشَّعْرَ لِإِسْحَاقَ بْنِ سُؤَيْدٍ الْفَقِيهِ، وَهُوَ لِأَعْرَابِيٍّ لَا يَعْرِفُ الْمَقَالَاتِ الَّتِي يَمِيلُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ، أَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ:

(١) النصل: حديدة السهم والسيف .

(٢) الرصاف: عصب يشد على سنخ النصل .

(٣) الفوق: مشق رأس السهم .

(٤) ر: «ومن مجتند» .

(٥) الخيطان: جمع خوط؛ وهى الأغصان.

برئت من الخوارج لست منهم
ومن قوم إذا ذكروا علياً
ولكنني أحب بكل قلبي
رسول الله والصديق خباً

من الغزّال منهم وابن باب
يردون السلام على السحاب
وأعلم أن ذاك من الصواب
به أرجو غداً حسن الثواب

فإن قوله: « من الغزّال منهم » يعنى واصل بن عطاء، وكان يُكنى أبا حذيفة، وكان معتزلياً، ولم يكن غزّالاً، ولكنه كان يُلقب بذلك، لأنه كان يلزم الغزّالين، ليعرف المتعفّفات من النساء، فيجعل صدقته لهن، وكان طويل العنق. ويروى عن عمرو بن عبّيد، أنه نظر إليه من قبل أن يكلمه، فقال: لا يُفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق!

وقال بشار بن برد يهجو واصل بن عطاء :
ماذا منيت بغزّال له عنق
كنفتي الدوّ إن ولي وإن مثلاً (١)
عنق الزرافة ما بالي وبالكُم
تكفرون رجالاً أكفروا رجلاً!

ويروى : لا بل (٢). كأنه لا يشك فيه أن بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض. ويصوب رأي إبليس - لعنه الله - في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام. ويروى له :

الأرض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة منذ كانت النار
فهذا ما يرويه المتكلمون.

وقتلته المهدي على الإلحاد. وقد روى قوم أن كتبه فُتشت فلم يُصب فيها شيء مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه : إني أردت هجاء آل سليمان بن علي،

(١) النقي : الظليم . والدو : الفلاة الواسعة . ومثل : أي أيام .

(٢) قال المصنف : هذه عبارة سخيّة ، يريد أن السبب في هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبه الكفر إلى أصحابه، إذ نسبوه إلى واصل، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار ويصوب رأي إبليس. وكلمة « كأنه لا شك فيه » معترضة .

فذكرت قرابتهم من رسول الله ﷺ فَأَمْسَكَتُ عَنْهُمْ^(١). [إِلَّا أَنِّي قُلْتُ :

دِينَارٌ آل سُلَيْمَانَ وَدَرَاهِمُهُمْ كَبَابِلِيِّينَ حُفًّا بِالْعَفَارِيتِ
لَا يُرْجِيَانِ وَلَا يُرْجَى نَوَاهُمَا كَمَا سَمِعْتُ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ]^(٢)

وحدثني المازنيُّ قال: قال رجلٌ لبَشَّار: أَتَأْكُلُ اللَّحْمَ وهو مُبَايِنٌ لِدِيَانَتِكَ! -
يَذْهَبُ به^(٣) إِلَى أَنَّهُ تَنَوَّى - قال: فَقَالَ بَشَّارٌ: لَيْسُوا يَدْرُونَ أَنَّ هَذَا^(٤) لَحْمٌ يَدْفَعُ
عَنِّي شَرَّ هَذِهِ الظُّلْمَةِ.

وكان واصلُ بنُ عطاءَ أحدَ الأعاجيب، وذلك أنه كان أَلْتَمَعَ قَبِيحَ اللُّثْغَةِ فِي
الرَّاءِ. فكان يُخَلِّصُ كَلَامَهُ مِنَ الرَّاءِ. وَلَا يُفْطَنُ بِذَلِكَ^(٥) لِاقْتِدَارِهِ وَسَهُولَةِ أَلْفَاظِهِ،
فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ. يَمْدَحُهُ بِإِطَالَتِهِ الْخُطْبِ وَاجْتِنَابِهِ الرَّاءِ، عَلَى كَثْرَةِ
تَرَدُّدِهَا فِي الْكَلَامِ. حَتَّى كَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِيهِ :

عَلِيمٌ بِإِبْدَالِ الْحُرُوفِ وَقَامِعٌ لِكُلِّ خَطِيبٍ يَغْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ

وقال آخر :

وَيَجْعَلُ الْبِرَّ قَمَحًا فِي تَصَرُّفِهِ وَخَالَفَ الرَّاءَ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَلَمْ يَطِقْ «مَطْرًا» وَالْقَوْلُ يُعْجِلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْثَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

ومما حكى^(٦) عنه قوله: وَذَكَرَ بَشَّارًا : أَمَا لِهَذَا الْأَعْمَى الْمُكْتَنَى بِأَبِي مُعَاذٍ مَن
يَقْتُلُهُ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الْغِيلَةَ خَلَقَ مِنْ أَخْلَاقِ الْغَالِيَةِ لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ مِنْ يَبْعَجٍ بَطْنَهُ
عَلَى مُضْجَعِهِ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا سَدُوسِيًّا أَوْ عَقِيلِيًّا.

فقال : «هَذَا الْأَعْمَى» وَلَمْ يَقُلْ بَشَّارًا، وَلَا ابْنَ بُرْدٍ، وَلَا الضَّرِيرَ. وَقَالَ:
«مِنْ أَخْلَاقِ الْغَالِيَةِ» وَلَمْ يَقُلْ الْمَغِيرِيَّةَ وَلَا الْمَنْصُورِيَّةَ. وَقَالَ: «لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ». وَلَمْ

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

(٣) ر : «يحكى».

(٤) د : «منهم» .

(٥) كلمة «به» ساقطة من ر .

(٦) ر : «بذاك» .

يقول : لأرسلتُ إليه . وقال : «على مضجعه» . ولم يقل : على فراشه ، ولا مرقده .
وقال : «ينعج» . ولم يقل : يقرر . وذكر «بنى عقيل» . لأنَّ بشاراً كان يتوالى إليهم
وذكر «بنى سدوس» . لأنه كان نازلاً فيهم .
واجتناب الحروف شديداً .

قال : ولما سقطت ثنايا عبد الملك ^(١) بن مروان في الطست قال : والله لولا
الخطبة والنساء ما حقلتُ بها .

قال : وخطب الجُمحى ، وكان منزع إحدى الثنيتين ، وكان يصفرُ إذا تكلم ،
وأجاد ^(٢) الخطبة ، وكانت لنكاح ، فردَّ عليه زيد بن علي بن الحسين كلاماً جيداً .
إلا أنه فضلهُ بتمكين ^(٣) الحروف وحسن مَخارج الكلام .

فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك :

صَحَّتْ مَخارجُها وَتَمَّ حُرُوفُها فَلهُ بِذاك مَـزِيَّةٌ لا تُنكَرُ
المزية : الفضيلة .

وأما قوله : «ابن باب» فهو ^(٤) عمرو بن عُبيد بن بَاب ، وهو ^(٥) مولى بنى
العدوية ، من بنى مالك بن حنظلة ، فهذان مُعْتَرِلان وليساً من الخوارج ، ولكن
قَصَدَ إسحاق بن سويدٍ إلى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكرَ الرافضةَ معهما ،
فقال :

وَمِنْ قَوْمٍ إِذا ذَكَرُوا عَلِيًّا أَشارُوا بالسَّلامِ على السَّحابِ

ويروى : * يردُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ *

[مقتل على بن أبي طالب رضي الله عنه]

ثم نرجعُ إلى ذكر الخوارج .

(٢) ر : «أجاد» .

(٤) ر : «فإنه» .

(١-١) ساقط من ر .

(٣) ر : «يتمكن» .

(٥) ر : «وكان» .

قال أبو العباس: فلما قتل عليُّ بن أبي طالب أهل النَّهْرَوَانَ، وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج؛ ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب، وقوم ممن استأمن إلى أبي أيوب الأنصاري، فتجمعوا وأمروا عليهم رجلا من طيِّئ. فوجه إليهم على رجلا، وهم بالنخيلة. فدعاهم ورفق بهم. فأبوا. فعادوهم فأبوا. فقتلوا جميعاً، فخدجت طائفة منهم نحو مكة. ووجه^(١) معاوية من يقيم للناس حجهم. فناوشه هؤلاء الخوارج، فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلى بالناس رجل من بني شيبه؛ لئلا يفوت الناس الحج. فلما انقضى نظرت الخوارج في أمرها، فقالوا: إن علياً ومعاوية قد أفسداً أمر هذه الأمة، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقه! وقال رجل من أشجع: والله ما عمرو دونهما، وإنه لأصل هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل علياً. فقالوا: وكيف لك به؟ قال: أغتاله. فقال الحجاج بن عبد الله الصرمي - وهو البرك: وأنا أقتل معاوية، وقال زاذويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم: وأنا أقتل عمراً. فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة. فجعلوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، فخرج كل واحد منهم إلى ناحية، فأتى ابن ملجم الكوفة. فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيمم الرباب، وكانت ترى رأى الخوارج - والأحاديث تختلف وإنما يؤثّر صحيحها - ويروى في بعض الحديث^(٢) أنها قالت: لا أقتنع منك إلا بصدّق أسميه لك، وهو ثلاثة آلاف درهم. وعبدٌ وأمةٌ، وأن تقتل علياً. فقال لها: لك ما سألت، وكيف^(٣) لي به؟ قالت: تروم ذلك غيلةً، فإن سلمت أرحت الناس من شرٍّ، وأقمت مع أهلك، وإن أصبت خرجت^(٤) إلى الجنة ونعيم لا يزول، فأنعم لها^(٥)، وفي ذلك يقول^(٦):

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وضربٌ على بالحسام المصمم^(٤)

(١) ر: «فوجه».

(٢) ر: «الأحاديث».

(٣) ر: «فكيف».

(٤) ر: «سرت».

(٥) أي قال لها نعم.

(٦) قال المصنف: بل قائله ابن أبي مياس المرادي.

(٧) قبله:

وكم أر مهراً ساقه ذو سماحةٍ كمهر قطام من فصيح وأعجم

فلا مَهْرَ أَغْلَى من على وإن غَلا ولا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكَ ابْنِ مُلْجَمٍ
وقد ذكروا أَنَّ القاصِدَ إلى معاويةَ يَزِيدُ بنَ مُلْجَمٍ، والقاصِدَ إلى عمرو آخرُ
من بَنِي مُلْجَمٍ، وَأَنَّ أباهم نَهاهم، فَلَمَّا عَصَوْهُ قال: اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ، وَأَنَّ أُمَّهُمْ
حَضَّتْهُمُ على ذلك. والخبرُ الصَّحِيحُ ما ذَكَرْتُ لَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

فَأَقَامَ ابْنُ مُلْجَمٍ، فيقالُ: إِنَّ أَمْرَأَتَهُ قَطَّامَ لَأَمَتِهِ، وقالت: أَلَا تَمُضِي لِمَا
قَصَدْتَ لَهُ^(١)! لَشَدَّ ما أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ! قال: إِنِّي قَدْ وَعَدْتُ صَاحِبِي وَقَتًّا بَعِينَهُ -
وكان هناك رجلٌ من أَشْجَعٍ، يقالُ لَهُ شَيْبٌ، فَوَاطَأَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

وَيُرَوَّى أَنَّ الْأَشْعَثَ نَظَرَ إلى عبد الرحمن متقلِّداً سَيْفًا في بَنِي كِنْدَةَ، فقال:
يا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَرِنِي سَيْفَكَ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ^(٢)، فَرَأَى سَيْفًا حَديدًا، فقال: ما تَقَلُّدُكَ
هَذَا^(٣) السَّيْفَ وَلَيْسَ بِأَوَّانِ حَرْبٍ! فقال: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَنْحَرَهُ بِهِ جَزُورَ الْقَرْيَةِ!
فَرَكِبَ الْأَشْعَثُ بَغْلَتَهُ، وَأَتَى عَلِيًّا صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَبَّرَهُ، وقال لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ
بَسَالَةَ ابْنِ مُلْجَمٍ وَفَتَكَه، فقال على: ما قَتَلَنِي بَعْدُ.

وَيُرَوَّى أَنَّ عَلِيًّا رَضِوانَ اللَّهِ عَلَيْهِ كانَ يَخْطُبُ مَرَّةً وَيَذْكُرُ أَصْحابَهُ، وِابْنَ
مُلْجَمٍ تَلْقَاءَ الْمَنْبَرِ، فَسَمِعَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُرِيحَنَّهُمْ مِنْكَ! فَلَمَّا انْصَرَفَ عَلِيٌّ
صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إلى بَيْتِهِ أَتَى بِهِ مُلَبِّبًا، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فقال: ما تَريدُونَ؟
فخَبَّرُوهُ بِما سَمِعُوا، فقال: ما قَتَلَنِي بَعْدُ؛ فَخَلَّوْا عَنْهُ.

وَيُرَوَّى أَنَّ عَلِيًّا كانَ يَتَمَثَّلُ إِذا رَأاهُ بَبيْتِ عَمْرِو بنِ مَعْدِي كَرِبَ في قَيْسِ بنِ
مَكْشُوحِ الْمُرَادِيِّ - وَالْمَكْشُوحُ هُبَيْرَةٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذلِكَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ على كَشْحِهِ:

أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) كلمة «إياه» ساقطة من ر .

(٣) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

فَيَنْتَفِي مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَكْثَرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَرَادِيُّ: إِنَّ قَضِيَ شَيْءٌ كَانَ، فَقِيلَ لَعَلِّي: كَأَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفْتَ مَا يُرِيدُ بِكَ، أَفَلَا تَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَقْتُلُ قَاتِلِي.

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَشَيْبُ الْأَشْجَعِيُّ، فَاعْتَوَرَا الْبَابَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ (١) عَلَى يَخْرُجُ (١) مُغْلَسًا، وَيُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ، فَخَرَجَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، فَضْرِبَهُ شَيْبُ فَأَخْطَاهُ، وَأَصَابَ سَيْفُهُ الْبَابَ، وَضْرِبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى صَلَاحَتِهِ، فَقَالَ عَلَى: فُزِمْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ! شَأْنُكُمْ بِالرَّجُلِ. عَنْ بَعْضِ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ (٢) مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَةَ عَلَى، وَرَأَيْتُ بَرِيقَ السَّيْفِ، فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ بِسَيْفِهِ فَأَفْرَجُوا لَهُ، وَتَلَقَّاهُ الْمَغِيرَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ بِقُطَيْفَةٍ، فَرَمَى بِهَا عَلَيْهِ، وَاحْتَمَلَهُ فَضْرِبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَكَانَ الْمَغِيرَةُ أَيَّدًا، فَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَمَّا شَيْبُ فَانْتَزَعَ السَّيْفَ مِنْهُ مِنْ رَجُلٍ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ، وَصَرَعَهُ وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ. وَكَثُرَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يَصِيحُونَ: عَلَيْكُمْ صَاحِبَ السَّيْفِ، فَخَافَ الْحَضْرَمِيُّ أَنْ يُكْبُوا عَلَيْهِ وَلَا يَسْمَعُوا عُدْرَهُ فَرَمَى بِالسَّيْفِ، وَأَنْسَلَ شَيْبُ بَيْنَ النَّاسِ فَدَخَلَ (٣) بِابْنِ مُلْجَمٍ. عَلَى عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَأُؤْمِرَ فِيهِ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي جَوَابِهِ، فَقَالَ عَلَى: إِنْ أَعَشَ فَلَا أَمْرَ لِي (٤)، وَإِنْ أَصَبَ فَلَا أَمْرَ لَكُمْ، فَإِنْ آثَرْتُمْ أَنْ تَقْتَصُوا فَضْرِبَةً بِضْرِبَةٍ، وَأَنْ تَعُفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. وَقَالَ قَوْمٌ: بَلْ قَالَ: وَإِنْ (٥) أَصَبَ فَاقْتُلُوهُ فِي مَقْتَلِهِ (٥). فَأَقَامَ عَلَى يَوْمَيْنِ، فَسَمِعَ ابْنُ مُلْجَمٍ الرِّنَّةَ مِنَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَعَلَى مَنْ تَبْكِي أَمْ كُلُّوهُ (٦)؟ أَعَلَى؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتُ سَيْفِي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمَا زِلْتُ أُعْرِضُهُ، فَمَا يَعْيِيهِ أَحَدٌ إِلَّا أَصْلَحْتُ ذَلِكَ الْعَيْبَ، وَلَقَدْ سَقَيْتُهُ (٧) السُّمَّ حَتَّى لَفَظَهُ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً لَوْ قُسِمَتْ عَلَى مَنْ بِالْمَشْرِقِ لَأَتَتْ عَلَيْهِمْ.

وَمَاتَ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ فِي آخِرِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ (٨) فِدَعَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْحَسَنِ (٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ: إِنَّ لَكَ عِنْدِي سِرًّا. فَقَالَ الْحَسَنُ

(٢) ر: «بِالْمَسْجِدِ».

(٤) ر: «إِي».

(١-١) ساقط من ر.

(٣-٣) ساقط من ر.

(٥-٥) «وَأَنْ أَصَبْتُ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً فِي مَقْتَلِهِ».

(٦) هِيَ أُمُّ كُلْثُومُ بِنْتُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، زَوْجُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

(٨-٨) ر: «فِدَعَا بِهِ الْحَسَنَ».

(٧) ر: «أَسْقَيْتُهُ».

رضوان الله عليه: أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعها، فقال: أما والله لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها! فقال الحسن: كلا والله، لأضربنك ضربة تؤدّيك إلى النار. فقال: لو علمت أن هذا في يدك^(١) ما اتخذت إلهاً غيرك، فقال عبد الله بن جعفر: يا أبا محمد. ادفعه إلى أشف نفسي منه. فاختلفوا في قتله، فقال قوم: أحمى له ميلين وكحله بهما. فجعل يقول: إنك يا بن أخى لتكحل عمك بملمولين^(٢) مضاضين^(٣)، وقال قوم: بل قطع يديه ورجليه، وقال قوم: بل قطع رجله، وهو في ذلك يذكر الله عز وجل. ثم عهد إلى لسانه فشق ذلك عليه. فقيل له: لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك! فقال: نعم أحببت أن لا يزال فمى بذكر الله رطباً، ثم قتله.

ويروى أن علياً رضى الله عنه أتى بابتن ملجم وقيل له: إننا قد سمعنا من هذا كلاماً ولا^(٤) نأمن قتله لك؟ فقال: ما أصنع به؟ ثم قال على رضوان الله عليه:

أشدُّ حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكاً^(٥)
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكاً

والشعر إنما يصح بأن تحذف «أشدُّ» فتقول:

حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكاً

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى. ولا يعتدون به في الوزن. ويحذفون من الوزن، علماً بأن المخاطب يعلم ما يريدونه، فهو إذا قال: «حيازيمك للموت»، فقد أضمر «أشدُّ»، فأظهره، ولم يعتد به.

قال: وحدثني أبو عثمان المازني قال: فصحاء العرب يشدون كثيراً:

(١) ر: «في يدك».

(٢) الملمول: الحبل يكتحل به.

(٣) أى جارين.

(٤) ر: «فلا».

(٥) الحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر؛ يقال للرجل: أشدد حيازيمك، أى وطن نفسك على الأمر.

لَسَعْدُ بْنُ الضَّبَّابِ إِذَا غَدَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ فَافْرَسَ حَمِرًا^(١)
وإنما الشعر :

* لَعَمْرِي لَسَعْدُ بْنُ الضَّبَّابِ إِذَا غَدَا *

وأما الحجاج بن عبد الله الصُرَيْمِيُّ - وهو البرُّكُ - فإنه ضَرَبَ معاويةَ مُصَلِّيًا، فأصاب مَأْكَمَتَهُ^(٢)، وكان معاويةَ عَظِيمَ الأَوْرَاكِ، فَقَطَعَ مِنْهُ عَرَقًا يَقَالُ لَهُ^(٣) عَرَقُ النِّكَاحِ، فلم يُولَدْ لمعاويةَ بعد ذلك ولد. فلما أَخَذَ قَالَ: الأَمَانُ والبِشَارَةُ، قَتَلَ عَلَى فِي هَذِهِ الصَّبِيحَةِ، فَاسْتَوْنِي بِهِ حَتَّى جَاءَ الْخَبَرُ، فَقَطَعَ معاويةَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ، فَأَقَامَ بالبصرة، ثُمَّ بَلَغَ^(٤) زِيَادًا أَنَّهُ قَدْ وَلَدَ لَهُ، فَقَالَ: أَيُولَدُ لَهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُولَدُ لَهُ! فَقَتَلَهُ. هَذَا أَحَدُ الْخَبَرِينَ.

وَيُرَوَّى أَنَّ معاويةَ قَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَأَمَرَ بِاتِّخَاذِ الْمُقْصُورَةِ، فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ ذَلِكَ: مَا تَأْوِيلُ الْمُقْصُورَةِ؟ فَقَالَ: يَخَافُونَ أَنْ يَبْهَظَهُمْ^(٥) النَّاسُ.

وَأَمَّا زَاذُوِيهِ، فَإِنَّهُ أَرْصَدَ لَعَمْرُو، وَاشْتَكَى عَمْرُو بَطْنَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ لِلصَّلَاةِ. فَخَرَجَ^(٦) خَارِجَةً^(٧)، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بَنِ عَمْرٍو بَنِ هُصَيْنٍ، رَهْطُ عَمْرٍو ابْنِ الْعَاصِ، فَضْرِبَهُ زَاذُوِيهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ عَلَى عَمْرٍو فَرَأَاهُمْ يَخَاطَبُونَهُ بِالْإِمْرَةِ قَالَ: أَوْ مَا قَتَلْتُ عَمْرًا! قِيلَ: لَا، إِنَّمَا قَتَلْتَ خَارِجَةً، فَقَالَ: أَرَدْتُ عَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً^(٨).

[لأبي زبيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب]

وقال أبو زبيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :
إن الكرامَ على ما كان من خلُقٍ رهطُ امرئٍ خارَهُ للدينِ مُخْتَارُ
صَبٌّ بِصِيرٍ بِأَضْغَانِ الرِّجَالِ وَلَمْ يُعْدَلْ بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ أَخْبَارُ

(١) لامرئ القيس بن حجر. ديوانه ١٣٩ .

(٢) المأكمة: واحدة المأكمتين، وهما اللحمتان اللتان على رءوس الوركين.

(٣) كلمة «له» ساقطة من ر . (٤) ر : «فبلغ» .

(٥) يبهظهم : يغلبهم . (٦) ر : «دخرج» .

(٧) هو خارجة بن حذافة؛ له صحبة . (٨) ر : «والله أراد» .

وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إِذْ حَانَ مَوْعِدُهَا وكل شيء له وقتٌ ومقدارٌ
 حَتَّى تَنْصَلَّهَا فِي مَسْجِدِ طَهْرٍ على إمامٍ هُدًى إِنْ مَعَشَرَ جَارُوا
 حُمَتْ لِيَدْخُلَ جَنَاتُ أَبُو حَسَنِ وأوجبت بعده للقاتل النارُ

قوله: «خارَهُ» يعنى (١): اختاره، وهو «فعلُهُ» و «اختاره» «افتعلَهُ» كما تقول: قدر عليه، واقتدرَ عليه.

وقوله: «بَصِيرٌ بِأَضْغَانِ الرِّجَالِ»، فهى أسرارها ومُخَبَّاتُهَا، قال الله تعالى: ﴿فِيخْفِكُمْ تَخْلُوْا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ (٢). والخبرُ العالمُ.

ويُرْوَى أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ مَرَّ يَهُودِيٌّ يَسْأَلُ مُسْلِمًا عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اسْأَلْنِي وَدَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ حَبْرٌ أَى عَالَمٍ، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ تَسْأَلَ عَالِمًا أَجْدَى عَلَيْكَ (٣).

وقوله: «حَتَّى تَنْصَلَّهَا»، يريدُ استخرجَهَا.

وقوله «حُمَتْ»، معناه قُدِّرَتْ.

[لِلْكُمَيْتِ فِي رِثَائِهِ أَيْضًا]

قال الكُمَيْتُ:

وَالْوَصِيُّ الَّذِي أَمَالَ التَّجْوِيبَ سِىْ بِهِ عَرْشَ أُمَّةٍ لَانْهَادِمْ
 قَتَلُوا يَوْمَ ذَاكَ إِذْ قَتَلُوهُ حَكَمًا لَا كَغَابِرِ الْحَكَامِ
 الْإِمَامَ الزَّكِيَّ وَالْفَارِسَ الْمُعْلَى سَمَ تَحْتَ الْعَجَاجِ غَيْرَ الْكَهَامِ
 رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلُكَ السَّوَامِ (٤)

قول: «الْوَصِيُّ» فهذا شيءٌ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابنُ قَيْسٍ الرُّقِيَّاتُ:

نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ أَحْمَدُ وَالصَّدِيقُ قُ مِنْهُ التَّقِيُّ وَالْحُكْمَاءُ

(٢) سورة محمد ٧٣ .

(٤) مسجحا : سهلا .

(١) ر : «إنما هو» .

(٣) ر : «أجدى لك» .

وعلى وجعفر ذو الجناح
 بين هناك الوصى والشهداء
 وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشر
 رجلا من أهله في سجن عارم:

تخبر من لاقيت أنك عائد
 بل العائد المحبوس في سجن عارم
 وصي النبي المصطفى وابن عمه
 فكأنك أعناق وقاضي مغارم
 أراد ابن وصي النبي. والعرب تقيم المضاف إليه في هذا الباب مقام
 المضاف، كما قال الآخر:

صبحن من كاظمة الحص الخرب
 يحملن عباس بن عبد المطلب
 يريد ابن عباس رضى الله عنه.

وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك:
 ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم
 عن ابني مناف عبد شمس وهاشم
 يريد ابني عبد مناف.

[لأبي الأسود الدؤلي في آل البيت]

وقال أبو الأسود:

أحب محمدا حبا شديدا
 أحبهم لحب الله حتى
 هوأى أعطيته منذ استدارت
 يقول الأزدلون بنو قشير:
 بنو عم النبي وأقربوه
 فإن يك حبهم رشدا أصبه
 وعباسا وحمزة والوصيا
 أجيء إذا بعثت على هوى
 رحي الإسلام لم يعدل سويا^(١)
 طوال الدهر ما تنسى عليا!
 أحب الناس كلهم إلينا
 وليس بمخطئ إن كان غيا^(٢)

(١) زيادات ر: «السوى والسواء: الذى قد سوى الله خلقه، لازمانه به ولاداء؛ وفي القرآن: ﴿بشرا سويا﴾،
 وتقول: ساويت ذاك بهذا الأمر، أى جعلته مثلا له.

(٢) زيادات ر: «ويروى: وليست».

وكان بنو قُشَيْرِ عُمَانِيَّةً، وكان أبو الأسود نازلاً فيهم، فكانوا يَرْمُونُ بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاهم مرة، فقالوا له^(١): ما نحنُ نَرْمِيكَ ولكنَّ اللهَ يرميك! فقال: كذبتُم والله، لو كان الله يرميني لما أخطأني.

قال: وكان نَقْشُ خاتمه:

يا غَالِي حَسْبُكَ مَنْ غَالِبِ ارْحَمَ عَلَىَّ بَنَى طَالِبِ

وقوله: «غَيْرَ الْكُهَامِ» فالكُهَامُ: الكَلِيلُ من الرجال والسيوف، يقال: سيفٌ كُهَامٌ. وقوله:

رَاعِيَا كَانَ مُسَجِحًا فَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُنَاكَ السَّوَامِ

فالمُسِيمُ الذى يُسِيمُ إبله أو غنمه ترعى، وكذلك كلُّ شىء من الماشية، فجعلَ الراعى للناس كصاحب الماشية الذى يُسِيمُها وَيَسُوسُها وَيُصْلِحُها، ومتى لم يَرْجِعْ أمر الناس إلى واحد فلا نظامَ لهم، ولا اجتماعَ لأموالهم.

قال ابنُ قيس الرُّقِيَّاتُ :

أيها المشتَهَى فَنَاءَ قُرَيْشٍ بِيَدِ اللَّهِ عَمَرُهَا وَالْفَنَاءُ
إِنْ تُودَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لَحَىَّ بَقَاءُ
لَوْ تَقَفَّى وَيُتْرَكَ النَّاسُ كَانُوا غَنَمَ الذُّئْبِ غَابَ عَنْهَا الرَّعَاءُ

وقال الحميرىُّ يعنى علياً رضوانُ الله عليه :

كان المِسيمَ ولم يكن إلا لِمَنْ لَزِمَ الطَّرِيقَةَ واستقامَ مُسِيماً

ولمَّا سمع على صلواتُ الله عليه نداءهم «لا حُكْمَ إِلَّا لله» قال: كلمة عادلة يُرادُ بها جورٌ، إنما يقولون: لا إمارة، ولابدُّ من إمارة برة أو فاجرة.

ورَوَوْا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَوْصَى إِلَى الْحَسَنِ فِي وَقْفِ أَمْوَالِهِ وَأَنْ يَجْعَلَ فِيهَا ثَلَاثَةً مِنْ مَوَالِيهِ وَقَفَ فِيهَا عَيْنَ أَبِي نِزَرٍ^(٢) وَالْبُغْيِغَةَ فَهَذَا^(٣) غَلَطَ. لِأَنَّ وَقْفَهُ هَذَيْنِ^(٤) الْمَوْضِعَيْنِ لِسَنَّتَيْنِ مِنْ خِلَافَتِهِ.

(١) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٢) كذا ضبط في الأصل. بفتح النون، وفي حاشيته عن الصحاح: «نيزر» بكسر النون.

(٣) ر: «وهذا».

(٤) ر: «لهذين».

[وقفه عين أبي نيزر]

حدثنا أبو محمّد بن محمد بن هشام في إسناده ذكره أخوه أبو نيزر، وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم، قال: وصحّ عندي بعد أنه من ولد النجاشي^(١) - يعني أبا نيزر^(٢) - فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم، وكان معه في بيوته، فلما توفّي رسول الله ﷺ صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام، قال أبو نيزر: جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيّعتين: عين أبي نيزر والبغيعة^(٣). فقال لي: هل عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمر المؤمنين، قرع من قرع الضيّعة صنعته بإهالة سنخة^(٤)، فقال: عليّ به، فقام إليّ الربيع وهو جدول - فغسل يده، ثم أصاب من ذلك شيئاً، ثم رجع إليّ الربيع، فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما، ثم ضم يديه، كل واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حساً^(٥) من ماء الربيع، ثم قال: يا أبا نيزر، إن الأكف أنظف الآنية، ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم أخذ المعول^(٦) وانحدر في العين، فجعل يضرب، وأبطأ عليه المساء، فخرج وقد تفضّج جبينه عرقاً^(٧). فانتكف العرق عن جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها، وجعل يهّمهم^(٨) فانتالت كأنها عنق^(٩) جزور، فخرج مسرعاً، فقال: أشهد الله أنها صدقة، على بدواة وصحيفة، قال: فعجلت بهما إليه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدّق به عبد الله على أمير المؤمنين، تصدّق بالضيّعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيعة، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقي الله بها وجهه حرّ النار يوم القيامة، لا تباعاً ولا توهباً حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق^(٩) لهما، وليس لأحد غيرهما.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) البغيعة: عين لآل رسول الله ﷺ غزيرة الماء كثيرة النخل.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم والسنخة: المتغيرة الريح.

(٤) حساً: جمع حسوة؛ وهي الشربة ملء القم.

(٥) المعول: الفأس العظيمة ينقر بها في الصخور.

(٦) تفضّج جبينه عرقاً: سال.

(٧) بهّمهم، من الهمهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر.

(٨) يقال انتال الرمل انثيلاً، إذا تبع بعضه بعضاً؛ وهو هنا على الاستعارة.

(٩) طلق: أي حلال.

قال محمد بن هشام: فركب الحسين رضى الله عنه ديناً، فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار، فأبى أن يبيع، وقال: إنما تصدق بها أبى ليقى الله بها وجهه حرّ النار، ولست بائعها بشيء.

[كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم]

وتحدث الزبيريون أنّ معاوية كتب إلى مروان بن الحكم، وهو وإلى المدينة: أمّا بعد، فإن أمير المؤمنين أحبّ أن يردّ الألف، ويسلّ السخيمة، ويصلّ الرحم، فإذا ورد عليك^(١) كتابى هذا^(٢) فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أمّ كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين، وارغب له في الصداق.

فوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية^(٣)، وأعلمه بما في ردّ الألف من صلاح ذات البين، واجتماع الدعوة، فقال عبد الله: إن خالها الحسين يبيع، وليس ممن يفتات عليه بأمر، فأنظرني إلى أن يقدم، وكانت أمها زينب بنت على بن أبى طالب صلوات الله عليه، فلما قدّم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر. فقام من عنده فدخل إلى الجارية، فقال: يا بنية، إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب أحق بك، ولعلك ترغين في كثرة الصداق وقد نحلّتك البغيغات، فلما حضر القوم للإملاك^(٤) تكلم مروان بن الحكم، فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة، فتكلم الحسين فزوجها من القاسم بن محمد. فقال له مروان: أعدرأ يا حسين. فقال: أنت بدأت، خطب أبو محمد الحسن بن على عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان، واجتمعنا لذلك، فتكلّمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير، فقال مروان: ما كان ذلك، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنشدك الله، أكان ذاك؟ قال: اللهم نعم، فلم تزل هذه الضيعة في أيدي^(٥) بنى عبد الله بن جعفر، من ناحية أمّ كلثوم، يتوارثونها، حتي ملك أمير المؤمنين المأمون، فذكر ذلك له، فقال: كلا. هذا وقف على بن أبى طالب صلوات الله عليه، فانتزعتها من أيديهم، وعوضهم عنها، وردّها إلى ما كانت عليه.

(١) ر: «وصل إليك».

(٢) في الأصل: «أمير المؤمنين»، وما أثبتته عن ر.

(٣) ر: «يدى».

(٤) الإملاك: عقد النكاح.

[جَدِيثُ عَلِيٍّ مَعَ الْخَوَارِجِ فِي أَوَّلِ خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ]

قال أبو العباس: رَجَعَ الحديثُ إلى ذكر الخوارج وأمرِ عليٍّ بن أبي طالب رحمه الله .

قال: وَيُرْوَى^(١) أَنَّ عَلِيًّا فِي أَوَّلِ خُرُوجِ الْقَوْمِ عَلَيْهِ دَعَا صَعْصَعَةَ بْنَ صَوْحَانَ الْعَبْدِيَّ، وَقَدْ كَانَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ، وَزِيَادَ بْنَ النَّضْرِ الْحَارِثِيَّ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، فَقَالَ لَصَعْصَعَةَ: بِأَيِّ الْقَوْمِ رَأَيْتَهُمْ أَشَدَّ إِطَاقَةً؟ فَقَالَ: بِيَزِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَرْجَبِيِّ، فَرَكِبَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ إِلَى حَرُورَاءَ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى صَارَ إِلَى مَضْرَبِ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ. فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّكَأَ عَلَيَّ قَوْسَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَقَامٌ مَنْ فَالَجَ^(٢) فِيهِ فَلَجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُنْشِدُكُمْ اللَّهَ، أَعَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنْكُمْ كَانَ أَكْرَهَ لِلْحُكُومَةِ مِنِّي! قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: أَفَعَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ أَكْرَهْتُمُونِي حَتَّى قَبَلْتُمُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: فَعَلَامَ خَالَفْتُمُونِي وَنَابَذْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّا أَتَيْنَا ذَنْبًا عَظِيمًا، فَتَبْنَا إِلَى اللَّهِ، فَتَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ وَاسْتَغْفَرَهُ نَعْدُ لَكَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ. فَرَجَعُوا مَعَهُ، وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ. فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا بِالْكُوفَةِ أَشَاعُوا أَنَّ عَلِيًّا رَجَعَ عَنِ التَّحْكِيمِ وَرَأَاهُ ضَلَالًا، وَقَالُوا: إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْمَنَ الْكَرَاعَ^(٣)، وَيُجِبِيَ الْمَالَ، فَيَنْهَضَ إِلَى الشَّامِ. فَاتَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّكَ رَأَيْتَ الْحُكُومَةَ ضَلَالًا وَالْإِقَامَةَ عَلَيْهَا كُفْرًا. فَخَطَبَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنِّي رَجَعْتُ عَنِ الْحُكُومَةِ فَقَدْ كَذَبَ، وَمَنْ رَأَاهُ ضَلَالًا فَهُوَ أَضَلُّ. فَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَحَكَّمَتْ. فَقِيلَ لَعَلِّي: إِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَا أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقَاتِلُونِي وَسَيَفْعَلُونَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ رَجَبُوا بِهِ وَأَكْرَمُوهُ، فَرَأَى مِنْهُمْ جَبَاهًا قَرِحَةً^(٤) لَطُولِ السُّجُودِ. وَأَيْدِيًا كَشَفْنَاتِ الْإِبِلِ^(٥)، وَعَلَيْهِمْ^(٦) قَمُصٌ مَرْحُضَةٌ^(٧). وَهُمْ مُشْمَرُونَ، فَقَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ؟ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ

(١) ر: «يُروى».

(٢) فليج : انتصر.

(٣) الكراع : اسم لجماعة الخيل .

(٤) قرحة : بها قروح .

(٥) ثفنات الإبل : ما يصيب الأرض منها إذا بركت .

(٦) ر : «عليهم» .

(٧) قمص مَرَحُضَةٌ مغسولة ، من أرحض الثوب ، غسله .

عند صهر رسول الله ﷺ وابن عمه، وأعلمنا بربه وسنة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: 'إنا آتيناه عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله، فإن تاب كما تُبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا. فقال ابن عباس: نشدكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم! أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: فأنشدكم الله فهل (١) علمتم أن رسول الله ﷺ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم، ولكن عليًا محًا نفسه من إمارة المسلمين، قال ابن عباس: ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محًا رسول الله ﷺ اسمه من النبوة، وقد أخذ عليٌ على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى علي، قال: فأيهما رأيتموه أولى فقولوه، قالوا: صدقت، قال ابن عباس: ومتى (٢) جاز الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. قال: فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف، فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء، وقال: متى كانت حرب فرئيسكم شبت بن ربعي الرياحي، فلم يزلوا على ذلك يومين، حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي، قال: ومضى القوم إلى النهروان (٣)، وكانوا أرادوا المضي إلى المدائن.

[خبرهم مع عبد الله بن خباب وقتلهم له]

قال أبو العباس: فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني، فقالوا: أحفظوا ذمة نبيكم (٤).

ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف، ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا له (٥): 'إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك، فقال (٦): 'ما أحيى القرآن فأحيوه، وما أماته فأميتوه. فوثب رجل منهم على رطبة فوضعا في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله،

(١) ر : «هل» . (٢) ر : «متى» .

(٣) زيادات ر : «قال الأخفش: كذا كان يقول المبرد: «النهروان. بكسر النون والراء، وإنما هو النهروان» بالفتح، وأنشد للطرماح: «قل في شط نهروان» بفتح النون.

(٤) س : «احفظوا ذمة بينكم» .

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر ، وهي في الأصل، س .

(٦) ر ، س : «قال» .

فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض، فقال عبدُ الله بن خُبَّابٍ: ما علىَّ منكم بأسٌ، إني لمُسلمٌ، قالوا له: حَدِّثْنَا عن أهلك؟ قال: سمعتُ أباي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكونُ فتنةٌ يموتُ فيها قلبُ الرجلِ كما يموتُ بدنه، يُمسي مؤمناً ويصبحُ كافراً، فكنْ عبدَ الله المقتول، ولا تكنِ القاتل».

قالوا: فما تقولُ في أبي بكرٍ وعمر؟ فأثنى خيراً، فقالوا: ما (١) تقولُ في عليٍّ أميرِ المؤمنين قبلَ التحكيم، وفي عثمانٍ ستَ سنين؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقولُ في الحكومةِ والتحكيم؟ قال: أقول إنَّ علياً أعلمُ بالله منكم (٢)، وأشدُّ توقُّفاً على دينه، وأبعد (٣) بصيرةً، قالوا: إنك لستَ تتبِعُ الهدى، إنما تتبِعُ الرجالَ على أسمائِها.

ثم قربه إلى شاطئِ النهر فذبَّحوه، فامذَقَ دمه، أي جَرى مستطيلاً على دقَّةٍ.

وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هيَ لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بثمن. قال: ما أعجِبَ هذا؟ أتقتلون مثلَ عبدِ الله بن خُبَّابٍ ولا تقبلون مِنَّا جَنَى نخلة؟

[غيلان بن خرشة ونيله منهم]

ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبِّيَّ سَمَرَ ليلة عند زيادٍ ومعه جماعةٌ، فذَكَرَ أمرَ الخوارج، فأَنحى عليهم غيلان، ثم انصرف بعد ليلٍ إلى منزله، فلقبه أبو بلالٍ مرداسُ بن أدية، فقال له: يا غيلان، قد بَلَغَنِي ما كان منك الليلةَ عندَ هذا الفاسق، من ذكر هؤلاء القوم الذين شَرَوْا أنفُسَهم وابتاعوا آخرتهم بدينِهم! ما يُؤمِّنُكَ أن يلقاك رجلٌ منهم، أَحْرَصُ والله على الموت منك على الحياة، فَيَنْفَذَ حِصْنِيكَ (٤) بِرُمَحِهِ؟ فقال غيلان: لن يَلُغَكَ أني ذَكَرْتُهم بعدَ الليلة.

[مرداس بن أدية وزِياد]

ومرداسٌ تَنَحَّلَهُ جماعةٌ من أهل الأهواء، لَقَشَفَهُ وبَصِيرَتَهُ، وصحة عبادته، وظهور ديانته وبيانه؛ تَنَحَّلَهُ المعتزلة، وتَزَعَّمُ أَنَّهُ خَرَجَ منكراً لجورِ السلطان، داعياً

(٢) ر: «أعلم بكتاب الله».

(١) ر: «فما تقول».

(٤) الحضان: ناحيتنا الإنسان. والجمع أحضان.

(٣) ر: «وأفد».

إلى الحق، وتحتجُّ له بقوله لزياد حيث قال على المنبر: والله لأخذنَّ المحسنَ منكم بالمسيءِ ، والحاضرَ منكم بالغائب ، والصَّحيحَ بالسَّقيم ، ^(١) والمطيعَ بالعاصي .
فقام إليه مرداسٌ فقال: قد سمعنا ما قلت أيُّها الإنسانُ، وما هكذا ذكر الله عزَّ وجلَّ عن نبيه إبراهيم عليه السلام، إذ يقول: ﴿وإبراهيمَ الَّذي وَفَّى * ألا تزرَّ وازرَّةً وزرَّ أخرى * وأنَّ لیسَ للإنسانِ إلَّا ما سَعى * وأنَّ سَعیهُ سَوْفَ یُرى * ثمَّ یُجزَّاهُ الجزاءَ الأوْفی﴾ ^(٢) وأنت تزعمُ أنَّك تأخذُ المطيعَ بالعاصي . ثم خرجَ فی عَقَبِ هذا اليوم .

والشَّيْعُ تنتحلُّه، وترغمُ أنه کَتَبَ إلى الحسين بن علیَّ صلواتُ الله عليه: إنَّی لَسْتُ أرى رأی الخوارج، وما أنا إلَّا علیَّ دینِ أیِّک .

[آراء الفقهاء فی مذهب الخوارج]

وهذا رأیٌ قد استهوى جماعة من الأشراف . یروى أنَّ المنذرَ بنَ الجارودِ كان یرى رأی الخوارج . وكان یزیدُ بنُ أبی مسلمٍ مولى الحجاج بن يوسفَ یراه، وكان صالح بنُ عبد الرحمنِ صاحبِ دیوانِ العراقِ یراه، وكان عدَّةٌ من الفقهاء یُنسَبون إلیه ^(٣) ولعل هذا یكون باطلا ^(٣)، منهم عكرمة مولى ابن عباس . وكان یقالُ ذلك فی مالک بن أنس .

ویروى الزُّبیريُّون: أنَّ مالکَ بن أنسٍ المَدِنيَّ ^(٤) كان یذکرُ عثمانَ وعلیًّا وطلحةَ والزُّبیرَ فیقول: والله ما اقتتلوا إلَّا علی الثَّريدِ الأعفر ^(٥) .

(١-١) ساقط من ر .

(٢) سورة النجم ٣٧ - ٤١ .

(٣-٣) ساقط من ر .

(٤) حاشية س : « قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أنَّ المذكور هنا مالک بن أنس الفقيه المدني المشهور صاحب المذهب . وليس الأمر كذلك . وهذا تقصير أو قصور من أبی العباس، حيث أبهم فی موضع البیان، لأن مالكا المذكور هنا هو مالک بن أنس بن مالک بن مسمع البکري . ثم البصري . أحد رؤساء أهل البصرة . وأعظم فقهائها فی زمانه . لشرف بيته وتقدمه فی معرفة كل فن، وشهرة زهده وكثرة تهجده؛ لكنه كان متهما برأى الخوارج . ولم یوقف لأمره علی حقيقة، الله أعلم أى ذلك كان . وأما الإمام مالک بن أنس المدني الأصمعي الحميري فهو الذهب الإبريز صفاء . والكبريت الأحمر عزة» .

(٥) الثريد الأعفر: الأبيض . ليس بالشديد البياض . يريد الثريد الممتلئ بالإدام، قاله المرصفي .

فَأَمَّا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فَإِنَّهُ كَانَ يُنْكِبُ الْحُكُومَةَ ، وَلَا يَرَى رَأْيَهُمْ ،
وَكَانَ إِذَا جَلَسَ فَتَمَكَّنَ فِي مَجْلِسِهِ ذَكَرَ عَثْمَانَ فَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، وَلَعَنَ قَتْلَتَهُ
ثَلَاثًا ، وَيَقُولُ : لَوْ لَمْ نَلْعَنَهُمْ لَلْعَنَّا ، ثُمَّ يَذْكُرُ عَلِيًّا فَيَقُولُ : لَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ يَتَعَرَّفُهُ ^(١) النَّصْرُ ، وَيُسَاعِدُهُ الظُّفَرُ ، حَتَّى حَكَّمَ ، فَلِمَ تَحْكُمُ وَالْحَقُّ
مَعَكَ ! أَلَا تَحْضِي قُدَمًا لَا أَبَالِكَ وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ !

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَهَذِهِ كَلِمَةٌ فِيهَا جَفَاءٌ ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُهَا عِنْدَ الْحَثِّ عَلَى
أَخْذِ الْحَقِّ وَالْإِغْرَاءِ ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلْتُهَا الْجَفَاءُ مِنَ الْأَعْرَابِ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ وَالطَّلَبِ ،
فَيَقُولُ الْقَائِلُ لِلْأَمِيرِ وَالْخَلِيفَةِ : انْظُرْ فِي أَمْرِ رَعِيَّتِكَ لَا أَبَالُكَ ! وَسَمِعَ سُلَيْمَانَ بْنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ فِي سَنَةِ جَدِيَّةٍ ^(٢) يَقُولُ :
رَبِّ الْعِبَادِ مَا لَنَا وَمَالُكَأ قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَأَ لَكَ
* أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَالُكَ *

فَأَخْرَجَهُ سُلَيْمَانُ أَحْسَنَ مَخْرَجٍ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا أَبَا لَهُ وَلَا وَكَدَ وَلَا
صَاحِبَةَ [وَأَشْهَدُ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا عِبَادُهُ] ^(٣) .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَبْعَدَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لِبَعْضِ قَوْمِهِ :
أَبْنَى عُقْلِيلٍ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ أَبْنَى وَأَيُّ بَنَى كِلَابٍ أَكْرَمُ
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ ، أَنَشَدَهُ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ :

يَا قُرْطُ قُرْطَ حَيْيًّا لَا أَبَالُكُمْ	يَا قُرْطُ إِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ حَذَرُ
أَنَّ رَوَى مَرْقَسٌ وَاصْطَافَ أَعَزَّهُ	مِنَ التَّلَاعِ الَّتِي قَدْ جَادَهَا الْمَطَرُ
قَلْتُمْ لَهُ أَهْجُ تَيْمَمًا لَا أَبَالُكُمْ	فِي كَفِّ عَبْدِكُمْ عَنْ ذَاكُمْ قَصَرُ
فَإِنَّ بَيْتَ تَيْمَمٍ ذُو سَمِيعَتَ بِهِ	فِيهِ تَنَمَّتْ وَأَرَسَتْ عِزُّهَا مُضَرُ

(٢) ر : «جدبية» .

(١) س : «يتعرفه» .

(٣) تكملة من ر .

قوله : «يا قُرْطَ قُرْطَ حَيٍّ» نَصَبُهُمَا مَعَا أَكْثَرُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَتَأْوِيلُهَا :
 أَنَّهُمْ أَرَادُوا «يَا قُرْطَ حَيٍّ» فَأَقْحَمُوا «قُرْطًا» توكيدًا، وَكَذَلِكَ لَجْرِيرُ (١) :
 يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُلْقِيَنَّكُمْ فِي سَوْءَةٍ عُمَرُ
 وَمِثْلُهُ لِعُمَرَ بْنِ لَجَا (٢) :

يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبُلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَانْزِلِ (٣)
 فَإِنْ لَمْ تُرِدِ التَّوَكِيدَ وَالتَّكْرِيرَ لَمْ يَجْزُ إِلَّا رَفْعُ الْأَوَّلِ : «يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ»
 وَ «يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ»، كَمَا تَقُولُ : «يَا زَيْدَ أَخَا عَمْرٍو» عَلَى النَّعْتِ. وَمِثْلُ الْأَوَّلِ فِي
 التَّوَكِيدِ «يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ» أَرَادَ يَا بُؤْسَ الْحَرْبِ فَأَقْحَمَ اللَّامَ توكيدًا، لِأَنَّهَا تَوْجِبُ
 الْإِضَافَةَ. وَعَلَى هَذَا جَاءَ «لَا أَبَاكَ» وَ «لَا أَبَا لَزِيدٍ»، وَلَوْلَا الْإِضَافَةُ لَمْ تُثَبِّتِ
 الْأَلْفَ فِي الْأَبِ، لِأَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتُ أَبَاكَ، فَإِذَا أَفْرَدْتَ قُلْتَ : هَذَا أَبٌ صَالِحٌ، وَإِنَّمَا
 كَانَتْ «لَا أَبَاكَ» كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَبَا الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَمْلَأَ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي
 وَقَالَ آخَرُ :

وَقَدْ مَاتَ شِمَاخٌ وَمَاتَ مُزَرَّدٌ وَأَيُّ كَرِيمٍ لَا أَبَاكَ يُخَلِّدُ!
 وَقَوْلُهُ : «أَنَّ رَوَى مَرْقَسٌ» «مَرْقَسٌ» رَجُلٌ. وَرَوَى : اسْتَقَى لِأَهْلِهِ، يُقَالُ :
 فَلَانَ رَأَوِيَةَ أَهْلِهِ، إِذَا كَانَ يَسْتَقِي لِأَهْلِهِ، وَالتَّى عَلَى الْبَعِيرِ وَالْحِمَارِ مَزَادَةٌ (٤) فَإِذَا
 كَبُرَتْ وَعَظُمَتْ وَكَانَتْ مِنْ ثَلَاثَةِ آدِمَةٍ (٥) فَهِيَ الْمُثَلَّثَةُ. وَأَصْغَرُ مِنْهَا السَّطِيحَةُ (٦)،
 وَأَصْغَرُهَا الطَّعْجُ (٧) :

(١) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ : «يَهْجُو عَمْرُ بْنُ لَجَا التَّيْمِيَّ»، وَقَبْلَهُ كَمَا فِي الدِّيَوَانِ ٢٨٥ :
 أَتَبْتَغِي التَّيْمَ عِذْرًا بَعْدَ مَا عَذَرُوا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ تَيْمٍ إِذَا اعْتَذَرُوا
 لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ عَرَسًا وَمَا لَكُمْ إِلَّا بِغَيْرِكُمْ وَرَدَّ وَلَا صَدْرُ

(٢) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ : هَذَا غَلَطٌ، صَوَابُهُ : لَعَبَدَ اللَّهُ بِنَ رَوَاحَةَ الْخَزْرَجِيِّ يَقُولُهُ لَزِيدُ بْنُ أَرْقَمَ.
 (٣) الْيَعْمَلَاتُ : جَمْعُ يَعْمَلَةٍ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ. وَالذُّبُلُ : الضَّوَامِرُ.
 (٤) الْمَزَادَةُ : هِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ جِلْدَيْنِ يَزِيدُ بَيْنَهُمَا نِصْفُ جِلْدٍ.
 (٥) آدِمَةٌ : جَمْعُ آدِيمٍ، وَهُوَ الْجِلْدُ.
 (٦) السَّطِيحَةُ : الَّتِي تَكُونُ مِنْ جِلْدَيْنِ، يَقَابِلُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ.
 (٧) الطَّعْجُ، قَالَ الْمَرْصُفِيُّ : لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ ذَكَرَهُ إِلَّا فِي الْأَسْقِيَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمَلَأِ السَّقَاءِ.

وقوله: «واصْطَافَ أَعَزُّهُ»، يريدُ «افْتَعَلَتْ»، من الصَّيْفِ، أى أصابت البقلَ فيه.

والتَّلْعَةُ: ما ارتفعَ من الأرضِ فى مُسْتَقَرِّ الْمَسِيلِ إذا تجافى السَّيْلُ عن مَتْنِهِ، وجمعه تِلَاعٌ.

وقوله: «ذُو سَمِعَتْ بِهِ» يريد الذى ، وكذلك تفعلُ طَيِّئٌ. تجعل «ذو» فى معنى «الذى»، قال زَيْدُ الْخَيْلِ لِبْنَى فَرَارَةَ، وذكر عامرُ بن الطُّفَيْلِ فقال:

* إِنِّى أَرَى فى عامِرٍ ذُو تَرَوْنِ *

وقال عارقُ الطَّائِيَّ:

فإن لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعلتُم
لَأَنْتَجِينَ لِلْعَظَمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ^(١)

يريد الذى.

* * *

ومن ظُرَفَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الْيَمَانِيَّةِ مَنْ يَعْمَلُ هَذَا اعْتِمَادًا لِإِيثارِ لُغَةٍ قَوْمِهِ.

قال الحسنُ بن هانئٍ الْحَكَمِيُّ:

حُبُّ الْمُدَامَةِ ذُو سَمِعَتْ بِهِ
وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ:

أَنَا ذُو عَرَفْتُ فَإِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ الْحَارِثِيُّ:

عَلَّلَانِي بِذِكْرِهَا عَلَّلَانِي
أَنَا ذُو لَمْ يَزَلْ يَهُونُ عَلَى النَّدِّ
وَإِنَّا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُدَّالِ
وَإِنَّا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُدَّالِ

وَإِسْقِيَانِي أَوْ لَا فَمَنْ تَسْقِيَانِ
مَنْ إِنْ عَزَّ جَانِبَ النَّدْمَانِ
عَ بَصَدَقَ الطَّعَانِ يَوْمَ الطَّعَانِ

* * *

(١) لَأَنْتَجِينَ : لَأَفْصِدَنَّ . وعارقه، من عرق العظم يعرقه ؛ بالضم عرقا؛ أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشا؛ وبهذا البيت سُمي عارقا.

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج^(١):

قال أبو العباس: وكان في جملة الخوارج لدًّا واحتجاجًا، على كثرة خطبائهم وشُعرائهم، ونفاذ بصيرتهم، وتوطين أنفسهم على الموت، فمنهم الذي طعنَ فأنفذه الرُمحُ فجعل يسعى فيه إلى قاتله وهو يقول: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٢).

ويروى عن النبي ﷺ أنه لما وصفهم قال: «سيماهم التَّحْلِيْقُ»^(٣)، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، علامتهم رجلٌ مخدجُ اليد»^(٤).

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «رجلٌ يُقالُ له عمرو ذو الخويصرة»، أو «الخنِصرة».

وروى عن النبي ﷺ: أنه نظرَ إلى رجلٍ ساجد، إلى أن صلى النبي عليه السلام، فقال: «ألا رجلٌ يقتله؟» فحسرَ أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيفَ وصمَدَ نحوه، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال: «أقتلُ رجلاً يقول: لا إله إلا الله؟» فقال النبي عليه السلام: «ألا رجلٌ يفعل؟» ففعلَ عمرٌ مثلَ ذلك، فلما كان في الثالثة قصدَ له عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فلم يرَه، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُتلَ لكان أولَ فتنةٍ وآخرها».

[حديث المخدج]

ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه ذكرَ المخدجَ عندَ النبي عليه السلام، فقال أبو مريم: والله إن كان معنا لفي المسجد وكان فقيرًا، وكان يحضرُ طعامَ عليٍّ إذا وضعه للمسلمين، ولقد كسوته ترسًا لي، فلما خرج القومُ إلى حروراء قلت: والله لأنظرن إلى عسكرهم، فجعلتُ أتخللهم حتى

(١) ر: «عاد الحديث إلى ذكر الخوارج».

(٢) سورة طه ٨٤.

(٣) سيماهم التحليق، أى علامتهم حلق الرؤوس.

(٤) مخدج اليد: ناقصها.

صِرْتُ إِلَى ابْنِ الْكَوَاءِ وَشَبَّثَ بِنِ رِبْعَى، وَرَسَلَ عَلَى تَنَاشُدِهِمْ، حَتَّى وَثَبَ رَجُلٌ
 مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى رَسُولٍ لَعْلَى، فَضَرَبَ دَابَّتَهُ بِالسَّيْفِ، فَحَمَلَ الرَّجُلَ سَرَجَهُ وَهُوَ
 يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ثُمَّ انْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى
 كَثَرَتِهِمْ كَأَنَّمَا يَنْصَرِفُونَ مِنْ عِيدٍ، فَرَأَيْتُ الْمُخَدَّجَ، وَكَانَ مِنِّي قَرِيبًا، فَقُلْتُ: أَكُنْتُ
 مَعَ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ: أَخَذْتُ سِلَاحِي أُرِيدُهُمْ، فَإِذَا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّبِيَّانِ قَدْ عَرَضُوا لِي
 فَأَخَذُوا سِلَاحِي، وَجَعَلُوا يَتَلَاعَبُونَ بِي فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّهْرِ قَالَ عَلِيٌّ: اطْلُبُوا
 الْمُخَدَّجَ. فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، حَتَّى سَاءَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَحَتَّى قَالَ رَجُلٌ: لَا وَاللَّهِ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هُوَ فِيهِمْ، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، فَجَاءَ رَجُلٌ
 فَقَالَ: قَدْ أَصْبَنَاهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَخَرَّ عَلَى سَاجِدًا، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ مَا يُسَرُّ بِهِ مِنْ
 الْفِتْوَحِ سَجَدَ، وَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْهُ لَفَعَلْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: سِيَمَاهُ أَنَّ يَدَهُ
 كَالثَّدْيِ، عَلَيْهَا شَعْرَاتٌ كَشَارِبِ السَّنُورِ، إِيْتُونِي بِيَدِهِ الْمُخَدَّجَةَ، فَأَتَوْهُ بِهَا فَنَصَبَهَا.

[مِنْ أَخْبَارِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ]

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي الْجَلْدِ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْحَنْفِيِّ وَإِلَى نَظَرِهِ وَتَوَعَّلَهُ
 وَتَعَمَّقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لِأَجِدُ لَجْهَهُمْ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَإِنْ أَشَدَّهَا حَرًّا لِلْخَوَارِجِ، فَاحْذَرْ
 أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.

قَالَ: وَكَانَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ يَنْتَجِعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ فَيَسْأَلُهُ، فَلَهُ عَنْهُ
 مَسَائِلُ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، قَدْ رَجَعَ إِلَيْهِ فِي تَفْسِيرِهَا، فَقَبَّلَهُ وَانْتَحَلَهُ، ثُمَّ غَلَبَتْ
 عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ، وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مِنْهَا صَدْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

حَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ النَّسَّابَةَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ
 عِكْرَمَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَعِنْدَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ،
 وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْاِحْتِجَاجَ بِاللُّغَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا
 وَسَقَ﴾^(١)، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا جَمَعَ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُ ذَلِكَ الْعَرَبُ؟ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّاجِزِ:

(١) سورة الانشقاق ١٧ .

إِنْ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدُنَ سَائِقًا
 هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وهو الحقُّ الذي لا يَقْدَحُ فِيهِ قَادِحٌ. وَيَعْرَضُ الْقَوْلُ
 فَيَحْتَاجُ الْمُبْتَدِئُ إِلَى أَنْ يَزْدَادَ فِي التَّفْسِيرِ.

قوله: «حَقَائِقًا» إِنَّمَا بَنَى الْحَقَّةَ مِنَ الْإِبِلِ - وَهِيَ الَّتِي قَدْ اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُحْمَلَ
 عَلَيْهَا - عَلَى «فَعِيلَةٍ» مِثْلَ «حَقِيقَةٍ» وَلِذَلِكَ جَمَعَهَا عَلَى «حَقَائِقٍ» وَيُقَالُ:
 «اسْتَوْسَقَ» الْقَوْمُ، إِذَا اجْتَمَعُوا.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ - وَرَوَى ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَ سَمِعْنَاهُ مِنْ غَيْرِ
 وَجْهِ - أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(١) فَقَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: الْجَدُولُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّوَاهِدِ، فَأَنْشَدَهُ:

سَلَمًا تَرَى الدَّلَالَجَ مِنْهَا أَزُورًا إِذَا يَعِجُ فِي السَّرَى هَرَهَرًا
 السَّلَمُ: الدَّلْوُ الَّتِي لَهُ عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ دَلْوُ السَّقَّائِينَ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ
 طَرَفَةُ فَقَالَ:

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتِلَانِ كَأَنَّمَا أَمِيرًا بَسَلَمَى دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ^(٢)
 وَالدَّلَّاجُ: الَّذِي يَمْشِي بِالدَّلْوِ بَيْنَ الْبِئْرِ وَالْحَوْضِ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ
 يُنْشِدُونَ: «تَرَى الدَّلَالِيَّ مِنْهُ أَزُورًا» وَهَذَا خَطَأٌ لَا وَجْهَ لَهُ.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ: أَنَّ نَافِعًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ
 زَنِيمٌ﴾^(٣): مَا الزَنِيمُ؟ قَالَ: هُوَ الدَّعَى الْمَلْزُوقُ، أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:
 زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

يَزْعُمُ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اشْتِقَاقَ ذَلِكَ مِنَ الزَّئِمَةِ الَّتِي بِحَلْقِ الشَّاةِ، كَمَا يَقُولُونَ لِمَنْ
 دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ: زَعْنَفَةٌ^(٤)، وَلِلْجَمْعِ زَعَانِفٌ، وَالزَّعْنَفَةُ: الْجَنَاحُ مِنْ
 أَجْنَجَةِ السَّمَكِ.

(١) سورة مريم ٢٤ .

(٢) أفتلان، من الفتل؛ وهو اندماج مرفق الناقة.

(٣) سورة القلم ٣ .

(٤) زيادات ر: «الأم: زعنفة بالكسر».

قال أبو الحسن الأخفش: كذا قال «زَعَنَفَة»، والناسُ كلهم يقولون: «زِعْنَفَة» بكسر الزاي. وهو الوجه.

ويُروى عن غير أبي عُبَيْدَةَ أنه سأله عن قوله جَلَّ اسمُهُ: «والتفت السَّاقُ بالسَّاق»^(١)، قال: الشَّدةُ بالشَّدة، فسأله عن الشاهد فأنشده:
أخو الحَرْبِ إِنْ عَصَتْ به الحربُ عَصَها وإن شَمَرَتْ عن ساقِها الحربُ شَمراً

قال أبو العباس: وقرأتُ على عُمارةَ بن عَقِيلِ بن بِلالِ بن جَرِيرِ قَصيدةَ جرير التي يهجو فيها آلَ المَهْلَبِ بن أبي صُفْرَةَ، ويمدحُ هلالَ بن أحوَرَ المازِنِيَّ، ويذكر الوقعةَ التي كانت لهم عليهم بالسُّنْدِ في سُلْطَانِ يَزِيدِ بن عبدِ المَلِكِ، بسبب خروج يَزِيدَ بن المَهْلَبِ عليه:

أقولُ لها من ليلةٍ ليس طُولُها	كطُولُ الليالي لَيْتَ صَبَحَكَ نَوْرًا
أخافُ على نفسِ ابنِ أحوَرَ ^(٢) إنَّه	جَلَا حُمَمًا فوقَ الوجوهِ فَأَسْفَرَ
جَعَلْتَ لِقَبْرِ للخِيَارِ وَمَالِكَ	وقبرِ عَدَى في المقابرِ أَقْبَرَ ^(٣)
وأطفأتِ نيرانَ المَزُونِ وأهلها	وقد حاولوها فَتَنَةً أن تَسْعَرَ ^(٤)
فلم تُبقِ منهم رايةً يَعْرِفُونَهَا	ولم تُبقِ من آلِ المَهْلَبِ عَسْكَرًا
ألا رُبَّ سَامِي الطَّرْفِ من آلِ مازِنِ	إذا شَمَرَتْ عن ساقِها الحربُ شَمراً

فهذا نظيرُ ذلك. والمَزُون: عُمانُ، قال الكُمَيْتُ:

(١) سورة القيامة ٢٩.

(٢) زيادات ر: «قال الشيخ أبو يعقوب: الذي رويت في شعر جرير:

حذاراً على نفسِ ابنِ أحوَرَ إنَّه جَلَا كلَّ وجهٍ من معدٍّ فأسفرًا

(٣) زيادات ر عن الشيخ أبي يعقوب: «وقوله: «عدى» يعنى عدى بن أرتاة الفزاري. قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط. وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله». وفيها أيضاً «ويروى: للخيار بواسط.

الخيار: موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المحاشعي. وواسط بها قبر عدى بن أرتاة الفزاري».

(٤) زيادات ر: «المزون عمان بالفارسية».

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا
وقال آخرُ يعنى الحرب :

فإن شمرت لك عن ساقها فويها حذيف ولا تسأم^(١)

ويُروى عن أبى عبيدة من غير وجه أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال: أَرَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع ما حَوَّلَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ، كَيْفَ عُنِيَ بِالْهَدْهِدِ عَلَى قَلْتِهِ وَضُئُولَتِهِ؟ فقال له ابن عباس: إنه احتاج إلى الماء. والهدهد قنأ^(٢). والأرض له كالزجاجة، يرى باطنها من ظاهرها، فسأل عنه لذلك. قال ابن الأزرق: قف يا وقاف. كيف يبصر ما تحت الأرض والفخ يُعطى له بمقدار إصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه! فقال ابن عباس: ويحك يا ابن الأزرق! أما علمت أنه إذا جاء القدر عشى البصر.

ومما سألَه عنه: ﴿أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٣)، فقال ابن عباس: تأويله: هذا القرآن.

هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهداً عن ابن عباس ، وأنا أحسبه أنه لم يقبله إلا بشاهد ، وتقديره عند النحويين : إذا قال : «ذلك الكتاب» أنهم قد كانوا وعدوا كتاباً ؛ هكذا التفسير ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٤) ، ويعنى بذلك اليهود ، وقال : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(٤) ، فمعناه : هذا الكتاب الذى كنتم تتوقعونه ، وبيت خفاف بن ندبة على ذلك يصح معناه . وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو - أخى خنساء - مرة وفزارة ، فعمد ابناً حرملة : دريد وهاشم المريان عمداً معاوية ، فاستطرد له أحدهما ، فحمل عليه

(١) زيادات ر : « تقول : «ويها لزيد» إذا زجرته عن الشيء فأغريته به . وواها له ، إذا تعجبت منه . وحذيف . يريد «حذيفة» فرخم .

(٢) قنأ : عالم بمواضع الماء من الأرض ، مأخوذ من القناة . وهى كطيمة تحفر تحت الأرض . قاله المرصفي .

(٣) سورة البقرة ١ .

(٤) سورة البقرة ٨٩ .

(٥) سورة البقرة ١٤٦ .

معاوية، فطعنه، وحمل الآخر على معاوية فطعنه مُتَمَكِّنًا، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ^(١)، فلما تَنَادَا: قتل معاوية .

قال خفافُ بنُ نَدْبَةَ - وهى أمُّه ، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، وهو^(٢) أحدُ بنى سُلَيْمِ بن منصور -: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ رِمْتُ^(٣) حتى أثارَ به، فَحَمَلَ عَلَى مالِكِ بنِ حِمَارٍ - وهو سيد بنى شَمَخِ بن فَزَارَةَ - فطعنه فقتله ، فقال خفافُ بنُ نَدْبَةَ:

إِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمَدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ هَالِكَا
وَقَفْتُ لَهُ عَلَوَى وَقَدْ خَامَ صَحْبَتِي لِأَبْنِي مَجْدًا أَوْ لِأَثَارِ هَالِكَا^(٤)
أَقُولُ لَهُ وَالرُّمَحُ يَاطِرُ مَتْنَهُ تَأْمَلُ خُفَاءًا إِنْنِي أَنَا ذَلِكَا

يريد: أنا ذلك الذى سمعتَ به. هذا تأويلُ هذا.

وقوله: «يَاطِرُ مَتْنُهُ» أى يَثْنَى. يقال: أَطَرْتُ القوسَ أَطَرُهَا أَطْرًا، وهى مأطورة . وَعَلَوَى فَرَسُهُ.

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(٥)، فقال ابنُ عباسٍ: غيرُ مقطوعٍ، فقال: هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال: قد عَرَفَهُ أخو بنى يَشْكُرَ حيثُ يقولُ:

وَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الرَّجْدِ عَ مَنِئًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٦)

قال أبو العباس: مَنِئٌ، يعنى الغُبَارُ، وذلك أنها تُقَطَّعُهُ قِطْعًا وراءَها. والمَنِئُ: الضعيفُ المؤذِنُ بانقطاعِ، أنشدنى التَّوَزِيُّ عن أبى زيد :

يَا رِيَّهَا إِنْ سَلِمَتْ يَمِينِي وَسَلِمَ السَّاقِي الَّذِي يَلِينِي
* وَلَمْ تَخْنِي عَقْدُ الْمَنِينِ *

(١) صميم الخيل: قال المصنفى: «يريد بالخيل الفرسان ، وصميمها: عميدها الذى تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذى به قوام العضو».

(٢) رمت: برحت.

(٣) رمت: برحت.

(٤) خام: جبن وضعف.

(٥) سورة فصلت ٨.

(٦) يصف خيلا . والرجع: رد الدابة يديها فى السير . وأهباء: جمع هبوة؛ يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع فى الجو قاله المصنفى .

يريد الجبلَ الضعيفَ فهذا هو المعروفُ، ويقال: منينٌ ومَمْنونٌ، كَقَتِيلٍ ومَقْتُولٍ، وجَرِيحٍ ومَجْرُوحٍ، وذكر التَّوَزَّى في كتاب الأضدادِ أن «المنين» يكونُ القويَّ، فجعله^(١) «فَعِيلًا» من «المنَّة»، والمعروفُ هو الأولُ.

وقال غيرُ ابنِ عباسٍ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يَمُنُّ عليهم فيَكْدَرُ عندهم.

ويروى من غير وجه أن ابنَ الأزرق أتى ابنَ عباسٍ يوماً^(٢) فجعلَ يسأله^(٣) حتى أمله، فجعلَ ابنُ عباسٍ يُظهِرُ الضَّجَرَ، وطلَّعَ عمرُ بنُ عبد الله بن أبي ربيعةَ على ابنِ عباسٍ، وهو يومئذ غلامٌ. فسلمَ وجلسَ، فقال له ابنُ عباسٍ: ألا تُنشدنا شيئاً من شِعْرِكَ؟ فأنشده:

غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمَهَجَّرُ!
فَتُبْلَغُ عَذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعَذَّرُ
وَلَا الْحَبْلُ مُوَصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصَرُ
وَلَا نَائِيهَا يُسْلَى وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
نَهَى ذَا النَّهْيِ لَوْ يَرَعَوَى أَوْ يَفْكَرُ
لَهَا كَلَّمَا لَا قَيْتُهُ يَتَنَمَّرُ
فُيَسَّرُ لِي الشَّحْنَاءَ وَالْبُغْضَ مُظْهِرُ
يُشْهَرُ إِلَامِي بِهَا وَيَنْكَرُ
بِمَدْفَعِ أَكْثَانِ أَهَذَا الْمُشْهَرُ!
أَهَذَا الْمُغِيرَى الَّذِي كَانَ يُذَكَّرُ!
وَعَيْشُكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أَقْبَرُ
سُرَى اللَّيْلِ يُخَيِّ نَصَهُ وَالتَّهَجَّرُ^(٤)
عَنِ الْعَهْدِ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
فَيُضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخْصَرُ

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادَ فَمُبْكِرُ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
تَهِيمٌ إِلَى نَعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعُ
وَلَا قَرَبُ نَعْمٍ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعُ
وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نَعْمٍ وَمِثْلُهَا
إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةِ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَمْرٌ بِبَابِهَا
أَلْكَنَى إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ
بَايَةٌ مَا قَالَتْ غَدَاةٌ لَقَيْتَهَا
قَفَى فَانْظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِينِي
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ
فَقَالَتْ: نَعَمْ. لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ
لِئِنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حُلَّ بَعْدُنَا
رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ

(١) ر: «يجعله» .

(٢) ساقطة من ر .

(٣) ر: «يسأله» .

(٤) النص: ضرب من السير؛ والتهجّر: السير في الهاجرة .

حتى أتمها، وهى ثمانون بيتاً، فقال له ابن الأزرقي: الله أنت يا بن عباس! أنضربُ إليك أكبادَ الإبل نَسْأَلُكَ عن الدِّينِ فتُعَرِّضُ، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ فيُنشِدُكَ سَفْهاً فتسمعه! فقال: تالله ما سمعتُ سَفْهاً، فقال ابن الأزرقي: أما أنشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتُ فيخزى وأما بالعشى فيخسرُ

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فيضحى وأما بالعشى فيخسر» قال: أو تحفظ الذى قال؟ قال: والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه، ولو شئت أن أردّها لرددتها، قال: فارددّها، فأنشده إياها كلها^(١).

* * *

وروى الزبيريون أن نافعاً قال له: ما رأيتُ أروى منك قط. فقال له ابن عباس: ما رأيتُ أروى من عمر، ولا أعلم من على.

وقوله: «فيضحى» يقول: يظهرُ للشمس، ويخسر، يقول: فى البردين^(٢)، فاذا ذكر العشى فقد دلَّ على عقيب العشى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظُنُّ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾^(٣)، والضحُّ: الشمس، وليس من: «ضحيت»، يقال: جاء فلان بالضح والريح «يرادُّ به الكثرة»، قال علقمة:

أَعَرُّ أَبْرَزَهُ لِلضَّحِّ رَاقِبُهُ مُقَلَّدٌ قُضِبَ الرِّيحَانَ مَفْعُومٌ

له فَعْمَةٌ، أى رائحة طيبة، يعنى إبريقاً فيه شراب. وفى الحديث أن رسول الله ﷺ لما توجهَ إلى تبوك جاء أبو خيثمة، وكانت له امرأتان، وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه، ومهدت له فى ظل، فقال: أظل ممدود، وثمره طيبة، وماء بارد، وامرأة حسناء، ورسول الله فى الضح والريح! ما هذا بخير! فركب ناقته ومضى فى أثره، وقد قيل لرسول الله ﷺ فى نفر تخلفوا، أبو خيثمة أحدهم، فجعل لا يذكر له أحد منهم إلا قال: دَعُوهُ فَإِنْ يَرِدَ اللَّهُ بِهِ خيراً يُلْحِقْهُ بكم، فقبل ذات يوم: يارسول الله، نرى رجلاً يرفعه الآل، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فكانه.

(٢) البردان: الغداة والعشى.

(١) ساقطة من ر.

(٣) سورة طه ١١٩.

وإذا انبسطت الشمس فهو «الضحى» مقصور، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحو ذلك فذلك «الضحاء»، ممدود مفتوح الأول.

[الحجاج وامرأة من الخوارج]

وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج، ويحضرته يزيد بن أبي مسلم مولاة، وكان يستسرُّ برأى الخوارج، فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه، فقال لها يزيد بن أبي مسلم: الأمير ويلك يكلمك! فقالت: بل الويلُ والله لك يافاسق الردى.

والردىُّ عند الخوارج: هو الذى يعلم الحقَّ من قولهم ويكتمه.

[عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج]

وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ما شاء فهمًا ثم بحثه، فرأى ما شاء إربًا ودهيًا^(١)، فرغب فيه. فاستدعاه^(٢) إلى الرجوع عن مذهبه، فراه مستبصرًا مُحَقِّقًا، فزاده فى الاستدعاء فقال له: لتُنكَ الأولى عن الثانية، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمعَ أقلُّ، قال له: قل. فجعل ييسطُ له من قول الخوارج ويُزيّن له مذهبهم بلسان طلقٍ وألفاظ بينة ومعان قريبة، فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته: لقد كاد يُوقع فى خاطرى أن اللجنة خلقت لهم، وأنا^(٣) أولى بالجهاد منهم. ثم رجعتُ إلى ما ثبت الله على من الحجة وقرّر فى قلبى من الحق. فقلت له: لله الآخرة والدنيا، وقد سلطنا^(٤) الله فى الدنيا، ومكّن لنا فيها، وأراك لست تحيب بالقبول^(٥)، والله لاقتلنك إن لم تطع.

فأنا فى ذلك إذ دخل على بابنى مروان .

قال أبو العباس : كان مروان أخا يزيد لأمه، أمهمًا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان أبا عزيز النفس، فدُخل به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيًا لضرب المؤدّب إياه، فشق ذلك على عبد الملك، فأقبل الخارجى، فقال له: دعه ييكي^(١)؛ فإنه أرحب لشدقه، وأصح لدماعه، وأذهب لصوته، وأحرى ألا تأبى

(١) الأرب: البصر بالأمور، والدهى، مصدر دهى، كرضى؛ إذ كان صاحبه عاقلًا مجربًا.

(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «استدعاء».

(٣) ر: «وأبى» .

(٤) ر: «سلطنى» .

(٥) ر: «يك» وكلاهما جائر .

(٥) ر: «بالقول» .

عليه عينه إذا حضرته طاعة الله^(١)، فاستدعى عبرتها، فأعجب ذلك من قوله عبد الملك، فقال متعجباً: أما يشغلك ما أنت فيه وبعرصه عن هذا! فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيئاً، فأمر عبد الملك بحبسه، وصفح عن قتله، وقال بعد يعتذر إليه: لولا أن تُفسد بالفاظك أكثر ريعتي ما حبستك.

ثم قال عبد الملك: من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن يستهوي من بعدى. وكان عبد الملك من الرأي والعلم بموضع.

وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية

وتزعم الرواة أن رجلاً من أهل الكتاب وفد على معاوية، وكما موصوفاً بقراءة الكتب. فقال له معاوية: أتجد نعتي في شيء من كتب الله؟ قال: إى والله، لو كنت فى أمة لوضعت يدى عليك من بينهم. قال: فكيف تجدنى؟ قال: أجذك أول من يحول الخلافة ملكاً، والحشنة ليئاً، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم، قال معاوية: فسرى عني، ثم قال: لا تقبل هذا منى، ولكن من نفسك، فاجتب^(٢) هذا الخبر. قال: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون منك رجل شراب للخمر، سفاك للدماء، يحتجن الأموال^(٣)، ويصطنع الرجال، ويجنب^(٤) الخيول، ويبيح حرمة الرسول^(٥)، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكون فتنة^(٦) تتشعب بأقوام حتى يفضى الأمر بها إلى رجل^(٧) أعرف نعتة، يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس، فيجتمع عليه من آلك وليس منك، لا يزال لعدوه قاهراً، وعلى من ناواه^(٨) ظاهراً، ويكون له قرين^(٩) مبير^(١٠) لعين. قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال:

(١) ر: « طاعة ربه ».

(٢) ر: فاختبر، ويقال: اجتبت الخراج اجتبا، أى جمعه.

(٣) احتجن الشيء أخذه وحبسه.

(٤) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها.

(٥) قال المصنفى: «ذلك ما كان من قتل الحسين ومن معه من قتيان بنى هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

(٦) هى الفتنة التى وقعت بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية؛ وافتراق الناس فرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير. وفريق يدعو إلى بنى أمية.

(٧) قال المصنفى: «يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما».

(٨) ناواه: عاداه.

(٩) يريد به الحجاج بن يوسف، قاله المصنفى.

(١٠) مبير: مهلك، وفى م: « مبين ».

شَدْمَا، فَأَرَاهُ مِنَ الشَّامِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ، فَقَالَ: مَا أَرَاهُ هَاهُنَا، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ ثِقَاتٍ مِنْ رُسُلِهِ، فَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَسْعَى مُؤْتَرِّراً فِي يَدِهِ طَائِرٌ، فَقَالَ لِلرُّسُلِ: هَاهُوَذَا! ثُمَّ صَاحَ بِهِ: إِلَيَّ أَبُو مَنْ؟ قَالَ: أَبُو الْوَلِيدِ. قَالَ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنْ بَشَّرْتُكَ بِبِشَارَةٍ تَسْرُكَ مَا تَجْعَلُ لِي؟ قَالَ: وَمَا مَقْدَارُهَا مِنَ السَّرُورِ حَتَّى نَعْلَمَ مَقْدَارَهَا مِنَ الْجُعْلِ؟ قَالَ: أَنْ تَمْلِكَ الْأَرْضَ، قَالَ: مَا لِي مِنْ مَالٍ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ ^(١) إِنْ تَكَلَّفْتُ لَكَ جُعْلاً، أَتَأْنَلُ ذَلِكَ قَبْلَ وَقْتِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنْ حَرَمْتُكَ، أَتَوْخَرُهُ عَنْ وَقْتِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحَسْبُكَ مَا سَمِعْتَ.

فَذَكَرُوا أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ يُكْرِمُ عَبْدَ الْمَلِكِ لِيَجْعَلَهَا يَدًا عِنْدَهُ يُجَازِيهِ بِهَا فِي مَخْلَقَتِهِ ^(٢) فِي وَقْتِهِ.

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَبْرَعَهُمْ أَدْبًا، وَأَحْسَنَهُمْ فِي شَبِيبَتِهِ دِيَانَةً، فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ، وَتَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِهَا أَوَّلَ تَسْلِيمَةٍ، وَالْمُصْحَفُ فِي حِجْرِهِ، فَأَطْبَقَهُ وَقَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

[صَدِيقُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ عَائِشٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فِي إِسْنَادِ ذِكْرِهِ: أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يُقَالُ لَهُ يَوْسُفُ، فَأَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا، وَهُوَ فِي عُنْفُوَانِ نُسْكِهِ، وَقَدْ مَضَتْ جِيُوشُ يُزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ، مِنْ مَرَّةٍ غَطَفَانَ، تَرِيدُ الْمَدِينَةَ - أَلَا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ اللَّهِ قَاصِدَةً لِحَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ يَوْسُفُ: جَيْشُكَ وَاللَّهِ إِلَى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ جَيْشِهِ. فَفَضَّضَ عَبْدُ الْمَلِكِ ثَوْبَهُ ثُمَّ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! قَالَ لَهُ يَوْسُفُ: مَا قُلْتَ شَاكًا وَلَا مُرْتَابًا، وَإِنِّي لِأَجِدُكَ بِجَمِيعِ أَوْصَافِكَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَتَذَوَّلُهَا رَهْطُكَ، قَالَ: إِلَى مَتَى؟ قَالَ: إِلَى أَنْ تَخْرُجَ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ خُرَّاسَانَ.

[حَدِيثُ ابْنِ جُعْدَبَةَ لِلْمَنْصُورِ]

قَالَ: وَحَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَتَاهُ فِيهِ خُرُوجُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ، قَالَ: فَغَمَّه

(١) ر: «أرأيتك».

ذلك، حتى امتنع من الغداء في وقته، وطال عليه فكرُهُ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، : كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ قَصَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، [قال] (١): فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْأَعْلَامِ السُّودِ مِنْ بَعْدِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْبُخْتُ الْمَجَلَّلَةُ (٢)؟ قلتُ: هَذِهِ أَعْلَامُ الْقَوْمِ. قَالَ: فَمَنْ تَحْتَهَا؟ قلتُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَيَهُمُّ عَبْدُ اللَّهِ؟ قلتُ (٣): الْفَتَى الْمَعْرُوقُ (٤) الطَّوِيلُ، الْخَفِيفُ الْعَارِضِيُّ، الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي وَكِيمَةٍ كَذَا يَأْكُلُ فَيُجِدُّ، فَسَأَلْتَنِي عَنْهُ فَنَسَبْتُهُ لَكَ، فقلتُ: إِنَّ هَذَا الْفَتَى لَتِلْقَامَةٌ (٥)، قَالَ: قَدْ عَرَفْتَهُ؛ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَكَانَهُ، قَالَ: فَقَالَ لِي الْمَنْصُورُ: اللَّهُ لَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ؟ قلتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْهُ. قَالَ: يَا غُلَامُ، هَاتِ الْغَدَاءَ..

[قِتَالُ أَهْلِ النَّخِيلَةِ]

قال أبو العباس: وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان، ممن فارق عبد الله بن وهب، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب، ومن كان أقام بالكوفة، فقال: لَا أَقَاتِلُ عَلِيًّا، وَلَا أَقَاتِلُ مَعَهُ. فَتَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَعَاضَدُوا، وَتَأَسَّفُوا عَلَيَّ خِذْلَانَهُمْ أَصْحَابَهُمْ. فَقَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَوْدُ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَانَا بِالْعَدْلِ تَخَفُّقُ رَايَاتِهِ. مُعَلِّيًا مَقَالَتَهُ. مَبْلَغًا عَنْ رَبِّهِ، نَاصِحًا لِأُمَّتِهِ، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ مُخَيَّرًا مُخْتَارًا، ثُمَّ قَامَ الصَّدِيقُ فَصَدَّقَ عَنْ نَبِيِّهِ، وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ عَنْ دِينِ رَبِّهِ، وَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَنَ الصَّلَاةَ بِالزَّكَاةِ، (٦) فَرَأَى تَعْطِيلَ إِحْدَاهُمَا طَعْنًا (٧) عَلَى الْآخَرَى، لَا بَلْ عَلَى جَمِيعِ مَنَازِلِ الدِّينِ ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَوْفُورًا، ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ (٧) الْفَارُوقُ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مُسَوِّيًا بَيْنَ النَّاسِ فِي إِعْطَائِهِ، لَا مُؤَثِّرًا لِأَقَارِبِهِ،

(١) تكملة من س .

(٢) البخت : جمع بختي ؛ وهى الإبل الطويلة الأعناق . والمجللة : المغطاة بما يزينها .

(٣) ر : « فقلت » . (٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) التلقامة : الكثير الأكل .

(٦-٦) ر : « فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى » . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٧) ساقطة من ر .

ولا مُحَكَّمًا فِي دِينِ رَبِّهِ . وَهَا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا حَدَّثَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) ، فَكُلُّ أَجَابٍ وَبَايَعٌ .

فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ دَاعِيًا ، فَأَبَوْا فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ عَفِيفُ بْنُ قَيْسٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَخْرُجْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؛ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ نَحْسٍ لِعَدُوِّكَ عَلَيْكَ ؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَصَيْتُ رَأْيَ كُلِّ مُتَكَهِّنٍ . أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَعْرِفُ وَقْتَ الظَّفَرِ مِنْ وَقْتِ الْخِذْلَانِ ، ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٢) ، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فَطَحَنَهُمْ جَمِيعًا ، لَمْ يُقَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا خَمْسَةً ، مِنْهُمْ الْمُسْتَوْدِدُ ، وَابْنُ جُوَيْنٍ الطَّائِيُّ ، وَفَرَوَةُ بْنُ شَرِيكَ الْأَشْجَعِيُّ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، فَقَالَ : دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ فَجَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَبُو حَسَنِ فَطَحَنَهُمْ طَحْنًا .

وَفِيهِمْ يَقُولُ عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الشُّرَاطَةُ بِهِ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ عِنْدَ الْجَوْسَقِ الْخَرْبِ ^(٣)

وَقَالَ الْحَمِيرِيُّ يُعَارِضُ هَذَا الْمَذْهَبَ :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِينَا
وَبِالَّذِي دَانَ يَوْمَ النَّهْرِدَنْتِ بِهِ وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِينَا
تِلْكَ الدَّمَاءُ مَعًا يَا رَبِّ فِي عُنُقِي وَمِثْلَهَا فَاسْقِنِي آمِينَ آمِينَ

[مناظرة أهل النخيلة لابن عباس]

وَكَانَ أَصْحَابُ النُّخَيْلَةِ قَالُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنْ كَانَ ^(٤) عَلِيُّ عَلَى حَقٍّ لَمْ يَشْكُكَ فِيهِ . وَحَكَمَ مُضْطَرًّا ! فَمَا بَالُهُ حَيْثُ ظَفَرَ لَمْ يَسِبْ ! فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَدْ سَمِعْتُمُ الْجَوَابَ فِي التَّحْكِيمِ ، فَأَمَّا قَوْلُكُمْ فِي السَّبَاءِ ، أَفَكُنْتُمْ سَابِقِينَ أَمَكُمْ

(٢) سورة هود ٥٦ .

(١) سورة النساء ٩٥ .

(٣) الجوسق الحرب : بظاهر الكوفة عند النخيلة ، والبيت في معجم البلدان (٣ : ١٧) من أبيات نسبها إلى قيس بن الأصم الضبي .

(٤) ر : « إِنْ كَانَ » .

عائشة! فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وقالوا: أُمْسِكِ عَنَّا غَرْبَ لِسَانِكَ يَا بِنَ عَبَّاسٍ! فَإِنَّهُ طُلِقَ ذُلُقٌ، غَوَّاصٌ عَلَى مَوْضِعِ الْحِجَّةِ. ثُمَّ خَرَجَ الْمُسْتَوْرِدُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ عَلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَهُوَ وَالِي الْكُوفَةِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ، فَدَعَاهُ الْمُسْتَوْرِدُ إِلَى الْمُبَارَزَةِ، وَقَالَ لَهُ: عَلَامُ يَقْتُلُ النَّاسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: النِّصْفَ سَأَلْتُ. فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لَأَبَى عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَخَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَيِّتًا.

[الْمُسْتَوْرِدُ التَّيْمِيُّ]

وكان الْمُسْتَوْرِدُ كثير الصلاة شديداً الاجتهاد، وله آدابٌ يُوصى بها، وهى محفوظةٌ عنه .

كان يقول: إِذَا أَفْضَيْتُ بِسَرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَفْشَاهُ لَمْ أَلَهُ، لِأَنِّي كُنْتُ أَوَّلِي بِحِفْظِهِ.

وكان يقول: لَا تُقَشِّ إِلَى أَحَدٍ سِرًّا، وَإِنْ كَانَ مُخْلِصًا، إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوِرَةِ.

وكان يقول: كُنْ أَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ سِرِّ صَاحِبِكَ مِنْكَ عَلَى حَقِّنْ دَمِكَ.
وكان يقول: أَوَّلُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ عَائِبُ النَّاسِ مَعْرِفَتُهُ بِالْعُيُوبِ، وَلَا يَعِيبُ إِلَّا مَعِيبٌ.

وكان يقول: الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ عَلَيْكَ فَاشْتَرِ مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى عَلَيْكَ.
وكان يقول: بَدَلُ الْمَالِ فِي حَقِّهِ اسْتِدْعَاءُ لِلْمَزِيدِ مِنَ الْجَوَادِ.
وكان يكثر أن يقول: لَوْ مُلِّكْتُ الْأَرْضَ بِحِذَائِهَا، ثُمَّ دُعِيتُ إِلَى أَنْ أُسْتَفِيدَ بِهَا خَطِيئَةٌ مَا فَعَلْتُ.

[الْخَوَارِجُ وَمَعَاوِيَةُ]

قال: وَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ، وَاتَّصَلَ خُرُوجُهَا، وَإِنَّمَا نَذَرُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ ذَا خَبَرٍ طَرِيفٍ، وَاتَّصَلَتْ بِهِ حِكْمٌ مِنْ كَلَامٍ وَأَشْعَارٍ.

فَأَوَّلُ مَنْ خَرَجَ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْثَرَةُ الْأَسَدِيِّ.
فَإِنَّهُ كَانَ مُتَنَحِيًّا بِالْبَنْدَنِجِينَ^(١)، فَكُتِبَ إِلَى حَابِسِ الطَّائِيٍّ يَسْأَلُهُ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ

(١) البندنيجين . بلفظ الثني : بلد في طرف النهران من أعمال بغداد .

الخوارج حتى يسير إليه بجمعه، فيتعاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرجعاً إلى موضع أصحاب النخيلة، ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس ابن سعد بن عبادة.

ثم خرج الحسن يريد المدينة، فوجه إليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتوكل لمحاربتهم، فقال الحسن: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، ولا أحسب ذلك يسعني، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم! فلما رجع الجواب إليه وجه إليهم جيشاً^(١) أكثره أهل الكوفة^(٢). ثم قال لأبيه أبي حوثة: قم فاكفني^(٣) أمر ابنك فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأبى فأداره، فصمم، فقال له: يا بني أجيتك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه؟ فقال: يا أبت، أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني إلى ابني! فرجع إلى معاوية فأخبره الخبر^(٤)، فقال: يا أبا حوثة، عتاً^(٥) هذا جداً!

فلما نظر حوثة إلى أهل الكوفة قال: يا أعداء الله، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه، واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه!

فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز، فقال: يا أبت، لك في غيري مندوحة، ولي في غبرك عنك مذهب، ثم حمل على القوم وهو يقول:

أُكْرِرُ عَلَى هَذِي الْجُمُوعِ حَوْثَرَهُ فَعَن قَلِيلٍ مَا تُنَالُ الْمَغْفِرَهُ

فحمل عليه رجل من طيء^(٥) فقتله، فرأى أثر السجود قد لوح جبهته، فندم على قتله، ثم انهزم القوم جميعاً.

وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ بظَهْرٍ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذُووِ الْعُيُوبِ

(١-١) ر : جيشا أكثرهم من أهل الكوفة .

(٢) ر : « اكفني أمر ابنك » .

(٣) ساقطة من ر .

(٤) عتا : استكبر .

(٥) نقل المرفعي عن ابن الأثير أنه عبد الله بن عوف قائد ذلك الجيش .

إنما أخذه من كلام المستورد، قال رجلٌ للمستورد: أريدُ أن أرى رجلاً عيَّاباً، قال: التمسهُ بِفَضْلِ مَعَايِبِ فِيهِ.

وقال العباسُ بن الأحنف يعاتبُ من اتهمه بإفشاءِ سرِّه :

تَعَتَّبْتَ تَطْلُبُ مَا أَسْتَحِقُّ	به الهجر منك ولا تقدرُ
وماذا يضيرُكَ من شهرتي ^(١)	إذا كان سرُّكَ لا يشهرُ
أمنِّي تخافُ انتشارَ الحديث	وحظي في ستره أوفرُ
ولو لم تكن في بقيا عليك	نظرتُ لنفسي كما تنظرُ

[من أخبار مقتل الإمام علي ، ووصيته لأبنائه]

ويروى عن حديث محمد بن كعب القرظي قال: قال عمَّارُ بن ياسر: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ فَلَمَّا قَفَلْنَا نَزَلْنَا مَنَزَلاً، فَخَرَجْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ نَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ يَعْتَمِلُونَ، فَنَعَسْنَا فَنَمْنَا، فَسَقَتْ عَلَيْنَا الرِّيحُ التُّرَابَ، فَمَا نَبْهَنَا إِلَّا كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «يَا أَبَا تَرَابٍ - لِمَا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ - أَتَعْلَمُ مَنْ أَشَقَى النَّاسِ؟» فَقَالَ: خَبَّرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَشَقَى النَّاسِ اثْنَانِ: أَحْمَرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ السَّاقَةَ، وَأَشَقَاها الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ» - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ - «مِنْ هَذَا»، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ.

ويروى عن عيَّاض بن خليفة الخزاعي قال: تَلَقَّانِي عَلِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ فِي الْغَلَسِ، فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عِيَّاضُ بْنُ خَلِيفَةَ الْخَزَاعِيِّ، فَقَالَ: ظَنَنْتُكَ أَشَقَاها الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَعَلَى قَرْنِهِ.

ويروى: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كَثِيرًا - قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: أَحْسِبُهُ عِنْدَ الضَّجَرِ بِأَصْحَابِهِ -: مَا يَمْنَعُ أَشَقَاها أَنْ يَخْضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذَا!

(١) ر : «يضرُك» بتشديد الراء .

وَيُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ أَنَّهُ خَرَجَ النَّاسُ يُعْلِفُونَ دَوَابَّهُمْ بِالْمَدَائِنِ وَأَرَادَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ، فَوَجَّهَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ لِيَرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ - وَكَانَ ابْنُ عَمٍّ لِي فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ - فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ عَشِيَّةٍ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَأْخُذَ لِي كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فِي التَّرْفِيهِ ^(١) عَنْ ابْنِ عَمِّي، فَإِنَّهُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ، فَقَالَ: تَغْدُو عَلَيْنَا وَالْكِتَابُ مَخْتُومٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَبِتُّ لَيْلَتِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ النَّاسُ يَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّيْلَةَ. فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ، وَإِذَا بِهِ فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: لَوْلَا مَا حَدَّثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي صَلَّيْتُ مَا رَزَقَ اللَّهُ. ثُمَّ نَمْتُ نَوْمَةً، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْهُمْ. فَدَعَوْتُ اللَّهَ، قَالَ الْحَسَنُ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَانَ مَا قَدْ عَلِمْتَ.

وَحَدَّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا ضُرِبَ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ اعْتَرَتْهُ غَشِيَّةٌ ثُمَّ أَفَاقَ، فَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ: أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ فَاتَكُومَا مِنْهَا، أَعْمَلًا خَيْرٍ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصَمًا. وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا. ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِهِ، وَعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ وَتَوْقِيرِهِمَا وَمَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: أَوْصِيكُمَا بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ شَفِيقَكُمَا وَابْنُ أَبِيكُمَا، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُحِبُّهُ، فَأَحْبَبَاهُ، فَلَمَّا قَضَى عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ، قَالَتْ أُمُّ الْعُرْيَانِ:

وَكُنَّا قَبْلَ مَهْلِكِهِ زَمَانًا
فَتَلْتُمُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ
نَرَى نَجْوَى رَسُولِ اللَّهِ فِينَا
وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا
فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَ

(١) الترفيه : التنفيس .

وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَعْدَى كَرَبٌ، وَأَنَّ حُجْرَ بْنَ عَدَى سَمِعَ الْأَشْعَثَ يَقُولُ لَهُ: فَضَحَكَ الصُّبْحُ، فَلَمَّا قَالُوا: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ حُجْرُ بْنُ عَدَى لِلْأَشْعَثِ: أَنْتَ قَتَلْتَهُ يَا أَعُورُ! وَيُرْوَى أَنَّ الَّذِي سَمِعَ ذَاكَ أَخُو الْأَشْعَثِ، عَفِيفُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ: عَنْ أَمْرِكَ كَانَ هَذَا يَا أَعُورُ!

وأخبارُ الخوارج كثيرةٌ طويلةٌ، وليس كتابنا هذا^(١) مفرداً لهم، ولكننا^(٢) نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدبٌ، أو شعرٌ مُسْتَطَرَفٌ، أو كلامٌ من خطبةٍ معروفةٍ مختارة.

[الخوارج وزياد]

خَرَجَ قُرَيْبُ بْنُ مُرَّةَ الْأَزْدِيُّ وَرَحَافُ الطَّائِي - وَكَانَا مُجْتَهِدَيْنِ بِالْبَصْرَةِ فِي أَيَّامِ زِيَادٍ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أُمُورِهِمَا: أَيُّهُمَا كَانَ الرَّئِيسَ - فَاعْتَرَضَا النَّاسَ، فَلَقِيَا شَيْخًا نَاسِكًا مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ، فَقَتَلَاهُ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: رُبُوبَةُ الضُّبَيْعِيِّ، وَتَنَادَى النَّاسُ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُطَيْعَةَ مِنَ الْأَزْدِ وَفِي يَدِهِ السِّيفُ، فَنَادَاهُ النَّاسُ مِنْ ظُهُورِ الْبُيُوتِ: الْحُرُورِيَّةَ الْحُرُورِيَّةَ! أُنِجْ بِنَفْسِكَ. فَتَنَادَوْهُ: لَسْنَا حُرُورِيَّةً، نَحْنُ الشَّرَطُ، فَوَقَّفَ فَقَتَلُوهُ. وَبَلَغَ أَبَا بِلَالٍ خَبْرَهُمَا، فَقَالَ: قُرَيْبٌ، لَا قَرَبَةَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَزَحَافٌ، لَا عَفَاَ اللَّهُ عَنْهُ، رَكِبَاهَا عَشَوَاءَ مُظْلَمَةٍ - يَرِيدُ اعْتِرَاضَهُمَا النَّاسَ - ثُمَّ جَعَلَا لَا يَمُرَّانَ بِقَبِيلَةٍ إِلَّا قَتَلَا مِنْ وَجَدَا، حَتَّى مَرَّ ابْنُ عَلِيٍّ بِنِ سُوْدٍ مِنَ الْأَزْدِ، وَكَانَ فِيهِمْ مَائَةٌ يَجِيدُونَ الرَّمْيَ، فَرَمَوْهُ رَمِيًّا شَدِيدًا، فَصَاحُوا: يَا بَنِي عَلِيٍّ! الْبُقْيَا، لَا رِمَاءَ بَيْنَنَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَلِيٍّ:

لَا شَيْءَ لِلْقَوْمِ سِوَى السَّهَامِ مَشْحُوذَةٍ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ^(٣)

فَعَرَدَ عَنْهُمْ^(٤) الْخَوَارِجُ، وَخَافُوا الطَّلَبَ، فَاشْتَقَوْا مَقْبَرَةَ بَنِي يَشْكِرَ، حَتَّى نَفَذُوا إِلَى مُزَيْنَةَ، يَنْتَظِرُونَ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِنْ مُضَرٍّ وَغَيْرِهَا، فَجَاءَهُمْ ثَمَانُونَ،

(٢) «لكننا» .

(٤) عرد الرجل تعريداً ، إذا عدا فزعا .

(١) ساقطة من ر .

(٣) شحذ السيف : إجلاؤه .

وخرجت إليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مُزينة وغيرها، فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم.

ثم غدا الناس إلى زياد فقال: ألا ينهي كل قوم سفهاءهم! يا معشر الأزد، لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت: إنكم أرثتموها. فكانت القبائل إذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وثاقاً^(١)، وأتت بهم زياداً، فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره.

وله أخرى في الخوارج. أخرجوا معه امرأة، فظفر بها فقتلها، ثم عراها. فلم تخرج النساء بعد علي زياد، وكن إذا دُعِينَ إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا.

[قتل مصعب لأمراة المختار]

ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية، امرأة المختار - وليس هذا من أخبار الخوارج - أنكره الخوارج غاية الإنكار، ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً عظيماً، لأنه أتى ما نهى عنه رسول الله ﷺ في سائر نساء المشركين. وللخواص منهن أخبار، فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

إن من أعظم الكبائر عندي	قتل حسناء غادة عطبول ^(٢)
قتلت باطلا على غير ذنب	إن لله درها من قتيل!
كتب القتل والقتال علينا	وعلى المحصنات جر الذيول ^(٣)

قال: وكان^(٤) الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين، يقال لإحدهما كُحيلة، والأخرى قطام، فجعل أصحاب ابن عامر يعيرونهم ويصيحون بهم: يا أصحاب كُحيلة وقطام! يعرضون لهم بالفجور، فتناديهم الخوارج بالدفع والردع، ويقول قائلهم: لا تقف ما ليس لك به علم.

(٢) العطبول : المرأة التامة الخلق .

(٤) ر : « وكانت » .

(١) ساقطة من ر .

(٣) المحصنات : العفيفات .

وَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١)، قَالَ: أَعْيَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الزُّورُ: الْغِنَاءُ، فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَوْ مَا هَذَا فِي الشَّهَادَةِ بِالزُّورِ! فَقَالَ: لَا، إِنَّمَا آيَةُ شَهَادَةِ الزُّورِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

[عباد الله بن زياد والخوارج]

عاد الحديث إلى أمر الخوارج.

وكانت^(٣) من المجتهدات من الخوارج - ولو قلت: من المجتهدين. وأنت تعني امرأةً كان أفصح، لأنك تريد رجالاً ونساءً هي إحداهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ﴾^(٤) وقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾^(٥) - منهنما البلجاء وهي امرأة من بني حرام بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، من رهط سجاح، التي كانت تنبأت وسنذكر خبرها في موضعه إن شاء الله. وكان مرداس بن حدير أبو بلال، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تعظمه الخوارج، وكان مجتهداً كثير الصواب في لفظه، فلقبه غيلان بن خرشة الضبي، فقال: يا أبا بلال! إنني سمعتُ الأمير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء، وأحسبها ستؤخذ، فمضى إليها أبو بلال، فقال لها: إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية^(٦) فاستترى؛ فإن هذا المسرف على نفسه، الجبار العنيد قد ذكرك، قالت: إن يأخذني فهو شقي بى، فأما أنا فما أحب أن يُعنتَ إنسانٌ بسببي.

فوجه إليها عبيد الله بن زياد، فأتى بها ففقطع يديها ورجليها، ورمى بها في السوق، فمرَّ أبو بلال والناس مجتمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البلجاء، فعرَّج إليها فنظروا، ثم عضَّ على لحيتِه، وقال لنفسه: لهذه أطيَّبُ نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداس.

(١) سورة الفرقان ٢٢. (٢) سورة الإسراء ٣٦. (٣) ر: «وكان». (٤) سورة التحريم ١٢. (٥) سورة الشعراء ١٧١. (٦) التقية: حفظ النفس بما يستطاع من المكروه.

ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ تَتَبَعَ الْخَوَارِجَ فَحَبَسَهُمْ، وَحَبَسَ مَرْدَاسًا، فَرَأَى صَاحِبَ السَّجَنِ شِدَّةَ اجْتِهَادِهِ وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَى لَكَ مَذْهَبًا حَسَنًا، وَإِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ أُولِيكَ مَعْرُوفًا؛ إِنْ تَرَكْتَكُ تَنْصَرِفُ لَيْلًا إِلَى بَيْتِكَ، أَتَدْلِجُ^(١) إِلَى؟ قَالَ: نَعَمْ. فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ.

وَلَجَّ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حَبْسِ الْخَوَارِجِ وَقَتْلِهِمْ، فَكَلَّمَ فِي بَعْضِ الْخَوَارِجِ فَلَجَّ وَأَبَى، وَقَالَ: أَقْمَعَ التَّفَاقُّ قَبْلَ أَنْ يَنْجُمَ^(٢). لَكَلَامُ هَؤُلَاءِ أَسْرَعُ إِلَى الْقُلُوبِ مِنَ النَّارِ إِلَى الْيَرَاعِ^(٣).

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا مِنَ الشُّرَطِ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهِؤُلَاءِ! كَلِمًا أَمَرْتُ رَجُلًا بِقَتْلِ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَتَكُونُوا بِقَاتِلِهِ! لَا قَتْلَ مَنْ فِي حَبْسِي مِنْهُمْ. فَأَخْرَجَ السَّجَانَ مَرْدَاسًا إِلَى مَنْزِلِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، وَآتَى مَرْدَاسًا الْخَبِرَ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ تَهَيَّأَ لِلرَّجُوعِ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ: اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ قُتِلْتَ. فَقَالَ: إِنِّي مَا كُنْتُ لِأُلْقِيَ اللَّهَ غَادِرًا. فَرَجَعَ إِلَى السَّجَانِ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ، فَقَالَ: أَعْلَمْتَ وَرَجَعْتَ!

[مِنْ أَخْبَارِ مَرْدَاسِ أَبِي بِلَالٍ]

وَيُرَوَّى أَنَّ مَرْدَاسًا مَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ يَهْنَأُ^(٤) بَعِيرًا لَهُ، فَهَرَجَ^(٥) الْبَعِيرُ، فَسَقَطَ مَرْدَاسٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَظَنَّ الْأَعْرَابِيُّ أَنَّهُ قَدْ صُرِعَ، فَقَرَأَ فِي أُذُنِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: قَرَأْتُ فِي أُذُنِكَ، فَقَالَ لَهُ مَرْدَاسٌ: لَيْسَ بِي مَا خَفَتُهُ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ بَعِيرَكَ هَرَجَ مِنَ الْقَطَرَانِ، فَذَكَرْتُ بِهِ قَطْرَانَ جَهَنَّمَ، فَأَصَابَنِي مَا رَأَيْتَ، فَقَالَ: لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا فَارَقْتُكَ أَبَدًا!

* * *

وَكَانَ مَرْدَاسٌ قَدْ شَهِدَ صَفَيْنَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَأَنْكَرَ التَّحْكِيمَ، وَشَهِدَ النَّهْرَ، وَنَجَا فِيمَنْ نَجَا، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ حَبْسِ ابْنِ زِيَادٍ

(١) الإدلاج : السير من آخر الليل .

(٢) بنجم : يطلع . (٣) اليراع : القصب الفارسي .

(٤) يهنأ بعيرا : يطلبه بالهناء ؛ وهو القطران .

(٥) هرج : تعب وتخير .

ورأى جدّ ابن زياد في طلب الشّرة عَزَمَ على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يَسَعُنَا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامهم، مُجَانِبِينَ للعدل، مفارقين للفَصْلِ^(١)، والله إنَّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيمٌ، ولكنَّا نَتَّبِعُ عنهم، ولا نَجْرُدُ سَيْفًا، ولا نَقَاتِلُ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنَا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً، منهم حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ، وَكَهْمَسُ بْنُ طَلْقِ الصَّرِيحِيِّ، فَأَرَادُوا أَنْ يُؤَلُّوا أَمْرَهُمْ حُرَيْثًا، فَأَبَى، فَوَلُّوا أَمْرَهُمْ مَرْدَاسًا، فَلَمَّا مَضَى بِأَصْحَابِهِ لَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحِ الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا - فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي^(٢)، أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَهْرَبَ بَدِينِي وَأَدِيَانِ أَصْحَابِي مِنْ أَحْكَامِ هَؤُلَاءِ الْجَوْرَةِ. فَقَالَ لَهُ: أَعَلِمَ بِكُمْ أَحَدٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْجِعْ، قَالَ: أَوْ تَخَافُ عَلَى مَكْرُوهُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَنْ يُؤْتَى بِكَ! قَالَ: فَلَا تَخَفْ، فَإِنِّي لَا أَجْرُدُ سَيْفًا، وَلَا أُخِيفُ أَحَدًا، وَلَا أَقَاتِلُ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنِي. ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ أَسْكَ - وَهُوَ مَا بَيْنَ رَامَهْرَمَزَ وَأَرْجَانَ - فَمَرَّ بِهِ مَالٌ يُحْمَلُ لِابْنِ زِيَادٍ، وَقَدْ قَارَبَ أَصْحَابُهُ الْأَرْبَعِينَ، فَحَطَّ ذَلِكَ الْمَالُ، فَأَخَذَ مِنْهُ عَطَاءً وَأَعْطَا أَصْحَابَهُ، وَرَدَّ الْبَاقِيَّ عَلَى الرَّسْلِ، وَقَالَ: قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ: إِنَّمَا قَبَضْنَا أُعْطِيَاتَنَا، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَعَلَامَ تَدْعُ الْبَاقِيَّ! فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَقْسِمُونَ هَذَا الْفَيْءَ كَمَا يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ فَلَا نَقَاتِلُهُمْ.

ولأبي بلالٍ أشعار في الخروج اخترتُ منها قوله:

أَبْعَدَ ابْنِ وَهَبٍ ذِي النَّزَاهَةِ وَالتُّقَى وَمَنْ خَاضَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ الْمَهَالِكَا^(٣)
أَحَبُّ بَقَاءً أَوْ أَرْجَى سَلَامَةً وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكَا
فِيَارَبِّ سَلَمٍ نَيْتِي وَبَصِيرَتِي وَهَبٌ لِي التُّقَى حَتَّى الْأَقَى أَوْلَثِكَا

قوله: « وقد قَتَلُوا » ولم يذكر أحدًا، فإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مُخَالَفِيهِ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ الضميرُ إِلَى ذِكْرِ قَبْلِهِ لِيُعْرَفَ، فَلَوْ قَالَ رَجُلٌ: ضَرَبْتُهُ، لَمْ يَجْزُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدًا قَبْلَ ذِكْرِ الْهَاءِ، وَلَوْ رَأَيْتَ قَوْمًا يَلْتَمِسُونَ الْهَلَالَ فَقَالَ قَائِلٌ^(٤): هَذَا هُوَ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَقْدِيمِ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ مَعْلُومٌ، وَعَلَى هَذَا قَالَ

(١) الفصل: قول الحق.

(٢) لفظ: « يا أخى » من ر .

(٣) ابن وهب: هو عبد الله بن وهب الراسبي . (٤) ر: « قوم » .

عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِةٍ فِي افْتِتَاحِ قَصِيدَتِهِ :
هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ
أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

لأنه قد علم أنه يريدُ حبيبةً له .

وقوله : « حَتَّى الْآقَى » ولم يُحرِّكِ الياءَ ، فقد مضى شرحه مستقصى .

ويُروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا في جيش نريدُ خُرَاسَانَ ، فمررنا بِأَسَكْ ، فإذا نحن بهم ستهٌ وثلاثين رجلا ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أنتم؟ - وكنت أنا وأخى قد دخلنا - زَرْبًا - ، فوقف أخى ببابه فقال : السلام عليكم ، فقال مردَّاسُ : وعليكم السلام ، فقال لأخى : أجتئم لقتالنا؟ فقال له : لا ، إنما نريدُ خُرَاسَانَ ، قال : فأبلغوا مَنْ لَيْقِكُمْ أنا لم نَخْرُجْ لِنُفْسِدَ في الأرض ، ولا لِنُرَوِّعَ أَحَدًا ، ولكن هَرَبًا من الظُّلْمِ ، ولسنا نقاتلُ إلا من يُقاتِلنا ، ولا نأخذُ من الفِئَاءِ إلا أعطياتنا ، ثم قال : أندبَ إلينا أحدٌ؟ قلنا : نعم ، أسلمَ بن زُرْعَةَ الكلابي ، قال : فمتى تروثه يَصِلُ إلينا؟ قلنا : يومَ كذا وكذا ، فقال أبو بلال : حسبنا الله ونعم الوكيل !

وَجَهَزَ عَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ فِي الْفَيْنِ ، وَقَدْ تَنَاقَشَ أَصْحَابُ مُرْدَّاسٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ أَسْلَمُ صَاحَ بِهِ أَبُو بِلَالٍ : اتَّقِ اللَّهَ يَا أَسْلَمُ ، فَإِنَّا لَا نَرِيدُ قِتَالَا ، وَلَا نَحْتَجُنَ فِئْتًا . فَمَا الَّذِي تَرِيدُ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَرُدَّكُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، قَالَ مُرْدَّاسُ : إِذَنْ يَقْتُلُنَا ، قَالَ : وَإِنْ قَتَلَكُمُ ! قَالَ : تَشْرِكُهُ فِي دِمَائِنَا ، قَالَ : إِنِّي أَدِينُ اللَّهَ ^(١) بِأَنَّهُ مُحِقٌّ وَأَنْكُم مَبْطُلُونَ ، فَصَاحَ بِهِ حُرَيْثُ بْنُ حَاجِلٍ : أَهْوَ مُحِقٌّ وَهوَ يُطِيعُ الْفَجْرَةَ ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، وَيَقْتُلُ بِالظُّنَّةِ ، وَيَخْصُصُ بِالْفِئَاءِ ، وَيَجُورُ فِي الْحَكَمِ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَتَلَ بَابِنَ سَعَادَ أَرْبَعَةَ بَرَاءَ ، وَأَنَا أَحَدُ قَتَلَتِهِ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ فِي بَطْنِهِ دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ ! ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ . وَكَانَ مَعْبُدٌ أَحَدُ الْخَوَارِجِ ، قَدْ كَادَ

(١) ر : « أَدِينُ بِأَنَّهُ مُحِقٌّ » .

يَأْخُذْهُ. فلما وَرَدَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ غَضَبٌ عَلَيْهِ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: وَيْلَكَ! أَتَمْضِي فِي الْفَيْنِ فَتَهْزِمُ حَمْلَةَ أَرْبَعِينَ! وَكَانَ أَسْلَمُ يَقُولُ: لِأَنَّ يَذْمَنِي ابْنَ زِيَادٍ حَيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَمْدَحَنِي مَيِّتًا!

وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى السُّوقِ أَوْ مَرَّ بِصَبِيَّانِ صَاحِبَا بَه: أَبُو بَلَالٍ وَرَءَاكَ! وَرَبَّمَا صَاحِبَا بَه: يَا مَعْبُدُ خُذْهُ، حَتَّى شَكََا ذَلِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَأَمْرَابْنُ زِيَادَ الشَّرْطُ أَنْ يَكْفُوا النَّاسَ عَنْهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَيْسَى بْنُ فَاتِكٍ: مَنْ بَنَى تَيْمَ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فِي كَلِمَةِ لَهُ:

فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَلُّوا وَقَامُوا	إِلَى الْجُرْدِ الْعَتَاقِ مُسَوِّمِينَ ^(١)
فَلَمَّا اسْتَجْمَعُوا حَمَلُوا عَلَيْهِمُ	فَظَلَّ ذُو الْجَعَائِلِ يُقْتَلُونَ
بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ	سَوَادُ اللَّيْلِ فِيهِ يُرَاوِغُونَ
يَقُولُ بِصِيرِهِمْ لَمَّا أَتَاهُمْ	بِأَنَّ الْقِيَوْمَ وَلُّوا هَارِبِينَ
أَلْفَا مَوْمَنَ فِيمَا زَعَمْتُمْ	وَيَهْزِمُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَ!
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ	وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةُ غَيْرَ شَكٍّ	عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ

ثُمَّ نَدَبَ لَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ النَّاسَ، فَاخْتَارَ عَبَّادُ بْنُ أَخْضَرَ - وَلَيْسَ بَابْنِ أَخْضَرَ - هُوَ عَبَّادُ بْنُ عُلْقَمَةَ الْمَازَنِيِّ، وَكَانَ أَخْضَرُ زَوْجَ امْرَأَةٍ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، فَوَجَّهَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَهَدَّ لَهُمْ. وَيَزْعَمُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا تَنَحَّوْا عَنْ دَرَابِجَرْدٍ مِنْ أَرْضِ فَارَسٍ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ عَبَّادُ، وَكَانَ التَّقَاؤُ هُمْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَنَادَاهُ أَبُو بَلَالٍ: اخْرُجْ إِلَى يَا عَبَّادُ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَحَاورَكَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا الَّذِي تَبْغِي؟ قَالَ: أَنْ أَخْذَ بِأَفْئَاتِكُمْ فَأَرُدَّكُمْ إِلَى الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ! قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ تَرْجِعَ، فَإِنَّا لَا نَخِيفُ سَبِيلًا، وَلَا نَذْعُرُ مُسْلِمًا، وَلَا نَحَارِبُ إِلَّا مَنْ حَارَبَنَا، وَلَا نَجْنِي إِلَّا مَا حَمَيْنَا، فَقَالَ لَهُ عَبَّادُ: الْأَمْرُ مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ لَهُ حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ: أَتَحَاوِلُ أَنْ تُرَدَّ فِتْنَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى جَبَّارٍ عَنِيدٍ! قَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَوْلَى بِالضَّلَالِ مِنْهُ، وَمَا مِنْ ذَاكَ بُدٌّ!

(١) مسومين: معلمين بعلامات يعرفون بها في الحرب.

وقدِمَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَطِيَّةٍ الْبَاهِلِيُّ مِنْ خِرَاسَانَ يَرِيدُ الْحَجَّ، فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعِينَ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: الشُّرَاةُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ. وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ، فَأَخَذَ الْقَعْقَاعُ أُسِيرًا، فَأَتَى بِهِ أَبُو بِلَالٍ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: لَسْتُ مِنْ أَعْدَائِكَ، وَإِنَّمَا قَدِمْتُ لِلْحَجِّ فَجَهِلْتُ وَغَرَرْتُ، فَأُطْلِقْهُ، فَرَجَعَ إِلَى عِبَادٍ فَأُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ. ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً، وَهُوَ يَقُولُ:

أَقَاتِلُهُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ بَعْثٌ نَشَاطًا لَيْسَ هَذَا بِالنَّشَاطِ
أَكْرِ عَلَى الْخُرُورِيِّينَ مُهْرِي لِأَحْمَلُهُمْ عَلَى وَضَحِ الصَّرَاطِ

فَحَمَلَ عَلَيْهِ حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ السَّدُوسِيُّ وَكَهْمَسُ بْنُ طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ، فَأَسْرَاهُ فَقَتَلَاهُ وَلَمْ يَأْتِيا أَبَا بِلَالٍ، فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَجْتَلِدُونَ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، صَلَاةُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَنَادَاهُمُ أَبُو بِلَالٍ: يَا قَوْمُ، هَذَا وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَوَادِعُونَا حَتَّى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قَالُوا: لَكَ ذَاكَ، فَرَمَى الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَعَمَدُوا لِلصَّلَاةِ، فَأَسْرَعَ عِبَادٌ وَمِنْ مَعَهُ وَالْخُرُورِيُّ مُيْطُونٌ، فَهَمَّ مِنْ بَيْنِ رَاكِعٍ وَقَائِمٍ وَسَاجِدٍ فِي الصَّلَاةِ وَقَاعِدٍ، حَتَّى مَالَ عَلَيْهِمْ عِبَادٌ وَمِنْ مَعَهُ، فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا، وَأَتَى بَرَّاسُ أَبِي بِلَالٍ.

وَتَرَوَى الشُّرَاةُ أَنَّ مِرْدَاسًا أَبَا بِلَالٍ لَمَّا عَقَدَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَعَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا نَحْنُ فِيهِ حَقًّا فَأَرْنَا آيَةً. قَالَ^(١): فَرَجَفَ الْبَيْتُ. وَقَالَ آخَرُونَ: فَارْتَفَعَ السَّقْفُ.

فَرَوَى أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيِّ يُعَجِّبُهُ مِنَ الْآيَةِ، وَيَرْغِبُهُ فِي مَذْهَبِ الْقَوْمِ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَادَ الْخُسْفُ يُنْزِلُ بِهِمْ. ثُمَّ أَدْرَكَتْهُمْ نَظْرَةُ اللَّهِ.

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ أُولَئِكَ الْجَمَاعَةِ أَقْبَلَ بِهِمْ فَصَلَّبَتْ رُءُوسُهُمْ، وَفِيهِمْ دَاوُدُ بْنُ شَبَّثٍ. وَكَانَ نَاسِكًا، وَفِيهِ حَبِيبَةُ الْبَصْرِيِّ مِنْ قَيْسٍ، وَكَانَ مُجْتَهِدًا.

(١) ساقطة من ر.

فَيُرَوَى عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي حَبِيبَةٌ: لَمَّا عَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ فَكَّرْتُ فِي بَنَاتِي، فَقُلْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ: لَأُمْسِكَنَّ عَنْ تَفَقُّدِهِنَّ حَتَّى أَنْظُرَ، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ اسْتَسْقَتُ بَنِيَّةٌ لِي، فَقَالَتْ: يَا أَبَتَا اسْقِنِي، فَلَمْ أُجِبْهَا، فَأَعَادَتْ، فَقَامَتْ أُخَيَّةٌ لَهَا أَسَنُ مِنْهَا، فَسَقَتْهَا، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مُضَيِّعٍ، فَأَتَمَمْتُ عَزْمِي.

وَكَانَ فِي الْقَوْمِ كَهْمَسٌ، وَكَانَ مِنْ أَتَرِ النَّاسِ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ! لَوْلَا مَكَانُكَ لَخَرَجْتُ، فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّ، قَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عِيسَى بْنُ فَاتِكٍ الْحَبْطِيُّ:

أَلَا فِي اللَّهِ لَا فِي النَّاسِ شَالَتْ	بَدَاوِدَ وَإِخْوَتَهُ الْجَزْدُوعَ
مَضَوْا قَتْلًا وَتَمْزِيقًا وَصَلْبًا	تُحُومٌ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ وَقُوعٌ
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَأَبْدُوهُ	فَيُسْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا	وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ:

يَا عَيْنَ بَكِّي لِمَرْدَاسٍ وَمَصْرَعَةٍ	يَا رَبَّ مَرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمَرْدَاسٍ
تَرَكْتَنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمَرَزْتَنِي	فِي مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ	مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مَرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا شَرِبْتُ بِكَاسٍ دَارَ أَوْلَئِهَا	عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جِرْعَةَ الْكَاسِ
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَذْفُهَا شَارِبٌ عَجَلَا	مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرَدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ

[عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ الْمَازَنِي]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: ثُمَّ إِنَّ عَبَّادَ بْنَ أَخْضَرَ الْمَازَنِي لَبِثَ دَهْرًا فِي الْمَصْرِ، مَوْصُوفًا بِمَا كَانَ مِنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى اتَّخَمَرَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنْ يَفْتَكُوا بِهِ، فَذَمَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ^(١)، فَجَلَسُوا لَهُ فِي يَوْمٍ جَمْعَةٍ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى بَغْلَةٍ

(١) ذممه: لومه.

له، وابنه رديفه. فقام إليه رجلٌ منهم، فقال: أسألك عن مسألة، قال: قل. قال: أرأيتَ رجلاً قتلَ رجلاً بغير حقٍّ، وللقاتلِ جاهٌ وقدرٌ وناحيةٌ من السلطان، ألوكي ذلك المقتول أن يفتك به إن قدرَ عليه؟ قال: بل يرفعه إلى السلطان، قال: إن السلطان لا يعدى عليه لمكانه منه وعظم جاهه عنده. قال: أخافُ عليه إن فتك به فتك به السلطان، قال: دَع ما تخافه من ناحية السلطان، أتلحقه تبعه فيما بينه وبين الله؟ قال: لا. قال: فحكّم هو وأصحابه وخطبوه بأسيا فهم. ورمى عبداً ابنه فنجاً، وتنادى الناس: قتلَ عبداً! فاجتمع الناسُ فأخذوا أفواه الطُّرق، وكان مقتلُ عبّاد في سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب - فجاء معبد بن أخضر - أخو عبّاد وهو معبد بن علقمة، وأخضر زوجُ أمهما، في جماعة من بنى مازن، فصاحوا بالناس: دَعُونَا وَثَارْنَا. فأحجم الناس وتقدّم المازنيون، فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً، لم يفلت منهم أحدٌ إلا عبيدة بن هلال. فإنه خرّق خُصاً ونفذ منه. ففي ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدرك الأوتارَ غيرَ دَمِيمَةٍ	إذا ذمَّ طُلابُ التُّراثِ الأَخَاضِرَ
هُمُ جَرَدُوا الأَسْيَافَ يَوْمَ ابْنِ أَخْضَرَ	فنالوا التّي ما فَوْقَهَا نالَ ثائِرُ
أَقَادُوا بِهِ أَسْداً لَهَا فِي اقْتِحَامِهَا	إذا بَرَزَتْ نَحْوَ الحُرُوبِ بَصَائِرُ ^(١)

ثم ذكر بنى كليب، لأنه قتلَ بحضرةِ مسجدهم ولم ينصروه، فقال في كلمته هذه:

كفعل كليب إذ أَخَلَّتْ بجارها	ونَصُرُ اللّئيمِ مُعْتَمٌ وهو حَاضِرُ ^(٢)
وما لكليب حين تُذْكَرُ أوَّلُ	وما لكليب حين تُذْكَرُ آخِرُ

وقال معبد بن أخضر:

سأحمي دماء الأَخْضَرِيِّينَ إنه
أبى النَّاسُ إلا أن يقولوا ابنُ أَخْضَرَ

[عروة بن أدية]

وكان مقتلُ عبّاد وعبيدُ الله بن زياد بالكوفة، وخليفته على البصرة عبيدُ الله ابن أبي بكر. فكتب إليه يأمره ألا يدع أحداً يُعرف بهذا الرأي إلا حبسه وجدّ في

(١) يقال: اعتم الرجل في الشيء؛ إذا أبطأ فيه.

(٢) أقادوا أسداً. قتلوهم به.

طلبه. ممن تَعَبَّ منهم. فجعل عبيد الله بن أبي بكرٍ يَتَّبِعُهُمْ فيأخذهم، فإذا شَفِعَ إليه في أحدٍ منهم كَفَّلَهُ إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زياد، حتى أُتِيَ بعُرْوَةَ بنِ أَدِيَّةَ فأطلقه، وقال: أنا كَفَّلُكَ، فلما قَدِمَ عبيدُ الله بن زيادٍ أخذ من في الحبس^(١) منهم فقتلهم جميعاً، وطلب الكُفلاء بمن كَفَّلُوا به منهم، فكلُّ من جاءه بصاحبه أطلقه، وقتل الخارجي، ومن لم يأت بمن كفَّلَ به منهم قَتَلَهُ، ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرٍ: هات عُرْوَةَ بنَ أَدِيَّةَ، قال: لا أقدرُ عليه. قال: إذا والله أَقْتُلَكَ فإنك كَفِيلُهُ، فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ حتى دُلَّ عليه في سَرَبٍ^(٢) العلاء بن سُويَّةَ المنقري، فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد، فقرأ عليه الكاتب: إنا أصبناهُ في سَرَبٍ.

فَتَهَانَفَ به عبيدُ الله بن زياد، وكان كثير المحاورة، عاشقاً للكلام الجيد، مستحسناً للصواب منه؛ لا يزال يبحثُ عن عُدْرِهِ، فإذا سَمِعَ الكلمةَ الجيدةَ عَرَجَ عليها. ويروى أنه قال في عقب مقتل الحسين بن عليٍّ عليه السلام لزينب بنت عليٍّ رحمهما الله - وكانت أسنَّ من حُمِلَ إليه منهن، وقد كَلَّمَتْهُ فأفصحت وأبلغت، وأخذت من الحجة حاجتها - فقال لها: إن تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً. فقالت: ما للنساء والشعر^(٣)! وكان مع هذا ألكن يرتضخ^(٤) لغة فارسية. وقال لرجلٍ مرَّةً واتهمه برأى الخوارج: أهروريُّ منذُ اليوم!

رجع الحديث :

فقال للكاتب: صَحَفْتَ والله وَلَوُئْتُ، إنما هو « في سَرَبِ العلاء بن سُويَّةَ ». وَلَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشربُ النبيذَ.

فلما أقيمَ عُرْوَةَ بن أَدِيَّةَ بين يديه حاوره. وقد اختلف في خبره^(٥)، وأصحُّه عندنا أنه قال له: لقد^(٦) جَهَّزْتُ أخاك عليَّ. فقال: والله لقد كنت به ضنيناً. وكان لي عزاءٌ، ولقد أردت له ما أريد^(٧) لنفسى، فعزم عَزْماً فَمَضَى عليه، وما

(٢) السرب: الطريق والمسلك.

(٤) يرتضخ: يميل إليها في نطقه.

(٧) ر: « ما أريده ».

(١) ر: « السجن ».

(٣) س: « وللشعر ».

(٥) ر: « وقد اختلف الناس في خبره ».

(٦) كلمة « لقد » ساقطة من ر.

أحبُّ لِنَفْسِي إِلَّا الْمَقَامَ وَتَرَكَ الْخُرُوجَ، قَالَ لَهُ: أَفَأَنْتَ عَلَى رَأْيِهِ؟ قَالَ: كُنَّا^(١) نَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا، قَالَ: أَمَّا لِأَمْثَلِنَّ بِكَ! قَالَ لَهُ: اخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِنَ الْقِصَاصِ مَا شِئْتَ. فَأَمَرَ بِهِ فَقَطَّعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَرَى؟ قَالَ: أَفْسَدْتَ عَلَى دُنْيَايَ وَأَفْسَدْتَ عَلَيَّ، أَخَرْتَنِي، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقَتَلَ، ثُمَّ صَلَبَ عَلَى بَابِ دَارِهِ، ثُمَّ دَعَا مَوْلَاهُ فَمَسَّأَلَهُ عَنْهُ، فَأَجَابَهُ جَوَابًا قَدْ^(٢) مَضَى ذِكْرُهُ.

قوله: «فَتَهَانَفَ». حَقِيقَتُهُ تَضَاحَكٌ بِهِ ضَحِكٍ هُزْءٍ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ الْمَخْزُومِيُّ:

لَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتُ لَهَا	وَتَعَبَّرَتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَدِرُ
أَكَمَّا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي	عَمَرُكُنْ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ!
فَتَهَانَفْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا	حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ
حَسَدٌ حُمْلَنُهُ مِنْ أَجْلِهَا	وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

[أَمْزِيَاةٌ مَعَ الْخَوَارِجِ]

وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ لَا يُلَبِّثُ الْخَوَارِجَ، يَحْبِسُهُمْ تَارَةً وَيَقْتُلُهُمْ تَارَةً، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ يَقْتُلُهُمْ، وَلَا يَتَغَافَلُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَطْلَقَهُمْ مِنْ حَبْسٍ زِيَادٍ لَمَّا وُلِّيَ بَعْدَهُ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ.

فَأَمَّا زِيَادٌ فَكَانَ يَقْتُلُ الْمُعْلَنَ وَيَسْتَصْلِحُ الْمُسَرَّ، وَلَا يُجَرِّدُ السِّيفَ حَتَّى تَزُولَ التَّهْمَةُ. وَوَجَّهَ يَوْمًا بُحَيْنَةَ بْنَ كُبَيْشٍ الْأَعْرَجِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، فَجَاءَهُ بُحَيْنَةُ فَأَخَذَهُ. فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْدِثَ وَضُوءًا لِلصَّلَاةِ، فَدَعْنِي أَدْخُلُ مَنْزِلِي^(٣). قَالَ: وَمَنْ لِي بِخُرُوجِكَ؟ قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَتَرَكَهُ. فَدَخَلَ فَأَحْدَثَ وَضُوءًا ثُمَّ خَرَجَ، فَاتَى بِهِ بُجَيْمَةَ زِيَادًا، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَكَرَ اللَّهُ زِيَادًا، ثُمَّ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: قَعَدْتُ عَنِّي فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ، فَذَكَرَ الرَّجُلُ رَبَّهُ فَحَمَدَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ ذَكَرَ

(١) ر: «كلنا» . (٢) ساقطة من ر .

(٣) ر: «أدخل إلى منزلي» .

أبا بكر وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبلَ على زياد فقال: إنك قد قلتَ قولاً فَصَدَّقَهُ بِفَعْلِكَ، وكان من قولك: وَمَنْ قَعَدَ عَنَّا لَمْ نَهْجَهُ. فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوة وحملان، فخرج الرجلُ من عند زياد وتلقاه الناسُ يسألونه، فقال: ما كُلُّكُمْ اسْتَطِيعُ أَنْ أَخْبِرَهُ، ولكني دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فَرَزَقَ اللَّهُ مِنْهُ مَا تَرَوْنَ.

وكان زيادُ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول: أأحسبُ الذي يمنعكم من إتياني إلا الرُّجْلَةَ^(١). فيقولون: أجل، فيحملهم، ويقول: اغشَوْنِي الآن واسمُرُوا عندي. فبلغ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فقال: قاتل الله زياداً! جَمَعَ لَهُمْ كَمَا تَجْمَعُ الدَّرَّةُ^(٢)، وحاطهم كما تحوط الأمُّ البرَّة، وأصلح العراق بأهل العراق، وترك أهل الشام بشأهم^(٣)، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف.

قال أبو العباس: وبلغ زياداً عن رجل يُكنى أبا الخير، من أهل البأس والتَّجْدَةِ، أنه يرى رأى الخوارج، فدعاه فولاهُ جُنْدَى سابور وما يليها، ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر، وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتَّغْلِبِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْجَمَاعَةِ! فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادُ شيئاً. فَتَنَّمَرُ لزيادٍ فحبسه، فلم يخرج من حبسه حتى مات.

[الرهين المراجي وشعره]

وقال الرُّهَيْنَ - وكان رجلاً من مُرَاد، وكان لا يرى القعودَ عن الحرب، وكان في الدُّهَاءِ والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج، بمنزلةِ عَمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ، وكان عمرانُ بن حطان في وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّةِ ورؤسهم ومفتيهم.

(١) الرجلة: المشى على الرجلين.

(٢) الدرة: واحدة الدر؛ وهو النمل الصغار.

(٣) ر: « في شأهم ».

وللرَّهَيْنِ المرادىَّ ، ولعمرانَ بنَ حطَّانَ مسائلٌ كثيرةٌ من أبواب العلم في القرآن والآثار ، وفي السِّيرِ والسُّنَنِ ، وفي الغريب ، وفي (١) الشعر ، نذكر طَريفَها إن شاء الله . قال المرادى :

يا نَفْسُ قَدْ طالَ في الدنيا مُراوَعَتِي لا تَأْمَنَنَّ لَصَرْفِ الدَّهْرِ تَنْقِيصاً (١)
إِنِّي لَبَائِعُ ما يَفْتَنِي لِباقِيَةِ إن لَمْ يَعُقْنِي رَجاءُ العِيشِ تَرْيِصاً (٢)
وَأَسْأَلُ اللهَ بَيْعَ النَفْسِ مُحْتَسِباً حَتَّى أَلَاقِيَ في الفِرْدَوْسِ حَرْقَوْصاً

- [قال الأَخْفَشُ : حَرْقَوْصٌ : ذو الثُّدِيَّةِ] .

وابن المنيح ومِرداساً وإخوَتَهُ إذ فارقوا زَهْرَةَ الدنيا مَخامِصاً (٤)
قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ في مذاهبهم .

وكان زيادُ ولى شيبانَ بن عبد الله الأشعريَّ صاحبَ مَقْبَرَةِ بنى شيبان باب عثمان وما يليه ، فجدَّ في طلب الخوارج وأخافهم ، وكانوا قد (٥) كَثُرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً - وهو متكئٌ بباب داره - رجلان من الخوارج ، فضرباه بأسياهما فقتلاه ، وخرجَ بَنُو له للإِغَاثَةِ فقتلوا ، ثم قَتَلَهُما الناسُ . فَأَتَى زيادُ بعدَ ذلكَ برجل من الخوارج . فقال : اقتلوه مُتَكَنِّئاً كما قُتِلَ شيبانُ مُتَكَنِّئاً . فصاح الخارجى : يا عدلأه ! يَهْزَأُ به .

فأما قولُ جرير :

ومِنَّا فَتَى الفِتْيَانِ والبأسِ مَعْقِلٌ ومِنَّا الذى لاقى بِدِجْلَةٍ مَعْقِلاً
فإنه أرادَ مَعْقِلَ بنِ قيسِ الرِّياحِ ، ورياحُ بنِ يربوعَ ، وجريرٌ من كُليبِ بنِ يربوعَ .
وقوله :

* ومِنَّا الذى لاقى بِدِجْلَةٍ مَعْقِلاً *

(٢) ر . س : « تنغيصا » .

(١) ر : « والشعر » .

(٣) الترييص : الانتظار .

(٥) ساقطة من ر .

(٤) المخاميص : جمع مخماص ، وهو الضامر البطن .

يريدُ المستوردُ التَّيمِيَّ، وهو من بنى تيم^(١) بن عبد مناة بن أد، وتيمم بن مرة ابن أد .

وأما قولُ ابن الرُّقيات :

والذى نَخَصَّ ابن دَوْمَةَ مَاتُوا حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباحَ العراقَ يَضْرِبُهُم بالسَّيْفِ صَلَّتْ وفى الضَّرَابِ غِلَاءُ^(٢)

فإنما يريدُ بابن دَوْمَةَ المختار بن أبى عُبيد الثَّقَفِيَّ، والذى نَخَصَّهُ مَضْعَبَ بن الزبير، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهب. كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً فى ظاهره .

وقوله : « ما تُوحى الشَّيَاطِينُ »، فَإِنَّ المَخْتَارَ كان يدَّعى أَنه يُلْهِمُ ضَرْباً من السَّجَاعَةِ^(٣) لأُمُورٍ تَكُونُ، ثم يحتالُ فيوقَعُها، فيقولُ الناسُ : هذا من عند الله عزَّ وجلَّ .

فمن ذلك قوله ذات يوم : لَتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْمَاءُ، فَلَتُحْرِقَنَّ دارَ أسماء . فذكرَ ذلك لأسماءَ بن خارجة، فقال : أقَد سَجَعَ بى أبو إسحاق ! هو والله مُحَرِّقٌ دارى ! فتركه والدار وهربَ من الكوفة .

وقال فى بعض سَجْعِهِ : أَمَّا والذى شَرَعَ الأديانَ، وَجَنَّبَ الأوثانَ، وَكَرَّهَ العَصِيَّانَ، لَأَقْتُلَنَّ أَرْدَ عُمَانَ، وَجُلَّ قَيْسَ عَيْلَانَ، وتيمما أولياءَ الشيطانَ، حاشا النَّجِيبَ ظُيَّانَ ! فكان ظبيانُ النَجِيبُ يقولُ : لم أزلُ فى عُمُرِ المَخْتارِ أَثَقَلْتُ بِأَمْنًا .

[المختار بن أبى عبيد وبعض أخباره]

ويُروى أن المختارَ بن أبى عُبيد - حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة - اتَّهَمَهُ ابنُ الزبير ، فولى رجلاً من قريش الكوفة، فلما أُطْلِقَ قال لجماعة من أهلها : اخرجوا إلى هذا المغرور فُردُّوه، فخرجوا إليه، فقالوا : أين تُريد؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقْتُلَنَّكَ المختارُ، فرجع .

(١) ر : « من تميم » .

(٢) الصلت : الماضى فى الشيء . والغلاء : مجاوزة القدر فى كل شيء .

(٣) السجاعة : صناعة السجع .

وكتب المختارُ إلى ابن الزبير: إن صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع، فما أدرى ما الذى رده! فغضب ابن الزبير على القرشي وعجزه ورده إلى الكوفة، فلما شارفها قال المختارُ: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: إنه والله قاتلك فرجع، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول، فلام القرشي، فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير، وعلم بذلك المختار، وكان ابن الزبير قد حبسَ محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بنى هاشم، فقال: لَتَبَايَعُنَّ أَوْ لَأُخْرِقَنَّكُمْ، فأبوا بيعته، وكان السجن الذى حبسهم فيه يدعى سجن عارم، ففى ذلك يقول كثير:

تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ بل العائذُ المظلومُ فى سجن عارمِ
وَمَنْ يَلْقَى هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِ مَنْ النَّاسُ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ
سَمِيَ النَّبَى الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِهِ وَفَكَأَنَّكَ أَغْلَالٌ وَقَاضَى مَغَارِمِ

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ، لأنه عاذ بالبيت، ففى ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعباً:

بَلَدٌ تَأْمَنُ الْحَمَامَةُ فِيهِ حَيْثُ عَاذَ الْخَلِيفَةُ الْمَظْلُومُ

وكان عبد الله يدعى المحل، لإحلاله القتال فى الحرم، وفى ذلك يقول رجل فى رَمْلَةِ بنت الزبير:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنَّى غَزَلَ بِذِكْرِ الْمَحِلَّةِ أُخْتِ الْمَحِلِّ

وكان عبد الله بن الزبير يُظْهِرُ الْبَغْضَ لابن الحنفية إلى بُغْضِ أَهْلِهِ، وكان يَحْسُدُهُ عَلَى أَيْدِهِ^(١)، ويقال: إن علياً استطال درعاً فقال: لِيُنْقَضَ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا حَلَقَةً، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضلها، ثم جذبها ففقطعه من الموضع الذى حده أبوه، فكان ابن الزبير إذا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ غَضِبَ وَاعْتَرَاهُ لَهُ أَفْكَلٌ^(٢).

فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصى محمد بن على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء. ثم

(١) الأيد: اسم للردة تعلق الإنسان .

(٢) الأيد: القوة .

ملأ الكتاب بسببه وسب أبيه . وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة ابن الزبير يدس إلى الشيعة، ويعلمهم موالاته إياهم، ويخبرهم أنه على رأيهم وحمد مذاهبهم، وأنه سيظهر ذلك عما قليل، ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار، حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم.

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر يسأله الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما، فأبى عليه إبراهيم إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب، فكتب إليه يستأذنه^(١) في ذلك^(٢)، فعلم محمد أن المختار لا عقد له. فكتب محمد إلى إبراهيم بن الأشتر: إنه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقنا على يد من شاء^(٣) من خلقه. فخرج معه إبراهيم بن الأشتر، فوجه^(٤) نحو عبيد الله بن زياد. وخرج يشيعه ماشياً، فقال له إبراهيم: اركب يا أبا إسحاق! فقال: إني أحب أن تغبر قدماي في نصره آل محمد ﷺ.

فشيعة فرسخين، ودفع إلى قوم من خاصته حمماً بيضاً ضخماً، وقال: إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها، وقال للناس: إن استقمتم فبنصر الله، وإن حصتم حيصة^(٥) فإنني أجد في محكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب، تأتي في صور الحمام دوين السحاب.

فلما صار ابن الأشتر بخازر^(٦) وبها عبيد الله بن زياد. قال: من صاحب الجيش؟ قيل له: ابن الأشتر، قال: أليس الغلام الذي كان يطير الحمام بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشيء، وعلى ميمنة ابن زياد، حصين^(٧) بن نمير السكوني من كندة - ويقال السكوني السكوني، والسدوسي والسدوسي، كذا كان أبو عبيدة يقول.

[قال أبو الحسن : السكوني أكثر]^(٨) ، وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس الإسلام .

(٢) ر : « من يشاء » .

(٤) حصتم حيصة : ذهبتم تطلبون الفرار .

(٦) ر : « حصين » ، وما أثبتته عن الأصل .

(١-١) ساقط من ر .

(٣) ر : « فتوجه » .

(٥) خازر : نهر بين إربل والموصل .

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

فقال حُصَيْنُ بْنُ نَمِيرٍ لابن زياد: إِنَّ عَمِيرَ بْنَ الْحُبَابِ غَيْرُ نَاسٍ قَتَلِي الْمَرْجَ (١). وَإِنِّي لَا أَتَقُ لَكَ بِهِ. فقال ابنُ زياد: أَنْتَ لِي عَدُوٌّ، قَالَ حُصَيْنٌ: سَتَعْلَمُ.

قال ابنُ الْحُبَابِ: فلما كان الليلة التي يُريد أن نَوَاقِعَ ابْنَ الْأَشْثَرِ فِي صَبِيحَتِهَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا، وَمَعِيَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، فَصُرْتُ إِلَى عَسْكَرِهِ. فَرَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ هَرَوِيٌّ (٢) وَمُلَاءَةٌ، وَهُوَ مَتَوَشِّحٌ (٣) السِّيفِ يَجُوسُ عَسْكَرَهُ فَيَأْمُرُ فِيهِ وَيَنْهَى، فَالْتَزَمْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ، فَوَاللَّهِ مَا اَلْتَفَتَ إِلَيَّ وَلَكِنْ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: عَمِيرُ بْنُ الْحُبَابِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأَبِي الْمُغَلَّسِ، كُنْ بِهَذَا الْمَوْضِعِ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: أَرَأَيْتَ أَشْجَعَ مِنْ هَذَا قَطُّ! يَحْتَضِنُهُ رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِ عَدُوِّهِ، وَلَا يَدْرِي مَنْ هُوَ؟ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ! ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَقَالَ: مَا الْخَبْرُ؟ فُلْتُ: الْقَوْمُ كَثِيرٌ، وَالرَّأْيُ أَنْ تُنَاجِزَهُمْ، فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ بِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى مُطَاوَلَةِ هَذَا الْجَمْعِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ: نَصْبِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَحَاكُمُهُمْ إِلَى ظُبَاتِ السِّيفِ وَأَطْرَافِ الْقَنَاءِ، فَقُلْتُ: أَنَا مُنْخَزَلٌ عَنْكَ بِثُلْثِ النَّاسِ غَدًا.

فلما اَلْتَقَوْا كَانَتْ عَلَى أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَرْسَلَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ الطَّيْرَ، فَتَصَايَحَ النَّاسُ: الْمَلَائِكَةُ! فَتَرَا جَعُوا، وَنَكَّسَ عَمِيرُ بْنُ الْحُبَابِ رَأْيَتَهُ، وَنَادَى: يَا لَثَأَرَاتِ الْمَرْجِ! وَانْخَزَلْ بِالْمُسْرَةِ كُلِّهَا، وَفِيهَا قَيْسٌ فَلَمْ يَعْصُوهُ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَأَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ. ثُمَّ انْكَشَفُوا وَوَضَعَ السِّيفُ فِيهِمْ حَتَّى أَفْنَوْا، فَقَالَ ابْنُ الْأَشْثَرِ: لَقَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا عَلَى شَاطِئِ هَذَا النَّهْرِ فَجَرَعَ إِلَى سَيْفِي، فِيهِ (٤) رَائِحَةُ الْمَسْكِ. وَرَأَيْتُ إِقْدَامًا وَجُرْأَةً، فَصَرَعْتُهُ فَذَهَبَ يَدَاهُ قَبْلَ الْمَشْرِقِ، وَرَجُلَاهُ قَبْلَ الْمَغْرِبِ، فَانْظُرُوا. فَأَتَوْهُ بِالنِّيرَانِ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ.

وقد كان عند المختار كُرسىٌ قديمُ العهد. فَغَشَاهُ بِالذَّبْيَاجِ، وَقَالَ: هَذَا الْكُرْسِيُّ مِنْ ذَخَائِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَضَعُوهُ فِي

(١) قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها. قاله المرفص.

(٢) هروى: منسوب إلى هراة إحدى مدن خراسان.

(٣) ر: «متشح». (٤) ر: «ومنه».

بَرَآءِ الحرب، وقاتلوا عليه، فَإِنَّ مَحَلَّهُ فِيكُمْ مَحَلُّ السَّكِينَةِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.
ويقال إنه اشترى ذلك الكرسيَّ من نَجَّارٍ بدرهمين^(١).

وقوله: « فِي بَرَآءِ الْقِتَالِ » ويقال: بَرَآءٌ وَبِرُّوْكَاءٌ، وهو موضعُ اصطِدَامِ
القَوْمِ، وقال الشاعر^(٢):

وَلَيْسَ بِمُنْفِذٍ لَكَ مِنْهُ إِلَّا بَرَآءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارِ

وهذا باب (٣) اللام التي للاستغاثة والتي للإضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجماعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ. تقول: يَا لِلرَّجَالِ،
وَيَا لِلْقَوْمِ، وَلِزَيْدٍ! إذا كانتَ تدعوهم .

وإنما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له، ووجب أن تفتحها لأن أصلَ
اللام الحافضة إنما كان الفتح، فكُسِرَتْ مع المظهر ليفصلَ بينها وبين لام التوكيد،
تقول: إِنَّ هَذَا لَزَيْدٌ. إذا أردت: إِنَّ هَذَا زَيْدٌ. وتقول: إِنَّ هَذَا لَزَيْدٌ. إذا أردت أنه
في ملكه. ولو فتحت لالتبس^(٤).

فإن وقعت اللام على مضمَر فتحتها على أصلها، فقلت: إِنَّ هَذَا لَكَ. وإن
هذا لأنتَ، إذا أردتَ لام التوكيد ليس هاهنا لبسٌ. وذاك أَنَّ الأسماء المضمرة على
غير لفظ المظاهرة. فلهذا أجريتها على الأرض، والاستغاثة تردُّها إلى أصلها من
أجل اللبس.

والمدعوُّ له في بابهِ. فاللامُ معه مكسورة. تقول: يَا لِلرَّجَالِ لِلْمَاءِ!
وَيَا لِلرَّجَالِ لِلْعَجَبِ وَيَا لَزَيْدٍ لِلخَطْبِ الْجَلِيلِ! قال الشاعرُ:
يَا لِلرَّجَالِ لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَمَا يَنْفَكُ يَبْعَثُ لِي بَعْدَ النَّبِيِّ طَرِبًا^(٥)

(١) ر: « بدرهمين من بخار » .

(٢) حاشية الأصل: « البيت لبشر بن خازم » ويروى:

* ولا ينجي من الغمرات إلا *

(٤) ر: « لالتبستا » .

(٣) ر: « هذا » .

(٥) لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي .

وقال آخر :

تَكْتَفِنِي الْوِشَاءُ فَأَزْعَجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَأْشِيِّ الْمَطَاعِ^(١)
وفى الحديث لما طَعَنَ العُلُجُ - أو العبدُ - عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه
صاح: يا لله يا للمسلمين !

وتقولُ : يَا لِلْعَجَبِ ، إِذَا كُنْتَ تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَ «يَا» لِغَيْرِ الْعَجَبِ ، كَأَنَّكَ
قُلْتَ : يَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ . وَيُنْشَدُ هَذَا الْبَيْتُ :

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سِمْعَانَ مِنْ جَارِ^(٢)
فِيَا لِغَيْرِ اللَّعْنَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَا قَوْمَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ .

وَرَعَمَ سَيْبُوهُ أَنَّ هَذِهِ اللَّامُ الَّتِي لِلْإِسْتِغَاثَةِ دَلِيلٌ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَلِفِ الَّتِي تَبِينُ
بِالْهَاءِ فِي الْوَقْفِ إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تُسْمَعَ بَعِيدًا . فَإِنَّمَا هِيَ لِلْإِسْتِغَاثَةِ بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ اللَّامِ .
وَذَلِكَ قَوْلُكَ : يَا قَوْمَاهُ ! عَلَى غَيْرِ النَّدْبَةِ ، وَلَكِنْ لِلْإِسْتِغَاثَةِ وَمَدِّ الصَّوْتِ .

وَالْقَوْلُ كَمَا قَالَ . مَحَلُّهُمَا عِنْدَ الْعَرَبِ مَحَلٌّ وَاحِدٌ . فَإِذَا وَصَلْتَ حَذَفَتْ
الْهَاءُ ، لِأَنَّهَا زِيدَتْ فِي الْوَقْفِ لَخَفَاءِ الْأَلِفِ . كَمَا تَرَاهُ لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ ، فَإِذَا وَصَلْتَ
أَغْنَى مَا بَعْدَهَا عَنْهَا . تَقُولُ : يَا قَوْمًا تَعَالَوْا . وَيَا زَيْدًا لَا تَفْعَلْ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ
تَقُولَ : يَا لَزَيْدٍ وَهُوَ مُقْبَلٌ عَلَيْكَ . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : يَا زَيْدَاهُ وَهُوَ مَعَكَ ،
إِنَّمَا يَقَالُ ذَلِكَ لِلْبَعِيدِ أَوْ يُنَبِّهُ بِهِ النَّائِمَ .

فَإِنْ قُلْتَ : يَا لَزَيْدٍ وَلَعَمْرُؤُ ، كَسَرْتَ اللَّامَ فِي «عَمْرُؤُ» وَهُوَ مَدْعُوٌّ ، لِأَنَّكَ إِذَا
فَتَحْتَ اللَّامَ فِي «زَيْدٍ» لَتَفْصَلَ بَيْنَ الْمَدْعُوِّ وَالْمَدْعَى إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَطَفْتَ عَلَى «زَيْدٍ»
اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْفَصْلِ ، لِأَنَّكَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَيْهِ شَيْئًا صَارَ فِي مِثْلِ حَالِهِ .

وَنظِيرُ ذَلِكَ الْحِكَايَةُ ، يَقُولُ الرَّجُلُ : رَأَيْتُ زَيْدًا ، فَتَقُولُ : مَنْ «زَيْدًا» ؟ وَإِنَّمَا
حَكِيَّتُ قَوْلِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا تَسْتَفْهَمُهُ عَنِ الَّذِي ذَكَرَ بَعِيْنَهُ ، وَلَا تَسْأَلُهُ عَنْ زَيْدٍ
غَيْرِهِ ، وَالْمَوْضِعُ مَوْضِعُ رَفْعٍ ، لِأَنَّهُ ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ ، فَإِنْ قُلْتَ : وَمَنْ زَيْدٌ ؟ أَوْ فَمَنْ
زَيْدٌ ؟ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَفْعًا ، لِأَنَّكَ عَطَفْتَ عَلَى كَلَامِهِ ، فَاسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْحِكَايَةِ ، لِأَنَّ
الْعَطْفَ لَا يَكُونُ مُسْتَأْنَفًا .

(١) نَسَبَهُ الْمَرْصُفِيُّ إِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ وَقَبْلَهُ :

وَكَانَ فِرَاقُ لَبْنَى كَالْخِذَاعِ

فَوَاكِبْدَى وَعَاوَدْنَى رِدَاعَى

(٢) سِمْعَانُ . : بِفَتْحِ السِّينِ وَكسرها . وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

وَنَظِيرُ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ فِي اللَّامِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
يَبْكِيكَ نَاءٌ بَعِيدُ الدَّارِ مُعْتَرِبٌ يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَانِ لِلْعَجَبِ !
فَقَدْ أَحْكَمْتُ كُلَّ مَا فِي هَذَا الْبَابِ .

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

[خَالِدُ بْنُ عَبَادٍ السَّدُوسِيُّ]

قال أبو العباس : وَذَكَرَ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ ، يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبَادٍ - أَوْ ابْنُ عَبَادَةَ - وَكَانَ مِنْ نُسَاكِهِمْ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ . فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ آلِ ثَوْرٍ ، فَكَذَّبَ عَنْهُ . وَقَالَ : هُوَ صَهْرِي وَهُوَ فِي ضِمْنِي . فَخَلَّى عَنْهُ . فَلَمْ يَزَلِ الرَّجُلُ يَتَفَقَّدُهُ حَتَّى تَغَيَّبَ ، فَأَتَى ابْنَ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبَادٍ فَأَخَذَهُ ، فَقَالَ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أَيْنَ كُنْتَ فِي غَيْبِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَذْكُرُونَ أَثْمَةَ الْجَوْرِ فَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ ! قَالَ : ادْلُنِي عَلَيْهِمْ ^(١) ، قَالَ : إِذَنْ يَسْعَدُوا وَتَشْقَى . وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْوِعَهُمْ !

قال : فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ؟ قَالَ : خَيْرًا . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، أَتَتَوَلَّاهُ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَا وَلِيَيْنِ اللَّهِ فَلَسْتُ أُعَادِيهِمَا ، فَأَرَاغُهُ مَرَاتٍ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ إِلَى رَحْبَةٍ ^(٢) تُعْرَفُ بِرَحْبَةِ الزَّيْنَبِيِّ .

فَجَعَلَ الشَّرْطَ يَتَفَادَوْنَ مِنْ قَتْلِهِ ، وَيَرْوَعُونَ عَنْهُ تَوْقِيًّا ، لِأَنَّهُ كَانَ شَاسِفًا ^(٣) عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ ، حَتَّى أَتَى الْمُثَلَّمُ بْنُ مَسْرُوحٍ الْبَاهِلِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الشَّرْطِ ، فَتَقَدَّمَ فَقَتَلَهُ ، فَأَتَمَّرَ بِهِ الْخَوَارِجُ لِيَقْتُلُوهُ ، وَكَأَ مُغْرَمًا بِاللَّقَاحِ ^(٤) يَتَّبِعُهَا ^(٥) فَيَشْتَرِيهَا مِنْ مَظَانِّهَا . وَهُمْ فِي تَفَقُّدِهِ فَدَسُّوا إِلَيْهِ رَجُلًا فِي هَيْئَةِ الْفَتْيَانِ . عَلَيْهِ رَدْعُ زَعْفَرَانٍ ^(٦) .

(١) ر : « دلني عليهم » .

(٢) الرحبة : الفجوة الواسعة بين الدور .

(٣) الشاسف : اليابس من الهزال .

(٤) اللقحة : الناقة التي لها لبن .

(٥) ر : « يتبعها » .

(٦) الودع : اللطخ بالطيب والزعفران .

فَلَقِيهِ بِالْمَرْبِدِ^(١) وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ لِقْحَةٍ صَفَى^(٢)، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : إِنْ كُنْتَ تَبْلُغُ^(٣) فَعِنْدِي مَا يُغْنِيكَ عَنْ غَيْرِهِ . فَاْمَضْ مَعِي .

فَمَضَى الْمُثَلَّمُ عَلَى فَرَسِهِ وَالْفَتَى أَمَامَهُ، حَتَّى أَتَى بِهِ بَنَى سَعْدَ، فَدَخَلَ دَارًا، وَقَالَ لَهُ : ادْخُلْ عَلَى فَرَسِكَ ، فَلَمَّا دَخَلَ وَتَوَغَّلَ فِي الدَّارِ أَغْلَقَ الْبَابَ، وَثَارَتْ بِهِ الْخَوَارِجُ، فَاعْتَوَرَهُ خُرَيْثُ بْنُ جَحْلٍ، وَكَهْمَسُ بْنُ طَلْقِ الصَّرِيمِيِّ فَقَتَلَاهُ، وَجَعَلَا دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ فِي بَطْنِهِ . وَدَفَنَاهُ فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ، وَحَكَآ آثَارَ الدِّمِّ، وَخَلَّيَا فَرَسَهُ فِي اللَّيْلِ، فَأَصِيبَ مِنَ الْغَدِ فِي الْمَرْبِدِ، وَتَجَسَّسَ^(٤) عَنْهُ الْبَاهِلِيُّونَ فَلَمْ يَرَوْا لَهُ أَثَرًا . فَاتَّهَمُوا بِهِ بَنَى سَدُوسٍ، فَاسْتَعَدُّوا عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ، وَجَعَلَ السَّدُوسِيُّونَ يَحْلِفُونَ، وَتَحَامِلُ^(٥) ابْنَ زِيَادٍ مَعَ الْبَاهِلِيِّينَ . فَأَخَذَ مِنَ السَّدُوسِيِّينَ أَرْبَعَ دِيَاتٍ . وَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهِؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ ! كُلَّمَا أَمَرْتُ بِقَتْلِ أَحَدِهِمْ اغْتَالُوا قَاتِلَهُ فَلَمْ يُعْلَمْ بِمَكَانِهِ . حَتَّى خَرَجَ مِرْدَاسٌ، فَلَمَّا وَافَقَهُمُ ابْنُ زُرْعَةَ صَاحَ بِهِمْ جُرَيْثُ ابْنِ جَحْلٍ : أَهَاهُنَا مِنْ بَاهِلَةٍ أَحَدٌ؟ قَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَخَذْتُمْ بِالْمُثَلَّمِ أَرْبَعَ دِيَاتٍ وَأَنَا قَتَلْتُهُ^(٦) ، وَجَعَلْتُمْ دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ فِي بَطْنِهِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا مَدْفُونٌ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا صَارُوا إِلَى الدَّارِ، فَصَابُوا أَشْلَاءَهِ وَالدِّرَاهِمَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

أَلَيْتُ لَا أَغْدُو إِلَى رَبِّ لِقْحَةٍ أَسَاوِمُهُ حَتَّى يَعُودَ الْمُثَلَّمُ^(٧)
ثُمَّ خَرَجَتْ خَوَارِجٌ لَا ذِكْرَ لَهُمْ، كُلُّهُمْ قُتِلَ، حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى
الْأَزَارِقَةِ .

(١) المريد : المكان الذي تجسس فيه الإبل وتضان . ومنه سمي مريد البصرة . وكان موضع سوق الإبل .

(٢) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن ؛ والجمع صفايا .

(٣) تبلغ : يريد إن كنت تبلغ بها ثمنًا جيدًا . قاله المرصفي .

(٤) ر : « وتحسس » . (٥) ر : « فتحامل » .

(٦) ر : « وأنا قاتله » .

(٧) بعده كما ذكره المرصفي :

وَقَالَ لَهُ كَوْمَاءُ حَمْرَاءُ جَلْدَةٌ وَقَارِبَهُ فِي السَّوْمِ وَالْقَتْلَ يَكْتُمُ
فَأَصْبَحَ قَدْ عُمِيَ عَلَى النَّاسِ أَمْرُهُ وَقَدْ بَاتَ يَجْرَى فَوْقَ أَثْوَابِهِ الدِّمُّ
وَقَدْ كَانَ فِيمَا كَانَ مِنْهُ بِمَعَزَلٍ وَلَكِنْ حِينَ الْمَرْءِ لِلْمَرْءِ مُسْلِمٌ

[تفرق الخوارج]

ومن هاهنا افرقت الخوارجُ فصارت على أربعةٍ أُضرب :
 الإباضيةُ : وهم أصحابُ عبد الله بن إِبَاض .
 والصفوريةُ : واختلفوا في تسميتهم ، فقال قومٌ : سمُّوا بابنِ صَفَّار^(١) ، وقال آخرون - وأكثر المتكلمين عليه - هم قومٌ نَهَكْتَهُمُ العبادةَ فاصفرت وجوههم .
 ومنهم البيهسيةُ ، وهم أصحابُ بيهس^(٢) .

ومنهم الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي .
 وكانوا قبلُ على رأى واحد ، لا يختلفون إلَّا فى الشيء الشاذُّ من الفروع ،
 كما قال صخرُ بن عروة : إنى كرهت قتالَ على بن أبى طالب رضى الله عنه
 لسابقتة وقرابته ، فأما الآن فلا يسعنى إلَّا الخروجُ . وكان اعتزلَ عبدُ الله بن وهبُ
 يومَ النهَرِ ، فضلَّته^(٣) الخوارجُ بامتناعه من قتالِ على .

[الخوارج وابن الزبير]

فكان أولُ أمرهم الذى نَسْتَأْفُهُ : أنَّ جماعةً من الخوارج ، منهم نَجْدَةُ بنُ عامر
 الحنفي عَزَمُوا على أن يقصدوا مكة ، لما تَوَجَّهَ مُسْلِمٌ بن عَقْبَةَ يريدُ المدينةَ لوقعة
 الحرة ؛ فقالوا : هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة ، ويجب علينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ الله
 منه . ومنتحنَ ابن الزبير ، فإن كان على رأينا بايعناه ، فَمَضُوا لذلك .

فكان أولُ أمرهم أنَّ أبا الوازعِ الرَّاسِبِيَّ - وكان من مجتهدى الخوارج - كان
 يَذْمُرُ نَفْسَهُ ويلومُها على القعود ، وكان شاعراً ، وكان يفعلُ ذلك بأصحابه . فأتى
 نافع بن الأزرق وهو فى جماعةٍ من أصحابه ، يَصِفُ لَهُم جَوْرَ السلطان - وكان ذا
 لسانٍ عَصَبٍ ، واحتجاجٍ وصبرٍ على المنازعة - فأتاه أبو الوازع ، فقال : يا نافع ،
 لقد أُعْطِيتَ لساناً صارماً . وقلباً كليلاً ، فلوَدِدْتُ أن صرَّامةَ لسانِكَ كانت لقلبك ،
 وكلالَ قلبِكَ كان للسانِكَ ، أَتَحْضُ على الحقِّ وتَقْعُدُ عنه ، وتَقْبَحُ الباطلَ وتُقيمُ
 عليه ! فقال : إلى أن يَجْتَمَعَ^(٤) من أصحابِكَ من تنكئ به عدوك ، فقال أبو الوازع :

(٢) هو هيصم بن جابر .

(٤) ر : « تجمع » .

(١) هو عبد الله بن الصفا .

(٣) ضلَّته : نسبته إلى الضلال .

لَسَانِكَ لَا يُنْكِي بِهِ الْقَوْمُ إِنَّمَا تَنَالُ بِكَفِّكَ النَّجَاةَ مِنَ الْكَرْبِ
فَجَاهِدْ أَنْاسًا حَارِبُوا اللَّهَ وَاصْطَبِرْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُخْزِيَ غَوَى بَنِي حَرْبٍ

ثم قال: والله لا ألومك ونفسي ألوم، ولأغدو غداة لا أنثى بعدها أبداً. ثم مضى فاشترى سيفاً، وأتى صَيْقَلًا^(١) كان يذم الخوارج ويدل علي عوراتهم، فشاوره في السيف فحمده، فقال: اشحذه، فشحذه. حتى إذا رضى حَكَمَ وَخَبَطَ به الصقيل وحمل علي الناس فتهاربوا منه، حتى أتى مقبرة بني يشكر، فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر. خوفاً أن تجعل الخوارج قبره مهاجراً، فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا، وخرج في ذلك جماعة، فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطي، من تيم اللات بن ثعلبة، ومقتله بعد خروج الأزارقة.

فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف إلى مكة، ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام، فدفعوهم إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية، ولم يبايعوا ابن الزبير.

ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده، فإن قدم أبا بكر وعمر، وبرئ من عثمان وعلي، وكفر أباه وطلحة، بايعناه، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده. فتشغلنا بما يجدي علينا. فدخلوا على ابن الزبير. وهو متبدل. وأصحابه متفرقون عنه. فقالوا: إننا جئناك لتخبرنا رأيك، فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت على غيره دعوناك إلى الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى، وآوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه. وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بقاء المسلمين؟ وفي الذي بعده الذي حكم في دين الله الرجال. وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم؟ وفي أبيك وصاحبه، وقد بايعا علياً وهو إمام عادل مرضى، لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجنا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن^(٢) في بيوتهن؟ و كان لك في ذلك ما يدعوك إلى

(١) الصيقل: شحاذ السيوف وجلأوها.

(٢) يشير إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب ٣٣: ﴿وقرن في بيوتكن﴾.

التوبة! فَإِنْ أَنْتَ قُلْتَ كَمَا نَقُولُ فَلَكَ الزُّلْفَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالتَّصَرُّ عَلَى أَيْدِينَا، وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ التَّوْفِيقَ وَإِنْ^(١) أَبَيْتَ خَذَلَكَ اللَّهُ وَانْتَصَرَ مِنْكَ بِأَيْدِينَا^(٢).

فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ - وَلَهُ الْعِزَّةَ وَالْقُدْرَةَ - فِي مَخَاطِبَةِ أَكْفَرِ الْكَافِرِينَ وَأَعْتَى الْعُتَاةَ بِأَرْفِهِ^(٣) مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ لِمُوسَى وَلَأَخِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا - فِي فِرْعَوْنَ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٤) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْمَوْتَى» فَتَنَى عَنْ سَبِّ أَبِي جَهْلٍ مِنْ أَجْلِ عَكْرَمَةَ ابْنِهِ، وَأَبُو جَهْلٍ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ الرَّسُولِ، وَالْمَقِيمُ عَلَى الشُّرْكِ، وَالْجَادُّ فِي الْمَحَارِبَةِ، وَالْمَتَّبِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَالْمُحَارِبُ لَهُ بَعْدَهَا، وَكَفَى بِالشُّرْكِ ذَنْبًا! وَقَدْ كَانَ يُغْنِيكُمْ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي سَمِعْتُمْ فِيهِ طَلْحَةَ. وَأَبَى أَنْ يَقُولُوا: أَتَبْرَأُ مِنَ الظَّالِمِينَ؟ فَإِنْ كَانَا مِنْهُمْ، دَخَلَا فِي غَمَارِ^(٥) النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مِنْهُمْ لَمْ تُحْفَظُونِي^(٦) بِسَبِّ أَبِي وَصَاحِبِهِ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَالَ لِلْمُؤْمِنِ فِي أَبِيهِ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٧)، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٨). وَهَذَا الَّذِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَلَيْسَ يَقْنَعُكُمْ إِلَّا التَّوَقُّفُ وَالتَّصْرِيحُ، وَلَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ لِأُخْرَى بَقِطْعِ الْحُجَجِ، وَأَوْضَحُ لِمَنْ هَاجَ الْحَقُّ، وَأَوَّلَى بِأَنْ يَعْرِفَ كُلُّ صَاحِبِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، فَرُوحُوا إِلَى مَنْ عَشَيْتُمْ هَذِهِ أَكْشِفَ لَكُمْ مَا أَنَا عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ رَاحُوا إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ لَبَسَ سِلَاحَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَجْدَةً قَالَ: هَذَا خُرُوجُ مُنَابِذٍ لَكُمْ، فَجَلَسَ عَلَى رَفْعٍ مِنَ الْأَرْضِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ. ثُمَّ ذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ أَحْسَنَ ذَكَرٍ، ثُمَّ ذَكَرَ عِثْمَانَ فِي السَّنِينَ الْأَوَّالِ مِنْ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ وَصَلَهُنَّ بِالسَّنِينَ الَّتِي أَنْكَرُوا سِيرَتَهُ فِيهَا. فَجَعَلَهَا كَالْمَاضِيَةِ، وَخَبَّرَ أَنَّهُ آوَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

(١-٢) كَذَا وَرَدَّتِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ . س . وَفِي ر : « وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا نَصَرَ رَأْيَكَ الْأَوَّلَ . وَتَصَوَّبَ أَبْيِكَ وَصَاحِبِهِ . وَالتَّحْقِيقُ بَعِثَانُ ، وَالتَّوَلَّى عَلَى السَّنِينَ الَّتِي أَحَلَّتْ دَمَهُ . وَنَقَضَتْ . . . وَأَفْدَتْ إِمَامَتَهُ ، خَذَلَكَ اللَّهُ وَانْتَصَرَ مِنْكَ بِأَيْدِينَا » .

(٣) سُورَةُ طه ٤٤ .

(٢) فِي ر : « بِأَرْفٍ » .

(٥) لَمْ تُحْفَظُونِي : لَمْ تَغْضُبُونِي .

(٤) غَمَارُ النَّاسِ : جَمَاعَتُهُمْ .

(٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٨٣ .

(٦) سُورَةُ لُقْمَانَ ١٥ .

وذكر الحمى وما كان فيه من الصَّلاحَ، وأنَّ القومَ استَعَبَوْهُ من أمورٍ، وكان له أن يفعلها أولاً مُصِيباً، ثم أَعْتَبَهُمْ بعدَ مُحَسَّنًا، وأنَّ أهلَ مِصْرَ لَمَّا أَتَوْهُ بكتابٍ ذَكَرُوا أَنَّهُ منه بعدَ أَنْ ضَمِنَ لَهُمُ الْعُتْبَى؛ ثم كُتِبَ لَهُمُ ذَلِكَ الْكِتَابُ بِقَتْلِهِمْ، فَدَفَعُوا الْكِتَابَ إِلَيْهِ، فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُتِبْهُ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ، وَقَدْ أُمِرَ بِقَبُولِ الْيَمِينِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ سَابِقَتِهِ، مَعَ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ صَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَكَانِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ، وَأَنْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِنَّمَا كَانَتْ بِسَبَبِهِ، وَعُثْمَانُ الرَّجُلُ الَّذِي لَزِمَتْهُ يَمِينٌ لَوْ حَلَفَ عَلَيْهَا لَحَلَفَ عَلَى حَقٍّ فَافْتَدَاهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ وَلَمْ يَحْلِفْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصِدِّقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرِضْ».

فعثمانُ أميرُ المؤمنينَ كَصَاحِبِيهِ، وَأَنَا وَلِيُّ وَلِيِّهِ، وَعَدُوُّ عَدُوِّهِ، وَأَبَى وَصَاحِبُهُ صَاحِبًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ أَحَدٌ لَمَّا قُطِعَتْ إِبْصَعُ طَلْحَةَ: «سَبَقَتْهُ إِلَى الْجَنَّةِ»، وَقَالَ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»، وَكَانَ الصَّدِيقُ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أَحَدٍ، قَالَ: ذَلِكَ يَوْمَ كُلُّهُ أَوْ جُلُّهُ لَطْلَحَةُ، وَالزَّيْبَرُ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَصَفَوْتُهُ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(١)، وَمَا أَخْبَرْنَا بِعَدُوِّهِ أَنَّهُ سَخَطَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنْ مَا سَعَوْا فِيهِ حَقًّا فَأَهْلُ ذَلِكَ هُمْ، وَإِنْ يَكُنْ زَلَّةٌ فَفِي عَفْوِ اللَّهِ تَمْحِصُهَا، وَفِيمَا وَفَقَهُمْ لَهُ مِنَ السَّابِقَةِ مَعَ نَبِيِّهِمْ ﷺ. وَمَهُمَا ذَكَرْتُمُوهَا بِهِ فَقَدْ بَدَأْتُمْ بِأَمْكُمُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فَإِنَّ أَبِي آبَ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُمًّا نَبَذَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»^(٢). فَتَنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ.

وَكَانَ سَبَبُ وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَ ابْنِ الزَّيْبَرِ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ - بَعْدَ إِذْ كَانَ^(٣) حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ قَدْ حَصَرَ ابْنَ الزَّيْبَرِ أَنَّهُ أَتَاهُمْ مَوْتُ يُزَيْدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَوَادَعَ النَّاسُ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ ضَجَرُوا مِنَ الْمَقَامِ عَلَى ابْنِ الزَّيْبَرِ، وَحَنَقَتِ الْخَوَارِجُ فِي قِتَالِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ:

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

(١) سورة الفتح ١

(٣) ر: «أَنْ كَانَ» .

يا صاحبي ارتحلاً ثم املساً لا تحبساً لدى الحَصِينِ محبساً
 إنَّ لدى الأركانِ ناساً بؤساً

- [قال الأخفشُ : حَفَظِي « بَأْساً أَبُوساً »] -

وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأنفُسَا إذا الفتى حَكَّمَ يوماً كَلْسَا
 قوله : « ثم املساً » يريد : تَخَلَّصَا تَخَلُّصاً سهلاً ، وكَلَّسَ ، أى حَمَلَ وَجَدَ .

ولما سَمَّحَ ابنُ الزبير للخوارج في القولِ وأظهر أنه منهم قال رجل يقال له
 فلان بن همام^(١) من رَهْطِ الفرزدقِ :

يا بنَ الزبير أتَهَوَى عَصَبَةً قَتَلُوا ظِلماً أباك ولما تُنزعَ الشَّكَّ
 ضحوا بعثمانَ يومَ النحر ضاحيةً ما أعظمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انتَهَكُوا!

فقال ابنُ الزبير : لو شايعتنى التُّركُ والدَّيْلَمُ على قتالِ أهلِ الشامِ لَشَايَعْتُهَا .

الشَّكَّ : جمعُ شَكَّةٍ ، وهى السلاحُ . قال الشاعر :

ومُدَجَّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ

فتفرقت الخوارجُ عن ابنِ الزبير لما تَوَلَّى عثمانُ ، فصارت طائفة إلى
 البصرة ، وطائفة إلى اليمامة ، وكان رجاءُ النُصْرَى^(٢) وهو الذى كان جَمَعَهُم
 للمدافعة عن الحرمِ ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بنُ الأزرقِ الحنفى ، وبنو
 الماحوزِ السليطيونَ ، ورئيسُهُم حسانُ بنُ بحدج^(٣) . فلما صاروا إلى البصرة نظروا
 فى أمورهم فأَمَرُوا عليهم نافعاً .

[خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز]

ويروى أن أبا الجَلْدِ الشُّكْرَى قال لنافع يوماً : يا نافع إنَّ لجهنم سبعةَ
 أبوابٍ ، وإنَّ أشدها حرّاً للبابِ الذى أُعِدَّ للخوارج ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون منهم

(١) ر : « قيس بن همام » .

(٢) كذا فى الأصل . وفى ر : « النُمَيْرى » .

(٣) ر : « محرج » .

فأفعل، فأجمع القوم عَلَى الخروج، فمضى بهم نافعٌ إِلَى الأهواز^(١) فِي سنة أربع وستين، فَأقاموا بها، لَا يَهيجون أحداً، وَيُنَاطِروهم الناسُ.

وكان سببُ خروجهم إِلَى الأهواز أَنَّهُ لَمَّا مات يزيدُ بايعَ أَهلُ البصرةَ عُبَيْدَ اللَّهِ ابنَ زياد، وكان فِي السجن يومئذٍ أربعمئة رجلٍ من الخوارج، وَضَعُفَ أَمْرُ ابنِ زياد، فَكَلَّمَ فِيهم فَأَطْلَقَهم، فَأَفْسَدُوا البَيْعَةَ عَلَيْهِ، وَفَشَوْا فِي الناسِ، يَدْعُونَ إِلَى مُحَارَبَةِ السُّلْطَانِ وَيُظْهِرُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى اضْطَرَبَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ. فَتَحَوَّلَ عَنْ دَارِ الإِمَارَةِ إِلَى الْأَزْدِ، وَنَشَأَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ بَيْنَ الْأَزْدِ وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ، فَاعْتَزَلَهُمُ الْخَوَارِجُ إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ. مَعَهُمْ عَبْسُ بْنُ طَلْقِ الصَّرِيمِيِّ أَخُو كَهْمَسٍ، فَإِنَّهُمْ أَعَانُوا قَوْمَهُمْ، فَكَانَ عَبْسُ الطَّعَانِ فِي سَعْدٍ، وَالرَّبَّابُ فِي الْقَلْبِ بِحِذَاءِ الْأَزْدِ.

وكان حارثةُ بنُ بَدْرِ اليربوعيُّ فِي حَنْظَلَةٍ بِحِذَاءِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَارِثَةُ بنُ بَدْرِ لِلْأَخْنَفِ؛ وَهُوَ صَخْرُ بنُ قَيْسٍ :

سَيَكْفِيكَ عَبْسٌ أَخُو كَهْمَسٍ مُوَاقَفَةَ الْأَزْدِ بِالْمَرْبِدِ
وَتَكْفِيكَ عَمْرُو عَلَى رَسْلِهَا لُكَيْزُ بنِ أَفْصَى وَمَا عَدَدُوا
- لُكَيْزٌ هُوَ عَبْدُ الْقَيْسِ -

وَتَكْفِيكَ بَكْرًا إِذَا أَقْبَلَتْ بِضَرْبِ يَشِيبٍ لَهُ الْأَمْرَدِ

فَمَا قُتِلَ مَسْعُودُ بنُ عَمْرٍو الْمَعْنِيُّ، وَتَكَافَأَ النَّاسُ، أَقَامَ نَافِعُ بنُ الْأَزْرَقِ بِمَوْضِعِهِ بِالْأَهْوَازِ، وَلَمْ يَعُدَّ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَطَرَدُوا عُمَالَ السُّلْطَانِ عَنْهَا، وَجَبَوْا الْفَيْءَ.

(خُرُوجُ نَجْدَةَ بنِ عَامِرٍ عَلَى نَافِعِ بنِ الْأَزْرَقِ ، وَالرِّسَالَةُ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُمَا)

وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ، يَتَوَلَّوْنَ أَهْلَ النَّهْرِ وَمُرْدَاسًا وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ، حَتَّى جَاءَ مَوْلَى ابْنِي هَاشِمٍ إِلَى نَافِعٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَنَّا خَالَفْنَا مُشْرِكًا، فِدْمَاءُ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ لَنَا حَلَالٌ. قَالَ لَهُ نَافِعٌ: كَفَرْتَ وَأَحْلَلْتَ بِنَفْسِكَ^(٢)، قَالَ لَهُ: إِنْ لَمْ أَتِكَ بِهَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَأَقْتُلْنِي، «قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا

(٢) ر : س : « وَأَدْلَلْتُ » .

(١) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس .

تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا^(١)، فهذا أمرُ الكافرين وأمرُ أطفالهم، فشهد نافع أنهم جميعاً في النار، ورأى قتلهم. وقال: الدار دار كُفرٍ إلا من أظهر إيمانه، ولا يحلُّ أكل ذبائحهم^(٢)، ولا تناكحهم، ولا توارثهم، ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب، لا نقبلُ منهم إلا الإسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم، والتقية لا تحلُّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً^(٣)﴾. وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^(٤)﴾. فنفر جماعة من الخوارج عنه، منهم نجدة بن عامر، واحتج بقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً^(٥)﴾، وبقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ^(٦)﴾. فالفعد منا، والجهاد إذا أمكن أفضل، لقوله جل وعز: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا^(٧)﴾.

ثم مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة وتفرقوا في البلدان.

فلما تتابع^(٨) نافع في رأيه وخالف أصحابه، وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم^(٩) في جماعة قد بايعوه، فلما انخرزل نجدة خلَعوا أبا طالوت، وصاروا إلى نجدة فبايعوه، ولقي نجدة وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة^(١٠) - والعرمة كالسكر^(١١) - وجمعها عَرمٌ، وفي القرآن المجيد: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ^(١٢)﴾ وقال النابغة الجعدي:

مِنْ سَبَأِ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَنْوُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِ الْعَرَمِ

فقال لهم أصحاب نجدة: إن نافعاً قد أكفر^(١٣) القعد ورأى الاستعراض، وقتل الأطفال، فانصرفوا مع نجدة. فلما صار باليمامة كتب إلى نافع.

(٢) س: «لا تحل».

(٤) سورة المائدة ٥٤.

(٦) سورة غافر ٢٨.

(١) سورة نوح ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة النساء ٧٧.

(٥) سورة آل عمران ٢٨.

(٧) سورة النساء ٩٥.

(٩) خضارم: اسم واد باليمامة.

(٨) التتابع في الشر وهو التهافت عليه.

(١٠) العرمة: أرض صلبة تتاخم الدهناء.

(١١) السكر، بكسر فسكون: اسم لما سد به فم النهر.

(١٣) ر: «كفر».

(١٢) سورة سبأ ١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ: فإنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ
الرحيم. وللضعيف كالأخ البرّ، لا تأخذك في الله لومة لائم. ولا ترى مَعونة
ظالم، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابك، أمّا تَذَكَّرُ قولَكَ: لولا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لِلإِمَامِ
العادلِ مثلَ أَجْرِ جميعِ رعيّته ما توليتُ أمرَ رجلينِ من المسلمين؟ فلما شَرِيتَ
نَفْسَكَ في طاعةِ ربك ابتغاءَ رضوانه، وأصبتَ من الحقِّ فِصَّةً، وركبتَ مُرَّةً. تَجَرَّدَ
لكَ الشيطانُ، ولم يكنِ أحدٌ أثقلَ عليه وَطْأةً منك وَمَنْ أصحابك. فاستمالكَ
واستهواكَ واستغواكَ وأغواكَ، فغَوَيْتَ فَأَكْفَرْتَ الَّذِينَ عَذَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَعْدِ
المسلمينِ وَضَعَفْتَهُمْ، فقالَ جلُّ ثَنائِهِ، وقوله الحقُّ ووَعْدُهُ الصِّدْقُ: ﴿لَيْسَ عَلَى
الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ
وِرَسُولَهُ﴾^(١). ثم سَمَاهُمْ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ، فقالَ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ
سَبِيلٍ﴾^(٢). ثم اسْتَحَلَّتْ قَتْلَ الْأَطْفَالِ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِهِمْ،
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣)، وَقَالَ فِي الْقَعْدِ خَيْرًا،
وَفَضَّلَ اللَّهُ مَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَدْفَعُ مَنْزِلَةَ أَكْثَرِ النَّاسِ عَمَلًا مَنْزِلَةً مَنْ هَوِّدُونَهُ،
أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي
الضَّرَرِ﴾^(٤)، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ،
وَرَأَيْتُ أَلَّا تُؤَدَّى الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ خَالَفَكَ، وَاللَّهُ يَأْمُرُ أَنْ تُؤَدَّى الْأَمَانَةُ إِلَى أَهْلِهَا،
فَاتَّقِ اللَّهَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَاتَّقِ يَوْمًا ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ
عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^(٥)، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ بِالْمِرْصَادِ، وَحُكْمِهِ الْعَدْلُ، وَقَوْلُهُ الْفَصْلُ،
وَالسَّلَامُ.

فكتب إليه نافعٌ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فقد أتاني كتابك تعظني فيه
وتذكّرني، وتُنصَحُ لي وتزجرني، وتَصِفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ، وما كنتُ أوثره
من الصوابِ، وأنا أسألُ اللهَ جلَّ وعزَّ أن يجعلني من الذين يستمعون القول

(٢) سورة التوبة ٩١ .

(٤) سورة النساء ٩٥ .

(١) سورة التوبة ٩١

(٣) سورة الأنعام ١٦٤ .

(٥) سورة لقمان ٣٣ .

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَعَبَتَ عَلَى مَا دُنْتُ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ الْقَعْدِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ، فَسَأَفْسُرُ لَكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

أَمَّا هَؤُلَاءِ الْقَعْدُ فَلْيَسُوا كَمَنْ ذَكَرْتَ مَنْ كَانَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . لَأَنْهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ مَقْهُورِينَ مُحْصُورِينَ، لَا يَجِدُونَ إِلَى الْهَرَبِ سَبِيلًا، وَلَا إِلَى الْإِتِّصَالِ بِالْمُسْلِمِينَ طَرِيقَةً، وَهَؤُلَاءِ قَدْ فَتَّهُوْا فِي الدِّينِ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ، وَالطَّرِيقَ لَهُمْ نَهْجٌ وَاضِحٌ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ، إِذْ قَالُوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١). فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(٢). وَقَالَ: ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾^(٤). فَخَبِرَ بِتَعْذِيرِهِمْ، وَأَنْهُمْ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَقَالَ: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥). فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَائِهِمْ وَسِمَاتِهِمْ.

وَأَمَّا أَمْرُ الْأَطْفَالِ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ - يَا نَجْدَةَ - مِنِّي وَمِنْكُمْ فَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٦). فَسَمَّاهُمْ بِالْكَفْرِ وَهُمْ أَطْفَالٌ. وَقَبِلَ أَنْ يُولِدُوا. فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَلَا نَكُونُ نَقُولُهُ فِي قَوْمِنَا! وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿كَفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾^(٧)، وَهَؤُلَاءِ كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، لَا نَقْبَلُ مِنْهُمْ جَزِيَّةً، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ أَوْ الْإِسْلَامُ.

وَأَمَّا اسْتِحْلَالُ أَمَانَاتٍ مَنْ خَالَفَنَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَنَا أَمْوَالَهُمْ، كَمَا أَحَلَّ لَنَا دِمَاءَهُمْ، فَدِمَاؤُهُمْ حَلَالٌ طَلُقَ^(٨)، وَأَمْوَالُهُمْ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ. فَاتَّقِ اللَّهَ وَرَاجِعْ نَفْسَكَ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، وَلَنْ يَسْعَكَ خَذْلَانُنَا، وَالْقَعُودُ عَنَّا، وَتَرْكُ مَا نَهَجْنَاهُ لَكَ مِنْ طَرِيقَتِنَا وَمَقَالَتِنَا، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَقْرَبَ بِالْحَقِّ وَعَمِلَ بِهِ.

[كِتَابُ نَافِعٍ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ]

وَكَتَبَ نَافِعٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَدْعُوهُ إِلَى أَمْرِهِ :

- | | |
|----------------------|------------------------|
| (١) سورة النساء ٩٧ . | (٢) سورة النساء ٩٧ . |
| (٣) سورة التوبة ٨١ . | (٤) سورة التوبة ٩٠ . |
| (٥) سورة التوبة ٩٠ . | (٦) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ . |
| (٧) سورة القمر ٤٣ . | (٨) الطلق : الحلال . |

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحَذِّرُكَ مِنَ اللَّهِ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١). فَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ وَلَا تَتَوَلَّ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ (٢). وَقَدْ حَضَرَتْ عَثْمَانُ يَوْمَ قُتِلَ فَلَعَمْرِي لَئِنْ قُتِلَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَفَرَ قَاتِلُوهُ وَخَاذِلُوهُ ، وَلَئِنْ كَانَ قَاتِلُوهُ مُهْتَدِينَ - وَإِنَّهُمْ لَمُهْتَدُونَ - لَقَدْ كَفَرَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَعُضِدُهُ . وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ أَبَاكَ وَطَلْحَةَ وَعَلِيًّا كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَكَانُوا فِي أَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ قَاتِلِي وَخَاذِلِي ، وَأَنْتَ تَتَوَلَّى أَبَاكَ وَطَلْحَةَ وَعَثْمَانَ ، فَكَيْفَ (٣) وَلَايَةُ قَاتِلِ مُتَعَمِّدٍ وَمَقْتُولِ فِي دِينٍ وَاحِدٍ! وَلَقَدْ مَلَكَ عَلَى بَعْدِهِ فَتَنَى الشَّبَهَاتِ ، وَأَقَامَ الْحُدُودَ ، وَأَجْرَى الْأَحْكَامَ مَجَارِيهَا ، وَأَعْطَى الْأُمُورَ حَقَائِقَهَا ، فِيمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَبَايَعَهُ أَبُوكَ وَطَلْحَةَ ، ثُمَّ خَلَعَاهُ ظَالِمِينَ لَهُ ، وَإِنَّ الْقَوْلَ فِيكَ وَفِيهِمَا لَكَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنْ يَكُنْ عَلَى فِي وَقْتِ مَعْصِيَتِكَ وَمُحَارَبَتِكَ لَهُ كَانَ مُؤْمِنًا ؛ أَمَّا لَقَدْ كَفَرْتُمْ بِقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأُتِمَّةِ الْعَدْلِ ، وَلَئِنْ كَانَ كَافِرًا كَمَا زَعَمْتُمْ ، وَفِي الْحُكْمِ جَائِرًا ، لَقَدْ بُوِّتُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ لِفِرَارِكُمْ مِنَ الرَّحْفِ ، وَلَقَدْ كُنْتَ لَهُ عَدُوًّا ، وَلَسِيرَتُهُ عَائِبًا ، فَكَيْفَ تَوَلَّيْتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ! فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (٤).

[كِتَابُ نَافِعٍ إِلَى الْمَحْكَمَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ]

وَكُتِبَ نَافِعٌ إِلَى مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنَ الْمَحْكَمَةِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاللَّهُ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ وَاحِدَةٌ ، وَالدِّينَ وَاحِدٌ ، فَفِيمَ الْمَقَامِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْكُفَّارِ ، تَرَوْنَ الظُّلْمَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَقَدْ نَدَبَكُمْ اللَّهُ إِلَى الْجِهَادِ فَقَالَ : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (٥) ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَذْرًا فِي حَالٍ مِنَ الْحَالِ ، فَقَالَ : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (٦) ! وَإِنَّمَا عَذَرُ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ وَمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ لِعَلَّةٍ . ثُمَّ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٤) سورة المائدة ٥١ .

(٦) سورة التوبة ٤١ .

(١) سورة آل عمران ٣٠ .

(٣) ر : « وكيف » .

(٥) سورة التوبة ٣٦ .

المجاهدين . فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١) ؛ فَلَا تَغْتَرَوْا وَلَا تَطْمَثُوا إِلَى الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا مَرَّاةٌ مَكَّارَةٌ . لَدَّتْهَا نَافِذَةٌ ، وَنَعِمَّتْهَا بَائِدَةٌ . حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا . وَأَظْهَرَتْ حَبْرَةٌ^(٢) . وَأَضْمَرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ أَكَلُ مِنْهَا أَكْلَةٌ تَسْرُهُ . وَلَا شَارِبُ شَرْبَةٍ تُؤْنِقُهُ^(٣) . إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةٌ إِلَى أَجَلِهِ ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةٌ مِنْ أَمَلِهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ دَارًا لِمَنْ تَرَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ ، فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا ، وَلَا حَلِيمٌ بِهَا قَرَارًا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾^(٤) . وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ .

فَوَرَدَ كِتَابُهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْقَوْمِ يَوْمِئِذٍ أَبُو بِيَهَسٍ هَيْصَمُ بْنُ جَابِرٍ الضُّبَعِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ الْمُرِّي ، مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بِيَهَسٍ عَلَى ابْنِ إِبَاضٍ فَقَالَ : إِنْ نَافِعًا غَلَا فَكَفَّرَ ، وَإِنْكَ قَصَّرْتَ فَكَفَّرْتَ ، تَزَعُمُ أَنَّ مَنْ خَالَفَنَا لَيْسَ بِمُشْرِكٍ . وَإِنَّمَا هُمْ كُفَّارُ النِّعَمِ ؛ لَتَمْسُكُهُمُ بِالْكِتَابِ ، وَإِقْرَارِهِمُ بِالرَّسُولِ ، وَتَزَعُمُ أَنَّ مَنَّا كُفَّاهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ وَالْإِقَامَةَ فِيهِمْ حَلٌّ طُلُقٌ^(٥) ؟ وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ أَعْدَاءُ أَنَا كَأَعْدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، تَحُلُّ لَنَا الْإِقَامَةُ فِيهِمْ . كَمَا فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي إِقَامَتِهِمْ بِمَكَّةَ . وَأَحْكَامُ الْمُشْرِكِينَ تَجْرَى فِيهِمْ^(٦) ، وَأَزْعُمُ أَنَّ مَنَّا كُفَّاهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ تَجُوزُ لَأَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ يَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ . وَأَنْ حَكَمَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ حَكَمُ الْمُشْرِكِينَ .

فَصَارُوا فِي هَذَا الْوَقْتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقَاوِيلَ : قَوْلُ نَافِعٍ فِي الْبِرَاءَةِ وَالْإِسْتِعْرَاضِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ . وَقَوْلُ أَبِي بِيَهَسٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبَاضٍ . وَهُوَ أَقْرَبُ الْأَقَاوِيلِ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ أَقَاوِيلِ الضُّلَّالِ . وَالصُّفْرِيَّةُ وَالنَّجْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُولُونَ بِقَوْلِ ابْنِ إِبَاضٍ . وَقَدْ قَالَ ابْنُ إِبَاضٍ مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَقَالَتِهِ .

وَأَنَا أَقُولُ : إِنَّ عَدُوَّنَا كَعَدُوِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنِّي لَا أَحْرُمُ مَنَّا كُفَّاهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ ، لِأَنَّ مَعَهُمُ التَّوْحِيدَ وَالْإِقْرَارَ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَرَى مَعَهُمْ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ تَجْمَعُهُمْ ، وَأَرَاهُمْ كُفَّارًا لِلنِّعَمِ ، وَقَالَتِ الصُّفْرِيَّةُ أَلَيْنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ فِي أَمْرِ الْقَعْدِ . حَتَّى صَارَ عَامَتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فِيهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ . فَقَالَ قَوْمٌ :

(١) سورة النساء ٩٥ .

(٢) الحبرة : النعمة وسعة العيش .

(٣) تؤنقه : تعجبه .

(٤) سورة البقرة ١٩٧ .

(٥) ر : « فيها » .

(٦) سورة النساء ٩٥ .

(٧) ر : « فيها » .

سُمُوا صُفْرِيَّةً لَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ صَفَّارٍ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا سُمُوا بِصُفْرَةٍ عَلَتْهُمْ.
وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَاصِمٍ اللَّيْثِيِّ. وَكَانَ يَرَى رَأَى الْخَوَارِجَ، فَتَرَكَهُ وَصَارَ
مُرَجَّئًا:

فَارَقْتُ نَجْدَةَ وَالَّذِينَ تَزَرَّقُوا وَأَبْنَ الزُّبَيْرِ وَشِيعَةَ الْكَذَّابِ (١) !
وَالصُّفَّرَ الْأَذَانَ الَّذِينَ تَخَيَّرُوا دِينًا بِلا ثِقَةٍ وَلَا بَكْتَابِ

- خَفَّفَ الهمزة من « الْأَذَانَ » ولولا ذلك لانكسر الشعرُ -

وَقَالَ أَبُو بِيَهَسٍ: الدَّارُ دَارُ كَفْرِ. وَالِاسْتِعْرَاضُ فِيهَا جَائِزٌ، وَإِنْ أَصِيبَ مِنَ
الْأَطْفَالِ فَلَا حَرَجَ.

إلى هاهنا انتهت المقالة .

[مقتل نافع بالأهواز]

وَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى الْأَضْرُبِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَأَقَامَ نَافِعٌ بِالْأَهْوَازِ
يَعْتَرِضُ النَّاسَ وَيَقْتُلُ الْأَطْفَالَ، فَإِذَا أُجِيبَ إِلَى الْمَقَالَةِ جَبَّ الْخَرَجَ. وَفَشَا عَمَّالُهُ فِي
السَّوَادِ (٢). فَارْتَاعَ لَذَلِكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَشَكَّوْا
ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ إِلَّا لَيْلَتَانِ، وَسِيرَتُهُمْ مَا تَرَى. فَقَالَ
الْأَحْنَفُ: إِنْ فَعَلَهُمْ فِي مَصْرِكُمْ - إِنْ ظَفَرُوا بِهِ - كَفَعْلَهُمْ فِي سَوَادِكُمْ، فَجَدُّوا فِي
جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ، فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ
الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - وَهُوَ بَيْتُهُ (٣) - فَسَأَلَهُ أَنْ يُؤَمِّرَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَارَ لَهُمْ ابْنَ
عَبَّاسٍ (٤) بْنِ كُرَيْزٍ، وَكَانَ دِينًا شَجَاعًا، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ وَشِيعَهُ، فَلَمَّا نَفَذَ مِنْ جَسْرِ
الْبَصْرَةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: إِنِّي مَا خَرَجْتُ لَامْتِيَارٍ (٥) ذَهَبٍ وَلَا قِضَةٍ وَإِنِّي

(١) يعنى بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد الثقفى .

(٢) يريد بالسواد أرض العراق وضياعه .

(٣) البية فى الأصل: كثرة اللحم وتراكمه . لقب به عبد الله بن الحارث؛ وكانت أمه ترقصه وتقول:

لَأُنْكَحَنَّ بِبَيْتِهِ جَارِيَةً كَالْقَبِيَّةِ
مَكْرَمَةً مُحَبَّبَةً تَحِبُّ أَهْلَ الْكَعْبَةِ

(٤) هو مسلم بن عيسى .

(٥) الامتيار هنا: جلب الطعام .

لأحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحُهم، فمن كان شأنه الجهادَ فَلْيَنْهَضْ. وَمَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ فَلْيَرْجَعْ. فرجع نفرٌ يسيرٌ، ومضى الباقيون معه، فلما صاروا بدُولاب^(١) خرج إليهم نافعٌ. فاقتتلوا قتالا شديداً، حتى تكسرت الرماحُ، وعُقرت الخيلُ، وكثرت الجراحُ، والقتلى^(٢)، وتضاربوا بالسيوف والعمدِ، فقتلَ في المعركة ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بنُ الأزرق.

وكان ابنُ عُبَيْسٍ قد تقدّم إلى أصحابه فقال: إِنْ أُصِيبْتُ فَأَمِيرُكُمْ الرَّبِيعُ بن عمرو الأجدُمُ الغدانيُّ، فلما أُصِيبَ ابنُ عُبَيْسٍ أَخَذَ الرَّبِيعُ الرايةَ. وكان نافعٌ قد استخلفَ عُبَيْدَ اللَّهِ بن المَاحُوزِ السَّلَيطِيَّ. فكان الرئيسان من بني يربوع: رئيس المسلمين من بني عُذَانَةَ بن يربوع، ورئيسُ الخوارج من بني سَلِيط بن يربوع، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وَادَّعَى قَتْلَ نَافِعٍ سَلَامَةُ الْبَاهِلِيُّ، وقال: لَمَّا قَتَلْتُهُ وَكُنْتُ عَلَى بَرْدُونَ وَرَدَ^(٣)، إِذَا بِرَجُلٍ عَلَى فَرَسٍ - وَأَنَا واقِفٌ فِي خُمْسٍ قَيْسٍ - يُنَادِي: يَا صَاحِبَ الْوَرْدِ! هَلُمَّ إِلَى الْمُبَارَاةِ. فوَقِفْتُ فِي خُمْسِ بَنِي تَمِيمٍ، فَإِذَا بِهِ يَعْضُضُهَا عَلَى. وَجَعَلْتُ أَتَنَقَّلُ مِنْ خُمْسٍ إِلَى خُمْسٍ إِلَى خُمْسٍ. وَلَيْسَ يُزَالُنِي. فَصَبَرْتُ إِلَى رَحْلِي، ثُمَّ رَجَعْتُ. فَرَأَنِي فِدْعَانِي إِلَى الْمُبَارَاةِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرْبَتُهُ فَضَرْعَتُهُ، فَتَزَلْتُ لِسْلَبِهِ وَأَخَذَ رَأْسَهُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ رَأَتْني حِينَ قُلْتُ نَافِعًا، فَخَرَجَتْ لَتَّارَ بِهِ، فَلَمْ يَزَلِ الرَّبِيعُ الْأَجْدُمُ يَقَاتِلُهُمْ نَيْفًا وَعَشْرِينَ يَوْمًا. حَتَّى قَالَ يَوْمًا: أَنَا مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ. قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَأَنَّ يَدِي الَّتِي أُصِيبْتُ بِكَابِلٍ انْحَطَّتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَشَلَّتْنِي، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَاتَلَ إِلَى اللَّيْلِ، ثُمَّ غَادَاهُمْ فَقَتَلَ. فَتَدَافَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الرَّايَةَ حَتَّى خَافُوا الْعَطَبَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رَئِيسٌ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الْحِجَّاجِ بْنِ بَابِ الْحَمِيرِيِّ فَأَبَاهَا، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَرَى أَنَّ رُؤَسَاءَ الْعَرَبِ بِالْحَضْرَةِ. وَقَدْ اخْتَارُوكَ مِنْ بَيْنِهِمْ! فَقَالَ: مَشْؤُومَةٌ، مَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا، فَلَمْ يَزَلْ يَقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِدُولَابٍ، وَالْخَوَارِجُ أَعَدُّ بِالْأَلَاتِ وَالْدُّرُوعِ وَالْجَوَاشِينِ^(٤)، فَالْتَقَى الْحِجَّاجُ بْنُ بَابِ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ الرَّاسِيُّ وَذَلِكَ بَعْدَ

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ.

(٢) ر : « والقتلى » .

(٣) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء .

(٤) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

أَن اأَقْتَتَلُوا زَهَاءَ شَهْرٍ ، فَأَخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَسَقَطَا مَيْتَيْنِ ، فَقَالَتْ أُمُّ عَمْرَانُ تَرْتِيهِ :

وَأَلَّهُ أَيْدَ عَمْرَانَا وَطَهَّرَهُ	وَأَانَ عَمْرَانُ يَدْعُو اللَّهَ فِي السَّحَرِ
يَدْعُوهُ سَرًّا وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ	شَهَادَةً بِيَدَيَّ مَلْحَادَةً غُدْرَ
وَلَّى صَحَابَتُهُ عَنْ حَرٍّ مَلْحَمَةٍ	وَشَدَّ عَمْرَانُ كَالضَّرْغَامَةِ الْهَصْرِ

قَوْلُ الرَّبِيعِ : « اسْتَشَلَّتْنِي » ، أَى أَخَذَتْنِي إِلَيْهَا وَاسْتَنْفَذَتْنِي . يُقَالُ : اسْتَشَلَّاهُ وَاسْتَشَلَّاهُ . وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ السَّارِقَ إِذَا قُطِعَ سَبْقَتُهُ يَدُهُ إِلَى النَّارِ ، فَإِنْ تَابَ اسْتَشَلَّاهَا » . قَالَ رُوَيْةٌ :

* إِنَّ سَلْمَانَ اشْتَلَّانَا ابْنَ عَلِيٍّ *

وَقَوْلُ النَّاسِ : « أَشْلَيْتُ كَلْبِي » أَى أَغْرَيْتُهُ بِالصِّيدِ ، خَطَأً ، إِنَّمَا يُقَالُ : آسَدْتُهُ ، وَأَشْلَيْتُهُ : دَعَوْتُهُ .

وَقَوْلُهَا : « بِيَدَيَّ مَلْحَادَةً » « مَفْعَالٌ » مِنَ الْإِلْحَادِ ، كَمَا تَقُولُ : رَجُلٌ مَعْطَاءٌ يَأْفَتِي ، وَمَحْسَانٌ ، وَمَكْرَامٌ ، وَأَدْخَلْتَ الْهَاءَ لِلْمُبَالَغَةِ ، كَمَا تُدْخِلُ فِي رَاوِيَةٍ وَعَلَامَةٍ وَنَسَابَةٍ .

« وَغُدْرَ » « فَعْلٌ » مِنَ الْغُدْرِ . وَلِـ « فَعْلٌ » بَابٌ نَذَرَهُ فِي عَقَبِ هَذِهِ الْقِصَّةِ . إِذَا فَرَعْنَا مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ .

وَالضَّرْغَامَةُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ .

وَالْهَصِرُ : الَّذِي يَهْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ ، أَى يَنْشِيهِ ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ هَصَرْتُ بَغْصَنِ ذِي شَمَارِيخٍ مِيَالٍ

وَلِذِكْرِنَا الصُّفْرِيَّةَ وَالْأَزَارِقَةَ وَالْبَيْهَسِيَّةَ وَالْإِبَاضِيَّةَ تَفْسِيرٌ ، لَمْ نَسِبْ إِلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ بِالْأَزَارِقَةِ ، وَإِلَى أَبِي بَيْهَسٍ بِالْكُنْيَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا . وَنَسِبَ إِلَيَّ صُفْرٌ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ وَاحِدِهِمْ ، وَنَسِبَ إِلَى ابْنِ إِبَاضٍ فَجَعَلَ النِّسْبُ إِلَى أَبِيهِ ؟ وَهَذَا نَذَرَهُ بَعْدَ بَابِ « فَعْلٌ » .

قال أبو العباس: ومما قيل من الشعر في يوم دُولَاب قولُ قطريّ:

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَلْطَمُ وَجْهَهَا
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ
غَدَاةَ طَفَّتْ عَلَمَاءُ بَكْرُ بْنُ وَأَثَلِ
وَكَانَ لَعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ جَدِّهَا
وِظَلَّتْ شَيْوُخُ الْأَزْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مُقْعَصًا
وَضَارِبَةً خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا إِلَهَهُ نَفُوسَهُمْ

وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أَمَّ حَكِيمٍ^(١)
شِفَاءً لِذِي بَثٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جَدُّ لَثِيمٍ
طَعَانُ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
وَأَحْلَافَهَا مِنْ يَحْصُبٍ وَسَلِيمٍ^(٢)
تَعُومُ وَظِلْنَا فِي الْجَلَادِ نَعُومُ^(٣)
يَمِجُّ دِمَاءٌ مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ^(٤)
أَغْرَ نَجِيبِ الْأَمَّهَاتِ كَرِيمٍ
لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدَيْرُ حَمِيمٍ^(٥)
تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
بِجَنَاتِ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

قوله: «ولو شهدتنا يوم دُولَاب» فلم ينصرف «دُولَاب» وإنما ذاك لأنه أراد
البلدة، ودُولَاب: أعجمي، مُعَرَّبٌ، وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجمية نكرة بغير

(١) أم حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطري. وكانت من أجمل النساء وجهًا، وأحسنهم بدينهم تمسكا.
كانت تحمل على الناس وترجز:

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ حَمْلَهُ وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

ألا فتى يحمل عني ثقله

(٢) يحصب بن مالك بن حمير؛ وسليم بن منصور. من قيس عيلان، وأصله مصغر وكبير للوزن.

(٣) في البيت إقواء.

(٤) المقعص: المطعون. والفائظ: من قولهم: فائظ الرجل إذا مات.

(٥) دير حميم: موضع بالأهواز.

الألفُ واللامُ، فإذا دخلته الألفُ واللامُ فقد صار مُعَرَّباً، وصار على قياس الأسماء العربية، لا يمنع من الصرف إلا ما يمنع العربي، فدولابُ «فوعال» مثلُ طومارٍ وسولاف. وكلُّ شيءٍ لا يَخُصُّ واحداً من الجنس من غيره فهو نكرة، نحو رجلٍ، لأن هذا الاسم يُلْحَقُ كل ما كان على بَنِيَّتِهِ، وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسمُ فى كلام العجم معرفةً فلا سبيلَ إلى إدخال الألف واللام عليه، لأنه معرفةٌ، فلا معنى لتعريف آخر فيه، فذلك غيرُ منصرفٍ، نحو فرعونَ وقارونَ. وكذلك إسحاق، وإبراهيم، ويعقوب.

وقوله :

* غَدَاةَ طَفَتْ عِلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ *

وهو يريدُ على الماءِ ، فإن العربَ إذا التَقَّتْ فى مثل هذا الموضعَ لامان استجازوا حذفَ إحداهما استقلالاً للتضعيف ، لأنَّ ما بقى دليلٌ على ما حُذِفَ، يقولون : «عِلْمَاءُ بَنُو فلان» كما قال الفرزدقُ :

وما سُبِقَ الْقَيْسِيُّ مِنْ ضَعْفِ حِيلَةٍ وَلَكِنْ طَفَتْ عِلْمَاءِ قُلْفَةٍ خَالِدٍ

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماء القبائل تظهر فيه لامُ المعرفة فإنهم يُجْزَوْنَ معه حذفَ النونِ التى فى قولك «بنو» لقرب مَخْرَجِ النون من اللام، وذلك قولك : فلانٌ من «بَلْحَارِثٍ» و «بَلْعَنْبَرٍ» ، «بَلْهَجِيمٍ».

وقال آخرُ من الخوارج :

يَرَى مَنْ جَاءَ يَنْظُرُ مِنْ دُجَيْلٍ شَيْوْخَ الْأَزْدِ طَافِيَةً لِحَاهَا (١)
وقال رجلٌ منهم :

شَمِتَ ابْنُ بَدْرٍ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ وَالْحَائِزُونَ بِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ
وَالْمَوْتُ حَتْمٌ لَا مَحَالَةَ وَقَعَ مَنْ لَا يَصْبَحُهُ نَهَاراً يَطْرُقُ
فَلَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَمَنْ يُصِيبُهُ يَخْلُقُ

(١) دجيل : نهر بالأهواز.

نَصَبَ بَعْدَ «إِنْ» لِأَنَّ حَرْفَ الْجَزَاءِ لِلْفِعْلِ، فَإِنَّمَا أَرَادَ: فَلْتَنُ أَصَابَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا حَذَفَ هَذَا الْفِعْلَ وَأَضْمَرَ ذَكَرَ «أَصَابَهُ» لِيَدُلَّ عَلَيْهِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّمِرِ
ابْنِ تَوَلَّبٍ:

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنَفِسًا أَهْلَكْتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَا لَا بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصْلِكَ جَازِرٌ^(١)
لِأَنَّ «إِذَا» لَا يَلِيهَا إِلَّا الْفِعْلُ، وَهِيَ بِهِ أَوْلَى.

(١) الوصل : واحد الأوصال ، وهى المفاصل .

هَذَا بَابُ «فُعَلَ»

اعلم أن كلَّ اسمٍ على مثال «فُعَلَ» فهو مصروفٌ في المعرفة والنكرة إذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً، فالأسماءُ نحو، صُرِدَ ونُغِرَ وجُعِلَ، وكذلك إن كان جمعاً، نحو: ظلمَ وغُرِفَ. وإن سَمَّيتَ بشيءٍ من هذا رجلاً انصرفَ في المعرفة والنكرة. وأما النَّعْتُ فنحو رجلٍ حُطِمَ، كما قال :

* قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطْمٍ *

وكذلك مالٌ لُبِدٌ، وهو الكثيرُ، من قوله جلَّ جلاله : ﴿أَهْلَكَ مَا لَا يُبْدَى﴾^(١).

فإن كان الاسمُ على «فُعَلَ» معدولاً عن «فَاعَلَ» لم ينصرف إذا كان اسمَ رجلٍ في المعرفة، وينصرف في النكرة، وذلك نحو: عَمَرَ وَقُتِمَ، لأنه معدولٌ عن عامرٍ، وهو الاسمُ الجارى على الفعل، فهذا ممَّا معرفته قبل نكرته، فإذا أُريدَ به مذهبُ المعرفة جاز أن تَبْنِيَه في النداء من كل فعلٍ، لأن المُنَادَى مُشَارٌ إليه، وذلك قولك : يا فُسْقُ، يا خُبْثُ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت : «يَبْدَى مِلْحَادَةٌ غُدْرٌ» في غير النداء للضرورة، فنقلته معرفةً من النداء، ثم جعلته نكرة لخروجه عن الإشارة، فنعتت به «مِلْحَادَةٌ» كما قال الحُطَيْيَةُ:

أَجَوُّلٌ مَا أَجَوُّلٌ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ

وهذا لا يقع إلا في النداء، ولكنَّ للشاعر نقله نكرةً ونقله معرفةً. على حدِّ ما كان له في النداء. فَيُلْحَقُ قولُها «غُدْرٌ» بقوله: رجلٌ حُطِمَ، ومالٌ لُبِدٌ، وما أشبهه، و «فَعَالٌ» في المؤنث بمنزلة «فُعَلَ» في المذكر، ولو سميت رجلاً «حُطْمًا» لصرفته، من قولك: هذا سَائِقٌ حُطْمٌ، لأنه قد وقع نكرة غير معدولٍ، فهو في النعوت بمنزلة «صُرِدَ» في الأسماء .

(١) سورة البلد .

هَذَا بَابُ النِّسْبِ إِلَى الْمُضَافِ

[النِّسْبُ إِلَى الْعِلْمِ الْمُضَافِ]

اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا نَسَبْتَ إِلَى عِلْمٍ مُضَافٍ فَالْوَجْهُ أَنْ تَنْسُبَ إِلَى الْأَسْمِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ: عَبْدِي، وَكَذَلِكَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ، فَإِنْ كَانَ الْأَسْمُ الثَّانِي أَشْهَرَ مِنَ الْأَوَّلِ جَازَ النَّسْبُ إِلَيْهِ، لِثَلَاثِ مَقَاصِدَ فِي النَّسْبِ التَّبَاسُّ مِنْ أَسْمٍ بِأَسْمٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي النَّسْبِ إِلَى عَبْدِ مَنَافٍ مَنَافِي، وَإِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ بَكْرِي.

وَقَدْ يَجُوزُ، وَهُوَ قَلِيلٌ، أَنْ تُبْنَى لَهُ مِنَ الْأَسْمِينَ اسْمًا عَلَى مِثَالِ الْأَرْبَعَةِ لِيَتَنَظَّمَ النَّسْبُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي النَّسْبِ إِلَى عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ عَبْدَرِي، وَفِي النَّسْبِ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ عَبْقَسِي.

[النِّسْبُ إِلَى الْمُضَافِ غَيْرِ الْعِلْمِ]

فَإِنْ كَانَ الْمُضَافُ غَيْرَ عِلْمٍ فَالنَّسْبُ إِلَى الثَّانِي عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي النَّسْبِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ زُبَيْرِي، لِأَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ إِنَّمَا صَارَ مَعْرِفَةً بِالزُّبَيْرِ، وَكَذَلِكَ النَّسْبُ إِلَى ابْنِ رَأْلَانَ رَأْلَانِي، فَلِذَلِكَ قَالُوا فِي النَّسْبِ إِلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ أَزْرَقِي، وَإِلَى أَبِي بَيْهَسٍ بَيْهَسِي.

[النِّسْبُ إِلَى الْجَمَاعَةِ]

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «صُفْرِي» فَإِنَّمَا أَرَادُوا الصُّفْرَ الْأَلْوَانَ، فَانْسَبُوا إِلَى الْجَمَاعَةِ. وَحَقُّ الْجَمَاعَةِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهَا أَنْ يَقَعَ النَّسْبُ إِلَى وَاحِدِهَا، كَقَوْلِكَ: مُهَلَّبِي. وَمُسَمْعِي، وَلَكِنْ جَعَلُوا «صُفْرًا» اسْمًا لِلْجَمَاعَةِ، ثُمَّ نَسَبُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَقُولُوا: أَصْفَرِي، فَيُنْسَبُ إِلَى وَاحِدِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الصُّفْرَ اسْمًا لِلْجَمَاعَةِ، كَمَا تُسَمَّى الْقَبِيلَةُ بِالْأَسْمِ الْوَاحِدِ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّسْبَ إِلَى الْأَنْصَارِ، أَنْصَارِي لِأَنَّهُ كَانَ عِلْمًا لِلْقَبِيلَةِ، وَكَذَلِكَ مَدَائِنِي. وَتَقُولُ فِي النَّسْبِ إِلَى الْأَبْنَاءِ مِنْ بَنِي سَعْدِ أَبْنَاوِي، لِأَنَّهُ اسْمٌ لِلْجَمَاعَةِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «الْأَزْرَقَةُ»، فَهَذَا بَابٌ مِنَ النَّسْبِ آخَرٌ، وَهُوَ أَنْ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِاسْمِ الْأَبِ، إِذَا كَانُوا يُنْسَبُونَ، وَنَظِيرُهُ الْمَهَالِبَةُ، وَالْمَسَامِعَةُ، وَالْمَنَادِرَةُ.

ويقولون: جاءني النَّمِيرُونَ والأَشْعَرُونَ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَمِيرًا وَأَشْعَرًا، فهذا يَتَّصِلُ فِي الْقِبَائِلِ، عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ.

وقد تُنْسَبُ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْوَاحِدِ عَلَى رَأْيٍ أَوْ دِينٍ، فَيَكُونُ لَهُ مِثْلُ نَسَبِ الْوَلَادَةِ، كَمَا قَالُوا أَزْرَقِيٌّ، لَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِ ابْنِ الْأَزْرَقِ، كَمَا تَقُولُ تَمِيمِيٌّ وَقَيْسِيٌّ لَمَنْ وَلَدَهُ تَمِيمٌ وَقَيْسٌ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ﴾^(١)، فَإِنَّمَا يَرِيدُ إِلْيَاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ، كَمَا قَالَ:

* قَدْنِيَّ مَنْ نَصَرَ الْحُسَيْنَ قَدْ *

يَرِيدُ أَبَا حُبَيْبٍ وَمَنْ مَعَهُ.

وقد يجتمعُ الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ فِي الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مَجَازَهُمَا وَاحِدًا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ عَلَى لَفْظِ أَحَدِهِمَا، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «الْعُمَرَانُ» لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «الْحُبِّيَّانُ» لِعَبْدِ اللَّهِ وَمُصْعَبٍ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ.

(١) سورة الصافات ١٣٠ .

عَادَةُ الْقَوْلِ فِي الْخَوَارِجِ

قال : والأزارقة لا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَقَالَتِهَا فِي دَارِ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْقَاتِلَ
رَجُلًا مُسْلِمًا ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : الْمُسْلِمُ حُجَّةُ اللَّهِ ، وَالْقَاتِلُ قَصْدٌ لِقَطْعِ الْحُجَّةِ .

[الأزارقة وولاية البصرة]

وَيُرْوَى أَنَّ نَافِعًا مَرَّ بِمَالِكِ بْنِ مَسْمَعٍ فِي الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ
وَبَنِي تَمِيمٍ ، وَنَافِعٌ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى حِمَالَةِ سَيْفِهِ وَقَالَ :
أَلَا تَنْصَرُنَا فِي حَرْبِنَا هَذِهِ ! فَقَالَ : لَا يَحِلُّ لِي ، قَالَ : فَمَا بَالُ مُؤْمِنِي بَنِي تَمِيمٍ
يَنْصَرُونَ كُفَّارَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ ! فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ إِلَى
الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِمَّنْ بِخَازَرَ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْمَاحُوزِ كَرِهَ بَنَةُ
الْقِتَالِ ، وَأَقَامَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ الْغَدَّانِي بِإِزَاءِ الْخَوَارِجِ ، يَنَاضِشُهُمْ عَلَى غَيْرِ وِلَايَةٍ ،
وَكَانَ يَقُولُ : مَا عَذَرْنَا عِنْدَ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِنْ وَصَلَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ وَنَحْنُ
دُونَهُمْ ! فَكَتَبَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ يَخْبِرُونَهُ بِقُعُودِ بَنَةِ ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُؤَلِّيَ
وَالِيًا ، فَكَتَبَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَكَتَبَ
إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ . فَلَقِيَهُ الْكِتَابُ وَهُوَ يَرِيدُ الْحَجَّ ، وَهُوَ
فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَرَجَعَ فَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ ، وَوَلَّى أَخَاهُ عُثْمَانَ مُحَارِبَةَ الْأَزَارِقَةِ ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَقِيَهُ حَارِثَةُ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْمَاحُوزِ
فِي الْخَوَارِجِ بِسُوقِ الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا عَبَرُوا إِلَيْهِمْ دُجِيلًا نَهَضَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ ، وَذَلِكَ
قَبِيلَ الظُّهَرِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِحَارِثَةَ بْنِ بَدْرِ : أَمَّا الْخَوَارِجُ إِلَّا مَا أَرَى !
فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ : حَسْبُكَ بِهِؤُلَاءِ ! فَقَالَ : لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَتَغَدَّى حَتَّى أَتَاجِرَهُمْ !
فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُقَاتِلُونَ بِلَتَعَسُفٍ ، فَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَجُنْدِكَ ، فَقَالَ :
أَبَيْتُمْ يَا (١) أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَّا جُبْنَا ! وَأَنْتَ يَا حَارِثَةُ ، مَا عَلِمَكَ بِالْحَرْبِ ؟ أَنْتَ وَاللَّهِ
بَغِيرَ هَذَا أَعْلَمُ ! يُعَرِّضُ لَهُ بِالشَّرَابِ . فَغَضِبَ حَارِثَةُ ، فَاعْتَزَلَ ، وَحَارَبَهُمْ عُثْمَانُ
يَوْمَهُ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَأَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْهُ قَتِيلًا ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ ، وَأَخَذَ
حَارِثَةُ الرَايَةَ ، وَصَاحَ بِالنَّاسِ : أَنَا حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ ، فَثَابَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَجَبَّرَ بِهِمْ
دُجِيلًا ، وَبَلَغَ قَتْلُ عُثْمَانَ الْبَصْرَةَ ؛ وَخَافَ النَّاسُ الْخَوَارِجَ خَوْفًا شَدِيدًا .

(١) ر : « أهل العراق » ؛ بحذف النداء .

وعَزَلَ ابن الزُّبَيْرِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، ووَلَّى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعةَ، المعروفَ بالقُبَاعِ، أحدَ بنى مَخْزُومٍ، وهو أخو عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بن أبي ربيعة المَخْزُومِيَّ الشَّاعِرَ، فَقَدِمَ البَصْرَةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ يَسْأَلُهُ الْوَلَايَةَ وَالْمَدَدَ، فَأَرَادَ تَوَلِّيَتَهُ^(١)، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ: إِنْ حَارِثَةُ لَيْسَ بِذَاكَ، إِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ شَرَابٍ^(٢)، وَفِيهِ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ^(٣):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ يُصَلِّي وَهُوَ أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ لِلْفَتَيَانِ حِظًّا وَحِظَّكَ فِي الْبَغَايَا وَالْقِمَارِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقُبَاعُ: تَكْفِينِي^(٤) حَرْبَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَقَامَ حَارِثَةُ يُدَافِعُهُمْ .

فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَذْكُرُ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَمُسْلِمَ بْنَ عُبَيْسٍ وَحَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ :

مَضَى ابْنُ عُبَيْسٍ صَابِرًا غَيْرَ عَاجِزٍ وَأَعْقَبَنَا هَذَا الْحِجَازِيُّ عُثْمَانُ
فَارْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللَّقَاءِ ابْنُ مَعْمَرٍ وَأَبْرَقَ وَالْبَرْقُ الْيَمَانِيُّ خَوَّانُ
فَضَحَتْ قُرَيْشًا غَثًّا وَسَمِينَهَا وَقِيلَ بَنُو تَيْمٍ بِنَ مَرَّةٍ عَزْلَانُ^(٥)
فَلَوْلَا ابْنُ بَدْرِ لِلْعِرَاقَيْنِ لَمْ يَقُمْ بِمَا قَامَ فِيهِ لِلْعِرَاقَيْنِ إِنْسَانُ
إِذَا قِيلَ مَنْ حَامِيَ الْحَقِيقَةَ أَوْمَاتَ إِلَيْهِ مَعَدُّ بِالْأَنْوَفِ وَقَحْطَانُ

قوله: «فَارْعَدَ»، زَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ خَطَأٌ، وَأَنَّ الْكُمَيْثَ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ:

أَرْعَدُ وَأَبْرَقُ يَا يَزِيدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرٍ
وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي يُرْوَى لَهْلَهْلٍ مُصْنُوعٌ مُحَدَّثٌ وَهُوَ قَوْلُهُ:

(١) ر : « أَنْ يُولِيَهُ » .

(٢) ر : « صَاحِبٌ » .

(٣) نسبهِ المِرْصَفِيُّ إِلَى عِلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَازِنِيِّ .

(٤) ر : « تَكْفِينِي » .

(٥) عَزْلَانُ : جَمْعُ أَعْزَلَ ؛ وَهُوَ مِنْ لَا سِلَاحَ مَعَهُ .

أَنْبَضُوا مَعْجَسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقْنَا كَمَا تُرْعَدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا^(١)
 وأنه لا يُقال إلا «رَعَدَ وَبَرَقَ» إذا أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ، وهو «يَرْعُدُ وَيَبْرُقُ» وكذا
 يُقال: رَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ، وأرْعَدْنَا نحن وأَبْرَقْنَا، إذا دَخَلْنَا فِي الرَّعْدِ وَالبَرَقِ،
 قال الشاعر:

* فقل لأبي قابوس ما شئتَ فارْعُدْ *

ورَوَى غيرُ الأصمعي «أرْعَدَ وَأَبْرَقَ» على ضَعْفٍ.

قوله: «والبَرَقُ اليمانيُّ خَوَّانٌ»، يريد والبرقُ اليمانيُّ يخونُ. وأجودُ النَّسَبِ
 إلى اليمنِ «يَمَنِيٌّ» ويجوزُ «يَمَانٌ» بتخفيف الياء، وهو حَسَنٌ، وهو في أكثر الكلامِ،
 تَكُونُ الألفُ عَوَضاً من إحدى الياءين، ويجوزُ «يَمَانِيٌّ» فاعلم، تكونُ الألفُ
 زائدةً وتُشدُّدُ الياءُ، قال العباسُ بن عبد المطلب:

ضَرَبْنَاَهُمْ ضَرْبَ الْأَحَاسِ غُدُوَّةً بَكَلَّ يَمَانِيٌّ إِذَا هَزُّ صَمَمَا^(٢)

[تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم]

ثم إنَّ حارثةً لما تفرَّقَ الناسُ عنه أقامَ بنهر تيرى، فعَبَّرَتْ إليه الخوارجُ،
 فهِرَبَ وأصحابه يَرْكُضُ، حتى أتى دُجَيْلاً، فجلس في سفينة، واتَّبَعَهُ جماعةٌ من
 أصحابه، فكانوا معه، وأتاه رجلٌ من بني تميم وعليه سلاحه، والخوارجُ وراءه وقد
 تَوَسَّطَ حارثةً، فصاح به: يا حارث؛ ليس مثلى ضيِّعَ، فقال للملاح: قَرِّبْ.
 فقَرَّبَ إلى جُرْفٍ، ولا فُرْصَةَ هناك^(٣).

فطَفَّرَ^(٤) بسلاحه في السفينة، فساخَتْ بالقوم جميعاً، وأقام ابنُ المَاحُوزِ
 يَجْبِي كُورَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ، ثم وَجَّهَ الزُّبَيْرُ بن عليٍّ نحوَ البصرة. فضجَّ الناسُ
 إلى الأحنف، فأَتَى القُبَاعَ فقال: أصلحَ اللهُ الأمير! إن هذا العدوَّ قد غَلَبَنَا على
 سِوَادِنَا وفَيْسِنَا، فلم يبقَ إلَّا أنْ يَحْصُرَنَا في بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً، قال: فسَمُّوا
 رَجَلاً، فقال الأحنف: الرَّأْيُ لا يُخِيلُ^(٥)، ما أرى لها إلا المَهْلَبَ بن أبي صَفْرَةَ،

(١) الإنباض: جذب الوتر ليرن، ومعجس القوس: مقبضها، أو موضع السهم منها.

(٢) الأحاس: جمع أحمس، وهو الشديد الصلب في الدين والقتال.

(٣) الجرف: ما أكله السيل من أسفل شقى الوادى والنهر. والفرصة: ثلثة في النهر يسقى منها.

(٤) طفر: وثب. (٥) لا يخيل: لا يشتبه.

فقال: أو هذا رأى جميع أهل البصرة! اجتمعوا إلى في غد، وجاء الزبير حتى نزل الفرات، وعقد الجسر ليعبر إلى ناحية البصرة، فخرج أكثر أهل البصرة إليه.

وقد اجتمع للخوارج أهل الأهواز وكورها، رغبة ورهبة، فأتاه البصريون في السفن وعلى الدوابخ ورجالة. فاسودت بهم الأرض، فقال الزبير لما رآهم: أبى قومنا إلا كفرأ، فقطع^(١) الجسر، وأقام الخوارج بالفرات بإزائهم، واجتمع الناس عند القبايع، وخافوا الخوارج خوفاً شديداً، وكانوا ثلاث فرق، فسَمَّى قوم المهلب، وسَمَّى قوم مالك بن مسمع، وسَمَّى قوم زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي، فصرفهم، ثم اختبر ما عند مالك وزياد، فوجدهما مُتثاقلين عن ذلك^(٢)، وعاد إليه من أشار بهما وقالوا: قد رجعنا عن رأينا، ما نرى لها إلا المهلب، فوجه الحارث إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيد، قد ترى ما رهقنا^(٣) من هذا العدو، وقد اجتمع أهل مصرك عليك، وقال الأحنف: يا أبا سعيد، إنا والله ما آثرناك بها ولكننا لم نر من يقوم مقامك. فقال الحارث - وأوماً إلى الأحنف - إن هذا الشيخ لم يسمك إلا إشاراً للدين، وكل من في مصرك ما دعوت^(٤) إليه، على شروط أشرطها. قال الله عز وجل هذه الغمة بك، فقال المهلب: لا حول ولا قوة إلا بالله، إني عند نفسي لدون ما وصفتكم، ولست أياً ما دعوت^(٤) إليه، على شروط أشرطها. قال الأحنف: قل، قال: على أن أنتخب من أحببت، قال: ذاك لك، قال: وكى إمرة كل بلد أغلب عليه، قال: وذاك لك، قال: وكى في كل بلد أظفر به.

قال الأحنف: ليس ذاك لك ولا لنا، إنما هو في المسلمين، فإن صلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم، ولكن لك أن تعطى أصحابك من في كل بلد تغلب عليه ما شئت. وتنفق^(٥) منه ما شئت^(٥) على محاربة عدوك، فما فضل عنكم كان للمسلمين. فقال المهلب: فمن لى بذلك؟ قال الأحنف: نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك، قال: قد قبلت.

(٢) ر: «عن ذاك» .

(٤) س: «مما دعوتكم» .

(١) ر: «فقطعوا» .

(٣) رهقنا: أتعبنا .

(٥-٥) ساقط من ر .

فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يَدَي الصَّلْتِ بن حُرَيْث بن جابر الحنفى، وانتخب المهلب من جميع الأخماس، فبلغت نخبته اثني عشر ألفاً، ونظروا ما فى بيت المال، فلم يكن إلا مائتى ألف درهم، فعجزت، فبعث المهلب إلى التجار: إن تجارتكم منذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم، فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم إن شاء الله حقوقكم، فتاجروه، فأخذ من المال ما يصلح به عسكره، واتخذ لأصحابه الخفاتين والرئات المحشوة بالصوف.

ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة، حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت، فما ارتفع النهار حتى فرغ منها، ثم أمر الناس بالعبور إلى القرات، وأمر عليهم ابنه المغيرة، فخرج الناس، فلما قاربوا الشاطئ خاضت إليهم الخوارج، فحاربهم المغيرة ونضحهم^(١) بالسهم حتى تنحوا، فصار هو وأصحابه على الشاطئ، فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم، حتى عقد المهلب الجسر، وعبر الخوارج منهزمون، فنهى الناس عن اتباعهم، ففى ذلك يقول شاعر من الأزد:

إنَّ العراقَ وأهلَه لم يخبروا مثلُ المهلبِ فى الحروبِ فسَلَّمُوا
أَمْضَى وَآيَمَنُ فى اللِّقَاءِ نَقِيبَةَ وأَقْلَّ تَهْلِيلًا إذا ما أَحْجَمُوا
التَّهْلِيلُ: التَّكْذِيبُ^(٢) والانهزام.

وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العبى، وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم، فقال عطية:

يُدْعَى رَجَالٌ لِلْعَطَاءِ وَإِنَّمَا يُدْعَى عَطِيَّةٌ لِلطَّعَانِ الْأَجْرَدِ
وقال الشاعر:

وما فارسٌ إلا عطية فوقه إذا الحربُ أبَدَتْ عن نواجزها الفَمَا
به هزمَ اللهُ الأزارِقَ بعدمَا أباحُوا من المِصرِّينَ حِلاًَّ ومَحْرَمًا

فأقام المهلب أربعين يوماً يجبى الخراج بكور دجلة، والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز، فقضى المهلب التجار

(١) نضحهم بالسهم: رماهم بها.

(٢) قال المصنفى: «التكذيب: مصدر كذب فى القتال إذا فر ونكس».

وَأَعْطَى أَصْحَابَهُ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ رَغْبَةً فِي مَجَاهِدَةِ الْخَوَارِجِ، وَلَمَّا فِي الْغَنَائِمِ، وَلِلتَّجَارَاتِ، فَكَانَ فِيْمَنْ أَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِيَّاحٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ الْمُرِّي - وَكَانَ يَقُولُ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ - : لَوْ جَاءَ الدَّيْلَمُ مِنْ هَاهُنَا وَالْحَرُورِيَّةُ مِنْ هَاهُنَا لَحَارِبْتُ الْحَرُورِيَّةَ - وَأَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِيُّ كَانَ يَقُولُ: وَكَانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتِلُ الْحَرُورِيَّةِ يُفْضَلُ قَتْلُ غَيْرِهِمْ بَعَشْرَةَ أَنْوَارٍ.

ثُمَّ نَهَضَ الْمَهْلَبُ إِلَيْهِمْ إِلَى نَهْرِ تَبَرِي. فَتَنَحَّوْا عَنْهُ إِلَى الْأَهْوَازِ. وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ يَجْبِي مَاحْوَالِيَهُ مِنَ الْكُورِ، وَقَدْ دَسَّ الْجَوَاسِيسَ إِلَى عَسْكَرِ الْخَوَارِجِ، فَأَتَوْهُ بِأَخْبَارِهِمْ وَمَنْ فِي عَسْكَرِهِمْ، فَإِذَا حُشُوءٌ^(١)؛ مَا بَيْنَ قَصَّارٍ وَصَبَّاحٍ وَدَاعِرٍ وَحَدَّادٍ. فَخَطَبَ الْمَهْلَبُ النَّاسَ فَذَكَرَ مَنْ هُنَاكَ وَقَالَ لِلنَّاسِ: أُمِّثْلُ هَؤُلَاءِ يَغْلِبُونَكُمْ عَلَى فَيْئِكُمْ! فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا حَتَّى فَهِمَهُمْ وَأَحْكَمَ أَمْرَهُ، وَقَوَّى أَصْحَابَهُ، وَكَثُرَتِ الْفُرْسَانُ فِي عَسْكَرِهِ، وَتَنَامَ إِلَيْهِ زُهَاءُ عَشْرِينَ أَلْفًا.

ثُمَّ مَضَى يَوْمٌ سَوَّقَ الْأَهْوَازِ، فَاسْتَخَلَفَ أَخَاهُ الْمُعَارِكُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى نَهْرِ تَبَرِي، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبِ، حَتَّى قَارَبَهُمُ الْمَغِيرَةُ، فَتَأَوَّسُوهُ، فَانْكَشَفَ عَنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَثَبَّتَ الْمَغِيرَةُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ، يُوقِدُ النَّيْرَانَ ثُمَّ غَادَاهُمُ الْقِتَالُ، فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ أَوْقَدُوا النَّيْرَانَ فِي ثِقَلَةٍ مَتَاعِهِمْ، وَارْتَحَلُوا عَنْ سَوَاقِ الْأَهْوَازِ، فَدَخَلَهَا الْمَغِيرَةُ، وَجَاءَتْ أَوَائِلُ خَيْلِ الْمَهْلَبِ، فَأَقَامَ بِسَوَاقِ الْأَهْوَازِ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّا مِنْذُ خَرَجْنَا نَوْمٌ هَذَا الْعَدُوَّ فِي نَعَمٍ مِنَ اللَّهِ مُتَّصِلَةٌ عَلَيْنَا، وَنِقْمَةٌ مِنَ اللَّهِ مُتَّابِعَةٌ عَلَيْهِمْ، نَقْدُمُ وَيُحْجِمُونَ، وَنَحُلُّ وَيَرْتَحِلُونَ، إِلَى أَنْ حَلَلْنَا سَوَاقِ الْأَهْوَازِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ النُّصْرُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَارِثُ: هَنِيئًا لَكَ أَخَا الْأَزْدِ، الشَّرَفُ فِي الدُّنْيَا، وَالذَّخْرُ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ !

فَقَالَ الْمَهْلَبُ لِأَصْحَابِهِ: مَا أَجْفَى أَهْلَ الْحِجَازِ! أَمَا تَرَوْنَهُ عَرَفَ^(٢) اسْمِي وَاسْمَ أَبِي وَكُنْيَتِي !

(٢) ر : « يعرف » .

(١) حشوة الناس : رذالهم .

وكان المهلبُ يَبْتُ الأَحْرَاسَ فِي الأَمْنِ، كما يَبْتُهُمْ^(١) فِي الخَوْفِ، وَيُذَكِّي العُيُونَ فِي الأَمْصَارِ، كما يُذَكِّيها فِي الصَّحَارَى، وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّحَرُّزِ، وَيُخَوِّفُهُمُ الْبَيَّاتَ^(٢)، وَإِنْ بَعُدَ مِنْهُمْ الْعَدُوُّ، وَيَقُولُ: أَحْذَرُوا أَنْ تُكَادُوا كَمَا تَكِيدُونَ، وَلَا تَقُولُوا: هَزَمْنَا وَعَلَبْنَا، فَإِنَّ الْقَوْمَ خَائِفُونَ وَجِعُونَ، وَالضَّرُورَةُ تَفْتَحُ بَابَ الْحِيلَةِ، ثُمَّ قَامَ فِيهِمْ خَطِيباً فَقَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ مَذْهَبَ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ، وَأَنْهُمْ إِنْ قَدَرُوا عَلَيْكُمْ فَتَنُوكُمْ فِي دِينِكُمْ وَسَفَكُوا دِمَاءَكُمْ، فَقَاتِلُوهُمْ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ أَوْلَاهُمْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ لَقِيَهُمْ قَبْلَكُمْ الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ، وَالْعَجَلُ الْمَفْرُطُ عَثْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالْمَعْصِي الْمَخَالِفُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ، فَقَتَلُوا جَمِيعاً وَقَتَلُوا. فَالْقَوْمُ بَجْدٌ وَحَدٌّ، فَإِنَّمَا هُمْ مَهْتَكُمُ وَعَبِيدُكُمْ، وَعَارٌ عَلَيْكُمْ، وَنَقْصٌ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَدْيَانِكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ هَؤُلَاءِ عَلَى فَيْئِكُمْ، وَيَطْثُوا حَرِيمَكُمْ.

ثُمَّ سَارَ يُرِيدُهُمْ، وَهُمْ بِمَنَازِرِ الصُّغْرَى، فَوَجَّهَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ الْمَاحُوزِ رَئِيسَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ وَقْدٌ، مَوْلَى لَالِ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ سَبِي الْجَاهِلِيَّةِ، فِي خَمْسِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ، إِلَى نَهْرِ تِيرَى، وَبِهَا الْمَعَارِكُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، فَنَمِيَ الْخَبْرُ إِلَى الْمُهَلَّبِ. فَوَجَّهَ ابْنَهُ الْمَغِيرَةَ فَدَخَلَ نَهْرَ تِيرَى وَقَدْ خَرَجَ وَقَدْ مِنْهَا، فَاسْتَنْزَلَهُ وَدَفَنَهُ، وَسَكَنَ النَّاسُ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا، وَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ وَقَدْ حُلَّ بِسُؤْلَافٍ^(٢)، وَالْخَوَارِجُ بِهَا، فَوَاقَعَهُمْ، وَجَعَلَ عَلَى بَنِي تَمِيمِ الْحَرِيشِ بْنِ هَلَالٍ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْإِسْكَافُ، فَجَعَلَ يَحْضُ النَّاسَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ صَفْرَاءُ، فَجَعَلَ يَأْتِي الْمِيمَةَ وَالْمَيْسِرَةَ وَالْقَلْبَ، فَيَحْضُ النَّاسَ وَيُهَوِّنُ أَمْرَ الْخَوَارِجِ، وَيَخْتَالُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لِأَصْحَابِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، هَلْ لَكُمْ فِي فَتْكَةِ فِيهَا أُرِيحِيَّةٌ؟

فَحَمَلَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ عَلَى الْإِسْكَافِ فَقَاتَلَهُمْ وَحَدَّهَ فَارِسًا، ثُمَّ كَبَا بِهِ فَرَسَهُ^(٣) فَقَاتَلَهُمْ رَاجِلًا، قَائِمًا وَبَارِكَا، ثُمَّ كَثُرَتْ بِهِ الْجَرَاحَاتُ، فَذَبَبَ بِسَيْفِهِ، وَجَعَلَ يَحْثُو

(١) الْبَيَّاتُ : الْإِيْقَاعُ بِالْقَوْمِ وَهُمْ غَارُونَ .

(٢) سُؤْلَافٌ : قَرْيَةٌ غَرْبِيَّةٌ دَجِيلٌ .

(٣) كَبَا بِهِ الْفَرَسُ : أَيْ عَثَرَ .

الترابَ في وجوههم، والمهلبُ غيرُ حاضر، ثم قُتلَ رحمه الله ، وحَضَرَ المهلبُ فأخبر. فقال للحريش وعطية العنبري: أأسلمتُمَا سيدَ أهلِ العسكرِ، لم تُعيناه ولم تستنقِذاهُ حسداً له، لأنه رجلٌ من الموالى! وبَيَّحَهُمَا وَحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتله، فحمل عليه المهلبُ فطعنه وقتله، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكرِ، فانهزمَ الناسُ، وقتلوا سبعين رجلاً وثبتَ المهلبُ وأبلى المغيرةُ يومئذٍ وعُرفَ مكانه، ويقال: حاصَ المهلبُ يومئذٍ حيصَةً^(١). وتقولُ الأزدُ: بل كان يردُّ المنهزمةَ ويحمي أديبارهم، فقال رجلٌ من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن كعب ابن سعد بن مناة بن تميم:

بسولافٍ أضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتَ عَلَى مُوَأَشِكَةٍ دُرُورِ

قوله: «موأشكة» يريدُ سريعةً. ويقال: نحنُ على وشكٍ رحيلٍ. ويقال: ذَمِيلٌ مُوَأَشِكٌ، إذا كان سريعاً، قال ذو الرُّمَّة:

إذا مَا رَمَيْنَا رَمِيَةً فِي مَفَازَةٍ عَرَّاقِيهَا بِالشَّيْطُمَى الْمُوَأَشِكِ^(٢)
وَدُرُورُ: «فَعُولٌ» مِنْ دَرَّ الشَّيْءُ. إذا تَتَابَعَ.
وقال رجلٌ من بني تميم آخر:

تَبَعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعاً يُزَجِّي كُلُّ أَرْبَعَةٍ حَمَاراً^(٣)
فِيَا نَذْمِي عَلَيَّ تَرْكِي عَطَائِي مُعَايِنَةً وَأَطْلُبُهُ ضَمَاراً
إذا الرَّحْمَنُ يَسِّرْ لِي قُفُولاً فَحَرَّقَ فِي قَسْرَى سُولَافِ نَاراً

قوله: «الأعور الكذاب». يعني المهلبَ، ويقال: عارتُ عينه بسهمٍ كان أصابها، وقال: «الكذاب» لأن المهلبَ كان فقيهاً. وكان يعلمُ ما جاء عن رسولِ الله ﷺ من قوله: «كُلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إِلَّا ثَلَاثَةٌ: الكَذِبُ فِي الصَّلَاحِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وكَذِبُ الرَّجُلِ لِمَرْأَتِهِ يَعِدُهَا، وكَذِبُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ». وجاء عنه ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ فَخَذَّلْ عَنَّا فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خُدْعَةٌ».

(١) حاص حيصه: أى جال جولة يطلب بها الفرار.

(٢) الشيطمي: الطويل الجسم.

(٣) يزجي: يسوق.

وقال عليه السلام فى حرب الخندق لسعد بن عباد وسعد بن معاذ. وهما سيدا الحيين. الخزرج والأوس: «إيتيا بنى قريظة. فإن كانوا على العهد فأعلننا بذلك وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فألحنا لى لحنا أعرفه. ولا تفتأ فى أعضاء المسلمين. فرجعا بغدر القوم فقالا: يارسول الله عضل والقارة، قال: فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: «أبشروا فإن الأمر ما تحبون».

[قال الأخفش: سألت البرد عن قولهما: «عضل والقارة» فقال: هذان حيان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله ﷺ. فأرادا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين].

قال أبو العباس: فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج، فكان حى من الأزديقال لهم الندب إذا رأوا المهلب راتحا إليهم قالوا: قد راح المهلب ليكذب! وفيه يقول رجل منهم:

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب فى الفين، فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف، فخطب أصحابه فقال: والله ما بكم من قلة، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع، فإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، فسيروا إلى عدوكم على بركة الله.

فقام إليه الحريش بن هلال فقال: أنشدك الله (١) أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك! فإن بالقوم جراحاً وقد أنختهم هذه الجولة.

فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة. فأشرف على عسكر الخوارج. فلم ير منهم أحداً يتحرك. فقال الحريش: ارتحل عن هذا الموضع، فارتحل. فعبر دجيلاً، وصار إلى عاقول (٢) لا يؤتى إلا من وجه واحد. فأقام به واستراح الناس ثلاثاً، وقال ابن قيس الرقيات:

(١) أنشدك الله: أى أذكرك الله.

(٢) العاقول: الأرض لا يهتدى لها.

ألا طرقتُ من آل بثةَ طارقَه^(١) على أنها معشوقةُ الدَّلِّ عاشقَه
تبيت وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وبينها وسُولا فُ رُسْتافُ حَمَتَه الأزارقَه
إذا نحن شِئْنَا صادَقْتَنَا عصابةُ حُروريةُ أَضَحَتْ من الدِّينِ مارقَه
أجازتْ إلينا العسْكَرَيْنِ كليهما فباتتْ لنا دُونَ اللَّحافِ مُعانِقَه

وقد ذكرنا «الضَّمَارَ» ومعناه الغائبُ، وأصله من قولك: «أَضْمَرْتُ الشَّيْءَ»
أى أَخْفَيْتُهُ عَنْكَ، ويقال: مالٌ عَيْنٌ، للحاضر، ومالٌ ضِمَارٌ للغائب، قال
الأعشى:

وَمَنْ لَا تَضِيعُ لَهُ ذِمَّةٌ فَيَجْعَلُهَا بَعْدَ عَيْنِ ضِمَارًا
وقال أيضاً :

أبانا فَلَا رَمْتَ مِنْ عِنْدَنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ
أَرانا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبَلَا دُ تُجْفَى وتَقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمُ

والفعلُ من هذا أَضْمَرَ يُضْمِرُ، والمفعولُ به مُضْمَرٌ، والفاعلُ مُضْمَرٌ،
والضَّمَارُ اسمٌ للفعل في معنى الإضمار، وأسماءُ الأفعال تَشْرِكُ المصادرَ في
معانيها، تقول: أعطيته عطاءً، فَيَشْرِكُ العطاءُ الإِعْطاءَ في معناه. ويُسمَّى به
المفعولُ، وتقول: كَلَمْتُهُ تَكْلِيماً وكَلَاماً، في معناه، والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ في
قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرمٌ، ورجلٌ نومٌ. ويومٌ غمٌ وغيمٌ، وينعتُ به المفعولُ
في قولك: رجلٌ رضى. وهذا درهمٌ ضَرَبَ الأمير. وجاءنى الخلقُ، تعنى
المخلوقين.

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليوم :
وكائنُ تركنا يومَ سُولا فِ مِنْهُمْ أسارى وقتلى فى الجحيمِ مَصِيرُها
وقوله : «وكائنُ» معناه «كمُ». وأصله كافُ التشبيه دخلتْ على «أى» فصارتا
بمنزلةِ «كم». ونظيرُ ذلك له كذا وكذا درهماً. إنما هى «ذا» دخلتْ عليها الكاف،
والمعنى له كهذا العدد من الدراهم، فإذا قال: له كذا كذا درهماً، فهو كناية عن

(١) ر : «بببة» : س . «مبة» . وما أثبتته رواية الأصل .

أَحَدَ عَشَرَ دَرَهْمًا إِلَى تِسْعَةِ عَشَرَ، لِأَنَّهُ ضَمَّ الْعَدَدَيْنِ، فَلِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ أَحَدٍ وَعَشْرَيْنِ إِلَى مَا جَازَ فِيهِ الْعَظْفُ بَعْدَهُ. وَلَكِنْ كَثُرَتْ «كَأَيٌّ» فَخَفَّفَتْ وَالتَّخْفِيفُ الْأَصْلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَايٌ مِنْ قُرْبَةٍ أُمْلِيتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(١) «وَكَايٌ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ»^(٢)، وَقَدْ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَائِنْ رَدَدْنَا عَنْكُمْ مِنْ مَدَجِّجٍ يَجِيءُ أَمَامَ الْأَلْفِ يَرْدِي مُقْنَعًا^(٣)
وَقَالَ آخَرُ:

وَكَائِنْ تَرَى يَوْمَ الْغُمَيْصَاءِ مِنْ فَتَى أَصِيبَ وَلَمْ يَجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحًا^(٤)
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَهَذَا أَكْثَرُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، لَطَلَبُ التَّخْفِيفِ. وَذَلِكَ الْأَصْلُ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقْلِبُ يَقُولُ: «كَيْيٌ» يَافَتِي، فَيُؤَخِّرُ الْهَمْزَةَ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَيِيٌّ فِي بَنِي دُودَانَ مِنْهُمْ غَدَاةَ الرُّوْعِ مَعْرُوفًا كَمِيٌّ
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: فَأَقَامَ الْمَهْلَبُ فِي ذَلِكَ الْعَاقُولِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ. وَالخَوَارِجُ بِسَلَّى وَسَلَّيَ.

[قَالَ الْأَخْفَشُ: «سَلَّى» وَ «سَلَّيَ» بِفَتْحِ السِّينِ فِيهِمَا: مَوْضِعَانِ بِالْأَهْوَازِ، وَ «سَلَّى» بِكَسْرِ السِّينِ مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ، وَكَذَا يُنْشَدُ هَذَا الْبَيْتُ:
كَأَنَّ غَدِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سَلَّى نَعَامٌ قَاقٌ فِي بَلَدٍ قِفَارٍ

فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُمْ، فَقَالَ ابْنُ الْمَاحُوزِ لِأَصْحَابِهِ: مَا تَنْتَظِرُونَ بَعْدُكُمْ وَقَدْ هَزَمْتُمُوهُمْ بِالْأَمْسِ وَكَسَرْتُمْ حَدَّهُمْ؟ فَقَالَ لَهُ وَافِدٌ مَوْلَى أَبِي صُفْرَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا تَفَرَّقَ عَنْهُمْ أَهْلُ الضَّعْفِ وَالْجُبْنِ، وَبَقِيَ أَهْلُ النُّجْدَةِ وَالْقُوَّةِ، فَإِنْ

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ١٤٦ .

(١) سُورَةُ الْحَجِّ ٤٨ .

(٣) يَرْدِي: يَعْدُو. وَالْمَقْنَعُ: الْمَغْطَى بِالسِّلَاحِ.

(٤) الْغُمَيْصَاءُ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ قَرِبَ مَكَّةَ.

أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئاً، لأنى أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا، فإن غلبوا ذهب الدين، فقال أصحابه: نافق وافد، فقال ابن الماحوز: لا تعجلوا على أخيكم، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم، ثم توجه الزبير بن على إلى عسكر المهلب لينظر ما حالهم، فأتاهم فى مائتين، فحزّهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس، حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعبئة صحيحة، فالتقوا بسلى وسلبرى فتصافوا، فخرج من الخوارج مائة فارس، فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها، وأخرج إليهم المهلب عدادهم، ففعلوا مثل ما فعلوا، لا يريون إلا لصلاة حتى أمسوا، فرجع كل قوم إلى معسكرهم، ففعلوا هذا ثلاثة أيام.

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث، فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة. ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل قطعنه، فحمل عليه المهلب قطعنه، فحمل الخوارج بأجمعهم، كما صنعوا يوم سولاف، فضعضوا الناس، وفقد المهلب. وثبت المغيرة فى جمع أكثرهم أهل عمان، ثم نجم المهلب^(١) فى مائة فارس. وقد انغمست كفاه فى الدم، وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر^(٢) محشوة قزاً. وقد تمزقت، وإن حشوها ليطاير، وهو يلث، وذلك فى وقت الظهر، فلم يزل يحاربهم إلى الليل، حتى كثر القتل فى الفريقين.

فلما كان الغد غاداهم، وقد كان وجهه بالأمس رجلاً من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الأزد يرد المنهزمين، فمر به عامر بن مسمع فردّه، فقال: إن الأمير أذن لى، فبعث إلى المهلب فأعلمه، فقال: دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضّعف، وقد تفرق أكثر الناس، فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بكم من قلة، أيعجز أحدكم أن يرمى رمحه ثم يتقدم فيأخذه، ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش، وقال المهلب لأصحابه: أعدوا مخابى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة. فإنها تصدّ الفارس وتصرع الراجل، ففعلوا، ثم أمر منادياً ينادى فى أصحابه، يأمرهم بالجد والصبر، ويطمعهم فى العدو، ففعل، حتى مرّ ببني العدوية، من بنى مالك بن حنظلة فضربوه، فدعا

(١) نجم : ظهر .

(٢) المغفر : ما يقى الرأس : وهو حلق يتقنع بها المسلح .

المهلبُ بسيدهم، وهو معاوية بن عمرو فَجَعَلَ يَرْكُضُهُ^(١) برجله، وهذا معروفٌ في الأزد، فقال: أصلح الله الأمير! أعفني من أمِّ كَيْسَانَ - والركبةُ تُسميها الأزدُ «أمَّ كَيْسَانَ». ثم حمل المهلبُ وحملوا. فاقتتلوا قتالاً شديداً. فجهد الخوارجُ، فنادى مُناديهم: ألا إنَّ المهلبَ قد قُتِلَ! فركبَ المهلبُ برذوناً قصيراً أشهبَ. وأقبلَ يركضُ بين الصَّفَّينِ، وإنَّ إحدى يديه لَفَى القباءَ وما يشعرُ بها. وهو يصيحُ أنا المهلبُ! فسكنَ الناسُ بعدَ أن كانوا قد ارتأبوا، وظنُّوا أنَّ أميرهم قد قُتِلَ، وكلَّ الناسُ مع العَصْر، فصاحَ المهلبُ بابنه المغيرة: تقدَّم. ففعل. وصاحَ بذكوان مولاة. قدَّم رَأَيْتَكَ. ففعل. فقال له رجلٌ من وكده: إنك تُغرِّرُ بنفسك، فدَمَرَهُ^(٢) ثم صاح: يا بني تميم، أأمرُكم فتعصوني! فتقدَّم وتقدم الناسُ، واجتَلَدُوا أشدَّ جِلاَد، حتى إذا كان مع المساء قَتَلَ ابْنُ المَاحُوز. وانصرفَ الخوارجُ ولم يشعرَ المهلبُ بقتله، فقال لأصحابه: ابغوني رجلاً جَلْدًا يَطُوفُ فِي القَتْلِ، فأشاروا عليه برجلٍ من جَرَم، وقالوا: إنَّا لم نَر رجلاً قط أشدَّ منه، فَطُوفَ ومعه النَّيرانُ، فَجَعَلَ إذا مرَّ بجريحٍ من الخوارج قال: كافر وربُّ الكعبة! فأجهزَ عليه. وإذا مرَّ بجريحٍ من المسلمين أمرَ بسقيهِ وحملهُ.

وأقام المهلبُ في عسكره يأمرهم بالاحتِراس، حتى إذا كان نصفُ الليل وَجَّهَ رجلاً من اليَحْمَد. في عشرة فصاروا إلى عسكر الخوارج، فإذا القومُ قد تَحَمَّلُوا إلى أَرْجَان، فرجعَ إلى المهلب فأعلمه، فقال: أنا لَهُم السَّاعَةُ أشدُّ خوفاً. فاحذروا البَيَّات.

[قال الأَخْفَشُ: أَلِيْحَمْدُ من الأزد. والخليلُ من بَطْنٍ منهم يقال لَهُم الفَراهِيد. والفَرُهودُ فِي الأصلِ الحِملُ، فَإِنْ نَسَبْتَ إِلَى الحَيِّ قُلْتَ: «فَرَاهِدِي»، وَإِنْ نَسَبْتَ إِلَى الحِمْلَانِ قُلْتَ: «فَرُهودِي» لا غَيْرُهُ].

قال أبو العباس: ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوماً: إن هؤلاء الخوارج قد يسؤوا من ناحيتكم إلا من جهة البَيَّات. فإن كان ذلك

(٢) ذمته: حضه.

(١) الركل: الرفس بالرجل.

فاجعلوا شعاركم «حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ» فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِهَا، وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ شِعَارَ أَصْحَابِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْمُهَلَّبُ غَدَاً عَلَى الْقَتْلَى، فَأَصَابَ ابْنَ الْمَاحُوزِ فِيهِمْ:

فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ:

بِسِلِّي وَسَلْبِرِي مَصَارِعُ فِتْيَةٍ كِرَامٍ وَجَرَحِي لَمْ تُوسِدْ خُدُودَهَا
وَقَالَ آخَرُ:

بِسِلِّي وَسَلْبِرِي مَصَارِعُ فِتْيَةٍ كِرَامٍ وَعَقْرَى مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ (١)

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي الْمُهَلَّبِ: لَقَدْ صَرَعْتُ يَوْمَئِذٍ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَةً. رَمِيتُ بِهِ رَجُلًا فَأَصَبْتُ أَصْلَ أَذْنِهِ فَصَرَعْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ الْحَجَرَ فَضَرَبْتُ بِهِ آخَرَ عَلَى هَامَتِهِ فَصَرَعْتُهُ، ثُمَّ صَرَعْتُ بِهِ ثَالِثًا.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ:

أَنَا بِأَحْجَارٍ لِيَقْتُلْنَا بِهَا وَهَلْ تُقْتَلُ الْأَبْطَالُ وَيَحْكُ بِالْحَجَرِ!

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ فِي يَوْمِ سِلِّي وَسَلْبِرِي وَقَتْلِ ابْنِ الْمَاحُوزِ:
وَيَوْمَ سِلِّي وَسَلْبِرِي أَحَاطَ بِهِمْ مَنَا صَوَاعِقُ مَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ
حَتَّى تَرَكْنَا عَبِيدَ اللَّهِ مُنْجَدِلًا كَمَا تَجَدَّلَ جَذْعُ مَالٍ مُنْقَعَرُ

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: تَقُولُ الْعَرَبُ: «صَاعِقَةٌ وَصَوَاعِقُ»، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَبِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَبَنُو تَمِيمٍ يَقُولُونَ: «صَاقِعَةٌ وَصَوَاقِعُ».

وَالْمُنْقَعَرُ: الْمُنْقَطِعُ مِنْ أَصْلِهِ، قَالَ اللَّهُ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعَرٍ﴾ (٢).

(١) نسبته ابن بَرِّي إِلَى أَبِي الْمَقْدَامِ بِيَهْسَ بْنِ صَهْبِ بْنِ عَامِرِ الْجَرْمِيِّ، وَهُوَ فَارَسٌ شَاعِرٌ كَانَ مَعَ الْمُهَلَّبِ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ، وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ وَبِلَاءٌ حَسَنٌ. وَعَقْرَى: جَمْعُ عَقِيرٍ؛ بِمَعْنَى مَعْقُورٍ، مِنْ عَقَرِ الْفَرَسِ، إِذَا قُطِعَ قَوَائِمُهُ. (رَغَبَةُ الْآمَلِ).

(٢) سُورَةُ الْقَمَرِ ٢٠.

وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ يَوْمَ سَلَّى حَمَلًا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ
فَطَعَنَهُ، فَلَمَّا خَالَطَهُ الرَّمْحُ صَاحَ: يَا أُمَّتَاهُ! فَصَاحَ بِهِ الْمُهَلَّبُ: لَا أَكْثَرَ اللَّهُ بِمِثْلِكَ
الْمُسْلِمِينَ! فَضَحَكَ الْخَارِجِيُّ وَقَالَ:

أَمْكَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبًا تَسْقِيكَ مَحْضًا وَتَعْلُ رَائِبًا

وَكَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الرَّمَاكِ قَدْ تَشَاوَرَتْ فِي وَجْهِهِ نَكَسًا
عَلَى قَرْبُوسٍ سَرَجِهِ، وَحَمَلًا مِنْ تَحْتِهَا قَبْرَاهَا بِسِيفِهِ، وَأَثَرٌ فِي أَصْحَابِهَا، حَتَّى
تَخَرَّمَتِ الْمَيْمَنَةُ مِنْ أَجْلِهِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا تَكُونُ الْحَرْبُ أَشَدَّ مَا يَكُونُ تَبَسُّمًا، فَكَانَ
الْمُهَلَّبُ يَقُولُ: مَا شَهِدَ مَعِيَ حَرْبًا قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ:

فَإِنْ تَكُ قَتَلْتَنِي يَوْمَ سَلَّى تَتَابَعْتُ فَكَمْ غَادَرَتْ أَسْيَافُنَا مِنْ قُمَاقِمٍ! (١)
غَدَاةً نَكُرُّ الْمَشْرِقِيَّةَ فِيهِمْ بِسُؤْلَافٍ يَوْمَ الْمَازِقِ الْمُتَلَاخِمِ
الْمَازِقُ: هُوَ يَوْمُ تَضَاقُيقِ الْحَرْبِ. وَالْمُتَلَاخِمُ: نَعْتُ لَهُ. وَالْمَشْرِقِيَّةُ: السُّيُوفُ.
نُسِبَتْ إِلَى الْمَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمَلْقَبُ «مُوتَةَ» الَّذِي قُتِلَ بِهِ
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ.

[قَالَ الْأَخْفَشُ: كَانَ الْمَبْرَدُ لَا يَهْمَزُ «مُوتَةَ». وَلَمْ أَسْمَعْهَا مِنْ عِلْمَائِنَا إِلَّا
بِالْهَمْزِ] .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: فَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ
الْقُبَاعِ.

(١) القماقم: السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإننا لقينا الأزارقة المارقةً بحدٍّ وُجِدَّ، فكانتُ في الناس جولةً، ثم ثابَّ أهلُ الحفاظ والصبر، بنيات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف حداد، فأعقبَ اللهُ خيراً عاقبةً، وجاوزَ بالنعمةَ مقدارَ الأمل، فصاروا دُرَّةَ رماحنا، وضرائبَ سيوفنا^(١)، وقتلَ اللهُ أميرَهُم ابنَ الماحورِ. وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمةَ كأولِها، والسلام.

فكتبَ إليه القباةُ :

قد قرأتُ كتابَكَ يا أخا الأزد. فرأيتُكَ قد وهبَ اللهُ لك شرفَ الدنيا وعزَّها. ودخَرَ لك ثوابَ الآخرة - إن شاء اللهُ - وأجرها، ورأيتُكَ أوثقَ حصون المسلمين. وهادئُ أركانِ المشركين، وأخا السياسةِ وذا الرياسةِ، فاستدِمَ اللهُ بشكره يتمُّ عليك نِعَمُهُ، والسلام.

وكتبَ إليه أهلُ البصرة يهنئونه، ولم يكتبَ إليه الأحنفُ، ولكن قال: اقرءوا عليه السلام، وقولوا له: أنا لك على ما فارقتُك عليه، فلم يزلْ يقرأ الكتبَ ويلتمسُ في أضعافها كتابَ الأحنف، فلما لم يره قال لأصحابه: أمّا كتبُ إلينا؟ فقال له الرسول: حملني إليك رسالة . وأبلغه. فقال: هذه أحبُّ إليَّ من هذه الكتبِ.

واجتمعت الخوارجُ بأرجانَ، فبايعوا الزبيرَ بنَ عليٍّ، وهو من بني سُلَيْطِ بنِ يَرْبُوعٍ، من رَهْطِ ابنِ الماحوز، فرأى فيهم انكساراً شديداً وضعفاً بيناً، فقال لهم: اجتمعوا، فحمدَ اللهُ وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم أقبلَ عليهم فقال: إن البلاءَ للمؤمنينَ تمحيصٌ وأجرٌ، وهو على الكافرينَ عقوبةٌ وخزى، وإن يُصبَ منكم أميرُ المؤمنينَ فما صار إليه خيراً مما خَلَفَ، وقد أصبتم فيهم^(٢) مُسْلِمَ بنَ عُبَيْسٍ ورُبَيْعاً الأجدَمَ والحجاجَ بنَ بابٍ وحارثةَ بنَ بدرٍ. وأشجيتُ المهلبَ. وقتلتُ

(١) الدرّة : الحلقة يتعلم فيها الرمي والطعن، والضرائب جمع ضريبة . وهى كل ما ضربت بسيفك .

(٢) ر : « منهم » .

أَخَاهُ الْمُعَارِكُ، وَاللَّهُ يَقُولُ لِإِخْوَانِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١)، فَيَوْمٌ سَلَّى كَانَ لَكُمْ بِلَاءٌ وَتَحِيصًا، وَيَوْمٌ سُولَافَ كَانَ لَهُمْ عَقُوبَةٌ وَنِكَالًا، فَلَا تُغْلِبَنَّ عَلَى الشُّكْرِ فِي حِينِهِ، وَالصَّبْرَ فِي وَقْتِهِ، وَثِقُوا بِأَنْكُمْ الْمُسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ تَحَمَّلَ لِمُحَارَبَةِ الْمُهَلَّبِ. فَفَنَفَحَهُمْ^(٢) الْمُهَلَّبُ نَفْحَةً. فَرَجَعُوا فَأَكْمَنَ لِلْمُهَلَّبِ فِي غُمُضٍ مِنْ غُمُوضِ الْأَرْضِ^(٣)، يَقْرُبُ مِنْ عَسْكَرِهِ، مَائَةَ فَارِسٍ لِيُغْتَالُوهُ، فَسَارَ الْمُهَلَّبُ يَوْمًا يَطُوفُ بِعَسْكَرِهِ وَيَتَفَقَّدُ سَوَادَهُ، فَوَقَّفَ عَلَى جَبَلٍ فَقَالَ: إِنْ مِنْ التَّدْيِيرِ لِهَذِهِ الْمَارِفَةِ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَكْمَنْتَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ كَمِينًا، فَبَعَثَ عَشْرَةَ فُؤَارِسٍ، فَاطَّلَعُوا عَلَى الْمَائَةِ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِهِمْ قَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ وَنَجَّوْا، وَكَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَصَاحُوا بِهِمْ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ! لَوْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ لَجَدَدْنَا فِي جِهَادِكُمْ. ثُمَّ يَسَّ الزُّبَيْرُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُهَلَّبِ، فَضَرَبَ إِلَى نَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى أَرْجَانَ، وَقَدْ جَمَعَ جُمُوعًا، وَكَانَ الْمُهَلَّبُ يَقُولُ: كَأَنِّي بِالزُّبَيْرِ وَقَدْ جَمَعَ جُمُوعًا، فَلَا تَرَهَّبُوهُمْ فَتُخْبِتَ قُلُوبُكُمْ، وَلَا تُغْفَلُوا الْإِحْتِرَاسَ فَيَطْمَعُوا فِيكُمْ، فَجَاءَهُ مِنْ أَرْجَانَ فَأَلْفَوْهُ مُسْتَعِدًّا آخِذًا بِأَفْوَاهِ الطَّرِيقِ. فَحَارَبُوهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ظُهُورًا بَيِّنًا. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ. أَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي رِيَّاحٍ بَنِي يَرْبُوعَ:

سَقَى اللَّهُ الْمُهَلَّبَ كُلَّ غَيْثٍ مِنْ الْوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ أَنْتَحَارًا^(٤)
فَمَا وَهَنَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَ جَاءَتْ عَوَابُ خَيْلِهِمْ تَبْغِي الْغَوَارَا

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَئِذٍ: مَا وَقَعْتُ فِي أَمْرٍ ضَيِّقٍ مِنَ الْحَرْبِ إِلَّا رَأَيْتُ أَمَامِي رِجَالًا مِنْ بَنِي الْهَجِيمِ بَنِي عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ يُجَالِدُونَ، وَكَأَنَّ لِحَاهُمْ أَذْنَابُ الْعَقَاقِقِ^(٥). وَكَانُوا صَبَرُوا مَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ.

(١) سورة آل عمران ١٤٠. (٢) فنفحهم: دفعهم.

(٣) الغموض: جمع غمض؛ وهو المظمن من الأرض.

(٤) ينتحر انتحاراً؛ كذا تقول العرب للسحاب إذا انبعق بماء كثير؛ قال الراعي:

فَمَرَّ عَلَى مَنَازِلِهَا وَأَلْقَى بِهَا الْأَثْقَالَ وَأَنْتَحَرَ أَنْتَحَارًا

(٥) العقاقق: جمع عقق؛ وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب.

وقال رجلٌ من بني تميم . من بني عَبْشَمَسٍ بنِ سَعْدٍ :

أَلَا يَا مَنْ لَصَبٌ مُسْتَحَنٌّ (١) قَرِيحَ الْقَلْبِ قَدْ صَحِبَ الْمَزُونَ
لَهَانَ عَلَى الْمَهْلَبِ مَالَقِينَا إِذَا مَا رَاحَ مَسْرُوراً بَطِينَا
يَجُرُّ السَّابِرَى وَنَحْنُ شُعْتُ كَأَنَّ جُلُودَنَا كُسِيَتْ طَحِينَا (٢)

الْمَزُونُ : عُمَانٌ . وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهَا ، قَالَ الْكُمَيْتُ :

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَ
وَقَالَ جَرِيرٌ :

وَأَطْفَاءُ نِيرَانِ الْمَزُونِ وَأَهْلُهَا وَقَدْ حَاوَلُوهَا فَتَنَةً أَنْ تُسَعَّرَا

وَحَمَلُ يَوْمِئِذٍ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ عَلَى قَيْسِ الْإِكَافِ ، وَكَانَ قَيْسٌ مِنْ أَنْجَدِ
فُرْسَانَ الْخَوَارِجِ ، فَطَعَنَهُ فَدَقَّ صُلْبَهُ ، وَقَالَ :

قَيْسُ الْإِكَافِ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنِي ثَبَتَ الْمَقَامَ إِذَا لَاقَيْتُ أَقْرَابِي

وَقَدْ كَانَ قُلُّ الْمَهْلَبِ يَوْمَ سَلَّى وَسَلَبَرَى صَارُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَذَكَرُوا أَنَّ
الْمَهْلَبَ أَصِيبَ ، فَهَمَّ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالنَّقْلَةِ إِلَى الْبَادِيَةِ ، حَتَّى وَرَدَ كِتَابُهُ بِظَفَرِهِ ، فَأَقَامَ
النَّاسُ ، وَتَرَاجَعَ مَنْ كَانَ ذَهَبَ مِنْهُمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : الْبَصْرَةُ
بَصْرَةُ الْمَهْلَبِ . وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ بْنُ أَرْقَمَ ، فَنَعَى ابْنَ عَمٍّ لَهُ .
وَقَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ وَقَدْ مَكَّنَ رَمْحَهُ مِنْ صُلْبِهِ ، فَقَدَّمَ الْمَنْعَى ، فَقِيلَ لَهُ
ذَلِكَ . فَقَالَ : صَدَقَ ابْنُ أَرْقَمَ لَمَّا أَحْسَسْتُ بِرَمْحِهِ بَيْنَ كَتِفَيَّ صَحْتُ : الْبَقِيَّةُ ! فَرَفَعَهُ
عَنِّي ، وَتَلَا : ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) .

(٢) الثوب السابري : الرقيق .

(١) مستحَن : من الحنين .

(٣) سورة هود ٨٦ .

وَوَجَّهَ الْمَهْلَبُ بِعَقِبِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ، بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرِ ابْنِ الْمَاحُوزِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ الْقُبَاعِ. فَلَمَّا صَارَ بِكُرْبَجٍ (١) دِينَارَ لَقِيَهُ حَبِيبٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَعَلِيٌّ، بَنُو بَشِيرِ بْنِ الْمَاحُوزِ، فَقَالُوا لَهُ: مَا الْخَبْرُ؟ وَلَا يَعْرِفُهُمْ، فَقَالَ: قَتَلَ اللَّهُ الْمَارِقَ ابْنَ الْمَاحُوزِ، وَهَذَا رَأْسُهُ مَعِيَ. فَوُثِّبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ وَدَفَنُوا الرَّأْسَ، فَلَمَّا وَلَّى الْحِجَاجُ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلَى بْنِ بَشِيرِ، وَكَانَ وَسِيمًا جَسِيمًا، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَخَبَّرَ، فَقَتَلَهُ، وَوَهَبَ ابْنَهُ الْأَزْهَرَ وَابْنَتَهُ لِأَهْلِ الْأَزْدِ الْمَقْتُولِ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ بَشِيرِ لَهُمْ مُوَاصِلَةً، فَوَهَبُوهَا لَهَا.

ا تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستخدامه المهلب ا

فَلَمْ يَزَلِ الْمَهْلَبُ يِقَاتِلُ الْخَوَارِجَ فِي وِلَايَةِ الْحَارِثِ الْقُبَاعِ، حَتَّى عُزِلَ الْحَارِثُ وَوُلِيَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْدِمَ عَلَى، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَكَ الْمَغِيرَةَ، فَفَعَلَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ الْمَغِيرَةَ. وَهُوَ أَبُو صَغِيرِكُمْ رَقَّةً وَرُحْمَةً، وَابْنُ كَبِيرِكُمْ طَاعَةً وَبِرًّا وَتَبْجِيلًا، وَأَخُو مِثْلِهِ مُوَاسَاةً وَمَنَاصَحَةً، فَلْتَحَسِّنْ لَهُ طَاعَتَكُمْ، وَلْيَلِنْ لَهُ جَانِبَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ صَوَابًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ. ثُمَّ مَضَى إِلَى مُصْعَبٍ، وَكُتِبَ مُصْعَبُ إِلَى الْمَغِيرَةَ بِوِلَايَتِهِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ كَأَبِيكَ، فَإِنَّكَ كَافٍ لِمَا وَلَّيْتُكَ، فَشَمَّرَ وَاتَّرَرَ وَجِدًّا وَاجْتِهَدًا.

ثُمَّ شَخَّصَ الْمُصْعَبُ إِلَى الْمَذَارِ (٢) فَقَتَلَ أَحْمَرَ بْنَ شَمِيطٍ، ثُمَّ أَتَى الْكُوفَةَ فَقَتَلَ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ. وَقَالَ لِلْمَهْلَبِ: أَسِرْ عَلَى بَرَجِلٍ أَجْعَلْهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: أَذْكَرُ لَكَ وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ عَطَارِدِ الدَّارِمِيِّ، أَوْ زِيَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ أَوْ دَاوُدُ بْنُ قَحْذَمٍ. فَقَالَ: أَوْ تَكْفِينِي؟ قَالَ: أَكْفِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَوَلَاهُ الْمُوَصَّلَ. فَشَخَّصَ الْمَهْلَبُ إِلَيْهَا.

(١) موضع قريب من الأهواز .

(٢) المذار : بلد في ميسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام .

[مشاورۃ مصعب الناس فیمن یفیه امر الخوارج]

وصار مصعب إلى البصرة، فسأل: مَنْ یستکفی أمر الخوارج ویفد إلى أخیه؟ فشاور الناس، فقال قومٌ: ولَّ عبید الله بن أبی بکرۃ. وقال قومٌ: ولَّ عمر ابن عبید الله بن معمر، وقال قومٌ: لیس لهم إلاَّ المهلبُ فارددهُ إلیهم.

وبلَّغت المشورة الخوارجَ، فأداروا الأمرَ بینهم، فقال قطریُّ بن الفُجاءة المازنی: إن جاءکم عبید الله بن أبی بکرۃ أتاکم سیدٌ سمحٌ جوادٌ کریمٌ مُضیعٌ لعسکره. وإن جاءکم عمر بن عبید الله بن معمرٍ أتاکم شجاعٌ بطلٌ فارسٌ جادٌ، یقاتلُ لدينه ومُلکِه، وبطبیعةٍ لم أرَ مثلها لأحد، فقد شهدته فی وقائعٍ فما نودی فی القومِ لحربٍ إلاَّ کان أولُ فارس یطلُعُ حتَّى یشدَّ علی قرْنِه فیضربه، وإن ردَّ المهلبُ فهو مَنْ قد عرفتموه، إن أخذتم بطرفِ ثوبٍ أخذَ بطرفه الآخر، یمدُّه إذا أرسلتموه، ویُرسله إذا مددتموه، لا یبدؤکم إلاَّ أن تبدؤوه، إلا أن یرى فرصةً فیتنهزها. فهو اللیث المبرُّ (١)، والثعلبُ الروَّاعُ. والبلاء المقیمُ.

* * *

فولَّى علیهم عمر بن عبید الله، وولاه فارسَ، والخوارجَ بأرجان، وعلیهم الزبیر بن علی السلیطی. فشخص إلیهم فقاتلهم، وألحَّ علیهم حتَّى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهانَ، فلما بلغ المهلبُ أن مصعباً ولَّى عمر بن عبید الله قال: رماهم بفارس العربِ وقتاها.

فَجَمَعُوا لَهُ وَأَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا. ثم اتَّوَّأ سَابُورَ. فسارَ إلیهم حتَّى نزلَ منهم علی أربعة فراسخ. فقال له مالکُ بن حَسَّانِ الْأَزْدِيُّ: إن المهلبُ کان یذکی العیونَ. ویخلفُ البیاتَ. ویرتقبُ الغفلةَ. وهو علی أبعدَ من هذه المسافة منهم. فقال له عمر: اسکتْ خَلَعَ اللهُ قَلْبَکَ! أترَاکَ تموتُ قبلَ أَجَلِکَ! فأقامَ هناكَ. فلما کان ذاتَ لیلَةٍ بَیتُهُ الخوارجُ. فخرجَ إلیهم فحاربهم حتَّى أصبحَ. فلم یَطْفَرُوا منه بشیءٍ. فأقبلَ علی مالکِ بن حَسَّانٍ فقال: کیف رأیت؟ قال: قد سلَّم اللهُ عزَّ وجلَّ. ولم

(١) المبر : الغالب .

يَكُونُوا يَطْمَعُونَ مِنَ الْمُهَلَّبِ بِمِثْلِهَا. فَقَالَ: أَمَّا إِنَّكُمْ لَوِ نَاصِحْتُمُونِي مُنَاصِحَتَكُمْ الْمُهَلَّبَ لَرَجَوْتُ أَنْ أَتْنِي هَذَا الْعَدُوَّ. وَلَكِنْكُمْ تَقُولُونَ: قُرْشِيُّ حَاجَزِي بَعِيدُ الدَّارِ. خَيْرُهُ لَغَيْرِنَا. فَتَقَاتِلُونَ مَعِيَ تَعْذِيرًا.

ثُمَّ رَحَفَ إِلَى الْخَوَارِجِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا. حَتَّى الْجَاهَمُ إِلَى قَنْطَرَةٍ. فَتَكَاثَفَ النَّاسُ عَلَيْهَا حَتَّى سَقَطَتْ، فَأَقَامَ حَتَّى أَصْلَحَهَا، ثُمَّ عَبَّرُوا، وَتَقَدَّمَ ابْنُهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو - وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبٍ - فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ قَطَرِيُّ: لَا تَقَاتِلُوا عَمْرَ الْيَوْمَ فَإِنَّهُ مَوْتُورٌ. وَلَمْ يَعْلَمْ عَمْرُ بِقَتْلِ ابْنِهِ؛ حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْقَوْمِ، وَكَانَ مَعَ ابْنِهِ النِّعْمَانُ بْنُ عَبَّادٍ. فَصَاحَ بِهِ: يَا نِعْمَانُ، أَبْنِ ابْنِي؟ فَقَالَ: أَحْسِبُهُ ^(١) (أَيُّهَا الْأَمِيرُ). فَقَدْ اسْتُشْهِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَابِرًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ثُمَّ حَمَلَ عَلَى النَّاسِ حَمْلَةً لَمْ يَرِ مِثْلَهَا. وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ بِحِمْلَتِهِ. فَقَتَلُوا فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ تِسْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ، وَحَمَلَ عَلَى قَطَرِيٍّ فَضْرِبَهُ عَلَى جَبِينِهِ فَفَلَقَهُ. وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ. وَانْتَهَبَهَا، فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا قَالَ لَهُمْ قَطَرِيُّ: أَمَا أَشَرْتُ عَلَيْكُمْ بِالْأَنْصِرَافِ! فَجَعَلُوهُ وَجُوهَهُمْ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ فَارَسٍ.

وَتَلَقَّاهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْفَزْرُ بْنُ مِهْزَمِ الْعَبْدِيُّ فَسَأَلُوهُ عَنْ خَبَرِهِ، وَأَرَادَ قَتْلَهُ. فَأَقْبَلَ عَلَى قَطَرِيٍّ فَقَالَ: إِنِّي مُؤْمِنٌ مُهَاجِرٌ. فَسَأَلَهُ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ، فَأَجَابَ إِلَيْهَا فَخَلَّوْا عَنْهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ فِي كَلِمَةٍ لَهُ:

وَشَدُّوا وَثَاقِي ثُمَّ أَلْجَوْا خَصُومَتِي ^(٢) إِلَى قَطَرِيٍّ ذِي الْجَبِينِ الْمَفْلَقِ
وَحَاجَجْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَحَجَجْتُهُمْ ^(٣) وَمَا دِينُهُمْ غَيْرَ الْهُوَى وَالتَّخَلُّقِ
ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَاجَعُوا وَتَكَانَفُوا.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) أَلْجَوْا: أَصْلَهُ الْجَنُّوا.

(٣) حَاجَجْتُهُمْ: نَازَعْتُهُمْ.

اقال الإخفش: تكانفوا أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا

وصار بعضهم في كتف بعض

وعادوا إلى ناحية أرجان. فسار إليهم عمر. وكتب إلى مُصعب: أما بعدُ فإنني قد لقيتُ الأزارقة. فرزقَ الله عبيدَ الله بن عمر الشهادة، ووهبَ له السعادة. ورزقنا عليهم الظفر. فتفرقوا شذرَ مذر، وبلغتني عنهم عودة، فيممتهم، وبالله أستعين وعليه أتوكل.

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد. فالتقوا. فألح عليهم حتى أخرجهم. وانفردَ عمر^(١) من أصحابه. فعمدَ له أربعة عشر رجلاً منهم، من مذكورهم وشجعانهم وفي يده عمود. فجعل لا يضربُ رجلاً منهم ضربةً إلا صرعه. فركضَ إليه قطريُّ على فرس طمرة^(٢). وعمر على مهر فاستثاره قطريُّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه. فبصرَ به مجاعة فأسرع إليه. فصاحت الخوارجُ بقطري: يا أبا نعام! إنَّ عدوَّ الله قد رهقك. فانحطَّ قطري عن قربوسه. فطعنه مجاعة. وعلى قطريُّ درعان فهتكهما، وأسرع السنان في رأس قطري، فكشطَ عنه جلده ونجاً.

وارتحل القومُ إلى أصبهان فأقاموا بها^(٣) برهة، ثم رجعوا إلى الأهواز. وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى إصطخر. فأمر مجاعة فجبى الخراج أسبوعاً. فقال له^(٤): كم جبيت؟ قال: تسعمائة ألف. فقال: هي لك. فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجاعة:

ودعاكَ دَعوة مُرهقٍ فأجبتَه^(٥) عُمراً وقد نسيَ الحياة وضاعا
فَرَدَدْتَ عاديةَ الكتيبة عن فتى^(٦) قد كاد يُتركُ لحمه أوزاعاً^(٧)

(١) ساقط من ر.

(٢) ر: «طمر». والطمرة: الطويلة الخفيفة القوائم.

(٣) ساقطة من ر.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) المرهق: الذي أدرك ليقتل.

(٦) العادية: الخيل تعدو.

(٧) أوزاعا: قطعاً.

وعُزِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ وَوَلَّى حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ، فَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ إِلَيْهِمْ، فَحَارِبَهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ عَنِ الْأَهْوَازِ، ثُمَّ رَدَّ مُصْعَبُ وَالْمُهَلَّبُ بِالْبَصْرَةِ، وَالْخَوَارِجُ بِأَطْرَافِ أَصْبَهَانَ وَالْوَالِي عَلَيْهَا عَتَّابُ بْنُ رِقَاءَ الرِّيَّاحِيُّ، فَأَقَامَ الْخَوَارِجُ هُنَاكَ شَيْئاً يَجِبُونَ الْقَرَى. ثُمَّ أَقْبَلُوا إِلَى الْأَهْوَازِ مِنْ نَاحِيَةِ فَارَسَ، فَكَتَبَ مُصْعَبُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ: مَا أَنْصَفْتَنِي. أَقَمْتَ بِفَارَسَ تَجْبِي الْخَرَجَ وَمِثْلَ هَذَا الْعَدُوَّ يَحَارِبُكَ! وَاللَّهُ لَوْ قَاتَلْتَ ثُمَّ هَرَبْتَ لَكَانَ أَعْذَرُ لَكَ، وَخَرَجَ مُصْعَبُ مِنَ الْبَصْرَةِ يَرِيدُهُمْ. وَأَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَرِيدُهُمْ، فَتَنَحَّى الْخَوَارِجُ إِلَى السُّوسِ، ثُمَّ اتَّوَا الْمَدَائِنَ، فَقَتَلُوا أَحْمَرَ طَيْئٍ. وَكَانَ شَجَاعاً، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

تَرَكْتُمْ قَتَى الْفِثْيَانِ أَحْمَرَ طَيْئٍ بِسَابَاطٍ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ خَلِيلُ

ثُمَّ خَرَجُوا عَامِدِينَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا خَالَطُوا سُودَاهَا، وَوَالِيهَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَبَاعِ. فَتَشَاقَلَ عَنِ الْخُرُوجِ وَكَانَ جَبَّاناً، فَذَمَّرَهُ^(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ، وَلَا مَهْ النَّاسُ. فَخَرَجَ مُتَحَامِلًا حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْقَبَاعَ سَارَ سَيْرًا نُكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا

وَجَعَلَ يَعِدُّ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُ. وَالْخَوَارِجُ يَفْشُونَ^(٢)، حَتَّى أَخَذُوا امْرَأَةً فَقَتَلُوا أَبَاهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهَا، فَقَالَتْ: أَتَقْتُلُونَ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخُصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ! فَقَالَ قَالَ مِنْهُمْ: دَعُوهَا، فَقَالُوا: قَدْ فَتَنَّاكَ، ثُمَّ قَدَّمُوهَا فَقَتَلُوهَا، ثُمَّ قَرَّبُوا أُخْرَى. وَهُمْ بِحَذَاءِ الْقَبَاعِ، وَالْجِسْرُ مَعْقُودٌ بَيْنَهُمَا، فَقَطَعَهُ الْقَبَاعُ، وَهُوَ فِي سِتَّةِ آلَافٍ، وَالْمَرْأَةُ تَسْتَغِيثُ بِهِ وَهِيَ تَقُولُ^(٣): عَلَامَ تَقْتُلُونَنِي؟ فَوَاللَّهِ مَا فَسَقْتُ وَلَا كَفَرْتُ وَلَا ارْتَدَدْتُ! وَالنَّاسُ يَتَقَلَّتُونَ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَالْقَبَاعُ يَمْنَعُهُمْ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ يَعْصُوهُ أَمْرٌ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَطْعِ الْجِسْرِ. فَأَقَامَ بَيْنَ دَبَاهَا وَدُبَيْرَى^(٤) خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَالْخَوَارِجُ بِقَرْبِهِ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ: إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ غَدًا فَأَثْبِتُوا أَقْدَامَكُمْ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ أَوَّلَ الْحَرْبِ التَّرَامِي. ثُمَّ إِشْرَاعَ الرَّمَاكِ،

(٢) ر: «يعيثون». س: يعيثون.

(١) الذمير: الحضر.

(٤) دباها ودبيري: قربتان من قرى بغداد.

(٢) ر: «وتقول».

ثم السَّلَّة^(١)، فَتَكَلَّت رجلاً أُمَّهُ فَرَّ من الزَّحْفُ! فقال بعضهم لما أكثر عليهم: أَمَّا الصَّفَّةُ فقد سمعناها، فمتى يَقَعُ الفعل؟ وقال الراجز:

إِن القُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَسَا بين دباها وديبريَ خمساً^(٢)

فأخذ الخوارجُ حاجتهم، وكان شأنُ القُبَاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا من فورهم إلى أَصْبَهَانَ، فبعثَ عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الزُّبَيْرِ بن عليٍّ: أنا ابنُ عمك، ولست أراكُ تقصِّدُ في انصرافك من كل حربٍ غيري. فبعث إليه الزُّبَيْرُ: إن أدنى الفاسقين وأبعدهم في الحق^(٣) سَوَاءٌ.

ولمَّا سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبد الله بن أبي ربيعة القُبَاعَ، لأنه وَلِيَ البصرةَ فَعَبَّرَ على الناس مكاييلُهم، فَظَنَرُ إلى مكيالٍ صغيرٍ في مَرَاةِ العَيْنِ وقد أحاط بدقيقِ استكثَره، فقال: إن مكيالكم هذا لَقُبَاعٌ. والقُبَاعُ الذي يُخْفَى أو يَخْفَى ما فيه، يقال: انقَبَعَ الرجلُ، إذا استترَ، ويقال للقفْذِ القُبْعِ، وذلك أنه يَخْنُسُ رأسه.

قال أبو العباس: وأقام الخوارجُ يَغَادُونَ عَتَّابَ بن وَرْقَاءَ القتالَ ويُرَاوِحُونَهُ، حتى طال عليهم المُقَامُ، ولم يَظْفَرُوا منه بكبير، فلما كَثُرَ ذلك عليهم انصرفوا، ولا يَمُرُّون بقرية بين أَصْبَهَانَ والأهوازِ إلا استباحوها وقتلوا من فيها.

وشاورَ المصعَبُ الناسَ فيهم^(٤)، فاجتمع^(٥) رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارجُ مشاورته^(٦)، فقال لهم قَطْرِيٌّ: إن جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ فهو فاتكُ يَطْلُعُ في أوَّلِ المَقْنَبِ^(٧) ولا يَظْفَرُ بكبير، وإن جاءكم عُمَرُ بن عبيد الله ففارسٌ يُقَدِّمُ، فإمَّا له وإمَّا عليه، وإن جاءكم المهلبُ فرجلٌ لا يُنَاجِزُكم حتى تنَاجِزوه، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم، فهو البلاءُ اللازم، والمكروهُ الدائمُ.

وعَزَمَ المصعَبُ على توجيهِ المهلب، وأن يَشَخَّصَ هو لحربِ عبد الملك، فلما أَحَسَّ به الزُّبَيْرُ بن عليٍّ خرج إلى الرِّيّ، وبها يزيدُ بن الحارث بن رُوَيْمٍ. فحاربه

(١) السَّلَّةُ: استلال السيوف.

(٢) ر: «من الحق».

(٣) الملّس: السير الشد.

(٤) ر: «فاجمع».

(٥) ساقطة من ر.

(٦) ر: «مشورته».

(٧) المقنب: جماعة الخيل.

ثم حَصَرَهُ. فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه، فكان الظَّفَرُ للخوارج، فقتلَ يزيدُ ابنَ رُوَيْمٍ. ونادى يؤمُّذ ابنَه حَوْشَباً ففرَّ عنه وعن أمِّه لَطِيفَةُ. وكان على بن أبي طالب عليه السلام دخلَ على الحارث بن رُوَيْمٍ يعود ابنَه يزيدَ. فقال له: عندى جاريةٌ لطيفةٌ الخدمةُ أبعثُ بها إليك، فسامها يزيدُ لطيفةً، فقتلتُ معه يومئذٍ. وفى ذلك يقول الشاعرُ:

مَوَاقِفْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ أَسْرُ وَأَشْفَى مِنْ مَوَاقِفِ حَوْشَبٍ
دَعَاهُ يَزِيدٌ وَالرَّمَّاحُ شَوَارِعُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ بَلْ رَاغَ تَرَوَاغُ ثَعْلَبٍ
وَلَوْ كَانَ سَهْمَ النَّفْسِ أَوْ ذَا حَفِيزَةٍ رَأَى مَا رَأَى فِي الْمَوْتِ عَيْسَى بْنِ مُصْعَبٍ

وقد مرَّ خبر عيسى بن مُصْعَبٍ مُسْتَقْصَى، وقال آخرُ:

نَجَّى حَلِيلَتَهُ وَأَسْلَمَ شَيْخَهُ نَصَبَ الْأَسِنَّةِ حَوْشَبُ بْنُ يَزِيدَ

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى بردة يُعَيِّرُهُ بأُمَّه. وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف ابن عمر: يابنَ حَوْرَاءَ. فقال بلال - وكان جلدًا: إِنْ الْأَمَّةُ تُسَمَّى حَوْرَاءَ وَجِيْدَاءَ وَلَطِيفَةً.

وزَعَمَ الْكَلْبِيُّ أَنَّ بِلَالًا كَانَ جَلْدًا حِينَ ابْتُلِيَ^(١). قال الكلبى: وَيُعْجِبُنِي أَنْ أَرَى الْأَسِيرَ جَلْدًا - قال: وقال خالد بن صَفْوَانَ لَهُ بِحَضْرَةِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أزال سُلْطَانَكَ وَهَدَّ رُكْنَكَ، وَغَيَّرَ حَالَكَ. فوالله لقد كنتَ شديدَ الْحِجَابِ. مُسْتَخْفًا بِالشَّرِيفِ. مُظْهِرًا لِلْعَصِيَّةِ. فقال له بلال: إِنَّمَا طَالَ لِسَانُكَ يَا خَالِدُ لثَلَاثَ مَعَكَ هُنَّ عَلَى: الْأَمْرِ عَلَيْكَ مَقْبَلٌ وَهُوَ عَنَى مُدْبِرٌ. وَأَنْتَ مُطْلَقٌ وَأَنَا مَأْسُورٌ. وَأَنْتَ فِي طَيْبَتِكَ وَأَنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ غَرِيبٌ. وَإِنَّمَا جَرَى إِلَى هَذَا؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ إِنْ أَصْلَ آلِ الْأَهْتَمِ مِنَ الْحَيْرَةِ، وَإِنَّهُمْ أَشَابَةُ^(٢) دَخَلَتْ فِي بَنِي مَنَقَرٍ مِنَ الرُّومِ. ثُمَّ انْحَطَّ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى أَصْبَهَانَ، فَحَصَرَ بِهَا عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيَّ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، وَعَتَابٌ يُحَارِبُهُ فِي بَعْضِهِنَّ، فَلَمَّا طَالَ بِهِ الْحَصَارُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ وَاللَّهِ مَا تُؤْتُونَ مِنْ قِلَّةٍ. وَإِنِّكُمْ لِفِرْسَانِ عَشَائِرِكُمْ. وَلَقَدْ حَارَبْتُمُوهُمْ

(١) ر: «حيث ابتلى».

(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدا. كالأوباش والأوشاب قاله الموصفى.

مراراً فانْتَصَفْتُمْ مِنْهُمْ، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلا أن تَفْنَى ذخائِرُكُمْ. فَيَمُوتُ أَحَدُكُمْ فَيَدْفِنُهُ أَخُوهُ. ثُمَّ يَمُوتُ أَخُوهُ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَدْفِنُهُ، فَيَقَاتِلُوا الْقَوْمَ وَبِكُمْ قُوَّةٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَضْعُفَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى قَرْنِهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ الْغَدُ صَلَّى بِهِمُ الصَّبْحَ. ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ^(١) إِلَى الْخَوَارِجِ وَهُمْ غَارَوْنَ، وَقَدْ نَصَبَ لَوَاءً لِحَارِيَّةٍ لَهُ يَقَالُ لَهَا يَا سَمِينُ، فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ فَلْيَلْحَقْ بِلِوَاءِ يَاسَمِينُ، وَمَنْ أَرَادَ الْجِهَادَ فَلْيَخْرُجْ مَعِيَ. فَخَرَجَ فِي الْفَيْنِ وَسَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمُ الْخَوَارِجُ حَتَّى غَشَوْهُمْ. فَيَقَاتِلُوا بِجِدٍّ لَمْ يَرَ الْخَوَارِجُ مِنْهُمْ مِثْلَهُ. فَعَقَرُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَقَتَلُوا الزُّبَيْرَ بْنَ عَلِيٍّ. وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ عَتَابٌ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وَيَوْمَ بَحَى تَلَافَيْتَهُ وَلَوْلَاكَ لَاصْطَلِمَ الْعَسْكَرُ^(٢)

- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: نَفَسَرُ قَوْلَهُ: «وَلَوْلَاكَ» فِي آخِرِ هَذَا الْخَبَرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ:

خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُسْتَمْتِئًا وَلَمْ أَكُ فِي كَتِيبَةِ يَاسَمِينَا
أَلَيْسَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَنْ قَوْمِي عَدَوْا مَسْتَلْتَمِينَ مُجَاهِدِينَ

وَتَرَعُمُ الرُّوَاةُ أَنَّهُمْ فِي أَيَّامِ حَصَارِهِمْ كَانُوا يَتَوَاقَفُونَ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَبَّمَا كَانَتْ مُوَاقِفَةٌ لِغَيْرِ حَرْبٍ^(٣)، وَرَبَّمَا اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَتَابٍ يَقَالُ لَهُ شَرِيحٌ، وَيَكْنَى أَبَا هُرَيْرَةَ. إِذَا تَحَاجَزَ الْقَوْمُ مَعَ الْمَسَاءِ نَادَى بِالْخَوَارِجِ وَبِالزُّبَيْرِ بْنِ عَلِيٍّ:

يَا بْنَ أَبِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ!
شَدَّ أَبِي هُرَيْرَةَ الْهَرَارَ يَهْرُكُمُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٤)
أَلَمْ تَرَوْا جِيًّا عَلَى الْمِضْمَارِ تَمْسِي مِنَ الرَّحْمَنِ فِي جِوَارِ^(٥)

(١) ساقط من ر.

(٢) الصلَم في الأصل. قطع الأذن.

(٣) ر: «بغير حرب».

(٤) أصل الهرير في الكلب والذئب، إذا كثر كل منهما عن نابه، واستعمل في الرجل تجاوزاً.

(٥) المضمار: الغاية.

فغَاظَهُمْ ذَلِكَ مِنْهُ، فَكَمَنَ لَهُ عُبَيْدَةُ بْنُ هَلَالٍ فَضْرِبَهُ، وَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ، فَظَنَّتِ الْخَوَارِجُ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ، فَكَانُوا إِذَا تَوَاقَفُوا نَادَوْهُمْ: مَا فَعَلَ الْهَرَارُ؟ فَيَقُولُونَ: مَا بِهِ مِنْ بَأْسٍ، حَتَّى أَبْلَّ مِنْ عَلَّتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَصَاحَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ. أَتَرَوْنَ بِي بَأْسًا! فَصَاحُوا بِهِ: قَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّكَ لَحِقْتَ بِأَمْكِ الْهَوَايَةِ، فِي النَّارِ الْحَامِيَةِ.

قال أبو العباس: نُسِرَ أشياء من العربية تحتاج إلى الشرح. من ذلك قوله: «وَلَوْلَاكَ»، ومنه قوله: «أَلَمْ تَرَوْا جِيًّا» ومنه قوله: «يَهْرُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ».

أما قوله: «لَوْلَاكَ» فَإِنْ سَبَّيْهِ يَزْعُمُ أَنَّ «لَوْلَا» تَخْفُضُ الْمُضْمَرَ وَيَرْتَفِعُ بَعْدَهَا الظَّاهِرُ بِالْإِبْتِدَاءِ، فَيَقَالُ: إِذَا قُلْتَ: لَوْلَاكَ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْكَافَ مَخْفُوضَةٌ دُونَ أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً، وَضَمِيرُ النَّصْبِ كَضَمِيرِ الْخَفْضِ؟ فَتَقُولُ: إِنَّكَ تَقُولُ لِنَفْسِكَ: لَوْلَايَ، وَلَوْ كَانَتْ مَنْصُوبَةً لَكَانَتِ النَّونُ قَبْلَ الْيَاءِ، كَقَوْلِكَ: رَمَانِي وَأَعْطَانِي. قال يزيد بن الحكم الثَّقَفِيُّ:

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَتْ كَمَا هَوَى
بَأَجْرَامِهِ مِنْ قَلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوَى^(١)
النَّيْقُ: أَعْلَى الْجَبَلِ، وَجِرْمُ الْإِنْسَانِ خَلْقُهُ.

فيقال له: الضمير في موضع ظاهره، فكيف يكون مختلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فَلَمْ لَا يَكُونُ فِي الْفِعْلِ وَمَا أَشْبَهَهُ، نَحْوُ «إِنَّ» وَمَا كَانَ مَعَهَا فِي الْبَابِ؟ وَزَعَمَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ أَنَّ الضمير مرفوعٌ، وَلَكِنْ وَافَقَ ضَمِيرُ الْخَفْضِ، كَمَا يَسْتَوِي الْخَفْضُ وَالنَّصْبُ، فَيَقَالُ: فَهَلْ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؟

قال أبو العباس: والذي أقوله أَنَّ هَذَا خَطَأٌ لَا يَصْلَحُ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ: «لَوْلَا أَنْتَ»، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ»^(٢). وَمَنْ خَالَفَنَا^(٣) فَهُوَ لَا بَدَّ^(٣) يَزْعُمُ أَنَّ الَّذِي قُلْنَاهُ أَجُودُ. وَيَدَّعِي الْوَجْهَ الْآخَرَ فَيَجِيزُهُ عَلَى بَعْدِهِ. وَأَمَّا «جِيٌّ»، فَالْأَجُودُ فِيهَا أَنْ تَقُولَ:

أَلَمْ تَرَوْا جِيًّا عَلَى الْمُضْمَارِ

فَلَا تُنَوِّنْ، لِأَنَّهَا مَدِينَةٌ، وَالْأَسْمُ أَعْجَمِيٌّ، وَالْمَوْئِثُ إِذَا سُمِيَ بِاسْمٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ يَنْصَرَفُ إِذَا كَانَ مَوْئِثًا، وَإِنْ كَانَ أَوْسَطُهُ سَاكِنًا. نَحْوُ جُورَ وَحِمَصَ وَمَاهَ^(٤). وَمَا كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ اسْمًا لِمَذْكَرٍ لَانْصَرَفَ، فَإِنْ صَرَفْتَهُ

(٢) سورة سبأ ٣١.

(١) منهوى: ساقط

(٤) ساقطة من ر.

(١-١) ساقط من ر

جعلته اسماً لبلد، وإن لم تصرفه جعلته اسماً لبلدة أو لمدينة، ألا تَرَى أنك تصرفُ نوحاً ولوطاً، وهما أعجميان؟ وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحركاً، لأنك تصُرف «قَدَمًا» لو سَمَّيتَ بها^(١). رجلاً فالأعجميُّ بمنزلة المؤنث، لأن امتناعها واحدٌ.

وأما قوله: «يَهْرُكُم» فإن كلَّ ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعدِّياً، فإن المضارع منه على «يَفْعَلُ» نحو شَدَّ يَشُدُّ، وَزَرَ يَزِرُّ، وَرَدَّ يَرُدُّ، وحلَّ يحلُّه. وجاء منه حرفان على «يَفْعَلُ» و «يَفْعُلُ»، فيهما جيد: هره يَهْرُه، إذا كرهه، ويَهْرُه أجوْدٌ، وعَلَّه بالخناء يعلُّه، وَيَعْلُه أجوْدٌ. ومن قال: حَبَبْتُهُ قال: يَحْبُه لا غَيْرُ. وقرأ أبو رَجَاء العُطاردي: «فَاتَبِعُونِي يُحْبِكُمُ اللهُ»^(٢). وذلك أن بنى تميم تدغم في موضع الجزم، وتحرك أو اخره لالتقاء الساكنين.

[ولاية قطري بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له]

رجع الحديث.

قال أبو العباس: ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم، فأرادوا تولية عبدة بن هلال، فقال: أدلكم على من هو خير مني! من يطاعن في قبل، ويحمي في دبر، عليكم قطري بن الفجاءة المازني. فبايعوه. فوقف بهم فقالوا: يا أمير المؤمنين. امض بنا إلى فارس. فقال: إن بفارس عمر بن عبید الله بن معمر. ولكن نصير إلى الأهواز. فإن خرج مُصعب بن الزبير من البصرة دخلناها. فأتوا الأهواز ثم ترفعوا عنها إلى إيدج^(٣). وكان المصعب^(٤) قد عزم على الخروج إلى باجميرا^(٥) فقال لأصحابه: إن قُطْرِيًا قد أطلَّ علينا، وإن خرجنا عن البصرة دخلها، فبعث إلى المهلب فقال: اكفنا هذا العدو، فخرج إليهم المهلب، فلما أحس به قطري، يم^(٦) كرمآن، فأقام المهلب بالأهواز، ثم كر قطري عليه وقد استعد. فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عُدَّة ممن يقاتلهم، بكثرة السلاح، وكثرة الدواب، وحصانة الجن، فحاربهم المهلب، فنفاهم إلى رام هرْمَز.

وكان الحارث بن عَميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مُرَاغِمًا لعتاب بن ورقاء، يقال إنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي، وكان الحارث بن عَميرة هو الذي تولَّى قتله وحاص إليه أصحابه، ففي ذلك يقول أعشى همدان:

(١) ر: «به». (٢) سورة آل عمران ٣١. وهي قراءة شاذة. وقرأها الأربعة عشر: «يحببكم» بفك الإدغام:

(٣) إيدج: بالمد بين خوزستان وأصبهان. (٤) ر: «مصعب».

(٥) باجميرا: بلد دون تكرت. (٦) ر: «تبسم».

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَكْمَلَتْ أَسْبَابُهَا لابن الليث الغرّ من قَحْطَانِ
للفارس الحامى الحقيقة معلماً زاد الرفاق إلى قُرَى نَجْرَانِ (١)
الحارث بن عميرة الليث الذى يحمى العراق إلى قُرَى كَرْمَانِ
ودَّ الأزارق لو يُصَابُ بِطَعْنَةٍ ويموت من فُرسانهم مَائَتَانِ

وتأويله: أن الرفقة إذا صحبها أغناها عن التزوّد، كما قال جرير- وأراد ابن له سَفَرًا، وفي ذلك السَفَر يحيى بن أبي حفصة، فقال لأبيه: زودنى فقال جرير:

أَرَادَ سَوَى يَحْيَى تَرِيدُ وَصَاحِبًا ألا إن يحيى نعم زَادُ المسافر
فَمَا تُنْكِرُ الْكُومَاءُ ضَرْبَةَ سَيْفِهِ إذا أَرْمَلُوا أَوْ خَفَ مَا فِى الْغَرَائِرِ (٢)

وقوله: «ويموت من فرسانهم» يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على العطف، ويدخل فى التمني. والنصب على الشرط والخروج من العطف، وفى مصحف ابن مسعود: «وَدُّوا لَوْ تَدَهْنُ فَيُدَهْنُوا» والقراءة «فَيُدَهْنُونَ» (٣) على العطف. وفي الكلام: ودّ لو تأتته فتحدثه، وإن شئت نصبت الثانى.

قال أبو العباس: وخرج مصعب بن الزبير إلى باجميراء، ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن، ولم يأت المهلب وأصحابه، فتواقفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارج: ما تقولون فى المصعب؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: ضالّ مضلّ، فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب، وأن أهل الشام ناداهم الخوارج: ما تقولون فى مصعب؟ قالوا: لانخيركم، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: يا أعداء الله! بالأمس ضالّ مضلّ، واليوم إمام هدى! يا عبيد الدنيا، عليكم لعنة الله!

وولى خالد بن عبد الله بن أسيد، فقدم فدخل البصرة، فأراد عزل المهلب، فأشير عليه ألا يفعل، وقيل له: إنما أمن أهل هذا المصر، بأن المهلب بالأهواز،

(١) زيادات ر: ويروى

* زاد الرفاق وفارس الفُرسان *

(٣) سورة القلم ٩.

(٢) أرمّلوا: نفذ زادهم.

وعُمَر بن عُيَيْد الله بفارس، فقد تَنَحَّى عمر، وإن نَحَيْتَ المهلبَ لم تأمنْ على البصرة الأزارقة^(١). فأبى إلا عزله، فقدم المهلبُ البصرة، وخرج خالدٌ إلى الأهواز، فأشخصه، فلما صار بِكُرْبَجَ دينارٍ لقيه قَطْرِيٌّ فَمَنَعَهُ حَطًّا أَثْقَالَ، وحاربه ثلاثين يوماً. ثم أقام قَطْرِيٌّ بإزائه، وَخَنَدَقَ على نفسه فقال المهلبُ: إنَّ قَطْرِيًّا ليس بِأَحَقَّ بِالْخَنْدَقِ منك. فَعَبَّرَ دُجَيْلًا إِلَى شِقِّ نَهْرِ تِيرِي، واتبعه قَطْرِيٌّ، فصار إلى مدينة نَهْرٍ تيرِي فبنَى سورَهَا وَخَنَدَقَ عَلَيْهَا، فقال المهلبُ لخالد: خَنَدَقْ على نَفْسِكَ، فَإِنِّي لَا آمَنُ عَلَيْكَ الْبَيَّاتَ، فقال: يا أبا سعيد، الأَمْرُ أَعْجَلُ من ذلك، فقال المهلبُ لبعض ولده: إِنِّي أَرَى أَمْرًا ضَائِعًا، ثم قال لزياد بن عمرو: خَنَدَقْ علينا، فخنَدَقَ المهلبُ وَأَمَرَ بِسُفْنِهِ ففُرِّغَتْ، وأبى خالدٌ أَن يُفْرِغَ سُفْنَهُ، فقال المهلبُ لفيروز حُصَيْنٍ: صِرْ معنا، فقال: يا أبا سعيد، الحَزْمُ ما تقول، غيرَ أَنِّي أَكْرَهُ أَن أَفَارِقَ أَصْحَابِي. قال: فَكُنْ بِقُرْبِنَا، قال: أَمَّا هَذِهِ فَنَعَمْ.

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمدَّ خالدًا بجيشٍ كَثِيفٍ، أميرُهُ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ففعل، فَقدِمَ عليه عبدُ الرحمن، فأقام قَطْرِيٌّ يَغَادِيهِمُ الْقِتَالَ وَيَرَاوِجُهُمُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فقال المهلبُ لِمَوْلَى لِأَبِي عُيَيْنَةَ: انْتَبِذْ إِلَى ذَلِكَ النَّاوُوسِ^(٢) فَبِتْ عَلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَمَتَى أَحْسَسْتَ خَبْرًا مِنَ الْخَوَارِجِ أَوْ حَرَكَةً أَوْ صَهِيلَ خَيْلٍ فَأَعْجَلْ إِلَيْنَا. فَبَجَاءَ لَيْلَةً فَقَالَ: قَدْ تَحَرَّكَ الْقَوْمُ. فَجَلَسَ الْمُهَلَّبُ بِيَابِ الْخَنْدَقِ، وَأَعَدَّ قَطْرِيٌّ سُفْنًا فِيهَا حَطَبٌ فَأَشْعَلَهَا نَارًا، وَأَرْسَلَهَا عَلَى سُفْنِ خَالِدٍ، وَخَرَجَ فِي أَدْبَارِهَا حَتَّى خَالَطَهُمْ. فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِرَجُلٍ إِلَّا قَتَلَهُ، وَلَا بِدَابَّةٍ إِلَّا عَقَرَهَا، وَلَا بِفُسْطَاطٍ إِلَّا هَتَكَهُ. فَأَمَرَ الْمُهَلَّبُ يَزِيدَ ابْنَهُ^(٣) فَخَرَجَ فِي مَائِهِ فَارِسًا، فَقَاتَلَ وَأَبْلَى يَوْمِيذًا، وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الْأَشْعَثِ فَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا، وَخَرَجَ فَيَرْوُزُ حُصَيْنٍ فِي مَوَالِيهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَرْمِيهِمُ بِالنَّشَابِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، فَأَثَرُ أَثَرًا جَمِيلًا، فَصُرِعَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ يَوْمِيذًا، وَصُرِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَحَامَى عَنْهُمَا أَصْحَابُهُمَا حَتَّى رَكِبَهُ، وَسَقَطَ فَيَرْوُزُ حُصَيْنٍ فِي

(١) ساقطة من ر.

(٢) الناووس: مقابر النصارى.

(٣) ساقطة من ر.

الخنْدَق، فأخذ بيده رجلٌ من الأزد، فوهبَ له فيروزُ حصينَ عشرة آلاف درهم، وأصبحَ عسكرُ خالدٍ كأنه حرَّةٌ سوداء، فجعلَ لا يرى إلا قتيلاً أو صريعاً، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كدنا نفتضح، فقال: خندق على نفسك، فلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكفني أمرَ الخندق، فجمعَ له الأحماس^(١)، فلم يبقَ شريفٌ إلا عملَ فيه، فصاح بهم الخوارجُ: والله لولا هذا الساحرُ المزوني لكان الله قد دمرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تسمي المهلبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبقَ إلى نقض تدبيرهم، فقال أعشى همدان لابن الأشعث في كلمة طويلة:

[فيروز حصين وبعض أخباره]

وقد ذكرنا في قصر الممدود أن، من مدَّ المقصور لا يجوز، ما يغني عن إعادته.
 وَيَوْمَ أَهْوَاؤُكَ لَا تَنْسَهُ ليس الثنا والذكرُ بالدأثر^(٢)

ونذكر فيروز حصين لما مرَّ من ذكره:

وكان فيروزُ حصينَ رجلاً جيداً البيِّت في العجم، كريم المحتد، مشهور الآباء، فلما أسلم والي حصيناً، وهو حصين بن عبد الله العنبري، من بني العنبر ابن تميم بن مرٍّ، ثم من ولد طريف بن تميم، وكان فيروزُ حصين شجاعاً جواداً، نبيل الصورة، جهير الصوت، وتروى الرواة أن رجلاً من العرب كانت أمه فتاة، فقاولَ بني عمِّ له، فسبوه بالعجمية، ومرَّ فيروزُ حصين، فقال: هذا خالي، فمَن منكم له خالٌ مثله؟ وظنَّ الفتى^(٣) أن فيروزَ لم يسمعها، وسمِعها فيروز، فلما صار إلى منزله بعث إلى الفتى، فاشتري له منزلاً وجاريةً، ووهبَ له عشرة آلاف درهم.

ومن مآثره المعروفة أن الحجاج بن يوسف لما وقف ابن الأشعث برُستقبادَ نادى منادى الحجاج: مَنْ أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم. ففصلَ فيروزُ من الصفِّ، فصاح بالناس: مَنْ عرفني فقد اكتفى، وَمَنْ لم يعرفني فأنا فيروزُ

(١) الأحماس. جمع حمس «بضم فسكون». جمع الأحمس، وهم الشجعان المشددون في القتال.

(٢) في الديوان ٣٤: بالباد. (٣) ساقطة من ر.

حُصَيْن، وقد عرفتم مالى ووفائى، مَنِ اتى برأس الحجاج فله مائة ألف، فقال الحجاج: فوالله^(١) لقد تركنى أكثر التلفت وإنى لبين خاصتى. فأتى به الحجاج فقال له: أنت الجاعلُ فى رأس أميرك مائة ألف درهم^(٢)؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمهدنك^(٣). ثم لأحملنك، أين المال؟ قال: عندى، فهل إلى الحياة من سبيل؟ قال: لا، قال: فأخرجنى إلى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق على! ففعل الحجاج، فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعهم، وأعتق رقيقه، وتصدق بماله، ثم رد إلى الحجاج فقال: شأنك الآن فاصنع ما شئت، فشد فى القصب الفارسى، ثم سل حتى شرح، ثم نضح بالخل والملح، فما تأوه حتى مات.

* * *

قال أبو العباس: ومضى قطرى إلى كرمان، فانصرف خالد إلى البصرة، فأقام قطرى بكرمان أشهراً، ثم عمّد لفارس، وخرج خالد إلى الأهواز، وندب للناس رجلاً، فجعلوا يطلبون المهلب، فقال خالد: ذهب المهلب بحظ هذا المصر، إنى قد وليتُ أخى قتال الأزارقة، فولى أخاه عبد العزيز، واستخلف المهلب على الأهواز فى ثلثمائة، ومضى عبد العزيز فى ثلاثين ألفاً، والخوارج بدراب جرد، فجعل عبد العزيز يقول فى طريقه: يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب، فسيعلمون!

قال صعب بن زيد: فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءنى كردوس حاجب المهلب فقال: أجب الأمير، فجئت إلى المهلب وهو فى سطح وعليه ثياب هروية، فقال: يا صعب، أنا ضائع، كأنى أنظر إلى هزيمة عبد العزيز، وأخشى أن توافينى الأزارقة ولاجئد معى، فابعث رجلاً من قبلك يأتينى بخبرهم سابقاً به إلى، فوجهت رجلاً يقال له عمران بن فلان، فقلت: اصحب عسكر عبد العزيز واكتب إلى بخبر يوم يوم، فجعلت أوردّه على المهلب.

فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة، فقال له الناس: هذا يوم صالح، فينبغى أن تنزل^(٤) - أيها الأمير - حتى نطمئن ثم نأخذ أهابتنا، فقال: كلا، الأمر قريب،

(١) ر: والله. (٢) ساقطة من ر

(٣) لأمهدانك. من مهدت الفراش مهداً. بسطته ووطأته. يريد لأجعلنك طريحا كالفرش المهدود. قاله المرفعى.

(٤) ر: «ترك».

فَنَزَلَ النَّاسُ عَلَى غَيْرِ أَمْرِهِ، فَلَمْ يُسْتَمَّ النَّزُولُ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ الطَّلَاحِ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ، كَأَنَّهُمْ خِيَطٌ مَمْدُودٌ. فَنَاهَضَهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ، فَوَقَفُوهُ سَاعَةً، ثُمَّ انْهَزَمُوا عَنْهُ مَكِيدَةً، فَاتَّبَعَهُمْ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: لَا تَتَّبِعْهُمْ فَإِنَّا عَلَى غَيْرِ تَعْيَةٍ، فَأَبَى، فَلَمْ يَزَلْ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى اقْتَحَمُوا عَقَبَةً، فَاقْتَحَمَهَا وَرَاءَهُمْ، وَالنَّاسُ يَنْهَوْنَهُ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ عَبَسُ بْنُ الشَّرِيمِيِّ، الْمَلَقَّبَ عَبْسَ الطَّعَانِ، وَعَلَى بَكْرِ بْنِ وائِلٍ مُقَاتِلُ بْنُ مَسْمَعٍ الْقَيْسِيُّ، وَعَلَى شُرْطَتِهِ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ نَزَارٍ، فَتَزَلُّوا عَنْ الْعَقَبَةِ وَنَزَلَ خَلْفَهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ فِي بَطْنِ الْعَقَبَةِ كَمَيْنٌ، فَلَمَّا صَارُوا وَرَاءَهَا خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَمَيْنُ. وَعَطَفَ سَعْدُ الطَّلَاحِ. فَتَرَحَّلَ عَبْسُ بْنُ طَلْحٍ فَقُتِلَ، وَقُتِلَ مُقَاتِلُ بْنُ مَسْمَعٍ، وَقُتِلَ الضَّبْعِيُّ^(١) صَاحِبُ الشَّرْطَةِ، وَانْحَارَ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَاتَّبَعَهُمُ الْخَوَارِجُ عَلَى فَرَسَخَيْنِ يَقْتُلُونَهُمْ كَيْفَ شَاءُوا. وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ بِأَمِّ حَفْصِ ابْنَةِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ امْرَأَتَهُ، فَسَبَّوْا النِّسَاءَ يَوْمَئِذٍ، وَأَخَذُوا أَسْرَى لَا تُحْصَى، فَقَذَفُوهُمْ فِي غَارٍ بَعْدَ أَنْ شَدُّوهُمْ وَثَاقًا، ثُمَّ سَدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَهُ حَتَّى مَاتُوا فِيهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ حَضَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ: رَأَيْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَإِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا لِيَضْرِبُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَمَا تَحِيكَ فِي جُنَّتِهِ^(٢).

- يُقَالُ مَا أَحَاكَ فِيهِ السِّيفُ، وَمَا يُحِيكَ فِيهِ، وَمَا حَاكَ الْأَمْرُ فِي صَدْرِي، وَمَا حَكَى فِي صَدْرِي، وَمَا احْتَكَى فِي صَدْرِي. وَيُقَالُ: حَاكَ الرَّجُلُ فِي مِشْيَتِهِ يُحِيكَ، إِذَا تَبَخَّرَ.

وَنُودِيَ عَلَى السَّبْيِ يَوْمَئِذٍ، فَعُودِي بِأَمِّ حَفْصِ، فَبَلَغَ بِهَا رَجُلٌ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ مَجُوسَ كَانَوَا أُسْلِمُوا وَلَحِقُوا بِالْخَوَارِجِ، فَقَرَضَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَمْسِمِائَةَ، فَكَادَ يَأْخُذُهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَطْرِيٍّ وَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا، إِنَّ هَذِهِ لَفِتْنَةٌ^(٣)، فَوَثَّبَ إِلَيْهَا الْحَدِيدَ الْعَبْدِيَّ فَقَتَلَهَا، فَأَتَى بِهِ قَطْرِيٌّ فَقَالَ لَهُ^(٤): يَا أَبَا الْحَدِيدِ، مَهِيمٌ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. رَأَيْتُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَزَايَدُوا فِي هَذِهِ الْمَشْرَكَةِ، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ. فَقَالَ قَطْرِيٌّ: قَدْ أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ:

(١) ر «الضبيعي». (٢) ر: «جسده».

(٣) ر. «فتنة». (٤) ساقطة من ر.

كفاناً فتنة عَظُمَتْ وَجَلَّتْ بحمد الله سيفُ أبي الحديدِ
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا على فَرَطِ الهَوَى: هل من مَزِيدٍ؟
فزادَ أبو الحديدِ بَنَصْلِ سيفٍ رقيقِ الحدِّ فِعْلُ فِتْيِ رَشِيدٍ

قوله: «أهاب» يريدُ أعلن، يقال: أهبْتُ به، إذا دَعَوْتُهُ، مِثْلُ صَوْتٍ، قال الشاعرُ:

أهاب بأحزانِ الفؤادِ مُهَيِّبُ وَمَاتَتْ نفوسٌ للهوى وقلوبُ

وقوله: «مَهَيِّمٌ» حرفٌ استفهامٌ^(١)، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبر، وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عوفٍ ردعَ خلوقٍ^(٢) فقال: مَهَيِّمٌ! فقال: تزوجتُ يا رسولَ الله، فقال: أَوَلَمْ ولو بشاةٍ. وكان تَزَوُّجٌ على نواة، وأصحابُ الحديث يروونه «على نواة من ذهبٍ قيمتها خمسة دراهم». وهذا خطأٌ وغلطٌ. العربُ تقول «نواة» فتعني بها خمسة دراهم، كما تقول: النشُّ لعشرين درهماً. والأوقيةُ لأربعين درهماً، فإنما هو اسم لهذا المعنى.

وكان العلاءُ بنُ مطرّف السعديُّ ابنَ عمِّ عمرو القنّا، وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروبِ مبارزة، فلحقه عمرو القنّا وهو منهزم، فضحك عمرو وقال تمثلاً:

تَمَنَّائِي لِيَلْقَانِي لَقِيْطُ أَعَامَ لَكَ ابْنَ صَعْصَعَةَ بْنِ سَعْدِ

ثم صاح به: انجُ أبا المصدّي! وكان عمرو القنّا يُكنى أيضاً أبا المصدّي. وهذا البيتُ الذي تمثّل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصّعق الكلابيّ، يقوله. يعني لقيط بن زُرّارة، وكان يطلبه، وقوله: «أَعَامَ لَكَ» يريدُ يا عَامِرٌ، فَرَخَمَ، وإنما يريدُ الحَيَّ تعجباً، أي لكم أعجبُ من تمنّيه للقاءى!

فَدَعَا بنى عامر بن صعصعة، وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ويقال إن عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، لا ابن

(١) قال المرصفي: يريد كلمة «استفهام» هي مبتدأ محذوف الخبر.

(٢) الخلوق: الطيب.

معاوية، وإنهم ناقلة^(١) في قيس. ولذلك امتنعت^(٢) بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة، ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان.

وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجب، وشبيهه به قول الصلتان العبدى:

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جريراً ولكن فى كليب تواضع

على معنى قوله: فله دَرُهُ شاعراً!

وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له. إحداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل. والأخرى بنت عمه، وهى فلانة بنت عقيل. فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ، وحمل الضبية أولاً، ففي ذلك يقول:

ألسنتُ كريماً إذ أقولُ لفَتَيْتِي قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل
ولو لم يكن عودى نضاراً لأصبحتُ تجرُّ على المتنين أم جميل^(٣)

قال الصَّعْبُ بن يزيد: بعثنى المهلبُ لآتيه بالخبر، فضربت^(٤) إلى قنطرة أربك^(٥) على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم. فلم أحس خبراً، فسرتُ مُهَجَّراً إلى أن أُمْسِيتُ، فلما أظلمنا سمعتُ كلامَ رجلٍ عرفته من الجهاضم^(٦) فقلت: ما وراءك؟ فقال: الشرُّ، فقلت: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أَمَامَكَ، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواء. فقلت: لواءُ^(٧) من هذا؟ فقالوا: هذا لواءُ عبد العزيز؛ فتقدَّمتُ إليه، فسَلَّمْتُ وقلت: أصلحَ اللهُ الأمير! لا يكبرَنَّ عليك ما كان، فإنك كنتَ فى شرٍّ جند وأخبثه. قال لى: أو كنتَ معنا؟ قلتُ: لا، ولكن كَأَنى شاهدُ أَمْرِكَ، قال: كَأَنكَ كنتَ معنا، قلتُ: أرسلنى المهلبُ لآتيه بخبرك. ثم تركته وأقبلتُ إلى المهلب، فقال لى: ما وراءك؟ قلتُ: ما يسرك. قد

(١) الناقلة: القبيلة تنتمى إلى أخرى.

(٢) ر: «تمنعت».

(٣) ر: «تخر».

(٥) أربك إحدى قرى خوزستان.

(٤) ر: «قصرت».

(٦) الجهاضم: يريد بنى جهضم بن عوف بن مالك - (٧) ساقطة من ر.

هُزِمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ^(١). وَقَلَ جَيْشُهُ. فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَمَا يَسْرُنِي مِنْ هَزِيمَةِ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ وَقَلَ جَيْشِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ! قُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ، فَوَجَّهَ رَجُلًا إِلَى خَالِدٍ بِخُبْرِهِ. قَالَ الرَّجُلُ: فَلَمَّا أُخْبِرْتُ خَالِدًا قَالَ: كَذِبْتَ وَلَوْ مَتَ. وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ فَكَذَّبَنِي، وَقَالَ لِي خَالِدٌ: وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَكَ. قُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَاقْتُلْنِي. وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَعْطِنِي مُطْرَفَ هَذَا الْمُتَكَلِّفِ. فَقَالَ خَالِدٌ: لَيْسَ مَا أَخْطَرْتُ بِهِ دَمَكَ! فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى دَخَلَ بَعْضُ الْفَلِ.

وَقَدَّمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ سَوْقَ الْأَهْوَازِ، فَأَكْرَمَهُ الْمَهْلَبُ وَكَسَاهُ، وَقَدَّمَ مَعَهُ عَلَى خَالِدٍ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ حَبِيبًا، وَقَالَ لَهُ: تَحَسَّسْ عَنِ الْأَخْبَارِ، فَإِنْ أَحْسَسْتَ بِخُبْرِ الْأَزَارِقَةِ قَرِيبًا مِنْكَ فَانْصَرِفْ إِلَى الْبَصْرَةِ. فَلَمْ يَزَلْ حَبِيبٌ مُقِيمًا وَالْأَزَارِقَةُ تَدْنُو مِنْهُ، حَتَّى بَلَغُوا قَنْطَرَةَ أَرْبُكَ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْبَصْرَةِ عَلَى نَهْرِ تَيْرِي، فَلَمَّا دَخَلَهَا أَعْلَمَ خَالِدٌ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَاسْتَتَرَ حَبِيبٌ فِي بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَتَزَوَّجَ هُنَاكَ فِي اسْتِتَارِهِ الْهَلَالِيَّةِ أُمَّ عَبَّادِ بْنِ حَبِيبٍ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ لَخَالِدٍ يُفِيلُ رَأْيَهُ، أَى يُخْطِئُهُ:

بَعَثْتَ غَلَامًا مِّنْ قَرِيشٍ فَرَوْقَةً^(٢) وَتَرَكْتُ ذَا الرِّأْيِ الْأَصِيلِ الْمَهْلِيَّا
أَبَى الدِّمِّ وَاخْتَارَ الْوَفَاءَ وَأَحْكَمَتِ قُوَاهُ وَقَدْ سَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَبًا

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْزُومِيُّ:
فَرَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَمَّا رَأَى

الْأَبْطَالَ بِالسَّفْحِ وَنَازَلُوا قَطْرِيًّا

وَيُرَوَّى:

فَرَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِذْ رَأَى عَيْسَى
عَاهِدَ اللَّهِ إِنْ نَجَا مَلْمَنِيًّا
يَسْكُنُ الْخَلَّ وَالصَّفَّاحَ
حَيْثُ لَا يَشْهَدُ الْقِتَالُ وَلَا يَسْمَعُ
وَإِبْنُ دَاوُدَ نَازِلًا قَطْرِيًّا
لِيَعُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيًّا
فَمِرَانٍ وَسَلْعًا وَتَارَةً مُجْدِيًّا
يَوْمًا لِكَبْرِ خَيْلِ دَوِيَّا

(١) ساقطة من ر.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

قوله: «إِذْ رَأَىٰ عِيسَىٰ»، الأصل «رَأَىٰ» ولكنه قلبَ فقدم الألفَ وأخَّرَ الهمزة، كما قال كثير:

وكلُّ خَلِيلٍ رَأَىٰ نَىٰ فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ

والقلب كثير في كلام العرب، وسنذكر منه شيئاً في موضعه إن شاء الله.

وقوله: «مَلَمَنَايَا» يريد من المنايا، ولكنه حَذَفَ النونَ لقرب مخرجها من اللام، فكانتَا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيُحذفُ أحدهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرةً. فيقولون في بنى الحارث وبنى العنبر وما أشبه ذلك: «بَلْحَارِثٌ» و«بَلْعَنْبَرٌ» و«بَلْهَجِيمٌ» كما يقولون: «عَلَمَاءُ بَنُو فُلَانٍ» فيحذفون إحدى اللامين.

وقوله: «لَيَعُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيًّا» العرب تُسَبِّبُ إِلَى الْحَرَمِ فيقولون «حُرْمِيٌّ» و«حُرْمِيٌّ» على قولهم حُرْمَةُ الْبَيْتِ، وَحِرْمَةُ الْبَيْتِ، وقال النابغة الذبياني:

مَنْ قَوْلٍ حَرْمِيَّةٍ قَالَتْ وَقَدْ رَحَلُوا هَلْ فِي مُخَفِّئِكُمْ مَنْ يَشْتَرِي أَدَمًا (١)
وَالْخَلُّ: هَاهُنَا مَوْضِعٌ، وَأَصْلُهُ الطَّرِيقُ فِي الرَّمْلِ.

وكتب خالدٌ إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز، وقال للمهلب: ما ترى عبد الملك صانعاً بي؟ قال: يَعْزَلُكَ، قال: أَتَرَاهُ قَاطِعاً رَحِمِي؟ قال: نعم، قد (٢) أَتَتْهُ هَزِيمَةُ أُمَيَّةٍ أَخِيكَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ. وتأتي هَزِيمَةُ أَخِيكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِنْ فَارِسٍ!

قال أبو العباس: فكتب عبد الملك إلى خالد (٣):

أما بعد، فإنني كنتُ حَدَدْتُ لَكَ حَدًّا فِي أَمْرِ الْمُهَلَّبِ، فلما ملكْتَ أَمْرَكَ نَبَذْتَ طَاعَتِي وَاسْتَبَدَدْتَ بِرَأْيِكَ، فَوَلَّيْتَ الْمُهَلَّبَ الْجَبَايَةَ، وَوَلَّيْتَ أَخَاكَ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ، فَقَبَّحَ اللَّهُ هَذَا رَأْيَا! أَتَبْعُ غُلَامًا غَرًّا لَمْ يُجَرِّبْ الْحُرُوبَ لِلْحَرْبِ (٤). وتتركُ سيداً شجاعاً مدبراً حازماً قد مارس الحروبَ تَشْغَلُهُ بِالْجَبَايَةِ،!

(١) المخف: الخفيف المتاع. (٢) ساقطة من ر.

(٣) في س بعدها: «بسم الله الرحمن الرحيم». ولم تذكر في الأصل. ر.

(٤) ساقطة من ر.

أَمَا لَوْ كَافَأْتُكَ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِكَ لَأَتَاكَ مِنْ نَكِيرِي مَا لَا بَقِيَّةَ لَكَ مَعَهُ، وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ رَحِمَكَ فَلَفَّسْتَنِي عَنْكَ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَقَوْبَتَكَ عَزْلَكَ.

وَوَلَّى بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. يَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَأَنْ خَالِدًا لَا مُجْتَمَعَ لَهُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ أُمَيَّةَ. فَانْظُرِ الْمَهْلَبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ، فَوَلَّهِ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ بَطَلٍ مُجَرَّبٍ، فَأَمْدُدْهُ^(١). مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِثَمَانِيَةِ آلَافٍ رَجُلٍ.

فَشَقَّ عَلَيْهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ^(٢) فِي الْمَهْلَبِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ^(٣): أَيُّهَا الْأَمِيرُ^(٤)، إِنَّ لِلْمَهْلَبِ حِفَاطًا وَبَلَاءً وَوَفَاءً.

وَخَرَجَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ يَزِيدَ الْبَصْرَةَ، فَكَتَبَ مُوسَى وَعِزْرَمَةُ إِلَى الْمَهْلَبِ أَنْ يَتَلَقَّاهُ لِقَاءً لَا يَعْرِفُهُ بِهِ، فَتَلَقَّاهُ الْمَهْلَبُ عَلَى بَغْلٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي غِمَارِ النَّاسِ، فَلَمَّا جَلَسَ بِشْرُ مَجْلِسَهُ قَالَ: مَا فَعَلَ أَمِيرُكُمْ الْمَهْلَبُ؟ قَالُوا: قَدْ تَلَقَّاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَهُوَ شَاكٍ.

فَهَمَّ بِشْرُ أَنْ يُوَلِّيَ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ: إِنَّمَا وَلَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَرَى رَأْيَكَ، فَقَالَ لَهُ عِزْرَمَةُ بْنُ رَبْعَى: اكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلِمْهُ عِلَّةَ الْمَهْلَبِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ عِلَّةَ الْمَهْلَبِ، وَأَنَّ بِالْبَصْرَةِ مَنْ يُغْنِي غَنَاءَهُ، وَوَجَّهَ بِالْكِتَابِ مَعَ وَفْدٍ أَوْفَدَهُمْ إِلَيْهِ، رَئِيسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمٍ الْمُجَاشَعِيُّ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ خَلَا بَعْدَ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ فَقَالَ: إِنَّ لَكَ دِينًا وَرَأْيًا وَحَزْمًا، فَمَنْ لِقَتَالَ هَؤُلَاءِ الْأَزَارِقَةَ؟ قَالَ: الْمَهْلَبُ. قَالَ: إِنَّهُ عَلِيلٌ. قَالَ: لَيْسَتْ عِلَّتُهُ بِمَانِعَةٍ^(٥). فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَرَادَ بِشْرُ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ خَالِدٌ.

فَكَتَبَ^(٥) إِلَى بِشْرٍ^(٥) يَعَزِّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُوَلِّيَ الْمَهْلَبَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ. قَالَ الْمَهْلَبُ: أَنَا عَلِيلٌ وَلَا يُمَكِّنُنِي الْاِخْتِلَافُ، فَأَمَرَ بِشْرُ بِحَمْلِ الدَّوَابِّ إِلَى الْمَهْلَبِ، فَجَعَلَ يَتَنَحَّبُ، فَاعْتَرَضَ بِشْرُ عَلَيْهِ، فَاقْتَطَعَ أَكْثَرَ نُخْبَتِهِ، ثُمَّ عَزَمَ^(٦) أَلَّا يُقِيمَ بَعْدَ ثَالِثَةٍ، وَقَدْ

(١) أَمْدَدَهُ: أَعْنَاهُ. (٢) سَاقَطَةٌ مِنْ ر.

(٣-٣) سَاقَطَتْ مِنْ ر. (٤) ر: «بِمَانِعَتِهِ».

(٥-٥) سَاقَطَتْ مِنْ ر. (٦) سَاقَطَتْ مِنْ ر.

أَخَذَتْ الْخَوَارِجُ الْأَهْوَاذَ وَخَلَّفُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَصَارُوا بِالْفُرَاتِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمَهْلَبُ حَتَّى صَارَ إِلَى شَهَارَ طَاقَ. فَأَتَاهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنْ سَنَى مَا تَرَى فِيهِنِي لِعِيَالِي قَالَ: عَلَى أَنْ تَقُولَ لِلْأَمِيرِ إِذَا خَطَبَ فَحَثِّكُمُ عَلَى الْجِهَادِ، كَيْفَ تَحْتُسُّنَا عَلَى الْجِهَادِ وَأَنْتَ تَحْبِسُ أَشْرَافَنَا وَأَهْلَ النَّجْدَةِ مِنَّا؟ فَفَعَلَ الشَّيْخُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ: وَمَا (١) أَنْتَ وَذَاكَ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، وَأَعْطَى الْمَهْلَبُ رَجُلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِشَرًّا فَيَقُولَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَعِنِ الْمَهْلَبَ بِالشَّرْطَةِ وَالْمُقَاتِلَةِ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ: مَا أَنْتَ وَذَاكَ؟ قَالَ: نَصِيحَةٌ حَضَرْتَنِي (٢) لِلْأَمِيرِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا، فَأَمَدَّهُ بِالشَّرْطَةِ وَالْمُقَاتِلَةِ.

وَكُتِبَ بِشْرٌ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يَعْقِدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ عَلَى ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، مِنْ كُلِّ رُبْعٍ أَلْفَيْنِ، وَيُوجِّهَ بِهِ مَدَدًا إِلَى الْمَهْلَبِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ الْأَزْدِيَّ فَعَقَدَ لَهُ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنْ كُلِّ رُبْعٍ أَلْفَيْنِ، فَكَانَ عَلَى رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِشْرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ جَرِيرٍ الْبَجَلِيُّ، وَعَلَى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ، وَعَلَى رُبْعِ كِنْدَةَ وَرَبِيعَةَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ، وَعَلَى مَذْحِجٍ وَأَسَدَ زَحْرَ بْنَ قَيْسِ الْمَذْحِجِيِّ، فَقَدِمُوا عَلَى بَشْرٍ، فَخَلَا بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ رَأْيِي فِيكَ وَثَقْتِي بِكَ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي، أَنْظِرْ هَذَا الْمَرْوَنِيَّ فَخَالَفَهُ فِي أَمْرِهِ، وَأَفْسِدْ عَلَيْهِ رَأْيَهُ، فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مَخْنَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: مَا أَعْجَبَ مَا طَمَعَ مِنِّي فِيهِ هَذَا الْغُلَامُ! يَا مَرْنِي أَنْ أَصْغَرَ شَيْخًا مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِي وَسِيدًا مِنْ سَادَاتِهِمْ! فَلَحِقَ بِالْمَهْلَبِ.

فَلَمَّا أَحَسَّ الْأَزَارِقَةُ بِدُنُوءِهِ مِنْهُمْ انْكَشَفُوا عَنِ الْفُرَاتِ، فَاتَّبَعَهُمُ الْمَهْلَبُ إِلَى سَوَاقِ الْأَهْوَاذِ، فَنفَاهُم عَنْهَا، ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ (٣). إِلَى رَامٍ هَرْمُزٍ فَهَزَمَهُمْ مِنْهَا، فَدَخَلُوا فَارِسَ وَأَبْلَى يَزِيدُ ابْنَهُ فِي وَقَائِعِهِ هَذِهِ بِلَاءً شَدِيدًا (٤)، تَقَدَّمَ فِيهِ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَلَمَّا صَارَ الْقَوْمُ بِفَارِسَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ ابْنَهُ الْمُغِيرَةَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صُبْحٍ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! إِنَّهُ (٥) لَيْسَ بِرَأْيٍ قَتْلُ هَذِهِ الْأَكْلَبِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلْتَهُمْ لَتَقْعُدَنَّ فِي بَيْتِكَ، وَلَكِنْ طَاوَلْتَهُمْ وَكَلَّ بِهِمْ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنَ الْوِفَاءِ.

(٢) ساقطة من ر.

(٤) ر: «حسنًا».

(١) ر: «ما أنت».

(٣) ر: «اتبعهم».

(٥) ر: «أتاه».

فلم يَلَيْثَ بِرَامَ هَرَمَزٍ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى أَتَاهُمُ^(١) مَوْتُ بَشَرٍ، فَاضْطَرَبَ الْجَنْدُ عَلَى ابْنِ مَخْنَفٍ، فَوَجَّهَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ وَابْنِ زَحْرٍ وَاسْتَحْلَفَهُمَا أَلَّا يَبْرَحَا، فَحَلَفَا لَهُ وَلَهُمْ يَفِيًا، فَجَعَلَ الْجَنْدُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَتَسَلَّلُونَ حَتَّى اجْتَمَعُوا بِسُوقِ الْأَهْوَازِ، وَأَرَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الْإِنْسِلَالَ مِنَ الْمَهْلَبِ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَسْتُمْ كَأَهْلِ الْكُوفَةِ، إِنَّمَا تَذُبُّونَ عَنْ مَصْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَحُرْمِكُمْ، فَأَقَامَ مِنْهُمْ قَوْمًا وَتَسَلَّلَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان، فوجه مولى له بكتاب منه إلى من بالأهواز، يحلف فيه بالله مجتهداً، لئن لم يرجعوا إلى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم إلا قتله، فجاء مولا، فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله، فقال: إني لأرى وجوهاً ما القبول من شأنها. فقال له ابن زحر: أيها العبد، اقرأ ما في الكتاب وانصرف إلى صاحبك، فإنك لا تدري ما في أنفسنا، وجعلوا^(٢) يستحثونه بقراءته. ثم قصدوا قصداً الكوفة، فتركوا النخيلة، وكتبوا إلى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول فأبى، فدخلوها بغير إذن.

[ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج]

فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف في عدد قليل، فلم ينشؤا أن وكى الحجاج العراق، فدخل الكوفة قبل البصرة، وذلك في سنة خمس وسبعين، فخطبهم وتهدهم، وقد ذكرنا الخطبة متقدماً. ثم نزل فقال لوجوه أهلها: ما كانت الولاية تفعل بالعصاة؟ فقالوا: كانت تضرب وتحبس، فقال الحجاج: ولكن ليس لهم عندي إلا السيف. إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ولا جبي فئ. ولا عز دين.

ثم جلس لتوجيه الناس، فقال: قد أجلتكم ثلاثاً، وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلتهم. ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذوا سيوفكما عصياً، فجاء عمير بن ضابئ البرجمي بابنه، فقال: أصلح الله الأمير! إن هذا أنفع لكم مني، وهو أشد بني تميم أيداً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جاشاً. وأنا شيخ كبير عليل،

(٣) ساقطة من ر.

(٢) ر: «يستحثونه في قراءته».

(١) ر: «أتاه».

وَاسْتَشْهَدَ جُلَسَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ (٢) الْحِجَاجُ: إِنَّ عَذْرَكَ لَوَاضِحٌ. وَإِنْ ضَعْفَكَ لَبَيِّنٌ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَجْتَرِيَ بِكَ النَّاسُ عَلَى. وَبَعْدُ فَأَنْتَ ابْنُ ضَايٍ صَاحِبُ عَثْمَانَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. فَاحْتَمَلَ النَّاسُ. وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيَتَّبِعُ بَزَادَهُ وَسِلَاحَهُ. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الزَّيْبِرِ الْأَسَدِيُّ:

أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ لَقَيْتَهُ أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصَباً مُتَشَعِّباً
تَخِيرٌ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَايٍ عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَا
هُمَا خَطُتَا خَسَفَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلًا مِنَ الثَّلَجِ أَشْهَبَا
فَمَا إِنْ أَرَى الْحِجَاجَ يَغْمِدُ سَيْفَهُ يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى يَتَرَكَ الطِّفْلَ أَشْبَهَا
فَأُضْحِي وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْهَى أَقْرَبَا

وَهَرَبَ سَوَّارُ بْنُ الْمَضْرَبِ السَّعْدِيُّ مِنَ الْحِجَاجِ وَقَالَ:

أَقَاتِلِي الْحِجَاجُ إِنْ لَمْ أَزُرْ لَهُ دَرَابَ وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا
وَقَدْ مَرَّتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ.

وَخَرَجَ النَّاسُ عَنِ الْكُوفَةِ. وَأَتَى الْحِجَاجُ الْبَصْرَةَ. فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ الْحَاحَا (٢). وَقَدْ كَانَ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ بِالْكُوفَةِ، فَتَحَمَّلَ النَّاسُ قَبْلَ قَدُومِهِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا أَعُورَ، وَكَانَ يَجْعَلُ عَلَى عَيْنِهِ الْعُورَاءَ صُوفَةً، فَكَانَ يُلقَبُ ذَا الْكُرْسُفَةِ. فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنْ بِي فَتَقًا، وَقَدْ عَذَرَنِي بِشْرٍ، وَقَدْ رَدَدْتُ الْعَطَاءَ، فَقَالَ: إِنَّكَ عِنْدِي لَصَادِقٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ كَعْبُ الْأَشْقَرِيُّ أَوْ الْفَرَزْدَقُ:

لَقَدْ ضَرَبَ الْحِجَاجُ بِالْمَضْرَبِ تُقَرِّقُ مِنْهَا بَطْنَ كُلِّ عَرِيفٍ

وِيرَى عَنْ ابْنِ مَيْرَةَ قَالَ: إِنَّا لَتَتَغَدَّى مَعَهُ يَوْمًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِرَجُلٍ يَقُودُهُ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنَّ هَذَا عَاصٍ، فَقَالَ: لَهُ الرَّجُلُ: أَنْشِدْكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي دَمِي، فَوَاللَّهِ مَا قَبِضْتُ دِيْوَانًا قَطُّ، وَلَا شَهِدْتُ عَسْكَرًا، وَإِنِّي لِحَائِكَ أَخَذْتُ مِنْ تَحْتِ الْحِفِّ (٣) فَقَالَ: اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَلَمَّا أَحْسَنَ بِالسَّيْفِ سَجَدَ،

(٢) ر: «حاء».

(١) ساقطة من ر.

(٣) الحف: المنسج.

فَلَحَقَهُ السَّيْفُ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَمْسَكْنَا عَنِ الْأَكْلِ^(١)، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا الْحِجَاجُ فَقَالَ: مَالِي أَرَاكُمْ صَفَرْتُ أَيْدِيَكُمْ وَاصْفَرَّتْ وَجُوهُكُمْ وَحَدَّ نَظْرُكُمْ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ! إِنَّ الْعَاصِيَ يَجْمَعُ خِلَالَ: يُخِلُّ بِمَرْكَزِهِ، وَيَعْصِي أَمِيرَهُ، وَيَغْرُ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ أَجِيرٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْأَجْرَةَ لَمَّا يَعْمَلُ، وَالْوَالِي مُخَيَّرٌ فِيهِ، إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا.

ثُمَّ كَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى الْمَهْلَبِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَشْرًا رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَكْرَهَ نَفْسَهُ عَلَيْكَ، وَأَرَاكَ غَنَاءَهُ عَنْكَ، وَأَنَا أَرِيكَ حَاجَتِي إِلَيْكَ، فَأَرْنِي الْجَدَّ فِي قِتَالِ عَدُوِّكَ، وَمَنْ خَفْتُهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مِمَّنْ قَبْلَكَ فَاقْتُلْهُ، فَإِنِّي قَاتِلٌ مَنْ قَبْلِي، وَمَنْ كَانَ عِنْدِي مِنْ وَلِيٍّ مِنْ هَرَبٍ عَنْكَ فَأَعْلَمْنِي مَكَانَهُ، فَإِنِّي أَرَى أَنْ أَخَذَ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ، وَالسَّمِيُّ بِالسَّمِيِّ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَهْلَبُ: لَيْسَ قَبْلِي إِلَّا مُطِيعٌ، وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا خَافُوا الْعُقُوبَةَ كَبُرُوا الذَّنْبَ، وَإِذَا أَمِنُوا الْعُقُوبَةَ صَغُرُوا الذَّنْبَ، وَإِذَا يَتَسَوَّوْا مِنَ الْعَفْوِ أَكْفَرَهُمْ ذَلِكَ، فَهَبْ لِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ عَصَاءً، فَإِنَّمَا هُمْ فَرِيقَانِ^(٢): أَبْطَالٌ، أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَ اللَّهُ بِهِمُ الْعَدُوَّ. وَنَادِمٌ عَلَى ذَنْبِهِ.

فَلَمَّا رَأَى الْمَهْلَبُ كَثْرَةَ النَّاسِ عَلَيْهِ قَالَ: الْيَوْمَ قُوتِلَ هَذَا الْعَدُوَّ. وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَطَرِيٌّ قَالَ: انْهَضُوا بَنَا نَرِيدُ السَّرْدَانَ^(٣) فَتَنَحَّصْنَ فِيهَا، فَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ هَلَالٍ: أَوْ نَأْتِي سَابُورَ، وَخَرَجَ الْمَهْلَبُ فِي آثَارِهِمْ، فَأَتَى أَرْجَانَ، وَخَافَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ تَحَصَّنُوا بِالسَّرْدَانَ، وَلَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ، وَلَكِنْ جِبَالٌ مُحَدَقَةٌ مَنِيعةٌ، فَلَمْ يُصِبْ بِهَا أَحَدًا، فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فَعَسَكَرَ بِكَازُرُونَ، وَاسْتَعَدُّوا لِقَاتَالَهُ، وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ: خَنَدَقْ عَلَى نَفْسِكَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ: خَنَادَقُنَا سِوْفُنَا. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَهْلَبُ: إِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْبَيَاتِ، فَقَالَ ابْنُهُ جَعْفَرٌ: ذَاكَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ ضَرْطَةِ جَمَلٍ، إِفْأَقْبِلِ الْمَهْلَبُ عَلَى ابْنِهِ الْمَغِيرَةَ، فَقَالَ: لَمْ يُصَيِّبُوا الرَّأْيَ وَلَمْ يَأْخُذُوا بِالْوَثِيقَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ غَادَوْهُ الْحَرْبَ، فَبَعَثَ إِلَى ابْنِ مَخْنَفٍ يَسْتَمِدُّهُ، فَأَمَدَّهُ بِجَمَاعَةٍ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ ابْنَهُ جَعْفَرًا، فَجَاءُوا وَعَلَيْهِمْ أَقْبِيَّةٌ بِيضٌ جُدَّدٌ، فَفَاتَلُوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى عُرِفَ مَكَانُهُمْ، وَحَارَبَهُمُ الْمَهْلَبُ، وَأَبْلَى بَنُوهُ يَوْمَئِذٍ كِبَاءً الْكُوفِيِّينَ أَوْ أَشَدَّ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى رَئِيسٍ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ صَالِحُ بْنُ مِخْرَاقٍ، وَهُوَ يَنْتَخِبُ

(١) ر: «الطعام».

(٢) ر: «الطعام».

(٣) السردان: موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون (البكرى). وفي ر: «السردان».

قوماً من جلة العسكر، حتى بلغوا أربعمائة، فقال لابنه المغيرة: ما يُعدُّ هؤلاء إلاَّ للبيات. وانكشف الخوارجُ والأمرُ للمهلبِ عليهم، وقد كثر فيهم القتل والجراح.

وقد كان الحجاجُ في كل يوم يتفقدُ العصاةَ ويوجهُ الرجالَ، فكان يحبسهم نهاراً، ويفتحُ الحبسَ ليلاً، فينسلُ الناسُ إلى ناحيةِ المهلبِ، وكان الحجاجُ لا يعلم، فإذا رأى إسراعهم تمثَّلَ:

إنَّ لها لسائِقاً عَشْنَزَراً إذا ونينَ ونيةَ تَغَشْمَراً
العَشْنَزَرُ: الصُّلبُ، والغشمة^(١): ركوب الرأس. والمتغشمرُ: الجادُّ على ما خيَّلَ.

وكتبَ إلى المهلبِ من قبل الوقعة: أما بعدُ، فإنه بلغني أنك أقبلتَ على جبايةِ الخراج، وتركتَ قتالَ العدوِّ، وإنِّي وليتُكَ وأنا أرى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجاشعي وعباد بن حصينِ الحبطيَّ. واخترتُكَ وأنتَ من أهلِ عُمانَ، ثم رجلٌ من الأزدِ، فالفهمُ يومَ كذا في مكانِ كذا، وإلاَّ أشرعتُ إليك صدرَ الرمح. فشاوَرَ بنيهِ فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تغلُظْ عليه في الجواب.

فكتبَ إليه المهلبُ: وردَ على كتابك تَزعمُ أني أقبلتُ على جبايةِ الخراج وتركتُ قتالَ العدوِّ. ومن عَجَزَ عن جبايةِ الخراج فهو عن قتالِ العدوِّ أعجزُ، وزعمتُ أنك وليتني وأنتَ ترى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجاشعي وعباد بن حصينِ الحبطيَّ، ولو وليتَهما لكانا مُستَحَقِّينَ لذلك في فضلَهما وغنائَهما وبطشَهما، واخترتني وأنا رجلٌ من الأزدِ، ولعمري إنَّ شراً من الأزدِ لقبيلةٌ تنازُعُها ثلاثُ قبائلَ، لم تستقرَّ في واحدةٍ منهنَّ. وزعمتُ أني إن لم ألقَهم في يومِ كذا، في مكانِ كذا، أشرعتُ إلى صدرِ الرمح، فلو فعلتَ لَقَلْبْتُ إليك ظهرَ المَجَنِّ، والسلام.

ثم كانت الواقعةُ. فلما انصرف الخوارجُ قال المهلبُ لابنه المغيرة: إنني أخافُ البياتَ على بني تميمٍ فانْهَضُ إليهم فكنْ فيهم.

(١) ر: التغشمر.

فأتاهم المغيرة. فقال له الحريش بن هلال: يا أبا حاتم، أخاف الأمير أن يؤتى من ناحيتنا؟ قل له فليتب آمناً، فإننا كافؤهُ ما قبلنا إن شاء الله.

فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة إلى أبيه، سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعدّهم إلى ناحية بنى تميم، ومعه عبيدة بن هلال، وهو يقول:

إني لمُذْكَ للشُّرَاةِ نارها ومانعٌ ممّن أتاها دارها

وغاسلُ بالطعنِ عنها عارها

فوجد بنى تميم أيقاظاً متحارسين، فخرج إليهم الحريش بن هلال وهو يقول:

لقد وجدتم وقرأ أنجاداً لا كشفاً ميلاً ولا أوغاداً
هيهات لا تُلْفُونَنَا رُقَاداً لا بلّ إذا صيح بنا أساداً

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه، فاتبعهم وصاح بهم: إلى أين كلاب النار! فقالوا: إنما أعدت النار لك ولأصحابك، فقال الحريش: كل مملوك لي حرٌّ إن لم تدخلوا النار إن دخلها مجوسى فيما بين سقوان وخراسان.

قوله: «وجدتم وقرأ» جمع وفور. والتجد: ضدّ البليد، وهو المتيقظ الذى لا كسل عنده ولا فتور، والأميل فيه قولان: قالوا: الذى لا يستقر على الدابة. وقالوا: هو الذى لا سيف معه. والأكشف: الذى لا ترس معه. والأجم: الذى لا رمح معه. والحاسر الذى لا درع عليه. والأعزل: الذى لا يتقوم على ظهر الدابة. والوغد: الضعيف.

ثم قال بعضهم لبعض: نأتى عسكر ابن مخنف فإنه لا خندق عليهم، وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب، وقد زعموا أننا أهون عليهم من ضرطة جمل، فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه لهم إلا وقد خالطوهم فى عسكرهم.

وكان ابن مخنف شريفاً، يقول رجلٌ من غامدٍ لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل:

تروح وتغدو كل يوم معظماً كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فَتَرَجَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ فَجَالَدَهُمْ فَقُتِلَ. وَقُتِلَ مَعَهُ سَبْعُونَ مِنَ الْقُرَاءِ، فِيهِمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَبَلَغَ الْخَبِيرُ الْمُهَلَّبُ، وَجَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ عِنْدَ الْمُهَلَّبِ، فَجَاءَهُمْ مُغِيثًا، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى ارْتَثَ^(١) وَصَرَ، وَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ إِلَيْهِمْ ابْنَهُ حَبِيبًا فَكَشَفَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ الْمُهَلَّبُ حَتَّى صَلَّى عَلَى ابْنِ مَخْنَفٍ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَصَارَ جُنْدُهُ فِي جُنْدِ الْمُهَلَّبِ، فَضَمَّهُمْ إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ، فَغِيرَهُمُ الْبَصَرِيُّونَ، فَقَالَ رَجُلٌ لَجَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:

تَرَكْتَ أَصْحَابَنَا تَدْمَى نُحُورُهُمْ وَجئتَ تَسْعَى إِلَيْنَا خَضَفَةَ الْجَمَلِ^(٢)
قوله: «خَضَفَةَ الْجَمَلِ» يَرِيدُ ضَرْطَةَ الْجَمَلِ، يُقَالُ: خَضَفَ الْبَعِيرُ. وَأُنْشِدُنِي الرِّيَاشِيَّ لِأَعْرَابِيٍّ يَذُمُّ رَجُلًا اتَّخَذَ وَلِيمًا:
إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بِئْسَ الْخَلْفُ أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ حَلَفَ
لَا يُدْخِلُ الْبَوَابَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عَبْدًا^(٣) إِذَا مَانَاءَ بِالْحِمْلِ خَضَفَ^(٤)

يُقَالُ: نَاءَ بِحِمْلِهِ. إِذَا حَمَلَهُ فِي ثَقْلٍ وَتَكَلَّفَ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾^(٥). وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَصْبَةَ تَنُوءُ بِالْمَفَاتِيحِ. وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذَا.

فَلَا مَهَمَّ الْمُهَلَّبُ. وَقَالَ: بِئْسَمَا قُلْتُمْ! وَاللَّهُ مَافِرٌ وَلَا جَبِينٌ، وَلَكِنْهُمْ خَالِفُوا أَمِيرَهُمْ. أَفَلَا تَذْكُرُونَ فِرَارَكُمْ يَوْمَ دُولَابٍ، وَفِرَارَكُمْ بِدَارِسٍ^(٦) عَنْ عَثْمَانَ، وَفِرَارَكُمْ عَنِّي!

وَوَجَّهَ الْحِجَاجُ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَسْتَحِثُّهُ فِي مُنَاجَزَةِ الْقَوْمِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لَتُحِبُّ بَقَاءَهُمْ لِتَأْكُلَ بِهِمْ. فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِأَصْحَابِهِ: حَرِّكُوهُمْ، فَخَرَجَ فَرَسَانِ مِنَ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْخَوَارِجِ جَمْعٌ، فَاقْتَتَلُوا إِلَى اللَّيْلِ، فَقَالَ لَهُمُ الْخَوَارِجُ: وَيْلَكُمْ أَمَا تَمْلِكُونَ! فَقَالُوا: لَا، حَتَّى تَمْلُؤُوا، قَالُوا: فَمَنْ أَنْتُمْ؟

(١) ارْتَثَ: حَمَلَ مِنَ الْمَرْكَةِ وَبِهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْحَيَاةِ.

(٢) ر: «عبد».

(٣) أَيْ يَا أَبَا خَضَفَةَ.

(٤) زِيَادَاتُ ر: «تَقُولُ الْعَرَبُ: حَبِجَ الرَّجُلَ وَخَبِقَ وَخَضَفَ وَرَدَمَ. كُلُّ ذَلِكَ إِذَا ضَرَطَ».

(٥) سُورَةُ الْقَصَصِ ٧٦. (٦) دَارِسُ: مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْبَصْرَةِ.

قالوا: تميم، قالت الخوارج: ونحن بنو تميم، فلما أمسوا افترقوا، فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحتفر كل واحد منهم حفرة وأثبت قدمه فيها، فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره وقام^(١) مكانه. حتى أعتموا^(٢)، فقال لهم الخوارج: ارجعوا، فقالوا: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم! من أنتم؟ فقالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم، فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج، فقال له: مه! قال: رأيت قوماً لا يعين عليهم إلا الله.

وكتب إليه المهلب: إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موت ذريع، أو جوع مضر، أو اختلاف من أهوائهم.

وكان المهلب لا يتكلم في الحراسة على أحد. كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده. وقال أبو حرملة العبدى يهجو المهلب:

عَدَمْتُكَ يَا مُهْلَبُ مِنْ أَمِيرٍ أَمَا تَنْدَى يَمِينُكَ لِلْفَقِيرِ!
بَدُولَابٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتَ عَلَى مُوَاشِكَةِ دُرُورِ^(٣)
فقال المهلب: ويحك! والله إني لأفيكم بنفسى ووكدى. قال: جعلنى الله فداء الأمير! فذاك الذى نكره منك، ماكلنا يحب الموت، قال: ويحك! وهل عنه محيص؟ قال: لا، ولكننا نكره التعجيل، وأنت تقدم عليه إقداماً، قال المهلب: أما سمعت قول هبيرة^(٤) الكلجة اليربوعى:

فَقُلْتُ لِكَأْسِ الْجَمِيهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زَرُودٍ لِنَفْزَعَا
قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُهُ. وَلَكِنْ قَوْلِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ. وَهُوَ^(٥):

فَلَمَّا وَقَفْتُمْ غَدَوَةً وَعَدَوُكُمْ إِلَى مُهْجَتِي وَلَيْتُ أَعْدَاءَكُمْ ظَهَرُوا
وَطَرْتُ وَلَمْ أَحْفَلْ مَقَالَةً عَاجِزَ يُسَاقُ الْمَنَايَا بِالرُّدْنِيَّةِ السُّمْرِ

(١) ر: «ووقف».

(٢) أعتموا: صاروا إلى العتمة وهى ثلث الليل الأول.

(٣) ر: «دماء قوم»، ومواشكة درور: سريعة.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ساقطة من ر.

فقال له^(١) المهلب: بئس حشو الكتيبة والله أنت! فإن شئت أذنت لك فانصرفت إلى أهلِكَ، فقال: بل أقيم معك أيها الأمير. فوهب له المهلب وأعطاه، فقال يمدحه:

يَرَى حَتَمًا عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ جَلَادَ الْقَوْمِ فِي أُولَى النَّفِيرِ
إِذَا نَادَى الشُّرَاةُ أَبَا سَعِيدٍ مَشَى فِي رِفْلِ مُحْكِمَةِ الْقَتِيرِ^(٢)
الرِّفْلُ: الذِّلِيلُ.

وكان المهلب يقول: مَا يَسْرُنِي أَنْ فِي عَسْكَرِي أَلْفَ شَجَاعٍ بَدَلَ بِيْهَسٍ بِن صُهَيْبٍ، فيقال له: أيها الأمير. بيهس ليس بشجاع، فيقول: أجل، ولكنه سديد الرأي مُحْكَمُ الْعَقْلِ، وذو الرأى حَذَرٌ سَوَوُلٌ، فأنا أَمِنُ أَنْ يُغْتَفَلَ، فلو كان مكانه أَلْفُ شَجَاعٍ قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَنْشَامُونَ^(٣) حِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ^(٤)

وَمَطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا شَدِيدًا وَهُمْ بِسَابُورَ. وبين المهلب وبين الشراة عَقَبَةٌ. فقال المهلب: مَنْ يَكْفِينَا هَذِهِ الْعَقَبَةَ اللَّيْلَةَ؟ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ. فَلَبَسَ الْمُهَلَّبُ سِلَاحَهُ وَقَامَ إِلَى الْعَقَبَةِ وَاتَّبَعَهُ ابْنُهُ الْمَغِيرَةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عَبْدُ اللَّهِ: دَعَانَا الْأَمِيرُ إِلَى ضَبْطِ الْعَقَبَةِ. وَالْحَظُّ فِي ذَلِكَ لَنَا فَلَمْ نَطْعُهُ، فَلَبَسَ سِلَاحَهُ، وَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ فَصَارُوا إِلَيْهِ. فإذا المهلب والمغيرة لاثِلَتَ لِهَمَا. فقالوا: انصرف أيها الأمير، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بالشراة على العقبَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ عَلَى فَرَسٍ. فجعل يَحْمِلُ وَفَرَسُهُ يَزْلُقُ، وَتَلَقَّاهُ مُدْرِكُ ابْنِ الْمُهَلَّبِ فِي جَمَاعَةٍ مَعَهُ حَتَّى رَدَّهُمْ.

فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطبُ الناسَ. إذا الشراة قد تَأَلَّبَوْا، فقال المهلب: سبحان الله! أفي مثل هذا اليوم يامُغِيرَةُ! اكْفِينِهِمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمِ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَأَمَامَهُ سَعْدُ بْنُ نَجْدٍ الْقُرْدُوسِيُّ. وكان سعدٌ شجاعاً متقدماً في

(١) ر: «وقال المهلب».

(٢) القتيير: رءوس مسامير حلق الدروع.

(٣) ينشامون. من انشام الشيء. دخل واختبأ. يريد أنهم يكونون بم عزل مخافة أن يتفتلوا.

(٤) ر: «حتى يحتاج إليهم»..

شجاعته. وكان الحجاج^(١). إذا ظنَّ برجل أن نفسه قد أعجبته قال له: لو كنت سعد بن نَجْدِ القُرْدُوسِي ماعداً - وقُرْدُوسٌ من الأزد.

فخرجَ أَمَامَ المَغِيرَةِ. وتبع المَغِيرَةُ جماعةٌ من فرسان المهلب، فالتَقُوا، وأمام الخوارج غلامٌ جامعُ السلاح، مديدُ القامة، كرية الوجه، شديدُ الحملة، صحيحُ الفروسيَّة، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهو يقول:

نحن صَبَحْنَاكُمْ غُدَاةَ النَّحْرِ بالخيل أمثالِ الوَشِيحِ تَجْرِي^(٢)
فخرج إليه سعد بن نَجْدِ القُرْدُوسِي من الأزد، ثم تَجَاوَلَا ساعة، فطعنه سعدُ فقتله، والتقى الناس، فصرعَ يومئذ المَغِيرَةُ، فحَامَى عليه سعد بن بجد وذبيانُ السَّخْتِيَانِي وجماعةٌ من الفُرْسَانِ حتَّى ركب، وانكشف الناسُ عند سَقْطَةِ المَغِيرَةِ، حتَّى صاروا إلى أبيه المهلب، فقالوا: قُتِلَ المَغِيرَةُ، ثم أتاه ذُبْيَانُ السَّخْتِيَانِي. فأخبره بسلامته. فأعتقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرته.

ووجه الحجاجُ الجَرَّاحُ بن عبد الله إلى المهلب يَسْتَبْطِئُهُ في مناجزة القوم، وكتب إليه: أما بعد، فإنك جَبِيتَ الخراج بالعلل، وتحصَّنتَ بالخنادق، وطاوكتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصراً، وأكثرُ عدداً، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبناً، ولكنك اتخذتَ أَكْلاً^(٣). وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالهم، فناجزهم وإلا أنكرتني، والسلام.

فقال المهلب للجَرَّاح: يا أبا عُقْبَةَ. والله ما تركتُ حيلةً إلا احتلَّتها، ولا مكيدهً إلا أعملتها. وما العَجَبُ من إبطاء النصر وتراخي الظفر. ولكنَّ العجب أن يكونَ الرَّأْيُ لمن يملكه دونَ من يُبصره! ثم ناهضهم ثلاثة أيام، يُغادِيهم القتال، ولا يزالون كذلك إلى العصر، وينصرف^(٤) أصحابه وبهم قرح، وبالخوارج قرحٌ وقتلٌ، فقال له [الجراح]^(٥): قد أعذرت.

(١) ر: «وكان المهلب». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) الوشيح: مانبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه في بعض. (٣) الأكل: الرزق.

(٤) من هنا خرم في نسخة الأصل ينتهى في ص ٣٨٤ من هذا الجزء.

(٥) تكلمة من س

فكتب المهلب إلى الحجاج: أتانى كتابك تستبطنى فى لقاء القوم، على أنك لا تظن بى معصية ولا جبناً، وقد عاتبتنى معاتبه الجبان، وأوعدتنى وعيد العاصى، فاسأل^(١) الجراح. والسلام.

فقال الحجاج للجراح: كيف رأيت أخاك؟ قال: والله مارأيت أياًها الأمير مثله قط، ولا ظننت أن أحداً يبقى على مثل ما هو عليه. ولقد شهدت أصحابه أياماً ثلاثة يغدون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح. ويتجالدون بالسيوف، ويتخابطون بالعمد. ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئاً. رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم. فقال الحجاج: لشد مامدحت أبا عتبة! قال: الحق أولى.

وكانت ركب^(٢). الناس قديماً من الخشب. فكان الرجل يضرب ركابه فيتقطع فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد. فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد. وهو أول من أمر بطبعها. ففى ذلك يقول عمران بن عصام العنزي:

ضربوا الدراهم فى إمارتهم وضربت للحدثان والحرب
حلقاً ترى منها مرافقهم كمنالك الجمالة الحرب^(٣)

وكتب الحجاج إلى عتاب بن رقاء الرياحي من بنى رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والى إصبهان. يأمره بالمسير إلى المهلب. وأن يضم إليه جند عبد الرحمن بن مخنف: فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه، وأنت على أهل الكوفة. فإذا دخلتم بلداً فتحه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة [فيه]^(٤)، والمهلب على أهل البصرة.

فقدم عتاب فى إحدى جماديين من سنة ست وسبعين على المهلب، وهو بسابور، وهى من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس، وعتاب على أصحاب ابن مخنف، والخوارج فى أيديهم كرمان، وهم بإزاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي.

(١) س: «فسل»

(٢) الركب: جم ركاب. وهو ما يعتمد عليه راكب السرج بقدميه.

(٣) أى ضربت حلقاً. ومرافقهم. أى معتمدات أرجلهم. والجمالة: أصحاب الجمال.

(٤) من س.

فَوَجَّهَ الْحِجَاجُ إِلَى الْمَهْلَبِ رَجُلَيْنِ يَسْتَحْتَانِهِ مُنَاجَزَةَ الْقَوْمِ، أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ، وَالْآخَرُ مِنْ آلِ أَبِي عَقِيلٍ جَدُّ الْحِجَاجِ، فَضَمَّ زِيَادًا إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ، وَضَمَّ الثَّقَفِيُّ إِلَى يَزِيدِ ابْنِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: خُذَا يَزِيدَ وَحَبِيبًا بِالنَّجَازَةِ، فَعَادُوا الْخَوَارِجَ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ، فَقَتَلَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَفُقِدَ الثَّقَفِيُّ، ثُمَّ بَاكَرُوهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَقَدْ وَجَدَ الثَّقَفِيُّ، فَدَعَا بِهِ الْمَهْلَبُ وَدَعَا بِالْغَدَاءِ، فَجَعَلَ النَّبْلُ يَقَعُ قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَالثَّقَفِيُّ يُعْجَبُ مِنْ أَمْرِ الْمَهْلَبِ، فَقَالَ الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ:

وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَقَائِقِ	أَلَا يَا صَبْحَانِي قَبْلَ عَوَقِ الْعَوَائِقِ
نَخُوضُ الْمَنِيَا فِي ظِلَالِ الْخَوَافِقِ	غَدَاةَ حَبِيبٍ فِي الْحَدِيدِ يَقُودُنَا
وَهَاجَ عَجَاجُ الْحَرْبِ فَوْقَ الْبَوَارِقِ (١)	حَرُونُ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ شَرَارَهَا
زِيَادًا أَطَاحَتْهُ رِمَاحُ الْأَزَارِقِ	فَمَنْ مُبْلَغُ الْحِجَاجِ أَنْ أَمِينَهُ

قوله:

وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَقَائِقِ

يعني السيوف، والعقائِقُ: جمع عَقِيقَةٍ، يقال: سيف كَأَنَّهُ عَقِيقَةُ بَرْقٍ، أَيْ كَأَنَّهُ لَمْعَةُ بَرْقٍ، وَيُقَالُ انْعَقَ الْبَرْقُ إِذَا تَبَسَّمَ. وَلِلْعَقِيقَةِ مَوَاضِعٌ: يُقَالُ فُلَانٌ بَعَقِيقَةُ الصَّبِيِّ (٢)، أَيْ بِالشَّعْرِ الَّذِي وَلَدَ بِهِ لَمْ يَحْلِقْهُ، وَيُقَالُ: عَقَقْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتُهُ، وَمِنْ ذَا فُلَانٍ يَعْقُ أَبُوبِهِ، وَكَذَا عَقَقْتُ عَنِ الصَّبِيِّ، إِذَا ذَبَحْتَ عَنْهُ، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَادَارَ بَلَجَاءِ أَنْنِي	إِذَا أَجْدَبْتُ أَوْ كَانَ خَصْبًا جَنَابُهَا
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مُشْرِفٍ	إِلَى وَسَلَمِي أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا (٣)
بِلَادُ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمِيمَتِي	وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسٍّ جَلْدِي تُرَابُهَا

فَلَمْ يَزَلْ عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ مَعَ الْمَهْلَبِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى ظَهَرَ شَبِيبٌ، فَكَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى عَتَابٍ بِأَمْرِهِ بِالْمَصِيرِ (٤) إِلَيْهِ لِيُوجِهَ إِلَى شَبِيبٍ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَهْلَبِ

(١) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ: «الْحَرُونُ: لَقَبُ حَبِيبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحْرُنُ فِي الْأَرْضِ فَلَا يَبْرَحُ». وَالبوارق السيوف.

(٢) ر: «الصبي» بكسر الصاد وألف مقصورة.

(٣) مشرف: رمل بالدھاء

(٤) س: «بالمسير».

[يأمره] ^(١) بأن يَرْزُقَ الجندَ، فَرَزَقَ المهلبَ أهلَ البصرة، وأبى أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهل الكوفة. فأبى. فَجَرَتْ بينهما غِلْظَةٌ. فقال عتابٌ: قد كان يبلُغُنِي أنكَ شجاع فأريتكَ جباناً. وكان يبلُغُنِي أنكَ جوادٌ فأريتكَ بخيلاً. فقال له المهلبُ: يابن اللّخْناء! فقال له عتابٌ: لكنّكَ مَعَمْ مُخَوِّلٌ ^(٢). فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف. ووثب ابن تميم بن هُبيرة بن أبي ^(٣) مصقلة على عتاب فشتمه، وقد كان المهلبُ كارهاً للحلف، فلما رأى نصرَةَ بكر بن وائل سرّه الحلف واغتبط به، ولم يزل يُؤكِّدُه، فغضبت تميم البصرة لعتاب. وغضبت أزد الكوفة للمهلب.

فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب، فقال لعتاب: يا أبا ورقاء، إن الأمير يصيرُ لك إلى كلِّ ما تُحبُّ، وسأل أباَه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فأجابَه، فَصَلَحَ الأمرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعتابٌ بن ورقاء يَحْمَدُونَ المغيرة ابنَ المهلب، وقال عتابٌ: إني لأعرفُ فضله على أبيه، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إياد بن سود:

ألا أبلغُ أباَ ورقاءَ عَنَّا ^(٤) فلولا أننَّا كُنَّا غَضاباً
على الشيخِ المهلبِ إذ جفانا للاقَتْ خيلُكم مِنّا ضراباً
وكان المهلب يقولُ لبنيه: لا تَبْدءوهم بقتالٍ حتى يَبْدءوكم فيبْعُوا عليكم.
فإنهم إذا بَعَّوْا نُصِرتُم عليهم.

فَشَخَّصَ عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ إِلَى الْحِجَاكِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ، فَوَجَّهَهُ إِلَى شَيْبٍ، فَقَتَلَهُ شَيْبٍ، وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ عَلَى حَرْبِهِمْ، فَلَمَّا انْقَضَى مِنْ مُقَامِهِ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ شَهْراً اخْتَلَفُوا.

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يَعْمَلُ نَصالاً مسمومةً فَيَرْمِي بها أصحابَ المهلب، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَقَالَ: أَنَا أَكْفِيكُمْوه إن شاء الله، فَوَجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتابٍ وألف درهم إلى عسكرِ قَطْرِيٍّ فقال: ألقِ هذا الكتابَ في عسكرِ قَطْرِيٍّ واحذِرْ عَلَيَّ نَفْسِكَ - وكان الحدّادُ يُقالُ له أَبْزَى - فَمَضَى الرَّسُولُ، وَكَانَ فِي الْكِتَابِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنْ نَصَالَكَ قَدْ وَصَلْتُ إِلَيْ. وقد وَجَّهَتْ إِلَيْكَ بِألف درهم، فاقْبِضْهَا وَزِدْنَا مِنْ هَذِهِ النَّصَالِ، فَوَقَعَ الْكِتَابُ وَالْدَّرَاهِمُ إِلَى

(١) تكملة ر. س. (٢) معم مخول. أى كريم الأعمام والأخوال.

(٣) ر: «أخي». (٤) كذا في س، وفي ر: «بنى ورقاء».

قطرى. فدعاً بأبزى، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري، قال: فهذه الدراهم؟ قال: ما أعلم علمها، فأمر به فقتل، فجاءه عبدُ ربِّه الصغيرُ مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له: أقتلت رجلاً على غير ثقة ولا تبين! فقال له: ما حال هذه الدراهم! قال: يجوز أن يكون أمرها كذباً ويجوز أن يكون حقاً. فقال له قطرى: قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر، وللإمام أن يحكم كذباً بما رآه صلاحاً. وليس للرعية أن تعترض عليه. فتكرَّر له عبدُ ربِّه فى جماعة [معه] (١). ولم يفارقوه. فبلغ ذلك المهلبَ فدسَّ إليه رجلاً نصرانياً. فقال له: إذا رأيتَ قطرياً فاسجد له، فإذا نهاك فقل: إنما سجدت لك، ففعل النصرانيُّ، فقال له قطرى:

إنما السجودُ لله، فقال: ما سجدتُ إلا لك، فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله، وتلا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٢) فقال قطرى: هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريمَ فما ضرَّ ذلك عيسى شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانيِّ فقتله، فأنكر ذلك عليه وقال: أقتلت ذمياً! فاختلفت الكلمة، فبلغ ذلك المهلبَ، فوجهَ إليهم رجلاً يسألهم عن شىء تقدَّم به إليه، فأتاهم الرجلُ فقال: أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ماتقولون فيهما؟ فقال بعضهم: أمّا الميت فمؤمنٌ من أهل الجنة، وأمّا الآخر الذى لم يجز المحنة فكافرٌ حتى يجيزها. وقال قومٌ آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة. فكثر الاختلاف.

فخرج قطرى إلى حدود إصطخر. فأقام شهراً والقوم فى اختلافهم، ثم أقبل، فقال لهم صالح بن مخراق: يا قوم، إنكم قد قررتم أعين عدوكم، وأطمعتموهم فيكم. لِمَا ظهر من اختلافكم، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة.

وخرج عمرو القنا فنادى: أيها المحلون (٣). هل لكم فى الطراد، فقد طال عهد به! ثم قال
ألم تر أنا منذ ثلاثون ليلةً قريباً وأعداء الكتاب على خفضٍ

(٢) سورة الأنبياء ٩٨.

(١) تكلمة من س.

(٣) المحلون: الذين لاعهد لهم ولا حرمة.

فَتَهَاجِ القَوْمُ، وَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَأَبْلَى يَوْمئِذٍ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبِ،
وَصَارَ فِي وَسْطِ الْأَزَارِقَةِ، فَجَعَلَتِ الرَّمَاحُ تُحِطُّهُ (١) وَتَرْفَعُهُ، وَاعْتَوَرَتْ رَأْسَهُ
السُّيُوفُ، وَعَلَيْهِ سَاعِدٌ حَدِيدٌ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَجَعَلَتِ السُّيُوفُ لَا تَعْمَلُ
فِيهِ شَيْئًا، وَاسْتَنْقَذَهُ فُرْسَانٌ مِنَ الْأَزْدِ بَعْدَ أَنْ صَرَّعَ، وَكَانَ الَّذِي صَرَعَهُ عَبِيدَةُ بْنُ
هَلَالٍ، وَهُوَ، يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ خَيْرٍ قَوْمِهِ هَلَالٍ شَيْخٌ عَلَى دِينَ أَبِي بَلَالٍ
وَذَاكَ دِينِي آخِرَ اللَّيَالِي

فَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَغِيرَةِ: كُنَّا نَعْجَبُ كَيْفَ تَصْرَعُ، وَالْآنَ نَعْجَبُ كَيْفَ تَنْجُو!
وَقَالَ الْمَهْلَبُ لَبَنِيهِ: إِنَّ سَرَّحَكُمْ لِنَارٍ، وَلَسْتُ أَمَنَهُمْ عَلَيْهِ، أَفَوَكَلْتُمْ بِهِ أَحَدًا؟
قَالُوا: لَا، فَلَمْ يَسْتَمِ الْكَلَامُ حَتَّى آتَاهُ آتٌ فَقَالَ: إِنَّ صَالِحَ بْنَ مَخْرَاقٍ قَدْ أَغَارَ
عَلَى السَّرْحِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَهْلَبِ، وَقَالَ: كُلُّ أَمْرٍ لَا إِلَيْهِ بِنَفْسِي فَهُوَ ضَائِعٌ،
وَتَذَمَّرَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ بَشَرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ: أَرِحْ نَفْسَكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَرِيدُ مِثْلَكَ
فَوَاللَّهِ لَا يَعْدِلُ أَحَدُنَا شَيْئًا نَعْلُكَ، فَقَالَ: خَذُوا عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ، فَثَارَ بَشَرُ بْنُ
الْمَغِيرَةِ، وَمُدَّرَكَ وَالْمُفْضِلُ ابْنَا الْمَهْلَبِ، فَسَبَقَ بَشَرٌ إِلَى الطَّرِيقِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ
الْأَزَارِقَةِ يَشَلُّ السَّرْحَ (٢). أَيْ يَطْرُدُهُ. وَهُوَ يَقُولُ:

نَحْنُ قَمَعْنَاكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وَقَدْ نَكَّأْنَا الْقَرْحَ بَعْدَ الْقَرْحِ (٣)
الشَّلُّ: الطَّرْدُ، وَيُقَالُ: نَكَّأْتُ الْقَرْحَةَ، مَهْمُوزٌ، وَنَكَيْتُ الْعَدُوَّ. غَيْرُ مَهْمُوزٍ،
مِنْ النَّكَايَةِ، وَنَكَّأْتُ الْقَرْحَةَ نَكًّا، قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ:

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً (٤) تُحَدِّثُ لِي قَرْحَةً وَتَنَكُّوْهَا
وَلَحِقَهُ الْمُفْضِلُ وَمُدَّرَكَ، فَصَاحَا بِرَجُلٍ مِنْ طَيْئِ: اكْفِنَا الْأَسْوَدَ، فَاعْتَوَرَهُ
الطَّائِيُّ وَبَشَرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فَمَقْتَلَاهُ، وَأَسْرَا رَجُلًا مِنَ الْأَزَارِقَةِ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ: مِمَّنْ
الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، قَالَ: إِنَّكَ لَشَيْنٌ هَمْدَانُ، وَخَلَى سَبِيلَهُ.

(١) هَذَا آخِرُ الْحَرْمِ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ، وَأَوَّلُهُ فِي ص ٣٧٧ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٢) السَّرْحُ: الْمَالُ الَّذِي يَسَامُ فِي الْمَرْعَى مِنَ الْأَنْعَامِ.

(٣) أَقْمَنَاكُمْ: قَهَرْنَاكُمْ.

(٤) أَيْ لَا تَزَالُ.

وكان عيَّاشُ الكِنْدِيُّ شَجَاعاً بَيْساً^(١) فأبلى يومئذٍ، ثم مات على فراشه بعد ذلك، فقال المهلب: لا وَّالْتَ نفسَ الجَبَانِ بعدَ عيَّاشٍ!
وقال المهلب: ما رأيتُ كهؤلاءِ كلما يُنْقَصُ منهم يُزِيدُ فيهم!

وَوَجَّهَ الحِجَااجَ إلى المهلب رجلين: أحدهما من كَلْب، والآخرُ من سُلَيْم، يَسْتَحِثَّانِه بالقتال، فقال المهلب متمثلاً:

وَمُسْتَعْجِبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أُنَاتِنَا ولو زبنته الحربُ لم يترمرم
الشَّعْرُ لَأَوْسُ بنِ حَجَرٍ، وقوله: «زَبْنَتُهُ» يقول: دَفَعْتُهُ. ولم يترمرم، أى لم يتحرَّك، يقال: قيلَ له كذا وكذا فما ترمرم.

وقال ليزيد: حَرَّكْهُمْ، فَحَرَّكْهُمْ فَتَهَاجِبُوا، وذلك في قرية من قرى إصطخر، فحمل رجلٌ من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه، فسكَّ فخذُه بالسَّرج، فقال المهلب للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ: كيف نقاتل قوماً هذا طعنهم!

وحمل يزيدُ عليهم وقد جاء الرُّقَادُ، وهو من فرسان المهلب، وهو أحدُ بنى مالك بن ربيعة، على فرس له أدْهَم، وبه نَيْفٌ وعشرون جراحة، وقد وَضَعَ عليها القُطْنُ، فلما حملَ يزيدُ ولىَّ الجمعُ وحمَاهم فارسان، فقال يزيدُ لقيسِ الحُسْنِيِّ مولى العتيك: مَنْ لَهْذَيْنِ؟ قال: أنا. فحملَ عليهما، فَعَطَفَ عليه أحدهما، فطعنه قيسُ الحُسْنِيُّ فصرَّعه، وحملَ عليه الآخرُ فعانقه، فسَقَطَا جميعاً إلى الأرض، فصاحَ قيسُ الحُسْنِيِّ: اقْتُلُونَا جميعاً، فحملتُ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلاء، فحجزوا بينهما، فإذا مُعَانَقُهُ امرأةٌ. فقام قيسُ مُسْتَحِيّاً، فقال له يزيدُ: أَمَا أَنْتَ فَبَارَزْتَهَا على أنها رجل. فقال: أَمَا أَنْتَ لَوْ قَتَلْتُ أَمَا كَانَ يُقَالُ: قُتِلَتْهُ امرأةٌ!

وأبلى يومئذٍ ابنُ المنجبِ السَّدُوسِيُّ، فقال له غلامٌ يقال له خلاجٌ: والله لَوَدِدْنَا أَنَا فَضْضْنَا عَسْكَرَهُمْ حتى أَصِيرَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِمْ فَأَسْتَلْبَ مِمَّا هُنَاكَ جَارِيتَيْنِ. فقال مولاه: وكيف تَمْنَيْتَ اثْنَتَيْنِ؟ قال: لِأَعْطِيكَ إِحْدَاهُمَا وَأَخَذَ الأُخْرَى، فقال ابنُ المنجبِ:

(١) البَيْسُ: الشَّدِيدُ البَاسُ ..

أَخْلَاجُ إِنَّكَ لَنْ تُعَانِقَ طِفْلَةَ
حَتَّى تُلَاقِيَ فِي الْكُتَيْبَةِ مُعَلِّمًا
وَتَرَى الْمُقْعَطَرُ فِي الْكُتَيْبَةِ مُقَدِّمًا
أَوْ أَنْ يُعَلِّمَكَ الْمَهْلَبُ غَزْوَةً
شَرْقًا بِهَا الْجَادِيُّ كَالْتَّمَثَالِ
عَمَرُو الْقَنَا وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ
فِي عُصْبَةٍ فَسَطَوْا مَعَ الضُّلَالِ
وَتَرَى جِبَالًا قَدْ دَنَّتْ لَجِبَالِ

قوله: «طِفْلَةٌ» يقول: ناعمة، وإذا كسرت الطاء فقلت: «طِفْلَةٌ» فهي الصغيرة. والجادى: الزعفران، والكتيبة: الجيش، وإنما سُمِّيَ الجيش كُتَيْبَةً لانضمام أهله بعضهم إلى بعض. وبهذا سُمِّيَ الكتاب. ومنه قولهم: كَتَبْتُ الْبَغْلَةَ وَالنَّاقَةَ إِذَا خَرَزْتَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْهَا، وَكَتَبْتُ الْقُرْبَةَ، وَالْمُعَلِّمُ: الذى قد شَهَرَ نَفْسَهُ بِعِلْمِهِ، إِمَّا بِعِمَامَةِ صَبِيغٍ، وَإِمَّا بِمُشَهَّرَةٍ. وَإِمَّا بِغَيْرِ لِكَ. وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُعَلِّمًا يَوْمَ بَدْرٍ بِرِيشَةٍ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ. وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ - وَهُوَ سِمَاكُ بْنُ خُرَيْشَةَ الْأَنْصَارِيُّ - يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ سَيْفِي هَذَا بِحَقِّهِ؟» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ يُضْرَبَ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى يَنْحَنِي»، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَلَبَسَ مُشَهَّرَةً فَأَعْلَمَ بِهَا، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْلَمُونَ مَا بَلَوْا مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا لَبَسَ تِلْكَ الْمُشَهَّرَةَ لَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ غَايَةٌ، ففعل. وَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا مُشِيَّةٌ بِيَعُضُهَا اللَّهُ عِزَّوَجَلَّ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ» وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ - وَرَمَى إِلَيْهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: هَاكَ حَمِيدًا فَاغْسِلِي عَنْهُ الدَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ الْيَوْمَ لَقَدْ صَدَّقَهُ مَعَكَ سِمَاكُ بْنُ خُرَيْشَةَ وَسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ». وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ «وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ» وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ.

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج:

وَعَمَرُو الْقَنَا مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ، وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَالَّذِي طَعَنَ صَاحِبَ الْمَهْلَبِ فِي فَخْذِهِ فَشَكَّهَا مَعَ السَّرِجِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: ، لَا أَدْرَى أَعَمَّرُوهُ أَمْ غَيْرُهُ. وَالْمُقْعَطَرُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ.

وقوله: «قَسَطُوا» أى جَارُوا، يقال قَسَطَ فهو قَاسِطٌ، إذا جَارَ، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١). ويقال: أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ، إذا عَدَلَ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

وكان بَدْرُ بن الهذيل شجاعاً، وكان لَحَانَةً، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادى ياخِيلَ^(٣) الله اركبى، وله يقول القائل:

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى الْمَهْلَبِ حَاجَةً عَرَضْتُ تَوَابِعَ دُونِهِ وَعَبِيدُ
الْعَبْدُ كُرْدُوسٌ وَعَبْدٌ مِثْلُهُ وَعِلَاجُ بَابِ الْأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ

كُرْدُوسٌ: رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ، وَكَانَ حَاجِبَ الْمَهْلَبِ، وَقَوْلُهُ: «عِلَاجُ بَابِ الْأَحْمَرَيْنِ شَدِيدٌ»، الْعَرَبُ تُسَمِّي الْعَجَمَ الْحَمْرَاءَ، وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ ذَا.

وقوله: «تَوَابِعُ» أَرَادَ بِهِ الرِّجَالَ، فَجَازَ فِي الشُّعْرِ، وَإِنَّمَا رَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ لِلضَّرُورَةِ، وَمَا كَانَ مِنَ النُّعُوتِ عَلَى «فَاعِلٍ» فَجَمَعَهُ «فَاعِلُونَ» لئَلَّا يَلْتَبِسَ بِجَمْعِ «فَاعِلَةٍ» الَّتِي هِيَ نَعْتُ. وَقَدْ قُلْنَا فِي هَذَا وَلَمْ قَالُوا: فَوَارِسٌ وَهَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ.

وكان بشر بن المغيرة أبلَى يومئذٍ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فِيهِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي الْمَهْلَبِ جَفْوَةٌ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي عَمٍّ، إِنِّي قَدْ قَصَرْتُ عَنْ شِكَاةِ الْعَاتِبِ، وَجَاوَزْتُ شِكَاةَ الْمُسْتَعْتَبِ^(٤)، حَتَّى كَأَنِّي لَا مَوْصُولٌ وَلَا مَحْرُومٌ، فَاجْعَلُوا لِي فَرَجَةً أَعِشْ بِهَا وَهَبُونِي أَمْرًا رَجَوْتُمْ نَصْرَهُ، أَوْ خِفْتُمْ لِسَانَهُ. فَارْجِعُوا لَهُ وَوَصِّلُوا. وَكَلَّمُوا فِيهِ الْمَهْلَبَ فَوَصَلَهُ.

وَوَلَّى الْحِجَااجُ كُرْدَمًا فَارِسًا، فَوَجَّهَهُ الْحِجَااجُ إِلَيْهَا وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَهْلَبِ:

لَوْ رَأَاهَا كُرْدَمٌ لَكُرْدَمًا كُرْدَمَةُ الْعَيْرِ أَحْسَنُ الضَّيِّغَمَا
الضَّيِّغُمُ: الْأَسَدُ، وَالْكُرْدَمَةُ: النَّفُورُ.

(١) سورة الجن . . (٢) سورة الحجرات ٩

(٣) بكسر اللام، وهو موضع اللحن. (٤) العاتب: الساخط. والمستعتب: طالب الرضا.

فَكَتَبَ الْمَهْلَبُ إِلَى الْحِجَاجِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَتَجَاوَى لَهُ عَنْ إِصْطَخْرَ وَدَرَّابَ جَرَدَ
لَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ فَفَعَلَ، وَقَدْ^(١) كَانَ قَطْرَى هَدَمَ مَدِينَةَ إِصْطَخْرَ، لِأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
يَكْتَبُونَ الْمَهْلَبَ بِأَخْبَارِهِ، وَأَرَادَ مِثْلَ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ فَسَا، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ آزَادُ مُرْدُ بْنُ
الْهَرِيزِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَهْدَمْهَا، فَوَاقِعَهُ الْمَهْلَبُ فَهَزَمَهُ، وَنَفَاهُ إِلَى كِرْمَانَ،
وَاتَّبَعَهُ ابْنُهُ الْمَغِيرَةُ وَقَدْ كَانَ دَفَعَ إِلَيْهِ سَيْفًا وَجَهَّ بِهِ الْحِجَاجُ إِلَى الْمَهْلَبِ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ
أَنْ يَتَقَلَّدَهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى الْمَغِيرَةِ بَعْدَ مَا تَقَلَّدَ بِهِ، فَرَجَعَ بِهِ الْمَغِيرَةُ إِلَيْهِ وَقَدْ دَمَاهُ، فَسَرَّ
الْمَهْلَبُ بِذَلِكَ وَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَكُونَ كُنْتُ قَدْ^(١) دَفَعْتُهُ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ
وَلَدِي، أَكْفَنِي جَبَايَةَ خِرَاجِ هَاتَيْنِ الْكُورَتَيْنِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الرُّقَادَ، فَجَعَلَ يَجْبِيَانِ وَلَا
يُعْطِيَانِ الْجُنْدَ شَيْئًا، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَأَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فِي كَلِمَةٍ
لَهُ:

ولو عَلِمَ ابْنُ يَوْسَفَ مَا نُلَاقِي	من الآفَاتِ وَالْكَرْبِ الشَّدَادِ
لِفَاضَتْ عَيْنُهُ جَزَعًا عَلَيْنَا	وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ
أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جَزِيَتَ خَيْرًا	أَرْحَنًا مِنْ مُغِيرَةِ وَالرُّقَادِ
فَمَا رَزَقَا الْجُنُودَ بِهَا قَفِيزًا	وَقَدْ سَاسَتْ مَطَامِيرَ الْحِصَادِ ^(٢)

يَقَالُ: سَاسَ الطَّعَامُ وَأَسَاسَ، إِذَا وَقَعَ فِيهِ السُّوسُ، وَدَادَ وَآدَادَ، مِنَ الدُّودِ،
وَرَوَى أَبُو زَيْدٍ: «دِيدَ فَهُوَ مَدُودٌ» فِي هَذَا الْمَعْنَى.

فَحَارِبَهُمُ الْمَهْلَبُ بِالسَّيْرِ جَانٍ حَتَّى نَفَاهُمْ عَنْهَا إِلَى جِيرْفَتَ، وَاتَّبَعَهُمْ فَنَزَلَ
قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ.

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبِيدَةَ بْنَ هَلَالٍ الْيَشْكُرِيَّ اتَّهَمَ بِامْرَأَةٍ رَجُلٍ حَدَادٍ رَأَوْهُ
مَرَارًا يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَأَتَوْا قَطْرِيًّا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ عَبِيدَةَ مِنْ
الَّذِينَ بَحِثُ عِلْمَتِهِمْ وَمِنْ الْجَهَادِ بَحِثُ رَأَيْتُمْ فَقَالُوا: إِنَّا لَأُنْقَارُهُ^(٣) عَلَى الْفَاحِشَةِ،
فَقَالَ: انصَرَفُوا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَبِيدَةَ فَأَخْبَرَهُ وَقَالَ: إِنَّا لَأُنْقَارُ عَلَى الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ:
بَهْتُونِي^(٤) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا تَرَى؟ قَالَ: إِنِّي جَامِعٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَلَا تَخْضَعُ
خُضُوعَ الْمَذْنِبِ، وَلَا تَتَطَاوَلُ تَطَاوُلَ الْبَرِيِّ. فَجَمَعَ بَيْنَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، فَقَامَ عَبِيدَةُ

(١) ساقطة من ر.

(٢) المطامير: جمع مطمورة، وهي حفرة تحت الأرض تخبأ فيها الجيوب.

(٣) من المقارة وهي السكون والطمأنينة. (٤) بهتوني: قالوا على ما لم أفعل.

فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١) الآيات فبكوا وقاموا إِلَيْهِ فاعْتَنَقُوهُ. قَالَ: اسْتَغْفِرْ لَنَا. فَفَعَلَ. فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ رَبِّهِ الصَّغِيرُ مَوْلَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَعَكُمْ، فَبَايَعَ عَبْدُ رَبِّهِ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ لَمْ يَظْهَرُوا وَلَمْ يَجِدُوا عَلَى عَبِيدَةٍ فِي إِقَامِهِ الْحَدَّ ثَبْتًا.

وكان قَطْرِيٌّ قد استعمل رجلاً من الدَّهَاقِينِ فظهرتْ له أموالٌ كثيرة. فَأَتَوْا قَطْرِيًّا فَقَالُوا: إِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَكُنْ يُقَارُّ عَمَّالَهُ عَلَى مِثْلِ هَذَا، فَقَالَ قَطْرِيٌّ: إِنِّي اسْتَعْمَلْتُهُ وَلَهُ ضِيَاعٌ وَتِجَارَاتٌ، فَأَوْغَرَ ذَلِكَ صَدُورَهُمْ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْلَبَ، فَقَالَ: إِنَّ اخْتِلَافَهُمْ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنِّي.

وقالوا لقطري: أَلَا تَخْرُجُ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا؟ فقال: لا، ثم خرج. فقالوا: قد كذب وارتد! فاتبعوه يوماً فأحسَّ بالشرِّ، فدخل داراً مع جماعة من أصحابه، فصاحوا به: يادابة، خرج إلينا. فخرج إليهم. فقال: رَجَعْتُمْ بَعْدِي كَفَّارًا! فقالوا: أَوَكَسَتْ دَابَّةٌ! قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢)، ولكنك قد كفرت بقولك: إِنَّا قد رَجَعْنَا كَفَّارًا، فتبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فشاور عبدة. فقال: إِنَّ ثَبْتَ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْكَ، وَلَكِنْ قُلْ: إِنَّمَا اسْتَغْفَمْتُ فَقُلْتُ: أَرْجَعْتُمْ بَعْدِي كَفَّارًا؟ فقال ذلك لهم. فقبلوا منه. فرجع إلى منزله. وعَزَمَ أَنْ يَبَايَعَ الْمُقْعَطَرِ الْعَبْدِيَّ، فكرهه القومُ وأبوه، فقال له صالح بن مخرق عنه وعن القوم: أَيْغٍ لَنَا غَيْرَ الْمُقْعَطَرِ. فقال لهم^(٣) قطري: أَرَى طَوْلَ الْعَهْدِ قَدْ غَيَّرَكُمْ، وَأَنْتُمْ بِصَدَدِ عَدُوِّكُمْ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَقْبِلُوا عَلَى شَأْنِكُمْ. واستعدوا للقاء القوم. فقال صالح بن مخرق: إِنَّ النَّاسَ قَبْلَنَا قَدْ^(٣) سَامُوا عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَنْ يَعْزَلَ عَنْهُمْ سَعِيدَ بْنِ الْعَاصِي فَفَعَلَ، ويجب على الإمام أَنْ يُعْفِيَ الرَّعِيَّةَ مَا كَرِهَتْ. فَأَبَى قَطْرِيٌّ أَنْ يَعْزَلَهُ، فقال له القوم: إِنَّا خَلَعْنَاكَ وَوَلَّيْنَا عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ، فَاَنْفَصِلْ إِلَى عَبْدِ رَبِّهِ أَكْثَرُ مِنَ الشُّطْرِ، وَجَلَّهِمُ الْمَوَالِي وَالْعَجَمُ، وَكَانَ هُنَاكَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ. وَهُمْ الْفُرَّاءُ. ثُمَّ نَدِمَ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ. فَقَالَ لِقَطْرِيٍّ: هَذِهِ نَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِ الشَّيْطَانِ.

(٢) سورة هود ٦.

(١) سورة النور ١١ وما بعدها.

(٣) ساقطة من ر.

فَأَعْفَنَّا مِنَ الْمُقْعَطَرِ وَسِرُّ بَنَا إِلَى عِدْوِكَ، فَأَبَى قَطْرِي إِلَّا الْمُقْعَطَرِ، فَحَمَلَ فَتَى مِنْ
العَرَبِ عَلَى صَالِحِ بْنِ مَخْرَاقٍ، فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ وَأَجَرَهُ الرَّمْحَ فَقَتَلَهُ.
وَمَعْنَى «أَجَرَهُ الرَّمْحَ» طَعَنَهُ وَتَرَكَ الرَّمْحَ فِيهِ. قَالَ عَنَتْرُ:

وَأَخَّرَ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رَمَحِي وَفِي الْبَجَلِيِّ مَعْمَلَةٌ وَقَعِيعُ
فَنَشَبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ، فَتَهَاجَرُوا، ثُمَّ انْحَازَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى صَاحِبِهِمْ. فَلَمَّا كَانَ
الْغَدُ اجْتَمَعُوا فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ أَلْفَى قَتِيلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ
بَاكِرِهِمُ الْقِتَالَ، فَلَمْ يَتَصَفَّ النَّهَارُ حَتَّى أَخْرَجَتِ الْعَجْمُ الْعَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَأَقَامَ
عَبْدُ رَبِّهِ بِهَا. وَصَارَ قَطْرِي خَارِجًا مِنْ مَدِينَةِ جَيْرَفَتٍ بِإِزَائِهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَبِيدَةُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ أَقَمْتَ لَمْ آمَنْ هَذِهِ الْعَبِيدَ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُخَنِّدَ، فَخَنِّدَ عَلَى
بَابِ الْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ يُنَاوِشُهُمْ.

وَارْتَحَلَ الْمُهَلَّبُ فَكَانَ مِنْهُمْ عَلَى لَيْلَةٍ. وَرَسُولُ الْحِجَاجِ مَعَهُ يَسْتَحِثُّهُ فَقَالَ لَهُ:
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! عَاجِلُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصْطَلِحُوا، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: إِنَّهُمْ لَنْ يَصْطَلِحُوا،
وَلَكِنْ دَعُهُمْ، فَإِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى حَالٍ لَا يَفْلَحُونَ مَعَهَا، ثُمَّ دَسَّ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ابْتَ عَسْكَرُ قَطْرِي فَقُلْ: إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَى قَطْرِيًّا يُصِيبُ الرَّأْيَ حَتَّى
نَزَلَ مَنْزِلَهُ هَذَا فَبَانَ خَطْوُهُ، أَنْقِمْ بَيْنَ الْمُهَلَّبِ وَعَبْدِ رَبِّهِ. يَغَادِيهِ هَذَا الْقِتَالُ وَيُرَاوِحُهُ
هَذَا! فَنَمَى الْكَلَامُ إِلَى قَطْرِي. فَقَالَ: صَدَقَ. تَنَحَّوْا بَنَا عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنْ
اتَّبَعْنَا الْمُهَلَّبَ قَاتَلَنَاهُ، وَإِنْ أَقَامَ عَلَى عَبْدِ رَبِّهِ رَأَيْتُمْ فِيهِ مَا تَحِبُّونَ، فَقَالَ لَهُ الصَّلْتُ بْنُ
مُرَّةٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا^(١) تَرِيدُ اللَّهَ فَأَقْدِمْ عَلَى الْقَوْمِ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا^(٢)
تَرِيدُ الدُّنْيَا فَأَعْلِمْ أَصْحَابَكَ حَتَّى يَسْتَأْمِنُوا، وَأَنْشَأَ الصَّلْتُ يَقُولُ:

قُلْ لِلْمُحَلِّينَ قَدْ قَرَّتْ عُيُونُكُمْ	بِفِرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ
كُنَّا أَنَاسًا عَلَى دِينٍ فَعَيَّرْنَا	طُولُ الْجَدَالِ وَخَلَطُ الْجَدِّ بِاللَّعِبِ
مَا كَانَ أَغْنَى رَجَالًا ضَلَّ سَعْيُهُمْ	عَنِ الْجَدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخَطْبِ
إِنِّي لَأَهْوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرَبًا	مَالِي سِوَى فَرَسِي وَالرَّمْحِ مِنْ نَشَبِ

ثُمَّ قَالَ: أَصْبَحَ الْمُهَلَّبُ يَرْجُو مِنَّا مَا كُنَّا نَطْمَعُ فِيهِ مِنْهُ، فَارْتَحَلَ قَطْرِي، وَبَلَغَ
ذَلِكَ الْمُهَلَّبُ، فَقَالَ لِهَرِيمِ بْنِ عَدِيَّ بْنِ أَبِي طَحْمَةَ الْمُجَاشِعِيِّ: إِنِّي لَا آمَنْ أَنْ يَكُونَ

(١) ساقطة من ر.

قطريُّ كادَنَا بتركِ موضعه. فاذهب فَتَعَرَّفَ الخبر، فمَضَى هُرَيْمٌ فِي اثْنَى عَشَرَ
فَارِسًا. فلم ير فِي العسكر إِلَّا عبدًا وَعُلْجًا. فَسَأَلَهُمَا عَنْ قَطْرَى وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَا:
مَضَوْا يَرْتَادُونَ غَيْرَ هَذَا الْمَنْزَلِ. فَرَجَعَ هُرَيْمٌ إِلَى الْمَهْلَبِ فَأَخْبَرَهُ، فَارْتَحَلَ الْمَهْلَبُ
حَتَّى نَزَلَ خَنْدَقَ قَطْرَى، فَجَعَلَ يِقَاتِلُهُمْ أَحْيَانًا بِالْغَدَاةِ، وَأَحْيَانًا بِالْعِشَى، ففِي ذَلِكَ
يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ سَدُوسٍ، يَقَالُ لَهُ الْمُعْنِقُ، وَكَانَ فَارِسًا:

لَيْتَ الْحَرَائِرَ بِالْعِرَاقِ شَهِدْنَنَا وَرَأَيْنَا بِالسَّفْحِ ذِي الْأَجْبَالِ
فَنَكَحْنَ أَهْلَ الْجَزْءِ مِنْ فَرَسَانَا^(١) وَالضَّارِبِينَ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ

وَوَجَّهَ الْمَهْلَبُ يَزِيدَ إِلَى الْحِجَاجِ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ مَنْزَلَ قَطْرَى، وَأَنَّهُ مُقِيمٌ
عَلَى عَبْدِ رَبِّهِ. وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُوجِّهَ فِي أَثَرِ قَطْرَى رَجُلًا جَلْدًا فِي جَيْشٍ، فَسَرَّ ذَلِكَ
الْحِجَاجُ سُرُورًا أَظْهَرَهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْمَهْلَبِ يَسْتَحْثُّهُ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ مَوْهَبٍ وَفِي
الْكِتَابِ:

أَمَا بَعْدُ. فَإِنَّكَ تَتَرَاخَى عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تَأْتِيكَ رُسُلِي، فَتَرْجِعَ بُعْذُوكَ،
وَذَلِكَ أَنَّكَ تَمْسِكُ حَتَّى تَبْرَأَ الْجِرَاحُ، وَتُنْسَى الْقِتْلَى، وَيَجْمُ النَّاسُ^(٢). ثُمَّ تَلْقَاهُمْ
فَتَحْتَمِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يَحْتَمِلُونَ مِنْكَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَتْلِ، وَأَلَمِ الْجِرَاحِ، وَلَوْ كُنْتَ
تَلْقَاهُمْ بِذَلِكَ الْجَدِّ لَكَانَ الدَّاءُ قَدْ حُسِمَ، وَالْقَرْنُ قَدْ قُصِمَ^(٣). وَلَعَمْرِي مَا أَنْتَ
وَالْقَوْمُ سَوَاءٌ؛ لِأَنَّ مِنْ وَرَائِكَ رَجَالًا وَأَمَامَكَ أَمْوَالًا. وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَّا مَا مَعَهُمْ.
وَلَا يَدْرُكُ الْوَجِيفُ بِالْدَّيِّبِ، وَلَا الظَّفَرُ بِالتَّعْذِيرِ.

فَقَالَ الْمَهْلَبُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَرَاكُمْ مِنْ أَقْرَانِ أَرْبَعَةٍ: قَطْرَى
ابْنَ الْفَجَاءَةِ. وَصَالِحَ بْنَ مَخْرَاقٍ، وَعَبِيدَةَ بْنَ هَلَالٍ، وَسَعْدَ الطَّلَاحِ، وَإِنَّمَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ عَبْدُ رَبِّهِ، فِي خَشَارٍ مِنْ خَشَارِ^(٤) الشَّيْطَانِ. تَقْتُلُونَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَكَانُوا
يَتَغَادَوْنَ الْقِتَالَ وَيَتَرَاوَحُونَ، فَتَصِيْبُهُمُ الْجِرَاحُ، ثُمَّ يَتَحَاجَزُونَ كَأَنَّمَا انْصَرَفُوا مِنْ

(١) أهل الجزء: أهل الكفاية والغناء في الحرب.

(٢) يجم الناس: يسترخون.

(٣) قصم قرن الحيوان: كسره، ضربه مثلا لهلاك القوم.

(٤) الخشار: الرديء من كل شيء.

مجلس كانوا يتحدثون فيه . فيضحك بعضهم إلى بعض ، فقال عبيد بن موهب للمهلب : قد بان عذرك . وأنا مخبر الأمير . فكتب المهلب إليه :

أما بعد : فإنني لم أعط رسلك على قول الحق أجراً ، ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى تلقين . ذكرت أنني أجم القوم ، ولابد من راحة يستريح فيها الغالب ، ويحتال فيها المغلوب ، وذكرت أن في ذلك الجمام ما ينسى القتلى ، وتبرأ منه الجراح ، وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم ، تأبى ذلك قتلى لم تجن ، وقروح لم تتقر^(١) . ونحن القوم على حالة ، وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا . وإن ملؤا وقفوا ، وإن يئسوا انصرفوا . وعلينا أن نقاتلهم إذا اقاتلوا ، ونتحرز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والرأى كان القرن مقصوماً ، والداء بإذن الله محسوماً ، وإن أعجلتني لم أطعك ولم أعص ، وجعلت وجهي إلى بابك . وأنا أعوذ بالله من سخط الله ، ومقت الناس .

ولما اشتد الحصار على عبد ربّه قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره . والمسلم إذا صحّ توحيده عز بربه . وقد أراحكم الله من غلظة قطري . وعجلة صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط عبيدة بن هلال ، ووكلكم إلى بصائرهم ، فالفقوا عدوكم بصبر ونية ، وانتقلوا عن منزلكم هذا ، من قتل منكم قتل شهيداً ، ومن سلم من القتل فهو المحروم .

وقدّم في هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي ، يستحثه بالقتال ، ومعه أميانان ، فقال له : خالفت وصية الأمير ، وأثرت المدافعة والمطاوله ، فقال له المهلب : ما تركت جهداً ، فلما كان العشي خرج الأزارقة وقد حملوا حرّمهم وأموالهم وخفّ متاعهم لينتقلوا ، فقال المهلب لأصحابه : الزموا مصافكم ، وأشرعوا رماحكم^(٢) ، ودعوهم والذهاب . فقال له عبيد : هذا لعمرى أيسر عليك ، فقال للناس : ردوهم عن وجههم^(٣) . وقال لبيته : تفرّقوا في الناس ،

(١) لم تنقر : لم تنقشر ولم تيس .

(٢) أشرع الرمح : صوبه . (٣) «وجههم» .

وقال لعبيد بن أبي ربيعة: كن مع يزيد فخذ بالمحاربة أشدَّ الأخذ، وقال لأحد الأمينين: كن مع المغيرة ولا تُرخص له في الفتور، فاقتلوا قتالاً شديداً، حتى عُقرت الدواب وصُرِعَ الفُرسانُ، وقُتِلَتِ الرجال، فجعلت الخوارجُ تقاتلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسُّوطِ والعلقِ الخسيسِ أشدَّ قتال، وسَقَطَ رمحُ برجلٍ من مرادٍ من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كَثُرَ الجراحُ والقتلُ، وذلك مع المغربِ، والمُرادى يقولُ:

الليلُ ليلٌ فيه ويلٌ ويل وسالَ بالقومِ الشُّرَاةَ السَّيلُ

إن جاز للأعداءِ فينا قولُ

فلما عظم الحُطْبُ فيه بعثَ المهلبُ إلى المغيرة^(١): خَلِّ لهم عن الرمح، عليهم لعنة الله^(٢). فخلوا لهم عنه.

ثم مَضَتِ الخوارجُ حتى نزلوا على أربعة فراسخٍ من جبرُوتٍ، ودخلها المهلبُ، فأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خَلَّفُوهُ من دقيق^(٣) وختم عليه هو والثقفى والأمينان، ثم اتَّبَعَهُمْ، فإذا هم قد نزلوا على عينٍ لا يشرب منها إلا قوًى، يأتى الرجلُ بالدلوِّ قد شدَّها فى طَرْفِ رمحه فيستقي بها، وهناك قرية فيها أهلها، فغاداهم القتالُ، وضمَّ الثقفى إلى يزيد، وأحد الأمينين إلى المغيرة، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهار، فقال المهلبُ لأبى علقمة العبدى - وكان شجاعاً عاتياً: أمدد بخيلَ اليحمَد، وقُلْ لهم: فليُعيرونا جماعهم ساعة، فقال له: إنَّ جماعهم ليست بفخار فتُّعار، وليست أعناقهم كرادن^(٣) - فتنبَّت - قال أبو العباس^(٤): تقول العربُ لأعدَّاق النخل: كرادن، وهو فارسيٌّ أعرب -

وقال الحبيب بن أوس: كُرَّ على القوم، فلم يفعل، وقال:
يقولُ لى الأميرُ بغير علمٍ تقدَّم حينَ جدَّ به المِراسُ
فمالى إنَّ أطعْتُكَ من حياةٍ ومالى غيرَ هذا الرأسِ راسُ

(١-١) ر«خل عن الرمح عليهم لعنة الله» والأجود ما أثبتته عن الأصل، س.

(٢) ر: «رفيق». وما أثبتته من الأصل، س. (٣) ر: «كرادى».

(٤) ر: «أبو الحسن الأخفش». وما أثبتته من الأصل، س.

نَصَب: غير، لأنه استثناء مُقَدَّم، وقد مَضَى تفسيره.

وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة: احمَلْ، فقال: لا، إلا أن تزوجني أم مالك بنت المهلب، ففعل، فحمل على القوم فكشفهم، وطعن فيهم، وقال:

لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الْغَدَاةَ بِمَالٍ هُلْكُهُ الْيَوْمَ عِنْدَنَا فِيرَانَا
نَصِلُ الْكَرَّ عِنْدَ ذَاكَ بَطْعَنٍ إِنَّ لِلْمَوْتِ عِنْدَنَا أَلْسَوَانَا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج، فالتفت عند ذلك المهلب إلى المغيرة فقال: ما فعل الأمين الذي كان معك؟ قال: قتل، وكان الثقيفي قد هرب، وقال ليزيد: ما فعل عبيد بن أبي ربيعة؟ قال: لم أره منذ كانت الجولة، فقال الأمين الآخر للمغيرة: أنت قتلت صاحبي، فلما كان العشي رجعت الثقيفي، فقال رجل من بني عامر بن صعصعة:

مَا زِلْتَ يَا ثَقْفِي تَخْطُبُ بَيْنَنَا وَتَعْمُنَا بِوَصِيَّةِ الْحَجَّاجِ
حَتَّى إِذَا مَا الْمَوْتُ أَقْبَلَ زَاخِرًا وَسَمَّا لَنَا صَرْفًا بِغَيْرِ مَزَاجِ
وَلَيْتَ يَا ثَقْفِي غَيْرَ مُنَاطِرٍ تَنْسَابُ بَيْنَ أَحْزَةٍ وَفَجَّاجِ
لَيْسَتْ مُقَارَعَةُ الْكِمَاةِ لَدَى الْوَعْيِ شُرْبُ الْمِدَامَةِ فِي إِنْاءِ زُجَاجِ
قوله: «بَيْنَ أَحْزَةٍ» هو جمع حزير، وهو متن ينقاد من الأرض ويغلظ، والفجَّاج: الطُّرُق، واحدها فَجٌّ.

وقال المهلب للأمين الآخر: ينبغي أن تتوجه مع ابني حبيب في ألف رجل حتى تبيتوا عسكرهم، فقال: ما تريد أيها الأمير إلا أن تقتلني كما قتلت صاحبي قال: ذاك إليك، وضحك المهلب، ولم تكن للقوم خنادق، فكان كل حذرًا من صاحبه، غير أن الطعام والعدة مع المهلب، وهم في زهاء ثلاثين ألفاً، فلما أصبح أشرف على وادٍ، فإذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبته بالدماء. وهو ينشد:

جَزَانِي دَوَائِي ذُو الْخِمَارِ وَصَنَعْتِي إِذَا بَاتَ أَطْوَاءَ بَنَى الْأَصَاغِرُ
أَخَادِعُهُمْ عَنْهُ لِيُغْبِقَ دُونَهُمْ وَأَعْلَمُ غَيْرَ الظَّنِّ أَنِّي مُغَاوِرُ
كَأَنِّي وَأَبْدَانُ السَّلَاحِ عَشِيَّةً يَمْرُؤًا فِي بَطْنِ فَيْحَانَ طَائِرُ

فدعاه المهلب فقال: أتممي أنت؟ قال: نعم، قال: أحنظلي؟ قال: نعم، قال: أيربوعي؟ قال: نعم. قال: أنعلني. قال: نعم. قال: أمن آل نؤيرة؟ قال:

نعم. أنا من ولد مالك بن نويرة، وسبحان الله أيها الأمير! أكون مثلي في
عسكرك لا تعرفه! قال: عرفتكَ بالشعر.

قوله «ذو الخمار» يعنى فرساً وكان ذو الخمار فرساً مالك بن نويرة، قال
جرير يهجو الفرزدق:

يبروع فخرتُ وآل سعد فلا مجدى بلغت ولا افتخارى
بيربوع فوارس كل يوم يوارى شمسهُ رَهجُ الغبارِ
عُتيّة، والأحيمر وابن عمرو وعَتَّابٌ، وفارسُ ذى الخمارِ
قوله: «أطواء» يقال: رجل طوى البطن، أى منطو، يُخبر أنه كان يؤثر
فرسه على ولده، فيشبعه وهم جياع، وذلك قوله:

أخادعهم عنه ليغبقَ دونهم

والغبوق شرب آخر النهار، وهذا شىء تفخر^(١) به العرب، قال الأشعر
الجعفى:

لكن قعيدة بيتنا مجفوة باد جناجن صدرها ولها غنى^(٢)
تقفى بعيشة أهلها وثابة أو جرشعاً نهّد المراكل والشوى^(٣)

قال: فمكثوا أياماً على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة، فلم يزالوا
على ذلك حتى ضعف الفريقان، فلما كانت الليلة التى قُتل فى صباحتها^(٤) عبدُ
ربه جمع أصحابه وقال: يامعشر المهاجرين، إن قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء،
ولا سبيل إليه، فألقوا عدوكم، فإن غلبوكم على الحياة، فلا يغلبنكم على الموت،
فتلقوا الرماح بنحوركم، والسيوف بوجوهكم، وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها
لكم فى الآخرة.

فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديداً، نسي به ما كان قبله، فقال
رجل من الأزد من أصحاب المهلب: من يبايعنى على الموت؟ فبايعه أربعون رجلاً

(١) ر: «تفتخر».

(٢) الجناجن: عظام الصدر.

(٣) الجرشم: المتفخ الجنين. والمركل: موضع رجل الفارس من الفرس.

(٤) ر: «صبيحتها».

من الأزد وغيرهم، فصرع بعضهم وقتل بعضهم، وجرح بعض، وقال عبد الله بن رزّام الحارثي لأصحاب المهلب: احمّلوا، فقال: المهلب: أعرابي مجنون! وكان من أهل نجران، فحمّل وحده، فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع، ثم كرّ ثانية ففعل فعلة الأولى، وتهايج الناس، فترجّلت الخوارج وعقروا دوابهم، فناداهم عمرو القنّا- ولم يترجّل هو وأصحابه من العرب، وكانوا زهاء أربعمائة: موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا: إنّا إذا كنّا على الدواب ذكرنا الفرار.

فاقتلوا، ونادى المهلب بأصحابه: الأرض الأرض، وقال لبنيه: تفرّقوا في الناس ليروا وجوهكم، ونادى الخوارج: ألا إنّ العيال لمن غلب. فصبر بنو المهلب، وصبر يزيد بين يدي أبيه، وقاتل قتالاً شديداً أبلى فيه، فقال له أبوه: يا بنيّ إنّي أرى موطناً لا ينجو فيه إلّا من صبر، وما مرّ بي يومٌ مثل هذا منذ مارست الحروب.

وكسرت الخوارج أجفان سيوفها، وتجاولوا، فأجلّت جولتهم عن عبد ربّه مقتولاً، فهرب عمرو القنّا وأصحابه، واستأمن قوم، وأجلّت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج، فأمر المهلب بأن يدفع كلّ جريح إلى عشيرته، وظفر عسكرهم فحوى ما فيه، ثم انصرف إلى جيرفت، فقال: الحمد لله الذي ردّنا إلى الخفض والدعة، فما كان عيشنا بعيش، ثم نظر إلى قوم في عسكر لم يعرفهم، فقال: ما أشدّ عادة السلاح! ناولني درعي. فلبسها ثم قال: خذوا هؤلاء، فلما سير بهم إليه قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك، فأمر بهم فقتلوا.

* * *

قال أبو العباس: ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقري، ومرة بن تليد الأزدي. من أزد شنوءة. فوفد على الحجاج، فلما طعنا عليه تقدّم كعب فأشده: يا حفص إننى عدانى عنكم السفر وقد سهرت فأودى نومي السهر (١)

فقال له الحجاج: أشاعر أم خطيب؟ قال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة. ثم أقبل عليه فقال له: أخبرني عن بنى المهلب، قال: المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى

(١) وضع الشطر الثاني في ر بين علامتى الزيادة، وهو غير زائد فى الأصل، س.

ببَيزيدَ فارساً شجاعاً! وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يقر من مدرك، وعبد الملك سم نافع، وحيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب، وكفالك بالمفضل نجدة! قال: فكيف خلقت جماعة الناس؟ قال: خلقتهم بخير، قد أدركوا ما أملوا، وأمنوا ماخافوا. قال: فكيف كان بنو المهلب فيهم^(١)؟ قال: كانوا حماة السرح نهاراً. فإذا ألبسوا ففرسان البيات، قال: فايهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفها، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا أخذوا يثسنا منهم. ^(٢) إذا اجتهدوا واجتهدنا بلغنا فيهم^(٣) آمالنا إدراك الفرص منهم، فقال الحجاج: إن العاقبة للمتقين، كيف أفلتكم قطري؟ قال: كدناه ببعض ما كادنا به، فصرنا منه إلى التي^(٤) نحب، قال فهلا أتبعتموه؟ قال: كان الحد عندنا أثر من الفل. قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شفقة الوالد، وله منا بر الولد، قال: فكيف اغتباط الناس؟ قال: فشا فيهم الأمن، وشملهم النفل، قال: أكنت أعددت لي هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: فقال: هكذا تكون والله الرجال! المهلب كان أعلم بك حيث وجهك.

وكان كتاب المهلب إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافي بالإسلام فقدما سواء، الذي^(٥) وصل المزيدي بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألا ينقطع المزيدي منه^(٦) حتى ينقطع الشكر من عباده.

أما بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك، وكنا ونحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يسوئنا، ويسوئهم منا أكثر مما يسرهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان عكن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة. ونوم به الرضيع، فانتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها، وأدريت السواد من السواد، حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله. «فقطّع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»^(٧).

(١) ر: «فيكم».

(٢-٢) كذا في الأصل، س. وفي ر. «وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم».

(٣) ر. «الذي».

(٤-٤) كذا في الأصل، س، وفي ر «الذي حكم ألا ينقطع المزيدي منه». (٥) سورة الأنعام ٤٥.

فكتب إليه الحجاج:

أما بعد، فإن الله عزَّ وجلَّ قد فعلَ بالمسلمين خيراً، وأراحهم من حدِّ
الجهاد، وكنتُ أعلمُ بما قبلكَ. والحمد لله رب العالمين - فإذا وردَ عليك كتابي هذا
فاقسم في المجاهدين فيئُثهم، ونفلِ الناس على قدرِ بلائهم، وفضلِ مَنْ رَأَيْتَ
تفضيله، وإن كانت بقيَّة من القوم بقيَّةً فخلِّف خيلاً تقومُ بإزائهم، واستعمل على
كرَمَان مَنْ رَأَيْتَ وولَّ الخيلَ شهماً من ولدك، ولا ترخِّص لأحد في اللحاقِ بمنزله
دون أن تقدِّمَ بهم على، وعجِّل بالقدوم. إن شاء الله.

فولى المهلب ابنه يزيدَ كرمَانَ. وقال له: يا بُنَيَّ، إنك اليومَ لست كما كنتَ،
إنما لك من مال كرمَانَ ما فضلَ عن الحجاج، ولن تُحتمَلَ إلا على ما احتمَلَ عليه
أبوك، فأحسنْ إلى مَنْ معك، وإن أنكرت من إنسان شيئاً فوجهه إليَّ، وتفضَّلْ
على قومك^(١) إن شاء الله.

قال أبو العباس: وقَدَّم المهلبُ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر
إكرامه وبره، وقال: يا أهلَ العراق، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال
لقيطُ الإيادي:

وقلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكُمُ	رَحَبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعًا
لَا يَطْعَمُ النَّوْمُ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ	هَمْ يَكَادُ حَشَاءٌ يَقْصِمُ الضَّلْعَا
لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ	وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
مَسَاوَالِ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ	يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزِ مَرِيرَتِهِ	مُسْتَحْكَمَ الرَّأْيِ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا

فقام إليه رجل، فقال: أصلحَ الله الأمير! والله لكأنِّي أسمعُ الساعةَ قطرياً
وهو يقول: المهلبُ كما قال لقيطُ الإيادي. ثم أنشد هذا الشعر، فسر الحجاجُ حتى
امتلاً سروراً.

قوله: «نفلٌ» أي اقسِمَ بينهم، والنفلُ: العطيَّة التي تفضلُ. كذا كان
الأصل. وإنما تفضلَ الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لبيدُ:

(١ - ١) ساقط من ر.

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وبإذن الله رَيْثٌ وَعَـجَلٌ^(١)

وقال جل جلاله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، ويقال: نَفَلْتُكَ كَذَا وكَذَا. أى أعطيتُكَ، ثم صار النَّفْلُ لازماً واجباً.

وقول الإيادى: «رَحَبُ الذراع». فالرَّحْبُ: الواسع، وإنما هذا مثَلٌ.

يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين، وليس المعنى على تباعد الخلق، ولكن على سهولة الأمر عليه. قال الشاعر:

رَحِيبُ الذراع بالتى لا تَشِينُهُ وإن قِيلَتِ العوراء ضاق بها ذَرْعاً

وكذلك قوله جل وعز: ﴿يَجْعَلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾^(٢). وقوله: «مُضْطَلَعًا» إنما هو «مُفْتَعَلٌ» مِنَ الضَّلِيعِ، وهو الشديد. يريد أنه قوى على أمر الحرب، مستقل بها. وقوله: «يَكُونُ مُتَّبَعًا طَوْرًا وَمُتَّبَعًا» أى قد اتَّبَعَ النَّاسَ فَعَلِمَ مَا يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُ النَّاسِ. وَاتَّبَعَ فَعَلِمَ مَا يَصْلُحُ الرَّئِيسَ. كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: قَدْ أَلْنَا وَإِلَـيْ^(٣) عَلَيْنَا. أى قَدْ أَصْلَحْنَا أُمُورَ النَّاسِ. وَأَصْلَحَتْ أُمُورُنَا. وقوله: «على شَرِّزِ مَرِيرَتِهِ» فهذا مثَلٌ، يقال: شَرَزْتُ الحبل، إذا كَرَّرْتُ فتله بعد استحكامه راجعاً عليه. المَرِيرَةُ: الحبل، والضَّرْعُ: الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ، والقَحْمُ: آخِرُ سِنِّ الشَّيْخِ، قال العجاج:

رَأَيْنَا قَحْمًا شَابَ وَأَقْلَحَمًا طَالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمًا

وَالْمُقْلَحَمُ مِثْلُ الْقَحْمِ. وهو الجاف، ويقال للصَّبَى مُقْلَحَمٌ. إذا كَانَ سَيِّئَ الغَدَاءِ، أَوْ ابْنَ هَرَمَيْنِ، ويقال: رَجُلٌ إِنْقَحَلٌ وامرأةٌ إِنْقَحَلَةٌ. إذا أَسَنَّ حَتَّى يَبْسَ. والمُسْلَهَمُ: الضَّامِرُ. قال الشاعر:

* لَمَّا رَأَتْنِي خَلَقًا إِنْقَحَلًا *

ويقال فى معنى: «قَحْمٌ» قَحْرٌ، ويقال: بَعِيرٌ قَحَارِيَّةٌ، فى هذا المعنى. وقوله: لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثٌ يَبْعَثُهُ هَمٌّ. فـ«رَيْثٌ» وَعَوَضٌ مِمَّا يُضَافُ إِلَى الْأَفْعَالِ، وتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الْهَمُّ، فمعناه مقدار ذلك.

(١) الشطر الثانى ساقط من ر.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) من الإيالة: وهى سياسة الحكم.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماء الزمان، كقوله عز ذكره: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صُدُقَهُمْ﴾^(١)، فأسماء الزمان كلها تضاف إلى الفعل، نحو قولك: آتَيْكَ يَوْمَ يَخْرُجُ زَيْدٌ، وَجِئْتُكَ يَوْمَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ، وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف إلى الابتداء والخبر، فتقول: جِئْتُكَ يَوْمَ زَيْدٌ أَمِيرٌ، ولا يجوز ذلك في المستقبل، وذلك لأن الماضي في معنى «إِذَا»، وأنت تقول: جِئْتُكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ، والمستقبل في معنى «إِذَا»، فلا يجوز أن تقول: أَجِئْتُكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ، فلذلك لا يجوز: أَجِئْتُكَ يَوْمَ زَيْدٌ أَمِيرٌ. فأما الأفعال في «إِذَا» و«إِذَا» فهي بمنزلة واحدة، تقول: جِئْتُكَ إِذَا قَامَ زَيْدٌ، وَأَجِئْتُكَ إِذَا قَامَ زَيْدٌ، فهذا واضحٌ بَيِّنٌ، ومما يضاف إلى الفعل «ذُو» في قولك: أَفْعَلْ ذَاكَ بِذِي تَسْلَمٍ، وَأَفْعَلَاهُ بِذِي تَسْلَمَانَ، معناه: بِالذِي يُسَلِّمُكُمْ، ومن ذلك «آيَةُ» في قوله:

بِآيَةِ تَقْدِمُونَ الْخَيْلَ شُعْنًا كَأَنّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا^(٢)

والنحو يتصل ويكثر، وإنما تركنا الاستقصاء لأنه موضع اختصار،^(٣) وقد أتينا على جميع هذا في الكتاب المقتضب^(٤). فقال المهلب: إِنَّا وَاللَّهِ مَا كُنَّا أَشَدَّ عَلَى عَدُونَا وَلَا أَحَدًا، وَلَكِنْ دَمَغَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ، وَقَهَرَتِ الْجَمَاعَةُ الْفِتْنَةَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى. وَكَانَ مَا كَرِهْنَاهُ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ خَيْرًا مِمَّا أَحْبَبْنَاهُ مِنَ الْعَجَلَةِ. فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ: صَدَقْتَ، أَذْكَرَ لِي الْقَوْمَ الَّذِينَ أَلْبَلَوْا، وَصِفْ لِي بَلَاءَهُمْ، فَأَمَرَ النَّاسَ فَكَتَبُوا ذَلِكَ لِلْحِجَاجِ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُهَلَّبُ: مَا ذَخَرَ اللَّهُ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ ذَكَرَهُمُ لِلْحِجَاجِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فِي الْبَلَاءِ وَتَفَاضُلِهِمْ فِي الْغِنَاءِ. وَقَدَّمَ بَنِيهِ: الْمُغِيرَةَ، وَيَزِيدَ، وَمُذْرَكَ، وَحَبِيبًا، وَقَبِيصَةَ، وَالْمُفَضَّلَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ، وَمُحَمَّدًا وَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَوْ تَقَدَّمَ هُمْ أَحَدٌ فِي الْبَلَاءِ لَقَدَّمْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ لَا أَنَّ أَظْلَمَهُمْ لَأَخَّرْتُهُمْ. قَالَ الْحِجَاجُ: صَدَقْتَ. وَمَا أَنْتَ بِأَعْلَمَ بِهِمْ مِنِّي، وَإِنْ حَضَرَتْ وَعَبَتْ إِنَّهُمْ لَسُيُوفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ ابْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَالرَّقَادُ وَأَشْبَاهَهُمَا، فَقَالَ الْحِجَاجُ: أَيْنَ الرَّقَادُ؟ فَدَخَلَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَجْنَأٌ^(٥)، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ هَذَا فَارِسُ الْعَرَبِ، فَقَالَ الرَّقَادُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي كُنْتُ أَقَاتِلُ مَعَ غَيْرِ الْمُهَلَّبِ، فَكُنْتُ

(١) سورة المائدة ١١٩.

(٢) نسبه سيويه في الكتاب (١: ٤٦٠) إلى الأعشى.

(٣-٣) ساقط من ر.

(٤) من الجنا؛ وهو ميل في الظهر.

كبعض الناس، فلما صرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُنِي الصَّبْرَ ويجعلُنِي أسوَةً لنفسه وولده
ويجازينِي على البلاء، صرْتُ أنا وأصحابِي فُرْسَانًا، فأمرَ الحَجَّاجُ بتفضيلِ قومٍ على
قومٍ على قَدْرِ بِلَاتِهِمْ، وزادَ وَلَدَ المهلبِ أَلْفِينَ، وفعلَ بالرُّقَادِ وجماعةٍ شبيهاً بذلكَ.
قال يزيد بن حَبْنَاءَ من الأزارقة:

دَعَى اللُّؤْمَ إِنَّ العَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ	وَلَا تُعْجَلِي بِاللُّؤْمِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ
فَإِذْ عَجَلْتَ مِنْكَ المَلَامَةَ فَاسْمَعِي	مَقَالَةً مَعْنَى بِحَقِّكَ عَالِمٍ
وَلَا تَعْذِلِينَا فِي الهَدِيَةِ إِنَّمَا	تَكُونُ الهَدَايَا مِنْ فَضُولِ المَغَانِمِ
فَلَيْسَ بِمُهْدٍ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ	جَلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ
يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمًا بِطَعْنَةٍ	غَمُوسٍ كَشَدَقِ العَنْبَرِيِّ بْنِ سَالِمٍ
أَبَيْتُ وَسِرْبَالِي دَلَاصٌ حَصِينَةٌ	وَمَغْفَرُهَا وَالسَّيْفُ فَوْقَ الحِيَازِمِ ^(١)
حَلَفْتُ بِرَبِّ الوَاقِفِينَ عَشِيَّةً	لَدَى عِرْفَاتٍ حَلَفَةَ غَيْرِ آثِمٍ
لَقَدْ كَانَ فِي القَوْمِ الَّذِينَ لَقِيَتْهُمْ	بَسَابُورُ شَغْلٍ عَنْ بَرُوزِ اللَّطَائِمِ
تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِبِيَّةٌ	وَمُرْهَفَةٌ تَفْرَى شُؤْنَ الجَمَاجِمِ

قلت: «مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ جَلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ» يريدُ يَمْسِي هُوَ فِي لَيْلِهِ
وَيَكُونُ هُوَ فِي نَهَارِهِ. وَلَكِنَّهُ جَعَلَ الفِعْلَ لِلَّيْلِ والنَّهَارِ عَلَى السَّعَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ:
«بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢). وَالْمَعْنَى بَلْ مَكْرُكُم فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ مِنْ أَهْلِ
الْبَحْرَيْنِ مِنَ اللُّصُوصِ:

أَمَّا النَّهَارُ فَفِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ وَاللَّيْلُ فِي جَوْفٍ مَنَحُوتٍ مِنَ السَّاجِ
وَقَالَ آخَرُ:

قَدْ لَمَنَّا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى وَنِمْنَتِ وَمَا لَيْلُ المِطَى بِنَائِمٍ
وَلَوْ قَالَ: «مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ جَلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ».

لَكَانَ جَيِّدًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ مِنْ يَكُونُ نَهَارُهُ يَجَالِدُ جَلَادًا، كَمَا تَقُولُ: إِنَّمَا

(١) الدَّلَصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْبَرَقَ، وَمِنْهُ سَمِيَتْ الدَّرْعُ دَلَاسًا.

(٢) سُورَةُ سَبَأٍ ٣٣.

أنت سِيرًا، وإنما أنتَ ضَرْبًا، تريد تَسِيرَ سَيْرًا، وتضرب ضَرْبًا، فأضْمِرْ لعلم المخاطَب أنه لا يكون هو سيرا، ولو رَفَعَهُ على أن يجعلَ الجَلَادَ في موضع المجالِدِ، على قوله: أنتَ سِيرٌ، أى أنتَ جائزٌ كما قالت الخنساء:

* فإِذَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ *

وفى القرآن: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾^(١) أى غائرا، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح. ولو قال: «يُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ» لجاز، يصير اسمه فى «يُمْسِي»، ويجعل «لَيْلَهُ»، ابتداءً، و«غَيْرَ نَائِمٍ»، خبره على السعة التى ذكرنا.

وقوله: «غُمُوسٌ» يريدُ واسعةَ محيطَة، والعَنْبَرِيُّ بن سالم رجلٌ منهم كان يقال له الأَشْدَقُ، واللُّطَائِمُ: واحدتها: لَطِيْمَةٌ، وهى الإبلُ التى تَحْمِلُ البِزَّ والعَطَرَ. وقوله: «تَوَقَّدُ فى أَيْدِيهِمْ زَاعِبِيَّةٌ» يعنى الرِّمَاحَ، والتَّوَقَّدُ لِلْأَسْنَةِ، والزَّاعِبِيَّةُ منسوبةٌ إلى زاعبٍ، وهو رجلٌ من الحَزْرَجِ كان يعملُ الرِّمَاحَ. وتَفْرَى: تَقْدُّ، يقال فَرَى إِذَا قَطَعَ، وَأَفْرَى إِذَا أَصْلَحَ.

وقال حَبِيبُ بن عَوْفٍ من قَوَادِ المهَلَّبِ:

أبا سَعِيدَ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنِفْ على أَحَدٍ
دَاوَيْتَ بِالْحِلْمِ أَهْلَ الْجَهْلِ فَأَنْقَمُوا وكنتَ كالوالِدِ الحَانِي على الولدِ

وقال عبيدة بن هلال فى هربهم مع قطرى:

ما زالت الأقدارُ حتى قَدَفْتَنِي بقُومَسَ بين الفُرْخَانِ وُصُولِ
ويُرَوَى أَنَّ قَاضِيَّ قَطْرِي، وهو رجلٌ من بنى عبد القيس، سمع قول عبيدة

ابن هلال:

عَلَا فوق عَرْشٍ فوقَ سَبْعِ ودُونِهِ سَمَاءٌ تَرَى الأرواحَ من دُونِهَا تَجْرِي
فقال له العبدى: كَفَرْتَ إِلَّا أَنَّ تَأْتِي بِمَخْرَجٍ، قال: نعم، رُوحُ المؤمن تَعْرُجُ إلى السماء، قال: صدقت. وقال يذكرُ رجلا منهم:

(١) سورة الملك ٣٠.

يَطْوِي وترفعه الرِّمَاحُ كأنه
فثوى صريعاً والرماحُ تنوشه
شَلَوْ تَشَبَّ في مخالبِ ضارٍ^(١)
إنَّ الشَّرَاةَ قَصِيرَةُ الأَعْمَارِ

تَنُوشُهُ: تأخذه وتتناوله، وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ﴾^(٢) أى التناول، ومثلُ بيته هذا قولُ حَبِيبِ الطَّائِي:

فِيمَ الشَّمَانَةِ إِعْلَانًا بِأَسَدٍ وَغَى
وَقَالَ أَيْضًا فِي شَبِيهِ بِهَذَا الْمَعْنَى:

إِنْ يَتَّحِلْ حَدَّثَانُ الْمَوْتِ أَنْفُسَكُمْ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَعَذِبَهُ
وَيَسْلَمُ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمُرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ
وَقَالَ أَيْضًا:

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ وَقَفًّا فَلِإِنِّى
وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ عَيْسَى:

أَحْبَبُّكَ يَا جَنَّانُ فَأَنْتَ مِنِّى
وَلَوْ أَنِّى أَقُولُ مَكَانُ رُوحِى
لِإِقْدَامِى إِذَا مَا الْحَرْبُ جَاشَتْ
مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِ الْجَبَانِ
لَخَفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ^(٣)
وَهَابَ حُمَاتُهَا حُرَّ الطَّعَانِ

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي خِلَافِ هَذَا الْمَعْنَى:

أَكْبَانَ الْجَبَانَ يُرَى أَنَّهُ
فَقَدْ تَدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ
يُدَافِعُ عَنْهُ الْفَرَارُ الْأَجَلَ
وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشَّجَاعُ الْبَطْلُ

رجع الحديث:

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ قَيْسٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ:

سَائِلُ بَنَّا عَمَرُو الْقَنَا وَجُنُودُهُ
وَأَبَا نَعَامَةَ سَيِّدَ الْكُفَّارِ
أَبُو نَعَامَةَ: قَطْرَى.

(١) الشلو: العضو. (٢) سورة سبأ ٥٢.

(٣) بادرة الرجل: ما بدر منه من قول أو فعل.

وقال المغيرة بن حَبْنَاء الحنظليّ من أصحاب المهلب:

إني امرؤ كَفَنِي رَبِّي وأكرمَنِي	عن الأمور التي في رَعِيهَا وَخَمُّ
وإنما أنا إنسانٌ أَعِيشُ كَمَا	عاشتُ رجال وعاشتُ قَبْلَهَا أَمُّ
ما عاقَنِي عن قُفُولِ الجُنْدِ إذ قفلوا	عني بما صنعوا عَجَزٌ وَلَا بَكَمُ
ولو أردتُ قُفُولاً ما تَجَهَّمَنِي	إذْنُ الأمير ولا الكتاب إذ رَقَمُوا
إنَّ المهلبَ إن أَشْتَقَ لرؤيتِهِ	أو أمتدحهُ فإنَّ الناسَ قَدْ علمُوا
إنَّ الأريبَ الذي تُرَجَى نوافله	والمستعانَ الذي تَجَلَّى به الظُّلُمُ
القائلُ الفاعلُ الميمون طائره	أبو سعيد إذا مَا عُدَّتْ النعمُ
أَزْمَانُ أَزْمَانٍ إذ عَضَّ الحديدُ بهم	وإذ تَمَنَّى رجالٌ أَنهم هُزِمُوا

قال أبو العباس: وهذا الكتاب لم نبتدئه لتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل الشيء بالشيء، ويقترح المقترح ما يفسخُ به عزمَ صاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيله عن طريقه.

ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأ له هذا الكتاب، فإن مرَّ من أخبار الخوارج شيء مرَّ كما مرَّ غيره، ولو نَسَقْنَاهُ على ما جرى من ذكرهم لكان الذي يلي هذا خَبَرٌ نَجْدَةٌ، وأبى فديك، وعمارة الرجل الطويل. وشيب. ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصاً.

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله:

باب في اختصار الخطب والتحميد والمواظ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	باب
٣	لبكر بن النطاح يمدح مالك بن على الخزاعي
٣	للخليع يمدح عاصما الغساني
٤	لأبى العتاهية فى العتاب
٤	ليزيد بن محمد يمدح إسحاق بن إبراهيم
٥	فى مقتل مصعب بن الزبير
٥	ابنة جارية همام بن مرة
٦	من أخبار سعيد بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر
٩	مما قالته العرب فى ذم باهلة
١٠	فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلى
١٢	للأعشى يمدح هوزة بن على
١٨	من أخبار هوزة بن على
١٩	لحرير يهجو بنى حنيفة
٢٠	لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنيفة
٢١	من أخبار الوليد بن عقبة وشعره
٢٢	للبللى الأخيلية ترثى عثمان بن عفان
٢٢	لآخر يرثيه أيضا
٢٣	لأيمن بن خزيم يرثيه أيضا
٢٥	باب فى التشبيه
٣٧	من تشبيهات المحدثين

٤٤	الرياح ومواقعها
٤٧	لجريد في بني مجاشع
٤٨	من أخبار لييد بن ربيعة
٥٠	لأوس بن حجر
٥١	لرجل في الهجاء
٥٤	بين غنوى وفزاري
٥٦	لعمارة بن عقيل يهجو بني أسد
٦٢	للفرزق حين ولي ابن هبيرة العراق
٦٣	للفرزق أيضا في هجاء عمر بن هبيرة
٦٥	للفرزق أيضا في حبس عمر بن هبيرة
٧١	حديث أبي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك

باب

١١٥	الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك
١١٥	لابن قيس الرقيات في معاتبة المهلب
١١٥	نبيذ من أقوال الحكماء
١١٦	لدعبل يذم رجلا
١١٦	لبعض آل المهلب
١١٦	لرجل من طيء وكان قتل رجلا من بني أسد
١١٧	لشمعل التغلبي حين ضربه عبد الملك بن مروان
١١٨	بخل الخطيئة
١١٨	متفرقات من شعر دعبل

١١٨	لرجل من قریش
١١٩	لجریر یفتخر ویهجو الأخطل وقومه
١٢١	باب: من أخبار الخوارج
١٢١	فی بیعتهم لعبد الله بن وهب الراسبی
١٢٢	شأنهم مع واصل بن عطاء
١٢٢	مناظرة عبد الله بن عبس لهم
١٢٣	الفتوى فیمن أصاب صیدا وهو محرم
١٢٣	قول قطری بن الفجاءة لأبی خالد القنانی ورد أبی خالد علیه... ..
١٢٤	من أخبار عمران بن حطان وأشعاره
١٣٣	أول من حکم من الخوارج
١٣٣	أول سیف سل من سیوفهم
١٣٤	مناظرة علی بن أبی طالب لهم
١٣٥	للصلتان العبدی
١٣٦	للراعی فی عبد الملك بن مروان
١٣٨	من أخبارهم یوم النهروان
١٤٠	من شعر علی بن أبی طالب
١٤٠	فی تقسیم غنائم خیبر
١٤١	من أخبار واصل بن عطاء
١٤٤	مقتل علی بن أبی طالب رضی الله عنه
١٤٩	لأبی زبید الطائی یرثی علی بن أبی طالب
١٥٠	للکمیت فی رثائه أيضا

١٥١ لأبي الأسود الدؤلى فى آل البيت
١٥٣ وقف عين أبى نيرز
١٥٣ كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم
١٥٥ حديث على مع الخوارج فى أول خروجهم عليه
١٥٦ خبرهم مع عبد الله بن خبيب وقتلهم له
١٥٧ غيلان بن خرشة ونيله منهم
١٥٧ مرداس بن أدية وزياد
١٥٨ آراء الفقهاء فى مذهب الخوارج
١٦٢ حديث المخدج
١٦٣ من أخبار نافع بن الأزرق
١٧٠ الحجاج وامرأة من الخوارج
١٧٠ عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج
١٧١ وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية
١٧٢ صديق عبد الملك بن مروان
١٧٢ حديث ابن جعدية للمنصور
١٧٣ قتال أهل النخيلة
١٧٤ مناظرة أهل النخيلة لابن عباس
١٧٥ المستورد التيمى
١٧٥ الخوارج ومعاوية
١٧٧ من أخبار مقتل الإمام على ووصيته لأبنائه
١٧٩ الخوارج وزياد

١٨٠	قتل مصعب لامرأة المختار
١٨١	عبد الله بن زياد والخواارج
١٨٢	من أخبار مرداس بن أبي بلال
١٨٧	عباد بن أخضر المازنى
١٨٨	عروة بن أدية
١٩٠	أمر زياد مع الخوارج
١٩١	الرهين المرادى وشعره
١٩٤	المختار بن عبيد وبعض أخباره
١٩٧	باب اللام التى للاستغائة والتى للإضافة
١٩٩	عود إلى ذكر أخبار الخوارج
١٩٩	لخالد بن عباد السدوسى
٢٠١	تفرق الخوارج
٢٠١	الخواارج وابن الزبير
٢٠٥	خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز
	خروج نجدة بن عامر على نافع بن الأزرق والرسائل التى
٢٠٦	دارت بينهما
٢٠٩	كتاب نافع إلى ابن الزبير
٢١٠	كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة
٢١٢	مقتل نافع بالأهواز
٢١٥	لقطرى فى يوم دولاب
٢١٨	هذا باب «فعل»

٢١٩ هذا باب النسب إلى المضاف
٢١٩ النسب إلى المضاف
٢١٩ النسب إلى المضاف غير العلم
٢١٩ النسب إلى الجماعة
٢٢١ عود إلى أخبار الخوارج
٢٢١ الأزارقة وولاية البصرة
٢٢٣ تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم
٢٣٩ تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدمه للمهلب
٢٤٠ مشاوره مصعب للناس فيمن يكفيه أمر الخوارج
٢٤٨ ولاية قطري بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له
٢٥١ فيروز حصين وبعض أخباره
٢٦٠ ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج